تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

الجزء الثاني

دار المعارف

تاريخ الطبري

ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثانى

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحابُ الكهف فتيةً آمنوا بربّهم ؛ كما وصفهم الله عزّ وجلّ به من صفتهم فى القرآن المجيد ؛ فقال لنبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ .[1] ١/٧٧٦

والرّقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه فى لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذى أووْا إليه ، أو نقروه فى الجبل الذى أووْا إليه ، أو كتبوه[2] فى لوح وجعلوه فى صندوق خلّفوه[3] عندهم ، « إذ أوى الفتيةُ إلى الكهف » .

وكان عددُ الفتية — فيما ذكر ابنُ عباس — سبعةً ، وثامنهم كلبهم .

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا إسرائيل ، عن سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ،[4] قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدّثنا بشر ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدّثنا سعيد، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنّ ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم[5] .

---

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) فى الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلفوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم – وهو الذى كان يَلِى شِرَا الطعام لهم، الذى ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبُّوا من رقدتهم: ﴿ فَٱبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .[1]
حدّثنى عبد الله بن محمد الزّهرىّ ، قال : حدّثنا سفيان ، عن مقاتل : ﴿ فَٱبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ – اسمه يمنيخ[2] .

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال – فيما حدّثنا به ابن حُميد – قال: حدّثنا سلَمة ، عنه : اسمه يمليخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلبُهم تاسعَهم . وكان – فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق – يسمِّيهم فيقول: كان أحدهم – وهو أكبرهم والذى كلّم الملِك عن سائرهم – مكسلمينا ، والآخر محسلمينا ، والثالث يمليخا ، والرابع مرطوس[3] ، والخامس كسوطونس[4] ، والسادس بيرونس [5] ، والسابع رسمونس[6] ، والثامن بطونس[7] ، والتاسع قالوس[8] . وكانوا أحداثًا .

١/٧٧٧

وقد حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حُدِّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعةَ عيسى فى قول جماعة من سلف علمائنا .

---

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٨ (بولاق) .
(٢) ت ، ح : « تمنيخ » ، التفسير : «يمليخ » .
(٣) التفسير : « مرطونس » .
(٤) التفسير : « كسطونس » ، ل : « كسر طويس » .
(٥) التفسير : « يبورس » .
(٦) التفسير : « يكرنوس » .
(٧) التفسير : « يطبيونس » ، ل : « بطويس » ح : « بطوس » .
(٨) التفسير : « قالوش » .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا الحكَم بن بشير ، قال: حدّثنا عمرو — يعنى ابن قيس الملائىّ — فى قوله: ﴿ أنّ أصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ ﴾، كانت الفتية على دين عيسى بن مريم صلّى الله عليه وسلّم على الإسلام، وكان ملكهم كافراً . وكان بعضهم يزعم أنّ أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ، وأنّ المسيح أخبر قومه خبرَهم ، فإنّ الله عزّ وجلّ ابتعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح ، فى الفترة بينه وبين محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ والله أعلم أىّ ذلك كان .　　٧٧٨/١

فأمّا الذى عليه علماء أهل الإسلام فَعَلَى أنّ أمرهم كان بعد المسيح . فأمّا أنّه كان فى أيام ملوك الطوائف ، فإنّ ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم فى ذلك الزمان ملِكٌ يقال له : دقينوس، يعبد الأصنام — فيما ذكر عنه — فبلغه عن الفتية خلافُهم إيّاه فى دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ، حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له — فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس — نيحلوس .

وكان سببُ إيمانهم وخلافهم به قومهم — فيمَا حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الرزاق ، قال : حدّثنا معمَر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن سدوس[١]، — أنه سمع وهب بن منبّه يقول: جاء حوارىّ عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلَها ، فقيل له : إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجدَ له ، فكره أن يدخلَها ، فأتى حمّاماً ، وكان فيه قريباً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه، يؤاجِر[٢] نفسه من صاحب الحمّام . ورأى صاحب الحمّام فى حمّامه البركة ، ودرّ[٣] عليه الرزق، فجعل يعرض عليه [الإسلام][٤] وجعل يسترسل إليه . وعَلِقه فتيةٌ من أهل المدينة وجعل يُخبرهم　　٧٧٩/١

---

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سدوش » .
(٢) ح، ل: « يأجر » .　(٣) فى ط : « رد » وما أثبته من التفسير وانظر التصويبات .
(٤) من التفسير .

خبرَ السماء والأرض وخبرَ الآخرة ، حتى آمنوا به وصدّقوه ، وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة ، وكان يشرُط[١] على صاحب الحمّام أنّ الليل لى ، لا تحول بينى وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة ، فدخل بها الحمَّام ، فعيّره الحوارىّ، فقال : أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك[٢] هذه الكذا[٣] ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبّه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل، ودخلت معه المرأة فماتا فى الحمَّام جميعًا ، فأتِى الملك فقيل له : قتل صاحبُ الحمَّام ابنَك . فالتُمِسَ ، فلم يُقدرْ عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسمّوا الفتية ؛ فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة ، فمرُّوا بصاحبٍ لهم فى زرع له ؛ وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التُمسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فترَوْن رأيَكم . فضرِب على آذانهم ، فخرج المَلك فى أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلَّما أراد رجل أن يدخلَ أُرعِب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتَهم ؟ قال : بلى ، قال : فابنِ عليهم باب الكهف ، فدعْهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل[٤] . فغبروا — بعد ما بنى عليهم باب الكهف — زماناً بعد زمان .

١/٧٨٠

ثم إنّ راعيًا أدركه المطر عند الكهف، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمى من المطر! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه، وردّ الله إليهم أرواحَهم فى أجسادهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدَهم بورِق يشترى لهم طعامًا ، فكلَّما أتى باب مدينتهم رأى شيئًا ينكره، حتى دخل على رجل ، فقال : بعنى بهذه الدراهم طعامًا ، قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت، وأصحابٌ لى أمس ، فآوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلونى ، فقال :

---

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « معك » .

(٣) التفسير : « النكداء » .

(٤) إلى هنا ، الخبر فى التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنَّى لك بها ! فرفعه إلى الملك — وكان ملكًا صالحًا — فقال : من أينَ لك هذه الورِق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس حتى أدركَنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرونى أن أشترىَ لهم طعامًا . قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ، قال : فانطلَقوا معه حتى أتوْا بابَ الكهف ، فقال : دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم ، فلما رأوْه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلّما دخل رجل أُرعِب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوْا عندهم كنيسة ، ١/ ٧٨١ واتّخذوها مسجداً يصلُّون فيه .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمَر ، عن قَتادة ، عن عِكْرمة ، قال : كان أصحابُ الكهف أبناءَ ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفرّدوا[1] بدينهم ، واعتزلوا قومَهم ، حتى انتهوْا إلى الكهف ، فضرب الله على سُمْخَانِهم . فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أمَّتهم ، وجاءتْ أمَّةٌ مسلمة ، وكان ملِكهم مسلمًا ، واختلفوا فى الروح والجسد ، فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعًا ، وقال قائل: تُبْعث الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئًا . فشقَّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسوح ، وجلس على الرّماد ، ثم دعا الله عزَّ وجلَّ ، فقال : يا ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبيّن لهم ، فبعث الله أصحابَ الكهف ، فبعثوا أحدَهم يشترى لهم طعامًا ، فدخل السوق ، فجعل يُنكِر الوجوه ويعرف الطرق[2] ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخفٍ ، حتى أتى رجلا يشترى منه طعامًا ، فلما نظر الرجل إلى الورِق أنكرها — قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبَع — يعنى الإبل الصغار — قال له الفتى : أليس ملِككم فلان؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبرَ أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم فقال : إنّكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « فتعوذوا » .
(٢) ت : « الطريق » .

١/٧٨٢ وإنّ اللهَ عزّ وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان — يعنى ملكهم الذى مضى — فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب معه النّاس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى : دعونى أدخلْ إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواحَ فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم[1] .

* * *

قال قَتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمرّوا بالكهف ؛ فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبتْ عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

* * *

قال أبو جعفر : فكان منهم[2] :

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٣ (بولاق) .

(٢) أى من كان فى أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

– فكان فيما ذُكِر – من أهل قرية من قرى الموصِل يقال لها : نينَوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنهْيِ عن عبادتها ، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بُعِث إليهم ما قصّه الله فى كتابه ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1] . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] . ٨٨٣/١

* * *

وقد اختلف السّلَف من علماء أمة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم فى ذهابه لربّه مغاضبًا وظنّه أن لن يُقدَر[3] عليه ، وفى[4] حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسِل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربِّه ؛ وذلك أنّ القوم الذين أرسِل إليهم لمّا حضرهم عذاب الله أمِر بالمصير إليهم ؛ ليعلِمهم ما قد أظلّهم من ذلك ، لينيبوا ممّا هم عليه مقيمون مما يسخَطه الله ، فاستنظر ربّه المصيرَ إليهم ، فلم يُنظِرْه ، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

---

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا فى ت : وفى ط : « نقدر » .

(٤) ح ، ل : « فى » بدون واو .

* ذكر من قال ذلك :

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا الحسن الأشيب ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سُلَيْم ، قال : حدَّثنا شهر بن حَوْشب ، قال : أتاه جبريل عليه السلام – يعني يونس – وقال : انطلق إلى أهل نينَوى ، فأنذِرْهم أنَّ العذاب قد حضرهم . قال : ألتمسُ دابَّة ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : ألتمسُ حذاء ، قال : الأمر أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست السفينة لاتَقدَّمُ ولا تأخَّرُ . قال : فساهموا . قال : فَسُهِم[١] ، فجاء الحوت يبصبص بذنبه ، فنودى الحوت : أيا حوت ، إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنَّما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً ، فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرَّ به على الأيلَّة[٢] ، ثم انطلق حتَّى مرَّ به على دِجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه فى نينَوى[٣] . ٧٨٤/١

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا الحسن ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا شهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، قال : إنَّما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك منه بعد دعائه مَنْ أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالة ربِّه ، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حذَّرهم من بأس الله فى وقت وقَّته لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان ، فلما أظلَّ القومَ عذابُ الله ، فغشيَهم – كما وصف الله فى تنزيله – تابوا إلى الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذى كان وعدَهموه ، فغضِب من ذلك ، وقال : وعدتُهم وعداً ، فكذِّب وعدِى ! فذهب مغاضباً ربَّه ، وكره الرجوع إليهم وقد جرَّبوا عليه الكذب .

---

(١) سهم ، بالبناء للمجهول ، أى غلب .

(٢) ط : « الأبلة » ، وما أثبته من ت ، والتفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبى سلَمة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبّاس ، قال : بعثه الله تعالى – يعنى يونس – إلى أهل قريته ، فردُّوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوْحَى الله إليه : إنّى مرسل عليهم العذاب فى يوم كذا وكذا ، فاخرُجْ من بين أظهرهم . فأعلَم قومَه الذى وعدهم الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمُقوه ، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التى وُعِدوا العذاب فى صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحذِروا . فخرجوا من القرية إلى بَراز[1] من أرضهم ، وفرّقوا بين كلّ دابّة وولدها ، ثم عجّوا إلى الله واستقالوه فأقالهم . وتنظّر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به مارّ ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أنّ نبيَّهم لمَّا خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدَقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَراز من الأرض ، وفرّقوا[2] بين كلّ ذات ولد وولدها ، ثم عجّوا إلى الله وتابوا إليه ، فقبِل منهم ، وأخّر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذّابًا أبداً ، وعدتُهم العذاب فى يوم ، ثم رُدّ عنهم ! ومضى على وجهه مغاضبًا لربّه فاستزلّه الشيطان[3] .

٧٨٥/١

حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس] [4] ، قال : حدّثنا رجل قد قرأ القرآن فى صدره فى إمارة عمر بن الخطاب ، فحدّث عن قوم يونس حيث أنذر قومَه فكذّبوه ، فأخبرهم أنه مصيبهم العذاب وفارَقهم ، فلما رأوْا ذلك وغشيَهم العذاب ؛ لكنّهم[5] خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا

---

(١) البراز : الفضاء الواسع الخالى من الشجر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر فى التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير .

(٥) كذا ورد الاستدراك هنا بلفظ « لكنهم » ، وورد بعد بلفظ « لكنه » ، فى التاريخ والتفسير ؛ وهو غير واضح .

فى مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربّهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : فنى ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1]. ٧٨٦/١

فلم يكن قرية غشيها العذابُ ثم أمسك عنها إلاّ قوم يونس خاصّة، فلما رأى ذلك يونس ، لكنّه ذهب عاتبًا على ربه ، وانطلق مغاضبًا، وظنّ أنْ لن يُقْدَرَ عليه، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح[2]. فقالوا: هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس – وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتى ، فألقُونى فى البحر . وإنّهم أبوْا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾[2] ، فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمرَ بذنبى. وإنّهم أبوْا عليه أن يُلقوه فى البحر ،حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ؛ ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾. فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمر بذنبى ، وإنّهم أبوْا عليه أن يُلقوه فى البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلمّا رأى ذلك ألقى نفسه فى البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾[3] – وعرف الخطيئة – ﴿ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[3] . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾؛ وذلك أنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ؛ ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[4] . وألقى على ساحل البحر ، وأنبت الله عليه شجرة من يَقْطين – وهى فيما ذكر – شجرة القرع يتقطّر عليه

---

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٢) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفى التفسير : « فساهم : فقارع . ومن المدحضين : من المغلوبين ، يقال منه : أدحض الله حجة فلان فدحضت ، أى أبطلها فبطلت » .

(٣) سورة الأنبياء ٨٧ . (٤) سورة الصافات ١٤٣ – ١٤٥ .

١/٧٨٧ من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قُوَّته . ثم رجع ذاتَ يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعوتب فقيل له : أحزنْتَ على شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكَهم جميعًا !

ثم إنّ الله اجتباه من الضّلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمِر أن يأتىَ قَومَه ويُخبِرَهم أنّ الله قد تاب عليهم . فعمَد إليهم ، حتى لَقِىَ راعيًا ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهمْ على رجاء أن يرجع إليهم رسولُهم ، فقال له : فأخبرْهم أنّى قد لقيت يونس . فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمّى له عنزاً من غنمه ، فقال : هذه تشهد لك أنّك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقعة التى أنت فيها تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعى إلى قومه فأخبرهم أنه لَقِىَ يونس فكذّبوه وهَمُّوا به شرًّا ، فقال : لا تعجلوا علىّ حتى أصبح ، فلما أصبح غَدَا بهم إلى البقعة التى لَقِىَ فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لَقِى يونس ، وسأل العنز ، فأخبرتْهم أنه لَقِىَ يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم أنه قد لَقِىَ يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[1] .

حدّثنى الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزِىّ[2] ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودىّ ، قال : حدّثنا ١/٧٨٨ ابن مسعود فى بيت المال ، قال : إنّ يونس كان وعد قومه العذاب ، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله ، واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئًا ، وكان مَنْ كذب ولم يكن[3] له بيّنة قتِل

---

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « العبقرى » ، والصواب ما فى اللباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً﴿ فَنَادَىٰ فِى الظُّلُمَاتِ ﴾، قال: ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر .

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عمّن حدّثه عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلَمة زوج[1] النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوتِ أوحى الله إلى الحوت أنْ خُذْه ولا تخدِش له لحماً، ولا تكسر عظماً، فأخذه، ثم هوَى به إلى مسكنه من البحر. فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حسّاً، فقال فى نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت: إنّ هذا تسبيح دوابّ البحر. قال: فسبّح وهو فى بطن الحوت، قال: فسمعت الملائكة تسبيحَه، فقالوا: يا ربنا، إنا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. قال: ذلك عبدى يونس، عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر، قالوا: العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كلّ يوم وليلة عمل صالح! قال: نعم، قال: فشفعوا له عند ذلك. فأمرَ الحوتَ، فقذفه فى الساحل كما قال الله: ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾، وكان سقمه الذى وصفه الله به، أنّه ألقاه الحوت على الساحل كالصبىّ المنفوس[2]، قد بُشِر[3] اللحم والعظم[4].

١/٧٨٩

حدثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد ابن زياد، عن عبد الله بن أبى سلمة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: خرج به – يعنى الحوت – حتّى لفظه فى ساحل البحر، فطرحه مثل الصبىّ المنفوس، لم ينقص من خلقه شىء.

حدّثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدّثنى أبو صخر،

(١) كذا فى ت، وفى ط: «زوجة». (٢) المنفوس: حديث العهد بالولادة.
(٣) ت: «نشز»، والتفسير «نشر». (٤) الخبر فى التفسير ٢٣: ٦٧ (بولاق).
وفى ط: «تنشر».

قال : أخبرنى ابن قُسَيط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرِح بالعراء ، فأنبت الله عليه يقْطينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ، هيَّأ الله له أرويّة[1] وحشيّة ، تأكل من حَشَاش[2] الأرض — أو هشاش الأرض — فتفشَح[3] عليه ، فترْويه من لبنها كلَّ عشيَّة وبُكْرة ، حتّى نبت[4] .

* * *

ومما كان أيضاً فى أيام ملوك الطوائف :

(١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعول .

(٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فشحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجليها .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم فى تنزيله ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ • إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُون . . . . ﴾،[1] الآيات التى ذكر تعالى ذكره فى خبرهم. ١/٧٩٠

* * *

واختلف السلف فى أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة — الذين ذكرهم الله فى هذه الآيات ، وقصّ فيها خبرهم — أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الرّوم ، وهو أنطيخس ، والقرية التى كان فيها هذا الملك الذى أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكيَة .

• ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» — فيما حدثنا محمد بن إسحاق — قال : ممّا بلغه عن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبّه اليمانىّ ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكيَة ، وكان اسمه حبيبًا وكان يعمل الحرير ، وكان رجلا سقيمًا قد أسرع فيه الجُذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيًا ، وكان مؤمنًا ذا صدَقة ، يجمع كسبه إذا أمسى — فيما يذكرون — فيَقسمه نصفين ، فيُطْعِم نصفًا عياله ، ويتصدّق بنصف ، فلم يهمّه سُقْمه ولا عمله ولا ضعفه حين طَهّر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التى هو بها ؛ مدينة أنطاكيَة ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس[2] ، يعبد الأصنام ، صاحبُ شِرْك

---

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبطيحس » .

فبعث الله المرسَلين ، وهم ثلاثة : صادق وصدوق وشلوم[١] ، فقدّم الله إليه ٧٩١/١
وإلى أهل مدينته[٢] منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا من حواريّى عيسى بن مريم، ولم يكونوا رسلاً لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم إياهم ، لمّا كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك، أضيف إرساله إياهم إلى الله، فقيل : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا بشر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، قال : حدّثنا سعيد، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ . قال : ذكر لنا أنّ عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكيَة ، مدينة بالروم ، فكذّبوهما ، فأعزّهما بثالث، ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعتْه الرسل ، ونادته بأمر الله ، وصدَعت بالذى أمرت به ، وعابت دينَهم وما هم عليه، قال[أصحاب القرية][٣]لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤]. قالت لهم الرسل: ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أى أعمالكم ، ﴿ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾. فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيباً[٥]، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعى إليهم ٧٩٢/١

---

(١) التفسير : « سلوم » .   (٢) ح ، ل : « المدينة » .
(٣) زيادة يقتضيها السياق .   (٤) الخبر إلى هنا فى التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)
(٥) قال فى التفسير : « اسمه - فيما ذكر - حبيب بن مرى » .

يذكّرهم الله ، ويدعوهم إلى اتّباع المرسلين ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وهُم مُهْتَدُون ﴾ . أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم .

حدّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد : قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : لما انتهى – يعني حبيبًا – إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُون ﴾ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضرّه غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .

أي آمنت بربكم ، الذي كفرتم به ، فاسمعوا قولي . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، أنّ عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى خرج قُصْبُه من دبُره [1] .

وقال الله له : ادخل الجنّة ، فدخلها حيًّا يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سقَم الدنيا وحزنها ونَصبها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنّته وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ . وغضب الله له لاستضعافهم إياه غضبةً لم يُبْقِ [معها] من القوم شيئًا فعجّل لهم النقمة بما استحلّوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ،

٧٩٣/١

(١) القصب : المعى . والخبر في التفسير ٢٢ : ١٠٤ (بولاق)

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكيـّة ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمارة ، عن الحكَم بن عتيبة ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عبّاس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُذام قد أسرع فيه .

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا مُؤمّل ، قال : حدّثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبى مجلّد ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرىّ .

* * *

وكان فيهم[1] :

(١) أى فيمن كان فى زمان ملوك الطوائف .

شمسون

١/٧٩٤ وكان من أهل قرية من قرى الرّوم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان[١] من خبره وخبرهم – فيما ذكر – ما حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، عن المغيرة بن أبي لَبيد ، عن وهب بن منبّه اليمانيّ : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمّه قد جعلته نذيرةً[٢] ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفّاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويَسْبي ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيَهم لقيهم بلَحْيِ بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقاتلهم ، وتعب وعطش انفجَر له من الحجر الذي مع[٣] اللّحْي ماء عذب فيشرب منه حتى يروَى ، وكان قد أعطِيَ قوّةً في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم في الله ويغزوهم ، ويصيب منهم حاجتَه ، لا يقدرون منه على شيء؛ حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبَل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جُعْلاً ، فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوْها حَبْلا وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثِقي يدَه إلى عنقه حتى نأتيَه فنأخذه . فلما نام أوثقتْ يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جذبه بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها : لمَ فعلتِ ؟ فقالت : أجرّب به قوّتَك ، ما رأيتُ مثلَك قطّ !

١/٧٩٥ فأرسلَتْ إليهم أني قد ربطتُه بالحبل فلم أغْنِ عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتْها في عنقه ، ثم أحكمتْها ، فلما هبّ جذبها ، فوقعتْ من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم فعلتِ هذا ؟ قالت : أجرّب به قوّتَك ؛ ما رأيتُ مثلَك في الدنيا يا شمسون !

---

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يجعله أبواه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المعبد .

(٣) ط : « في » وما أثبته من ل .

أمَا فى الأرض شيء يغلبك ! قال : لا ، إلاّ شيء واحد ، قالت : وما هو ؟ قال : ما أنا بمخبرك به ، فلم تزل به تسأله عن ذلك — وكان ذا شعر كثير — فقال لها : ويحك ! إن أمّى جعلتْنى نذيرة[1] ، فلا يغلبنى شيء أبداً ، ولا يضبطنى إلا شعرى فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه ، فأوثقه ذلك ، وبعثت إلى القوم ، فجاءوا فأخذوه ، فجدعوا أنفه وأذنيْه ، وفقئوا عينيه ، ووقفوه للناس بين ظهرانى المئذنة — وكانت مئذنةً ذات أساطين ، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمسون ، وما يصنع به — فدعا الله شمسون حين مثّلوا به ووقفوه أن يسلّطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين[2] من عُمُد المئذنة التى عليها الملك والناس الذين معه فيجذبهما ، فجذبهما فردّ الله عليه بصرَه وما أصابوا من جسده ، ووقعت المئذنة بالملك ومَنْ عليها من الناس ؛ فهلكوا فيها هدْمًا .

(١) ط : « نذيراً » وانظر الحاشية رقم ٢ فى الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس – فيما ذكر – عبداً لله صالحًا من أهل فلسطين ، ممّن أدرك بقايا من حواريّي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغنى به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنّه تجهّز مرّة إلى ملك بالموْصل ، كما حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذانه[1] ، وكان قد ملك الشأم[2] كلّه ، وكان جبّاراً عاتيًا لا يُطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحًا من أهل فِلَسْطين ، وكان مؤمنًا يكتم إيمانه فى عصبة معه صالحين ، يستخْفُون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريّين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثيرَ المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصَّدَقة ، فكان يأتى عليه الزمان يُتْلِف ماله فى الصَّدَقة حتى لا يبقى منه شىء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضَّرْبة فيصيب مثل ماله أضعافًا مضاعفة ؛ فكانت هذه حاله فى المال . وكان إنما يرغب فى المال ، ويعمّره ويكسبه من أجل الصّدقة ؛ لولا ذلك كان الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى .

وكان لا يأمن وِلايةَ المشركين عليه مخافةَ أن يُؤْذوه فى دينه ، أو يَفْتِنوه عنه؛ فخرج يؤمّ ملكَ الموصل ، ومعه مالٌ يريد أن يُهديه له ؛ لئلاّ يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطانًا دونه ؛ فجاءه[3] حين جاءه ، وقد برز فى مجلس له ، وعنده[4] عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوْقَد ناراً ، وقرّب أصنافًا من أصناف العذاب الذى كان يعذّب به مَنْ خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له: «أفلّون» فنُصِب ؛ فالناس يُعْرَضون عليه ، فمن لم يسجدْ له أُلقِىَ فى تلك النار ، وعذّب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس مايصنع فَظِع به

١/ ٧٩٦ ، ١/ ٧٩٧

(١) ل : « دادايه » .

(٢) ل : « دان له » .

(٣) ل : « فجاء » ، وكذلك فى ابن الأثير .

(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه، وحدّث نفسه بجهاده ، وألقى الله فى نفسه بُغْضَه ومحاربتَه ، فعمَد إلى المال الذى أراد أن يهديَه له فقسَّمه فى أهل مِلّته حتى لم يبق منه شيئًا ؛ وكره أن يجاهده بالمال ، وأحبّ أن يَلِيَ ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضبًا وأسفًا ، فقال له : اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئًا ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربًّا هو الذى يملكك وغيرَك ، وهو[1] الذى خلقَك ورزقك ، وهو الذى يُحييك ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنت[2] قد عمَدت إلى خلْق من خلقه — قال له : كن فكان — أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغنى عنك من الله شيئًا ، فزيّنتَه بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبَدْته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربًّا .

فكلّم الملكَ جرجيسُ بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيده، وتعريفه أمرَ الصنم ، وأنّه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسألته إياه عنه ، ومَنْ هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمَته، أذلُّ عباده وأفقرُهم إليه، من التراب خُلِقْت، وفيه أصير . وأخبره ما الذى جاء به وحاله . وإنّه دعا ذلك الملكَ جرجيسُ إلى عبادة الله ورفْض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيسَ إلى عبادة الصنم الذى يعبده ، وقال : لو كان ربُّك الذى تزعم أنه ملك الملوك كما تقول، لَرُئِيَ عليك أثره كما ترى أثرى على من حولى من ملوك قومى .

١/٧٩٨ فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له — فيما قال : أين تجعل طرقبلينا[3]، وما نال[4] بولايتك ؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدؤه آدميًّا يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، فلم تَتَنَاه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه النُّور ،

---

(١) ل : « هو » من غير واو .

(٢) ت : « وإنك » .

(٣) ت : « طرقبليننا » .

(٤) ل : « ما نال » .

فصار إنسيًّا ملكيًّا ، سمائيًّا أرضيًّا ؛ يطير مع الملائكة . وحدّثنى : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإنّ الله فضّله على رجال العالمين ، وجعله وأمّه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمرِ المسيح ما كان الله خصّه به من الكرامة. وقال أيضًا : وحدّثنى : أين تجعل أمّ هذا الروح الطيّب التى اختارها الله لكلمته ، وطهّر جوفَها لروحه ، وسوّدها على إمائه ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزبيل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذْ[1] كانت من شيعتك وملّتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتّى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها ، فانتهشَتْ لحمها ولَغت دمها ، وجرّت الثعالب[2] والضباع أوصَالها ! فأين تجعلُها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله ! ١/٧٩٩

فقال له الملك : إنك لتحدّثنا عن أشياء ليس لنا بها علمٌ ، فأتنى بالرجلين اللذيْن ذكرت أمرهما ؛ حتّى أنظرَ إليهما ، وأعتبرَ بهما ؛ فإنى أنكر أن يكون هذا فى البَشَر .

فقال له جرجيس : إنّما جاءك الإنكار من قبَل الغِرّة[3] بالله ، وأمّا الرّجلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلاّ أن تعمل بعملهما ، فتنزل منازلهما .

فقال له الملك : أمّا نحن فقد أعذرْنا إليك ، وقد تبيّن لنا كِذبُك ، لأنك فخرت بأمور عجزتَ عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خيّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلّون ، فيثيبَه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلّون هو الذى رفع السماء — وعدّد عليه أشياء من قدرة الله — فقد أصبْتَ ونصحت [لى][4] ، وإلاّ فاخْسَأ أيّها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبّه ويسبّ آلهته غضب من قوله غضبًا شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاطُ الحديد، فخُدِش بها

(١) فى الأصول : « إذا » .
(٢) زاد فى ل : « إليه » .
(٣) الغرة ، بالكسر : الجهل .
(٤) تكلة من ل .

جسده حتى تقطّع لحمه وجلدُه وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخردل .
فلما رأى ذلك لم يقتلْه ، أمر بستّة مسامير من حديد فأحميتْ حتى إذا جعلت ١/٨٠٠
ناراً ، أمر بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتلْه ،
أمرَ بحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل فى
جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى بَرَد حرُّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألمَ هذا العذاب الذى تعذّب به!
فقال له جرجيس : أمَا أخبرتُك أنّ لك ربًّا هو أوْلَى بك من نفسك !
قال : بلَى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذى حَمَلَ عنّى عذابكَ ، وصبّرنى
ليحتجّ عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومُلْكه ،
وأجمع رأيه على أن يخلّده فى السجن ، فقال الملأ من قومه : إنّك إن تركته
طليقًا يكلّم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مُرْ له بعذاب فى السجن
يشغَله عن كلام الناس . فأمر فبُطح فى السجن على وجهه ، ثم أوْتد فى يديه
ورجليه أربعةَ أوتاد من حديد ، فى كلّ ركن منها وتِد ، ثم أمر بأسطوان[١]
من رخام ، فوُضع على ظهره . حمَل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم
أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلا فأقلُّوه ؛ فظلّ يومَه ذلك
مُوتَداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسلَ الله إليه ملَكا — وذلك أوّلَ ما أيِّدَ بالملائكة ،
وأوّل ما جاءه الوحى — فقلع[٢] عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
الحقْ بعدوّك فجاهده فى الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشِرْ واصبر ؛
فإنّى أبتليك بعدوّى هذا سبع سنين ، يعذّبك ويقتلك فيهنّ أربع مِرار ، فى ١/٨٠١
كلّ ذلك أردّ إليك روحك ؛ فإذا كانت القتْلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك
أجرك . فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعوهم إلى الله .
فقال له الملك : أجرجيس ! قال : نعم ، قال : مَنْ أخرجك من السجن ؟

---

(١) ل : « أسطوانة » .
(٢) كذا فى ابن الأثير ؛ وفى الأصول « فقطع » .

قال : أخرجَني الذى سلطانُه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملىء غيظًا ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلّف منها شيئًا ، فلما رآها جرجيس تُصنَّف له ، أوجس فى نفسه خيفة وجزعًا ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسَه مدُّوه بين خَشبتَين ، ووضعوا عليه سيفًا على مفرق رأسه ، فوَشَرُوه[1] حتى سقط بين رجليه ، وصار جزْلتين[2] ، ثم عمدوا إلى جزْلتيه ، فقطعوهما قِطَعًا . وله سبعة أسْد ضارية فى جُبّ ، وكانت صنفًا من أصناف عذابه ، ثم رموْا بجسده إليها ، فلما هَوَى نحوها أمر الله الأسْد فخضعت برءوسها وأعناقها ، وقامت على براثنها ، لا تألو أن تقيَه الأذى ؛ فظلّ يومه ذلك ميّتًا ، فكانت أول ميتة ذاقها . فلما أدركه اللّيل جمع الله له جسده الذى قطَّعوه بعضه على بعض ، حتى سوّاه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملَكا فأخرجه من قعْر الجبّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبّيك ! قال : اعلمْ أن القدرة التى خُلِق آدم بها من تراب هى التى أخرجتْك من قعر الجُبّ . فالحق بعدوّك ثم جاهده فى الله حقّ جهاده ، ومت موت الصابرين . ١/٨٠٢

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحًا — زعموا بموت جرجيس — فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا ، قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنّه هو ؟ قال الملك : ما بجرجيس من خفاء ، إنّه لهو ! ألا ترون إلى سكون ريحه ، وقِلّة هيبته . قال جرجيس : بلى ، أنا هو حقًّا ! بئس القوم أنتم ! قتلتم ومثّلتم ، فكان الله — وحُقّ له — خيراً وأرحم منكم . أحيانى وردّ علىّ روحى . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذى أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضُهم على بعض ، فقالوا : ساحرٌ سَحَر أيديَكم وأعينَكم عنه . فجمعوا له مَنْ كان ببلادهم من السَّحَرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض علىّ من كبير سحرك ما تُسرّى به عنّى ، قال له : ادع لى بثور من البقر ، فلما أُتِيَ به نفثَ فى إحدى أذنيه فانشقّت باثنتين ، ثم نفث فى الأخرى ؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذْر فحرث وبذر ، ونبت

(١) ت : « فنشروه » ، وهما بمعنى .

(٢) يقال : قطعه جزلتين ، أى نصفين .

الزرع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرّى ، وطحن وعجن ، وخبزَ وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما تروْن ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى[١] دابّة ؟ قال الساحر : أى دابّة أمسخه لك ؟ قال : كلبًا ، قال : ادعُ لى بقَدح من ماء ، فلما أتِىَ بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشرَبه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ؛ فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلاّ خيرًا ، قد كنت عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب ، فقوّانى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيّها الملك ، أنّك لو كنت تقاسى رجُلاً مثلك إذاً كنت غلبتَه ، ولكنّك تقاسى جبّار السموات ، وهو الملك الذى لا يُرام ! ١/٨٠٣

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يَصنع من الأعاجيب ، فأتته وهو فى أشدّ ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إنّى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فمات ، وجئتك لترحمَنى وتدعوَ الله أن يُحْيِىَ لى ثورى . فذرفت عيناه . ثم دعا[٢] الله أن يحيِىَ لها ثورها ، وأعطاها عصا ، فقال : اذهبى إلى ثورك ، فاقرَعيه بهذه العصا وقولى له : احْىَ بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرّقته السباع ، وبينى وبينك أيام ، فقال : لولم تجدى منه إلا سنّا واحدة ثم قرعتِها بالعصا لقام بإذن الله. فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أوّل شىء بدا لها من ثورها أحد رَوْقَيْه[٣] وشَعر ذَنَبه ، فجمعت أحدَهما إلى الآخر ، ثم قرعتهما بالعصا التى أعطاها ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلمّا قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك — وكان أعظمَهم بعد الملك : اسمعوا منّى أيّها القوم أحدّثكم ، قالوا : نعم ، فتكلّم ، قال : إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السّحر ، وزعمتم أنه سحرَ أيديَكم عنه وأعينَكم . فأراكم أنّكم تعذبونه ، ولم يصل إليه عذابكم ! وأراكم أنّكم ١/٨٠٤

(١) ت : « تمسخ لى هذا » .
(٢) ل : « ودعا » .
(٣) الروق : القرن من كل ذى قرن .

قد قتلتموه فلم يمتْ ، فهل رأيتم ساحراً قطّ قَدَر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحيَا ميتاً قطّ ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس، وفعلهم به، وفعلَه بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كلّه ، فقالوا له : إنّ كلامك لَكلام رجل قد أصغَى إليه ، قال : ما زال أمرُه لى معجبًا منذ رأيت منه ما رأيت ، قالوا له: فلعلّه استهواك ! قال: بل آمنت وأشهِدُ الله أنّى برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابتُه بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلّم .

فلما سمع الناس بموته أفزعهم ، وكتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس يكتمونه برز للناس ، فكشف لهم أمرَه ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتّبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميّت ، فقالوا: صدق ، ونِعمْ ما قال! يرحمه الله ! فعمَد إليهم الملك فأوثقهم، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمَثُلات[١] . حتى أفناهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربّك . فأحيا لك أصحابَك؛ هؤلاء الذين قُتِلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس: ما خلّى بينك وبينهم حتى خارَ لهم[٢] . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس : إنّك زعمت يا جرجيس أنّ إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنّى سائلك أمراً إن فعله إلهك آمنت بك وصدّقتك ، وكفيتُك قومى هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدةٌ بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكلٌّ صنع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى؛ فادْع ربّك ينشئْ هذه الآنية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّلَ مرّة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

١/٨٠٥

فقال له جرجيس : قد سألتَ أمراً عزيزاً علىّ وعليك ؛ وإنّه على الله لهيّن . فدعا ربه ، فما برحوا مكانهم حتى اخضرّت تلك المنابر ، وتلك الآنية كلّها، فساختْ عروقها ، وألبِسَت اللّحاء ، وتشعّبت، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدبَ له مجليطيس ، الذى تمنّى عليه ما تمنّى،

(١) المثلات : العقوبات .

(٢) ت : « جازاهم » .

فقال : أنا أعذّب لكم هذا الساحر عذاباً يضلّ عنه كيده . فعمَد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نِفْطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشْو فى جوفها ، ثم أوقد تَحْتَ الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهبت الصورة ، وذابَ كلّ شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس فى جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فملأت السماء سحاباً أسودَ مظلماً ، فيه رعدٌ لا يفتر ، وبرقٌ وصواعقُ متداركات ، وأرسل الله إعْصاراً فملأت بلادهم عجاجاً وقَتاما ، حتى اسودّ ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيّرين فى تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتملَ الصورة التى فيها جرجيس ، حتى إذا أقلّها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من رَوعته أهل الشأم أجمعون ، وكلّهم يسمعه فى ساعة واحدة ؛ فخرّوا لوجوههم صَعِقِين من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حيّاً ، فلما وقف يكلّمهم انكشفت الظلمة ، وأسْفَر ما بين السماء والأرض ، ورجعتْ إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقبلينا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربّك ؟ فإنْ كان هو الذى يصنعها ، فادعه يُحْيِى لنا موتانا ، فإنّ فى هذه القبور التى ترى أمواتاً من أمواتنا ، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا ، فادعه يُحْيِيهِمْ حتى يعودُوا كما كانوا ونكلّمهم ، ونعرف مَنْ عرفنا منهم ، ومَنْ لا نعرف أخْبِرْنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمتُ ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ، ويُريكم هذه العجائب[1] إلاّ ليتمّ عليكم حججه ، فتستوجبوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبِشت وهى عظام ورُفات ورميم . ثم أقبل على الدعاء فما برحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمى يوبيل[2] ، فقال : متى متّ ؟ قال : فى زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمائة عام[3] .

١/٨٠٦

(١) ت : « الأعاجيب » .
(٢) ل : « يوسك » .
(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شىء إلاّ قد عذّبتموه ، إلاّ الجوع والعطش، فعذّبوه بهما . فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصروه فى بيتها فلا يصلُ إليه من عند أحدٍ طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذى يُحلَف[1] به ، ما عهدنا بالطعام[2] منذ كذا وكذا ، ، وسأخرج وألتمس لك شيئًا . قال لها جرجيس : هل تعرفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدَعاها إلى الله فصدّقته ، وانطلقت تطلب له شيئًا ، وفى بيتها دِعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشىء حتى اخضرّت تلك الدّعامة ، فأنبتت كلّ فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمّى حتى كان فيما أنبتت اللّيَاء[3] واللوبياء .

١/٨٠٧

قال أبو جعفر : اللِّيَاء نبت بالشأم له حبّ يؤكل . وظهر للدّعامة فرع من فوق البيت أظلّه وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغَدا ؛ فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع ، فادعُ هذا الربّ العظيم ليشفىَ ابنى ، قال : أدنيه منى ، فأدنته منه ، فبصَق فى عينيه فأبصر ، فنفثَ فى أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أخّريه ؛ فإن له يومًا عظيمًا . وخرج الملك يسير فى مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إنى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذّبه بالجوع ؛ فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت[4] الفقيرة وشفى لها ابنَها. فأمر بالبيت فهدم، وبالشجرة لِتقطع ، فلما هموّا بقطعها أيبسها الله تعالى كما كانت أوّل مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبُطح على

١/٨٠٨

(١) ل : « تحلف به » .

(٢) ت : « ما عندنا من طعام » .

(٣) قال فى اللسان : الياء : حب أبيض كالحمص شديد البياض يؤكل ، وفى ط : « الباء » تحريف .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط : « أشبعت » .

وجهه وأوتد[1] له أربعة أوتاد ، وأمر بعجَل فأوقر أسطوانًا ما حمل ، وجعل فى أسفل العجَل خناجر وشفاراً[2] ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجَل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطّع[3] ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذرّوه فى البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ؛ إنّ الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيّب ، فإنّى أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صُبْرة كهيئته قبل أن يذرّوه ، والذين ذرّوه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرّماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبرًّا ينفض رأسه ، فرجعوا ، ورجَع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملِك أخبروه خبر الصوت الذى أحياه ، والريح التى جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لى ولك ! فلولا أن يقولَ الناس إنك قهرتنى وغلبتنى لاتّبعتُك وآمنت بك ؛ ولكن اسجد لأفلّون سجدة واحدة ، أو اذْبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرّك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يُهلِك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، وييئس منه ، فخدعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلْنى على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، ففرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إنى أعزم عليك ألاّ تظلّ هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلاّ فى بيتى وعلى فراشى ، ومع أهلى حتى تستريح ويذهب عنك وصبُ العذاب ، فيرى الناس كرامتَك علىّ . فأخلى له بيته ، وأخرج منه مَنْ كان فيه . فظلّ فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلّى ، ويقرأ الزّبور — وكان أحسنَ الناس صوتًا — فلمّا سمعتْه امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهى خلْفه تبكى معه ، فدعاها

١/٨٠٩

(١) ت : « ووتد » .

(٢) فى الأصول : « وأشفاراً » ؛ والصواب ما أثبته من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجدَ لها ، وقيل للعجوز التى كان سجن فى بيتها[١] : هل علمتِ أنّ جرجيس قد فتن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك فى ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز فى أعراضهم ، تحمل ابنَها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيتَ الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقربُ الناس منه مقامًا ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلّم قبل ذلك قطّ ، ثم اقتحم عن عاتق أمّه يمشى على رجليه سويّتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قطّ بقدميه ، فلما وقف بين يدىْ جرجيس قال : اذهب ، فادعُ لى هذه الأصنام ، وهى حينئذ على منابرَ من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إنّ جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلَقك إلاّ ما جئته[٢] . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تدحرج إلى جرجيس ، فلما انتهتْ إليه ركض الأرضَ برجله ، فخسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هاربًا فرَقاً من الخسف . فلما مرّ بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلّمه جرجيس فقال له : أخبرنى أيتها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذى يحملك على أن تهلك نفسَك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّرت بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بنى آدم وضلالتهم أو واحد منهم طَرْفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كلّه ؛ وإنه ليقع[٣] لى من الشهوة فى ذلك واللّذة مثل جميع ما يتلذّذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أنّ الله أسجد لأبيك آدمَ جميعَ الملائكة ، فسجد[٤] له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ؛ وجميع الملائكة

١/٨١٠

(١) ل : « سكن فى بيتها » .

(٢) ت : « إلاما أجبته » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط : « فسجدوا » .

المقرَّبين ، وأهلُ السموات كلّهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد
لهذا الخلْق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاّه جرجيس ؛ فما دخل إبليس ٨١١/١
منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الخسف ، ولا يدخلُه بعدها — فيما يذكرون — أبداً .
وقال الملك : يا جرجيس خدعتنى وغررتنى ، وأهلكت آلهتى ، فقال له
جرجيس : إنّما فعلت ذلك عَمْداً لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول
إذاً لامتنعتْ منّى ، فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع أنفسها منى ! وإنّما أنا مخلوق
ضعيف لا أملك إلا ما ملّكنى ربّى . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلّمتْهم
امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتْهم بدينها ، وعدّدت عليهم
أفعال جرجيس ، والعِبَرَ التى أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل
إلاّ دعوة فتُخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلكت أصنامكم . اللهَ اللهَ أيّها
القوم فى أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلّك
هذا الساحر فى ليلة واحدة ! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين ؛ فلم يُطق منّى شيئاً .
قالت له : أفما رأيت الله كيف يظفره بك ، ويسلّطه عليك ، فيكون له الفلَجُ
والحجّة عليك فى كلّ موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس
التى كان علّق عليها ، فعلّقت بها ، وجعلت[1] عليها الأمشاط التى جعلت
على جرجيس . فلما ألمت من وجع العذاب قالت : ادعُ ربك يا جرجيس
يخفّفْ عنى ، فإنى قد ألمت [من] العذاب فقال : انظرى فوقك . فلما نظرت
ضحكت ، فقال لها : ما الذى يضحكك ؟ قالت : أرى ملَكين فوق ، ٨١٢/١
معهما تاج من حَلْى الجنّة ينتظران به روحى أن تخرج ، فإذا خرجت زيّناها
بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قَبَضَ الله روحها أقبل جرجيس
على الدعاء ؛ فقال : اللّهمّ أنت الذى أكرمتنى بهذا البلاء ، لتعطيَنى به فضائل
الشهداء ! اللهمّ فهذا آخرُ أيامى الذى وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا ،
اللهمّ فإنى أسألك ألاّ تقبض روحى ، ولا أزولَ من مكانى هذا حتى تنزل
بهذا القوم المتكبّرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبَل لهم به ، وما تشفِى به
صدرى ، وتقرّ به عينى ؛ فإنهم ظلمونى وعذبونى . اللهمّ وأسألك ألاّ يدعو

(١) ل : « فحملت » .

٣٦

بعدى داعٍ فى بلاء ولا كرب فيذكرنى ، ويسألك باسمى إلاّ فرّجت عنه ورحمته وأجبته ، وشفّعتنى فيه .

فلمّا فرَغ من هذا الدّعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمَدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظًا من شدّة الحريق ، ليعطيَه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من وجه الأرض حتى أقلّها ، ثم جعل عاليَها سافلها ، فلبثت زمانًا من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن ، لا يشمّه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلاّ أنها أسقام مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضًا ، فكان جميع من آمن بجرجيس . وقتل معه أربعة وثلاثين ألفًا ، وامرأة الملك . رحمها الله !

* * *

٨١٣/١ ونرجع الآن إلى :

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التأريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائلَ من الأمور التى كانت فى أيام ملوك الطوائف فى الفرس ، وبنى إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن مَلَكَ الإسكندر أرضَ بابل فى قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفى قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثَبَ أرْدَشير بن بابك شاه مَاك خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بَهْمن َ الملك بن إسْفَنْديار بن بِشتاسْب بن لُهْرَاسْب بن كَيْوَجِى بن كَيْمنُش — وقيل فى نسبه : أرْدَشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهآفريذ بن ساسان الأكبر ، بن بَهْمَن بن إسْفَنْديار بن بشتاسْب بن لُهْراسب — بفارس طالباً ١ / ٨١٤ — بزعمه — بدم ابن عمّه دارا بن دارا بن بَهْمَن بن إسْفَنديار ، الذى حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مُرِيدا — فيما يقول[١] — ردَّ المُلْك إلى أهله ، وإلى[٢] ما لم يزل عليه أيام سلَفه وآبائه الذين مضوْا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذُكِر أن مولده كان بقرية من قرى إصْطَخْر يقال لها طيروده ، من رُسْتَاق خير من كُورة إصْطَخر . وكان جدّه ساسان شجاعًا شديدَ البطش ، وإنّه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصْطَخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأتُه من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قيِّمًا على بيت نار إصْطَخر ، يقال له بيت

---

(١) ت : « زعم » . (٢) ت : « على » .

نار أنا هيذ،[١] وكان مغرَمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت رامبهشت لساسان بابك ، وطولُ شعره حين ولدته أطولُ من شبر . فلما احتَنك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملك إصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدثت عن هشام بن محمد — جوزهر . وقال غيره : كان يسمّى جُزِهر ، وكان له خصيّ يقال له تيرَى ، قد صيّره أرجبذا[٢] بدارا بجرد . فلما أتى لأردشير سبعُ سنين ، سار به أبوه إلى جُزِهر ، وهو بالبيضاء ، فوقفه بين يديه ، وسأله أن يضمّه إلى تيرَى ؛ ليكون ربيبًا له ، وأرجبذا من بعده فى موضعه . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بما سأله من ذلك سجلاً ، وصار به إلى تيرَى ، فقبله أحسن قَبول ، وتبنّاه . فلما هلك تيرى تقلّد أردشير الأمر ، وحَسُنَ قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجّمين والعرّافين صلاحَ مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أنّ أردشير تواضع واستكان لذلك ، ولم يزل يزداد فى الخير كلّ يوم ، وأنّه رأى فى نومه ملكًا جلس إلى رأسه ، فقال له : إنّ الله يملّكه البلاد ؛ فليأخذ لذلك أهبته ، فلما استيقظ سُرَّ بذلك ، وأحسّ من نفسه قوّةً وشدّة بطش ، لم يكن يعهد مثله .

١/٨١٥

وكان أوّل ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بجرد ، يقال له جوبانان ، فقتل ملكًا كان بها يقال له فاسين[٣] . ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكًا كان بها يقال له منُوشهر ، ثم إلى موضع يقال له لروير[٤] ، فقتل ملكًا كان بها يقال له دارا ، وملّك هذه المواضيع قومًا من قبله ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جُزِهر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أردوان البهلوىّ ملك الجبال وما يتّصل بها ، يتضرّع له ويسأله الإذنَ فى تتويج سابور ابنه بتاج جُزِهر . فكتب إليه أردوان كتابًا عنيفًا ، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

١/٨١٦

(١) ت : « نار أهيذ » ؛ س : « نارهيذ » .
(٢) وهى أيضاً : « هرجبذا » ، وانظر ص ٤٤ ، س ١٦ .
(٣) ت : « قاسين » ، س : « قاسير » .
(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوبن » .

قتليهما مَنْ قتلا — فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك فى تلك الأيام ،فتوّج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ،فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعًا ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصْطَخر ، فألفَى بها عدّة من إخوته ، كان بعضهم أكبرَ سنًّا منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلّم الجميع لأرْدَشير ، فتتوّج بالتاج ، وجلَس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجِدّ ، ورتّب قومًا مراتب ، وصيّر رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر[1] وزيراً ، وأطلق يده وفوّض إليه ، وصيّر رجلاً يقال له فاهر[2] موْبذان موبَذ ، وأحسّ من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أنّ أهلَ دارا بَجِرْد قد فسدوا عليه ،فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كَرْمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتتل وهو قتالاً شديداً ، وقاتل أرْدَشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ؛ فملّك أردشير على كَرْمان ابنًا له يقال له أردشير أيضًا . ١ /٨١٧

وكان فى سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود ، كان يعظّم ويُعبَد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطّعه بسيفه نصفين ، وقتل مَنْ كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى مِهْرَك ، وكان ملك إيراهسان من أرْدَشير خُرَّة ، وإلى جماعة من أمثاله فى طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل مِهْرَك ، ثم سار إلى جُور ، فأسّسها ، وأخذ فى بناء الجوْسق المعروف بالطِّرْبَال ، وبيت نار هناك .

فبينا هو كذلك إذْ ورد عليه رسول الأرْدَوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ؛ فإذا فيه : إنّك قد عدَوْت طورَك ، واجتلبتَ حتفَك ، أيها الكردىّ المربّى فى خيام الأكراد! مَنْ أذنَ لك فى التاج الذى لبسته ، والبلادِ التى احتويتَ عليها وغلبت ملوكها وأهلها ! ومَنْ أمرَك ببناء المدينة التى أسّستها فى صحراء — يريد جور — مع أنّا إنْ خلّيناك

---

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « قاهر » ، ل : « هاهر » .

وبناءها فابتنى فى صحراء طولها عشرة فراسخ مدينةً ، وسمّاها رام أردشير .
وأعلمه أنه قد وجّه إليه ملك الأهواز ليأتيَه به فى وَثاق . ١/٨١٨

فكتب إليه أردشير : إنّ الله حبانى بالتاج الذى لبستُه ، وملّكنى البلاد التى افتتحتُها ، وأعاننى على مَنْ قتلت من الجبابرة والملوك؛ وأمّا المدينة التى أبنيها وأسمّيها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك، فأبعث برأسك وكنوزك إلى بيت النار الذى أسسته فى أردشير خرّة .

ثم شخص أردشير نحو إصْطَخر ، وخلف أبرسام بأردشيرخُرّة ، فلم يلبث أردشير إلاّ قليلاحتى وردعليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه منكوبًا . ثم سار[1] إلى إصْبهَان فأسر شاذ سابور ملكها، وقتله، ثم عاد إلى فارس ، وتوجّه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرّجان وإلى بنيان[2] وطاشان من رَامَهُرْمُز ، ثم إلى سُرَّق . فلما سار إلى ما هنالك ، ركب فى رهط من أصحابه ؛ حتى وقف على شاطئ دُجَيْل ، فظفر بالمدينة ، وابتنى مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ؛ ثم ارتحل من فارس راجعاً إلى الأهواز على طريق جِرِه وكازَرون ، ثم صار من الأهواز إلى مَيْسان ، فقتل ملكًا كان بها يقال له بندو[3] ، وبنى هنالك كَرْخ مَيْسان ، ثم انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أرْدَوان يرتاد موضعًا يقتتلان فيه، فأرسل إليه أردَوان : إنّى أوافيك فى صحراء تدعى هُرْمُزجان ، لانسلاخ مِهْرماه . فوافاه أردشير قبل الوقت ، وتبوّأ من الصحراء موضعًا ، وخندق على نفسه وجنده ، واحتوى على عَيْنٍ كانت هناك ، ووافاه أردَوان . فاصطفّ القوم للقتال ، ١/٨١٩ وقد تقدّم سابور بن أردشير دافعًا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور دارا بنداذ ، كاتب أرْدَوان بيده ، فانقضّ أردشير من موضعه إلى أرْدَوان حتى قتله ، وكثر القتل فى أصحابه ، وهرب مَنْ بَقِيَ على وجهه . ويقال : إنّ أرْدشير نزل حتى توطّأ رأس أردَوان بقدمه . وفى ذلك اليوم سمّى أردشير « شَاهَنْشَاه » .

---

(١) ل : « صار » .

(٢) ط : « سسار » ، وما أثبته من التصويبات .

(٣) س : « نبدوا » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَذان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذْرَبيجان وإرمينيَة والموصل عَنْوة ، ثم سار من الموصل إلى سُورِسْتَان ؛ وهى السّواد فاحتَازها ، وبنى على شاطئ دِجْلة قبالةَ مدينة طهسبون[1]ـ وهى المدينة التى فى شرقىّ المدائن ـ مدينة[2] غربيّة وسماها بِهْ أرْدَشير ، وكوّرها وضمّ إليها بَهُرَسِير ، والرُّومَقان، ونهر دَرْقيط ، وكُوثَى ونهر جَوْبَر ، واستعمل عليها عمّالا ، ثم تَوجّه من السّواد إلى إصْطَخر ، وسار منها إلى سجِستان، ثم جُرْجان ، ثم إلى أبْرشَهْر ، ومَرْو ، وبلْخ، وخُوَارِزم ؛ إلى تخوم بلاد خُراسان . ثم رجع إلى مَرْو ، وقتل جماعة وبعث رءوسهم إلى بيت نار أناهيذ ، ثم انصرف من مَرْو إلى فارس . ونزل جُور ، فأتته رسل ملك كُوشان ، وملك طُوران، وملك مُكْران بالطاعة . ثم توجّه أرْدشَير من جُور إلى البَحْرين ، فحاصر سنطرق[3] ملكها ، واضطره الجَهْد إلى أن رمى بنفسه من سُور الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المدائن ، فأقام بها وتوّج سابور ابنه بتاجه فى حياته .

١/٨٢٠

ويقال: إنّه كانت بقرية يقال لها ألار[4]، من رُسْتَاق كُوجَران[5] من رساتيق سِيف أرْدشير خُرّة ملكةٌ تعظّم وتعبّد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أردشير سدَنتها وقتلها ، وغَنِم أموالاً وكنوزاً عظامًا كانت لها : وإنه كان بنى ثمانيَ مدن ؛ منها بفا س مدينة أردشير خُرّة ؛ وهى جُور ، ومدينة رام أرْدشير ، ومدينة رِيو أرْدشير ، وبالأهواز هُرْمُز أردشير ؛ وهى سوق الأهواز ، وبالسّواد بِه أردشير ؛ وهى غربىّ المدائن ، وإسْتاباذ أرْدَشير ؛ وهى كَرْخ مَيْسان ، وبالبحرين فنياذأردشير[6] ؛ وهى مدينة الخَطّ ، وبالموصل بوذ أردشير ؛ وهى حَزّة .

* * *

(١) ت : « طهيسون » ، س : « طهيسوٍن » .
(٢) فى الأصول : « ومدينة » .
(٣) ت : « سيطرق » .
(٤) ت : « الاز » ، أس ، ل: « ألان » .
(٥) ت : « جوجران » . (٦) ط : « فساأردشير » ، وما أثبته من التصويبات » .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتَب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ، احتجّ عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان فى آخر أمره رسم لمن بعده عهده ، ولم يزل محموداً مظفّراً منصوراً ، لا يفَلّ له جمع ، ولا تردّ له راية ؛ وقهر الملوك حول مملكته وأذلّهم ، وأثخن فى الأرض ، وكوّر الكُوَر ، ومدّن المدن ، ورتّب المراتب ، واستكثَر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله أردَوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

١/٨٢١

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير فى أهل فارس يريد الغلَبة على المُلْك بالعراق ، فوافق بابا ملَكاً [كان][1] على الأرمانيّين ، ووافق أردَوان ملِكاً على الأردوانيّين .

قال هشام : الأرمانيُّون أنباط السّواد ، والأردوانيُّون أنباط الشأم .

قال : وكلّ واحد منهما يقاتل صاحبَه على الملك ، فاجتمعا على قتال أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يوماً ، وهذا يوماً ؛ فإذا كان يوم بابا لم يقم له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير ؛ فلمّا رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكفّ عنه ويدعه وأرادون ، ويخلّيَ أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرّغَ أردشير لحرب أردَوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وسمِع له، وأطاع بابا[2] ، فضبط أردشير مُلْك العِراق ودانتْ له ملوكُها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد ممّا خالفهم ووافقه .

* * *

ولما استولى أردشير على المُلْك بالعراق كره كثير من تَنُوخ أن يقيموا فى مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرجَ مَنْ كان منهم من قبائل قُضاعة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابنى فَهْم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشأم إلى مَنْ هنالك من قُضَاعة .

١/٨٢٢

وكان ناس من العرب يُحْدِثون فى قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

(١) تكملة من ت .

(٢) ت : « باباوأطاع » .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث : ثلث تَنوخ ، وهو مَنْ كان يسكن المظالّ وبيوتَ الشَّعَر والوبر فى غربىّ الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثانى العِباد ، وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنَوْا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة، ونزلوا فيهم، ممّن لم يكن من تَنُوخ الوبَر ؛ ولا من العِباد الذين دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنِيتا جميعًا فى زمن بختنصّر ، فخربت الحيرة لتحوّل أهلها عنها عند هلاك بختنصّر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة فى زمن عمرو بن عدىّ ، باتّخاذه إياها منزلا ، فعمِرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ؛ فكان جميعُ مُلْكِ عمرو بن عدىّ مائة سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك فى زمن أردَوان وملوك الطوائف خمس وتسعون سنة ، وفى زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك فى زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفى زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين وشهران .

ذكر الخبر

عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

/٨٢٣ ولمّا هلك أردشير بن بابك ، قام بمُلْك فارس من بعده ابنه سابور .
وكان أردشير بن بابك لما أفْضَى إليه الملك أسرف فى قتل الأشكانيّة ، الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفناهم بسبب أليّة كان ساسان بن أردشير بن بَهْمَن بن إسْفَنْدِيار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ، أنه إن ملك يومًا من الدهر لم يستبْقِ[1] من نسل أشك بن خرّه أحداً ، وأوجب ذلك على عَقِبه ، وأوصاهم بألاّ يبقوا منهم أحداً إن هم ملكوا ، أو ملك منهم أحد يومًا. فكان أوّل مَنْ ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم جميعًا ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبْقِ منهم أحداً لعزْمة جدّه ساسان .
فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أنّ جارية كان وجدها أردشير[2] فى دار المملكة ، فأعجبه جمالُها وحسنها ، فسألها — وكانت ابنة الملك المقتول — عن نسبها. فذكرت أنها كانت خادمًا لبعض نساء الملك، فسألها : أبِكْرٌ أنتِ أم ثيّب؟ فأخبرته أنها بِكْر ؛ فواقعها واتّخذها لنفسه، فعلقتْ منه، فلما أمنته على نفسها لاستمكانها منه بالحبَل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها[3] ودعا هرجبذا أبرسام — وكان شيخًا مُسنًّا — فأخبره أنها أقرّت أنها من نسل أشك، وقال : نحن أوْلَى باستتمام الوفاء بنذر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها
١ / ٨٢٤ من قلبي على ما قد علمتَ، فانطلِقْ بها فاقتلْها . فمضى الشيخُ ليقتلَها ، فأخبرته أنها حُبْلى؛ فأتى بها القوابل، فشهِدْنَ بحَبَلها، فأودعها سرَبًا فى الأرض ، ثم قطع مذاكيرَه فوضعها فى حُقّ ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطنَ الأرض ، ودفع الحُقّ إليه ، وسأله أن يختِم عليه بخاتمه، ويُودِعَه بعضَ خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية عند الشيخ ، حتى وضعتْ غُلامًا ، فكرِه الشيخ أن يُسمِّيَ ابنَ الملك دونه،

---

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .
(٢) ل : « كان أرد شير وجدها » .
(٣) ت : « فنفر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيًّا حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبيّ ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملّك ، فسمّاه اسماً جامعًا يكون صفة واسماً ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسمّاه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أوّلُ مَنْ سُمّى هذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أرْدَشير . وقال بعضهم : بل سمّاه « أشَه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشَك ، الذى كانت أمّ الغلام من نَسْله .

* * *

فغبَر [١] أردشير دهراً لا يُولَد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذى عنده الصبىّ ، فوجده محزونًا ، فقال : ما يُحزِنك أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربتُ بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتى ، وصفا لى المُلْك ملك آبائى ، ثم أهلِك لا يعقبنى فيه عَقِب ، ولا يكون لى فيه بقيّة ! فقال له الشيخُ : سرّك الله أيها الملك وعمّرك ! لك عندى ولد طَيّب نفيس ، فادع بالُحقّ الذى استودعتُك ، وختمته بخاتمك أُرِكَ برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحقّ ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فَضّه ، وفتح الُحقّ ، ٢٥/١ فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتابًا فيه : إنّا لما اختبرنا ابنة أشَك التى علِقت من مَلِك الملوك أردشير حين أمرَنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إتْوَاء[٢] زرع الملك الطّيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرَنا ملكنا ، وتبرّأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضهٌ إلى عَضَهِها سبيلاً ، وقمنا بتقوية الحقّ المنزوع [٣] حتى لحق بأهله ، وذلك فى ساعة كذا من عام كذا . فأمره أرْدَشير عند ذلك أن يُهيِّئه فى مائة غلام . وقال بعضهم : فى ألف غلام من أترابه وأشباهه فى الهيئة والقامة ، ثم يُدْخِلُهم عليه جميعًا لا يفرق بينهم فى زىٍّ ولا قامة ولا أدب ؛ ففعل ذلك الشيخ ؛ فلما نظر إليهم أرْدشير قبلت نفسه ابنَه من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعًا

(١) ط : « عبر » . (٢) إتواء : إهلاك .
(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزوع » .

فأخْرِجوا إلى حجرة الإيوان ، فأعْطُوا صوالجة ، فلعبوا بالكرة وهو فى الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة فى الإيوان الذى هو فيه[١] ، فكاع الغلمان[٢] جميعًا أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلَّ أرْدَشير بدخوله عليه ، وإقدامه وجُرْأته مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرّة حين رآه ، ورقّته عليه دون أصحابه أنه ابنهُ . فقال له أرْدَشير بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أرْدَشير : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنّه ابنُه شهرَ أمرَه ، وعقد له التاج من بعده .

١/٨٢٦ وكان سابور قد ابتلَى منه أهلُ فارس – قبل أن يُفْضِيَ إليه المُلْكُ فى حياة أبيه – عقلاً وفضلا وعلمًا ، مع شدّة بطش ، وبلاغة منطق ، ورأفة بالرعيّة ورقّة . فلما عُقِد التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوْا له بطول البقاء ، وأطنبوا فى ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعُون إحسانه بشىء يعدِل عنده ذكرهم والده ، ووعدَهم خيراً .

ثم أمر بما كان فى الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسّمها فيمن رآه لها موضعًا ؛ من الوجوه والجنود وأهلِ الحاجة ، وكتب إلى عمّاله بالكُوَر والنّواحى أن يفعلوا مثلَ ذلك فى الأموال التى فى أيديهم ، فوصلَ من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد ، والشريف والوضيع ، والخاصّ والعامّ ما عمّهم ورُفِغتْ[٣] معايشهم . ثم تخيّر لهم العمّال ، وأشرف عليهم وعلى الرعيّة إشرافًا شديداً ، فبان فضلُ سيرته ، وبَعُد صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نَصِيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من مُلْكه ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصرهم حينًا ، ثم أتاه عن ناحية من خُراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخصَ إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نَصِيبين . وزعموا[٤] أنّ سورَ المدينة تصدّع وانفرجت له فُرْجة دخل[٥] منها ،

---

(١) ل : « فيه الملك » .

(٢) كاع الغلمان : جبنوا . وفى الحديث : « ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب » ؛ الكاعة : جمع كائع ؛ وهو الجبان .

(٣) ط : « رفعت » تصحيف ، والرفغ : السعة فى الرزق .

(٤) ت : « فزعموا » .

(٥) ت : « فدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتِلة وسَبَى وأخذ أموالا عظيمة كانت لقيصر هنالك، ثم تجاوزها إلى الشأم وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدنًا كثيرة .

وقيل : إنّ فيما افتتح قالوقيّة وقذوقيّة، وإنّه حاصر مَلِكًا كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكِيَة ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه، وأسكنهم جُنْدَيْسابور . ١/٨٢٧

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذراون تُسْتَر ، على أن يجعل عَرْضه ألف ذراع ، فبناه الرومىّ بقوم أشخصهم إليه من الروم ، وحكّم سابور فى فكاكه بعد فراغه من الشاذروان ، فقيل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة ، وأطلقه بعد أن جَدَعَ أنفه . وقيل إنه قتله .

* * *

وكان بحيال تَكْرِيت بين دِجْلة والفرات مدينة يقال لها الحَضْر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطِرون ، وهو الذى يقول فيه أبو دواد الأيادىّ :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضْـ ... ـرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِهِ السَّاطِرُونِ[(١)]

والعرب تسميه الضَّيْزَن . وقيل : إن الضَّيْزن من أهل بَاجَرْمَى .

وزعم هشام بن الكلبىّ[(٢)] أنه من العرب من قضاعة وأنه الضَّيْزن بن معاوية ابن العَبِيد بن الأجرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح بن حُلْوان بن عِمْران ابن الحافِ بن قُضاعة، وأنّ أمه من تَزِيد بن حلوان اسمها جَيْهَلَة[(٣)]، وأنه إنما كان يعرَف بأمه . وزعم أنه كان مَلَكَ أرضَ الجزيرة ، وكان معه من بنى عَبِيد بن الأجرام وقبائل قُضاعة ما لا يُحصى ، وأنّ ملكه كان قد بلغ الشأم ، وأنه تطرّف من بعض السَّواد فى غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال فى ذلك من فعل الضَّيْزن، عمرو بن إلة[(٤)] بن الجُدَىّ بن الدّهاء بن جُشَم بن حُلْوان ١/٨٢٨

---

(١) كذا فى اللسان ٦ : ٢٩ ، وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفى معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ نسبه إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر فى الأغانى ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن جماعة ، منهم هشام الكلبى . (٣) فى الأغانى : « جبهلة » .

(٤) فى الأغانى : « عمرو بن السليح بن حدىّ بن الدها بن غنم بن حلوان » ، وفى معجم البلدان ٣ : ٢٩٠ : « الجدى بن الدلهاث » ، وفى ت ، ل : « الحدى » .

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة :

لَقِينَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ ... وَبِالخَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ[(١)]

فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نَكَالًا ... وَقَتَّلْنَا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ[(٢)]

دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ ... بِجَمْعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّعِيرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، وتحصّن الضَّيْزن فى الحصن ، فزعمَ ابنُ الكلبيّ أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ، لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضَّيْزن .

وأمّا الأعشى ميمون بن قيس فإنّه ذكر فى شعره أنه إنما أقام عليه حولين ، فقال[(٣)] :

أَلَمْ تَرَ لِلحَضْرِ إِذْ أَهْلُهُ ... بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ![(٤)]

أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الْجُنُو ... دَ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ القُدُمْ[(٥)]

فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً ... وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمْ[(٦)]

فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِعْلَهُ ... أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمْ

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً ... هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ

فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ ... أَرَى المَوْتَ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمْ

١/٨٢٩

* * *

ثم إنّ ابنة للضَّيْزن يقال لها النَّضيرة عَرَكت[(٧)] فأُخرجت إلى رَبَض[(٨)]

(١) هو علاف بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ؛ وإليه تنسب الخيل العلافية . والخيل الصلادمة : القوية الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهمذان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحى كلهم أكراد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التى أولها :

أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمْ ... أَمِ الحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ

(٤) الديوان : « ألم ترى الحضر » .

(٥) الديوان : « أقام به سابور » . والقدم : جمع قدوم .

(٦) فى ط : « ومثل محاوره لم يقم » وما أثبته عن الديوان .

(٧) فى الأغانى : « عركت » ، أى حاضت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكذلك كان يُفعل بالنساء إذا هنّ عَرَكْن — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كلّ واحد منهما صاحبه ، فعشِقَتْه وعشِقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لى إن دَلَلْتُكَ على ما تَهْدِم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : حكمَكِ [١] وأرفعُكِ على نسائى ، وأخصّكِ بنفسى دونهنّ . قالت : عليك بحمامة ورْقاء مُطَوَّقة ، فاكتب فى رجلها بحيْضِ جارية بِكْرٍ زرقاء ، ثم أرْسِلْها ، فإنها تقع على حائط المدينة ؛ فتتداعى [٢] المدينة . وكان ذلكَ طِلَّسْمَ [٣] المدينة لا يهدِمُها إلاّ هذا ، ففعل وتأهّبَ لهم ، وقالت : أنا أسقى الحَرَسَ الخمر ، فإذا صُرِعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداعت المدينة ، ففتحها عَنْوة ، وقتل الضَّيْزَن يومئذ ، وأبِيدَتْ أفناء قُضاعة الذين كانوا مع الضَّيْزَن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصيبت قبائل من بنى حُلْوان ؛ فانقرضوا وَدرَجوا ، فقال عمرو [٤] بن إلّة — وكان مع الضَّيْزن :

أَلم يَحْزُنْكَ والأنباءُ تَنْمِى [٥] ... بما لاقَتْ سَراةُ بَنِى عَبيدِ !

ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِى أَبيهِ ... وأَحْلاسِ الكَتائِبِ مِنْ تَزِيدِ ! [٦]

أتاهُمْ بالفُيولِ مُجلّلاتٍ ... وبالأَبْطال سَابُورُ الجُنُودِ

فَهَدَّمَ مِنْ أَواسِى الحِصْنِ صَخْراً [٧] ... كأَنَّ ثِفَالَهُ زُبَرُ الحَدِيدِ

وأخْرَبَ سابور المدينة ، واحتمل النَّضيرة ابنة الضَّيْزن ، فأعرس بها بعين التَّمْر ، فذكر أنها لم تزل ليلتَها تَضوَّرُ [٨] من خشونة فرشها ، وهى من

---

(١) فى الأغانى : « أحكّمك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبته عن الأغانى .

(٣) الطلسم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدى بن الدلهاث .

(٥) تنمى ، أى تشيع .

(٦) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٧) الأغانى : « من أواسى الحضر » . والأواسى : جمع آسية ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم أصله ، من سارية أو غيرها .

(٨) الأغانى : « تتضور » .

١/٨٣٠ حرير محشوّة بالقزّ فالتُمس ما كان يؤذيها ، فإذا ورقة آس ملتزقة بعُكنْة من عُكَنِها قد أثّرت فيها . قال : وكان يُنظَر إلى مُخّها من لين بشرتها — فقال لها سابور : ويحك بأىّ شىء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزُّبْد والمخّ وشهد الأبكار من النحل وصفْو الخمر . قال : وأبيك لأنا أحدَثُ عهداً بك ، وآثرُ [١] لك من أبيك الذى غذاك بما تذكرين . فأمرَ [٢] رجلاً فركب فرسًا جموحًا ، ثم عصب غدائرها بذنَبه ، ثم استركضها فقطّعها قطعًا ، فذلك قول الشاعر :

أقفَرَ الحِصْنُ منْ نَضيرَةَ فالمِرْ ... بَاعُ منْهَا فَجانبُ الثّرثارِ [٣]

وقد أكثر الشعراء ذكر ضَيْزن هذا فى أشعارهم ، وإياه عَنَى عدىّ بن زيد بقوله :

وَأَخُو الحَضْرَ إذْ بَنَاهُ وَإذْ دِجْ ... لَةُ تُجْبَى إليه والخابورُ [٤]

شَادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَهُ كِلْ ... ساً فلِلطَّيْرِ فى ذُرَاهُ وُكُورُ [٥]

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبادَ الـ ... ـمُلْكُ عَنْـــهُ فبابُهُ مَهْجُور

ويقال إنّ سابور بنى بمَيْسان شاذ سابور ، التى تسمّى بالنَّبَطية «ريما» [٦] .

* * *

وفى أيّام سابور ظهر مانِى الزنديق ، ويقال : إن سابور لمّا سار إلى موضع جُنْدَيْ سابور ليؤسّسها صادف عندها شيخًا يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتّخذ فى ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن أُلْهِمتُ الكتابة مع ما قد بلغت من السنّ جاز أن يبنى فى هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : ١/٨٣١ بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلَم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب فى سنة ، فخلا به المعلّم وبدأ بحلْق رأسه

(١) ط : «وأوثر» ، وما أثبته عن الأغانى . (٢) الأغانى : «ثم أمر» .

(٣) الثرثار : واد بين سنجار وتكريت ؛ كان فى القديم منازل لبكر بن وائل ؛ ويمر بمدينة الحضر ؛ ثم يصب فى دجلة أسفل تكريت .

(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٥) الكلس : الصاروج ؛ وهى النورة وأخلاطها التى تصرج بها النزل وغيرها. فارسى معرب .

(٦) ط : «ديما» .

ولحيته لئلا يتشاغل بهما ، وجادّه التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومَهَر ، فقلّده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكوّر الناحيةَ وسمّاها بِهْأزنديوسابور ، وتأويل ذلك: « خير من أنطاكية »، ومدينة سابور —وهى التى تسمّى جُنْدَىسابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » باسم القَيّم كان على بنائها . ولما حضر سابور الموت ملّك ابنَه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف فى سنى ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يومًا . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يومًا .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنُه هرمز . وكان يلقّب بالجرىء، وكان يُشَبَّه فى جسمه وخلْقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحقٍ به فى رأيه وتدبيره ، إلاّ أنه كان من البطش والجرأة وعِظَم الخَلق على أمر عظيم .

وكانت أمّه — فيما قيل — من بنات مِهْرَك ، الملك الذى قتله أردشير بأردشير خُرّة .وذلك أنّ المنجّمين كانوا أخبروا أرْدشير أنّه يكون من نسله مَنْ يملك . فتتبّع أردشير نَسْله فقتلهم ، وأفلتت أمّ هرمز . وكانت ذات عَقْل وجمال وكمال وشدّة خَلْق ، فوقعت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرّعاء . وإنّ سابور خرج يومًا متصيّداً ، فأمعن فى طلب الصَّيْد ، واشتدّ به العطش ، ١/٨٣٢ فارتفعت له الأخبية التى كانت أمّ هرمز أوتْ إليها ، فقصدها فوجد الرّعاء غُيَّبا، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعاين منها جمالا فائقًا ، وقَوامًا عجيبًا ، ووجْهًا عتيقًا . ثم لم يلبث أن حضر الرّعاء ، فسألهم سابور عنها ، فنسبَها بعضهم إليه، فسأله أن يزوّجها منه، فساعفه ، فصار بها إلى منازله ، وأمر بها فنظّفت وكُسِيت وحلّيت ، وأرادها على نفسها ؛فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعتْ وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجّب من قوّتها ، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره ؛ ففحص عن أمرها

فأخبرته أنّها ابنة مِهْرَك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت إبقاء عليه من أرْدشير ، فعاهدها على ستْرِ أمرها ، ووطئها فولدت هُرْمز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .

وإنّ أردشير ركب يومًا ، ثم انكفأ إلى منزل سابور لشىء أراد ذكره له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرمز ، وقد ترعرع وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح فى أثر الكرة ، فلمّا وقعت عين أرْدَشير عليه أنكره ، ووقف على المشابه التى فيه منهم ؛ لأن الكِيِّة التى فى آل أرْدَشير كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات[1] كانت فيهم ؛ من حُسْن الوجوه ، وعَبَالة[2] الخَلْق ، وأمور كانوا بها مخصوصين فى أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفّراً على سبيل الإقرار بالخطأ ممّا كان منه ، وأخبر أباه حقَيقة الخبر ، فُسرَّ به ، وأعلمه أنه قد تحقق الذى ذكر المنجّمون فى ولد مِهْرَك ، ومَنْ يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا فيه إلى هُرْمز ؛ إذ كان من نَسْل مِهْرك ، وأنّ ذلك قد سلّى ما كان فى نفسه وأذهبه . ١/٨٣٣

فلما هَلَك أردشير وأفضى الأمر إلى سابورَ ولىّ هُرمز خُراسان ، وسيّره إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقَمَع مَنْ كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبّراً شديداً ، فوشَى به الوشاة إلى سابور ، ووهّموه أنّه إن دعاه لم يُجِبْ ، وأنّه على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقيل : إنّه خلا بنفسه ، فقطع يَده وحَسَمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها فى نفيسٍ من الثياب ، وصيّرها فى سَفَط[3] ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنّه إنما فعل ما فعل؛ إزالةً للتهمة عنه؛ ولأنّ فى رسمهم ألاّ يملّكوا ذا عاهة . فلما وصل الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفًا ، وكتب إليه بما ناله من الغمّ بما فعل ، واعتذر ، وأعلمه أنه لو قَطّع بدنه عضواً عضواً ، لم يُؤثِر عليه أحداً بالملك . فملّكه .

* * *

(١) ت، س : « بعلامات » . (٢) العبالة هنا : ضخامة الجسم ؛ وأصله فى الذراعين .
(٣) السفط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوْا له فأحسن لهم الجواب ، وعَرفَوا منه صدق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعَدلَ في رعيّته ، وسلك سبيل آبائه ، وكَوّر كورة رام هرمز

وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

وكان من عُمّال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ١/٨٣٤ بعد مَهلِك عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة على فَرْج[1] العرب من ربيعة ومُضَر وسائر مَنْ ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ — ابنٌ لعمرو بن عديّ ، يقال له امرؤ القيس البَدْء[2] ، وهو أوّل من تَنَصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكر هشام بن محمد — مملّكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن[3] هُرْمز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانيَ عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذُكر — رجلاً ذا حِلْم وتُؤَدة ، فاستبشَر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتّبَع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعوه إلى دينه ، فاستبرَى ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسَلْخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جُندَيْ سابور ، يدعى باب المانى ، وقتل أصحابه ومَنْ دَخَل في ملّته .

وكان ملْكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

* * *

(١) الفرج هنا : موضع المخافة من العدو المجاور . (٢) ت ، س : « البدى » .
(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بَهْرام بن بَهْرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. وكان ذا علم – فيما قيل – بالأمور، فلمّا عقد التاج على رأسه دعا له العظماء بمثل ما كانوا يدعون لآبائه، فردّ عليهم ردًّا حسنًا، وأحسن فيهم السيرة، وقال: إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر، وإن يكنْ غيرَ ذلك نرضَ بالقسْم.

١/٨٣٥

واختُلف فى سِنِى ملكه، فقال بعضهم: كان ملكه ثمانىَ عشرة سنة. وقال بعضهم: كان سبع عشرة سنة.

* * *

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بَهْرام الملقّب بشاهنشاه بن بَهْرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير؛ فلما عُقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء، فدعوْا له ببركة الولاية وطول العمر، فردّ عليهم أحسنَ الردّ، وكان قبل أن يُفْضِىَ إليه الملك مملّكا على سجِسْتان.

وكان ملكه أربع سنين.

* * *

[ذكر ملك نرسى بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نَرْسى بن بَهْرام، وهو أخو بهرام الثالث، فلما عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء، فدعوْا له فوعدهم خيراً، وأمرهم بمكانفته على أمره، وسار فيهم بأعدلِ السيرة، وقال يوم ملك: إنّا لن نُضَيّع شكر الله على ما أنعم به علينا.

وكان ملكه تسع سنين.

* * *

[ذكر ملك هرمز بن نرسى]

ثم ملك هُرْمز بن نَرْسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير. وكان النّاس قد وَجِلوا منه، وأحسّوا بالفظاظة والشدّة، فأعلمهم أنه قد

عَلِم ما كانوا يخافونه من شدّة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان فى خلقه من الغِلْظة والفظاظة رقّةً ورأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعدَل السيرة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعيّة. ٨٣٦/١
ثم هلك ولا ولد له، فشقّ ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهنّ حُبلى. وقد قال بعضهم: إنّ هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمْل فى بطن أمّه، وأنّ تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان مُلْكُ هرمز فى قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفى قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

* * *

[ذكر ملك سابور ذى الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن نَرْسِى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملّكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبثّوا خبرَه فى الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجّهوا به البُرُد إلى الآفاق والأطراف، وتقلّد الوزراءُ والكتّاب الأعمال التى كانوا يعملونها فى ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرُهم، وشاع فى أطراف مملكة الفرس أنّه كان لا ملكَ لهم، وأنّ أهلها إنما يتلوّمون[1] صبيًّا فى المهد، لا يدْرُون ما هو كائن من أمره، فطمِعت فى مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدْنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شىء من معايشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم، فسار جمْعٌ عظيمٌ منهم فى البحر من ناحية بلاد عبد القيْس والبحْرين وكاظمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشيرخُرّة وأسياف فارس، وغلبوا أهلَها على مواشيهم وحُروثهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد فى تلك البلاد، فمكثوا على ٨٣٧/١ ذلك من أمرِهم حينًا، لا يغزوهم أحد من الفرس، لعقدهم تاجَ المُلْك على طفل من الأطفال، وقلّة هيبة الناس له؛ حتى تحرّك سابور وترعرع، فلمّا ترعرع ذُكِر أنّ أوّلَ ما عُرِف من تدبيره وحسن فهمه، أنّه استيقظ ذات

(١) التلوم: الانتظار والتلبث.

ليلة وهو فى قصر المملكة بطيسبون ، من ضوضاء الناس بسحر ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجة الناس عند ازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين ؛ فأمر باتخاذ جسر آخر ؛ حتى يكون أحدهما معبراً للمقبلين ؛ والآخر معبراً للمدبرين ، فلا يزدحم الناس فى المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما فطن من ذلك على صغر سنه . وتقدم فيما أمر به من ذلك، فذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عقد جسر بالقرب من الجسر الذى كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم فى الجواز على الجسر ،وجعل الغلام يتزيد فى اليوم ما يتزيده غيره فى الحين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يعرضون عليه الأمر بعد الأمر ،فكان فيما عرض عليه أمر الجنود التى فى الثغور ، ومن كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أخل ، وعظموا عليه الأمر فى ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرن هذا عندكم ؛ فإن الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ؛ بأنه انتهى إليه طول مكثهم فى النواحى التى هم بها[1] ، وعظم غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ؛ فمن أحب أن ينصرف إلى أهله فلينصرف مأذوناً له فى ذلك ، ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر فى موضعه عرف ذلك له . وتقدم إلى من اختار الانصراف فى لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

١/٨٣٨

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسنوه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحة منطقه على ما سمعنا به .

ثم تتابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتد عظمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيباً ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه ، وما أقاموا من أدبهم ونفوا من أعدائهم ، وما اختل من أمورهم ، فى الأيام التى مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

---

(١) ت « فيها » .

يبتدئ العمل فى الذَّبِّ عن البيْضة ، وأنه يقدّر الشخوص إلى بعض الأعداء لمحاربته ، وأنّ عدّة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين متشكّرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجّه القواد والجنود ليكفُوه ما قدّر من الشخوص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الازدياد على العدّة التى ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدّم إليهم فى المضىّ لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعَرْجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارّون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيّتهم . ثم قطع البحر فى أصحابه ، فورد الخَطّ ، واستقرى بلاد البحرين ، يقتُل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرّج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هَجَر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشى فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء سَفْكًا سالت كسيل المطر ؛ حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن يُنْجيَه منه غارٌ فى جبل ، ولا جزيرة فى بحر ؛ ثم عطف إلى بلاد عبد القَيْس ، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فلحق بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمرّ بماء من مياه العرب إلا عوّره[1] ، ولا جُبّ من جبابهم إلا طَمّه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل مَنْ وجد هنالك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بَكْر وتَغْلِب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل مَنْ وجد بها من العرب ، وسَبَى وطمّ مياههم . وإنّه أسكن مَنْ من بنى تَغْلب من البحريْن دارِين — واسمهما هيْج — والخَطّ ، ومَنْ كان من عبد القيْس وطوائف من بنى تميم هَجَر ، ومَنْ كان من بكر بن وائل كرْمان ، وهم الذين يُدْعَوْن بكْر أبان ، ومَنْ كان منهم من بنى حَنْظلة بالرّملية من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبُنِيَتْ بأرض السواد مدينة وسماها ، بزُرْج سابور — وهى الأنبار — وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران خرّه سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمّى بالسريانية الكَرْخ ، والأخرى السوس ؛ وهى مدينة بناها إلى جانب الحصن الذى فى جوفه تابوت فيه جثّة دانيال النبى عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبَى منها سَبْيًا كثيراً ،

١/٨٣٩

١/٨٤٠

---

(١) عوّره ، أى طمّه وكبسه بالتراب .

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها فى التسمية . وأمر فبنيت بباجَرْمَى مدينة سماها خُنِى سابور وكَوّر كُورة ، وبأرض خُراسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكَوّر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسطنْطينيّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفرّق مُلْكه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فملّكت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُلْيانوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النّصرانيّة ، ويُسِرُّ ذلك ويظهر النّصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيئتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البِيَع وقتل الأساقفة وأحبار النصارى . وإنّه جمع جموعًا من الروم والخزر ، ومن كان فى مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

١/٨٤١ وانتهزت[1] العرب بذلك السبب الفُرْصة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتْله العرب ، واجتمع فى عسكر لُلْيانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ؛ فوجّههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجّه عيونًا تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالهم فى شجاعتهم وعَيْشهم[2] فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوْه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار فى أناس من ثِقاته ليعايِنَ عسكرَهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّمة لليانوس ، وجّه رهطًا ممّن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسّسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذِرت الرّوم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقِرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجّهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصّة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجّه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً مِنْ بطانته ، يعلِمه ما لقِيَ من أمره ، وينذِره ، فارتحل

---

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنّ من كان فى عسكر لليانوس من العرب سألوه أن يأذَن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فزحفوا ١/٨٤٢ إلى سابور ، فقاتلوه ففضُّوا جمعَه ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة ، وهرب سابور فيمنْ بقِىَ من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلّة سابور ، وظَفِر ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لقِىَ من لليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القوّاد أن يقدَموا عليه فيمن قِبَلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلّ أفق ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لُلْيانوس مدينة بهأرْدَشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنّ لليانوس كان جالسًا ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غَرْبٌ [١] فى فؤاده فقتله ، فأسْقِط فى رُوع جنده ، وهالهم الذى نزل به ، ويئسوا من التفصى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى المُلْك لهم فيملّكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألحُّوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِلّة النّصرانيّة ، وأنه لا يَلِى ناسًا له مخالفين فى المِلّة . فأخبرتْه الروم أنّهم على مِلّتِه ، وأنّهم إنما كانوا يكتمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملّكوه عليهم ، وأظهروا النَّصرانيّة .

وإنّ سابور علم بهلاك لليانوس ، فأرسل إلى قوّاد جنود الروم ، يقول : إنّ الله قد أمكننا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيّانا ، وتخطّيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تَهلِكوا بها جوعًا من غير أن نهيّئ لقتالكم سيفًا ، ونشرَعَ له ١/٨٤٣ رمحًا ؛ فسرّحوا إلينا رئيسًا إن كنتم رأّستموه عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قوّاد جنده ، فاستبدّ برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشراف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور مجيئه إليه ، فتلقّاه وتساجدا ، فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعِم عنده يومئذ ونعم .

وإنّ سابور أرسل إلى قوّاد جند الروم وذوى الرياسة منهم [٢] يُعلمهم أنّهم

---

(١) سهم غرب : لا يدرى راميه . (٢) س ، ل : « فيهم » .

لو ملّكوا غير يوسانوس لجرى هلاكُهم فى بلاد فارس ، وأنّ تمليكهم إياه يُنْجِيهم من سطوته . وقوِىَ أمر يوسانوس بجهده ، ثم قال : إنّ الروم قد شنُّوا الغارة على بلادنا ، وقتلُوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السَّوَاد من نخل وشجر ، وخرّبوا[1] عمارتها ؛ فإمّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوّضونا من ذلك نَصيبين وَحيّزها ، عوضًا منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الرّوم .

فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابورَ إلى ما سأل من العِوَض ، ودفعوا إليه نصيبين ، فبلغ ذلك أهلَها ، فجلَوْا منها إلى مدن فى مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثنى عشر ألف أهل بيت من أهل إصْطخر وإصبهَان وكُور أُخَر من بلاده وحَيّزه إلى نصيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومَنْ معه من الجنود إلى الرُّوم ، وملكها زمنًا[2] يسيراً ثم هلك .

١/٨٤٤ وإنّ سابور ضَرِىَ بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك . وكان ذلك سبب تسميتهم إيّاه ذا الأكتاف .

* * *

وذكر بعضُ أهل[3] الأخبار أنّ سابور بعد أن أثخن فى العرب وأجلاهم عن النواحى التى كانوا صاروا إليها ممّا قرب من نواحى فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشأم ، وسار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبارَ مدنهم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حينًا ، وبلغه أنّ قيصر أوْلم ، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلَق سابور بهيئة السؤّال حتى شهِد[4] ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرِف هيئته وحاله فى طعامه ، ففُطِن له فأخِذ ، وأمر به قيصر فأدرِج فى جلد ثور ، ثم سار بجنُوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

---

(١) ت : « وأخربوا » .
(٢) ل : « زماناً » .
(٣) ت : « بعضهم » .
(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وخراب المدائن والقرى وقطْع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُنْدَيْسابور ، وقد تحصّن أهلُها ، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها . فبينا هم كذلك ذاتَ ليلة إذ غفل الروم الموكّلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سَبْيِ الأهواز ، فأمرهم أن يُلقوا على القِدّ الذى كان عليه زيتًا من زِقاق كانت بقربهم ، ففَعلوا ذلك ، ولان الجلد وانسلّ منه ، فلم يزل يدبّ حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتدّ سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فانتبه أصحابُ قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان فى المدينة وعبّأهم ، وخرج إلى الرُّوم فى تلك الليلة سَحَرًا ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيرًا ، وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ؛ ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجُنْدَيْسابور ، حتى يرمّ به ماهدم منها ، وبأن[١] يغرس الزيتون مكان النخل والشجر الذى عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، وبعث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا ؛ فلذلك تركت الروم اتّخاذ الأعقاب ، ورَتْق الذُّؤاب[٢] . ١/٨٤٥

ثم أقام سابور فى مملكته حينًا . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها ، وسَبى سبيًا كثيرًا ، وأسكن مَنْ سبى مدينةً بناها بناحية السُّوس ، وسمّاها إيرانشهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعضَ قبائل تغلِب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرْمان وتَوّج والأهواز ، وبنى مدينة نيسابور ومدائن أخَر بالسِّند وسجِسْتان ، ونقل طبيبًا من الهند فأسكنه الكَرْخ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طِبّه أهلُ السُّوس ؛ ولذلك صار أهلُ تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالمُلْك لأخيه أردشير .

وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

* * *

وهلك فى عهد سابور عامله على ضاحية مُضر وربيعة ، امرؤ القيس البدء[٣] بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة فى ط ، وانظر المسعودى ١ : ٢٥٨ .
(٣) ت : « البدى » ؛ س : « البدنى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس – فيما ذُكِر – فبقىَ فى عمله بقيَّةَ ملك سابور ،
١/٨٤٦ وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسى ، وبعض أيام سابور بن سابور .

وكان جميع عمله – على ما ذكرت – من العرب ، وولايته عليهم – فيما ذكر ابن الكلبى – ثلاثين سنة .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسى ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عُقِد التاج على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوْا له بالنصر ، وشكروا عنده أخاه سابور ، فأحسن جوابَهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه عنده ، فلما استقرّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم خلْقًا كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

* * *

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسى . فاستبشرت الرعيَّة بذلك وبرجوع مُلْك أبيه إليه ، فلقيَهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى العمّال فى حُسْنِ السيرة والرّفق بالرّعيّة ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتّابه وحاشيته ، وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزلْ عادلا على رعيّته ، متحنّنا عليهم لما كان تبيّن من مودّتهم ومحبّتهم وطاعتهم ، وخضع له عمّه أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
وإنّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فُسْطاط كان ضُرِب عليه فى حجرة من حُجَره ، فسقط عليه الفسطاط .

وكان ملكه خمس سنين .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

١/٨٤٧ ثم ملك بعده أخوه بَهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقَّب كرْمان شاه ؛ وذلك أنّ أباه سابور كان ولاّه فى حياته كرْمان ، فكتب إلى قوّاده كتابًا يحثُّهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتَقْوى الله والنصيحة للملك ، وبنَى بكرْمان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيّته ، محموداً فى أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإنّ ناسًا من الفتّاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إيّاه بنشّابة[١] .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يَزْدَجِرْد الملقّب بالأثيم ، بن بهرام الملقّب بكَرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس مَنْ يقول : إن يَزْدَجِرد الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقّب بكَرْمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يَزْدَجِرْد بن سابور ذى الأكتاف . وممن نسبه هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان – فيما ذكر – فَظًّا غليظًا ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشدّ عيوبه وأعظمها – فيما قيل – وَضْعُهُ ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفًا من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته فى الضارّ من الأمور ، واستعمال كلّ ما عنده من ذلك ، فى المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع فطنة كانت بجهات الشرّ ، وشدّة عُجْبه بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكلّ ما كان فى أيدى الناس من عِلْم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غلقًا سَيِّئ الخلُق ، ردىء الطِّعْمَة[٢] حتى بلغ من شدّة غَلَقه وحدّته أنّ الصغير من الزلّات كان عنده كبيرًا ، واليسيرَ من السَّقَطات عظيمًا . ثم لم يقدرْ أحد – وإن كان لطيفَ المنزلة منه – أن يكونَ لمن ابتُلِيَ عنده بشىء من ذلك شفيعًا ، وكان دهرَه كلّه للناس متّهمًا ، ولم يكن يأتمن أحدًا على شىء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أوْلَى الخسيس من العُرْف استجزل ذلك ، وإن جَسَر على كلامه فى أمر كلّمه فيه رجل لغيره قال له : ما قَدْر جَعالتك[٣] فى هذا الأمر الذى كلّمتنا فيه ؟ وما أخذْت عليه ؟ فلم يكن يكلّمه فى ذلك وما أشبهه إلّا الوفود القادمون عليه من قِبَل ملوك الأمم . وإنّ رعيّته إنما سلِموا من سطوته وبليّته ، وما كان جمع من الخلال السيّئة بتمسكهم

١/٨٤٨

(١) ت ، س : « بنشاب » .

(٢) ردىء الطعمة ، أى سيء السيرة .

(٣) الجعالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، ومخافة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدّة العقوبة بما لايستطاع [١] أن يُبلَغ منه مثلها فى مدّة ثلثمائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوطٍ انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أفظع منه . وكان إذا بلَغه أنّ أحداً من بطانته صافَى رجلا من أهل صناعته أو طبقته نحّاه عن خدمته .

١/٨٤٩ وكان استوزر عند ولايته نَرْسِي حكيمَ دهره . وكان نَرْسِي كاملاً فى أدبه ، فاضلاً فى جميع مذاهبه ، متقدّمًا لأهل زمانه . وكانوا يسمّونه مِهْر نَرْسِي ومِهْرنَرْسَه ، ويلقّب بالهزَاربَنْده ، فأمّلت الرعيّةُ بما كان منه أن ينزِع عن أخلاقه، وأن يُصْلح نَرْسِي منه ، فلما استوى له الملك، اشتدّت [٢] إهانتُه الأشراف والعظماء، وحَمَل على الضعفاء، وأكثر من سَفْك الدّماء، وتسلّط تسلّطًا لم يُبْتَلَ الرعيّة بمثله فى أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنّه لايزداد إلا تتابعًا فى الجَوْر، اجتمعوا فشكوْا ما ينزل بهم من ظُلْمه ، وتضرّعوا إلى ربّهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعموا أنه كان بجُرْجان، فرأى ذاتَ يوم فى قَصْره فرسًا عائراً [٣] — لم يُرَ مثله فى الخيل ، فى حسن صورة ، وتمام خَلْق — أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجّب الناس منه ، لأنّه كان متجاوزَ الحال ، فأخبِر يَزْدَجِرْد خبرَه ، فأمر به أن يُسرَجَ ويُلْجَم ، ويدخل عليه ، فحاول ساستُه وصاحب مراكبه إلجامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنْهِيَ إليه امتناعُ الفرس عليهم ، فخرج ببدنه [٤] إلى الموضع الذى كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وألقى لِبْداً على ظهره ، ووضع فوقه سَرْجًا ، وشدّ حِزامه ولَبَبَه فلم يتحرّك الفرس بشىء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه ليُثْفِره [٥] استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ،

١/٨٥٠ ثمّ لم يعايَن ذلك الفرس . ويقال : إنّ الفرسَ ملأ فُروجَه جريًا فلم يدرَك ولم

---

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) فى الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كأنّه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أثفر الدابة ، أى عمل لها ثفرا ، والثفر : السير الذى فى مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعيّة بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورأفته بنا .

وكان مُلْك يَزْدَجِرْد فى قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يومًا . وفى قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا .

* * *

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدىّ فى عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابورُ بن سابور على عمله أوْسَ بن قلاّم فى قول هشام. قال : وهو من العماليق من بنى عمرو بن عِمْليق ، فثار به جَحْجَبَى بن عَتِيك بن لَخْمْ فقتله ، فكان جميعُ ولاية أوس خمسَ سنين ، وهلك فى عهد بَهْرام بن سابور ذى الأكتاف . واستُخلف بعده فى عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو خمسًا وعشرين سنة ، وكان هلاكه فى عهد يَزْدَجِرْد الأثيم . ثم استخلَف يزدجِرد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ ، وأمّه شقيقة ابنة أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيْبان ، وهو فارس حَلِيمة ؛ وصاحب الخَوَرْنَق .

وكان[١] سبب بنائه الخَوَرْنق — فيما ذُكِر — أن يَزْدَجِرد الأثيم بن بَهْرام كِرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف كان لا يبقى له ولد فولد له بهرام ، فسأل عن منزل برىّ مرىء صحيح من الأدْواء والأسقام ، فدُلَّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهْرام جُور إلى النّعمان هذا ، وأمره ببناء الخَوَرْنَق مسكنًا له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ؛ وكان الذى بنى الخَوَرْنق رجلا يقال له سِنِمّار ، فلما فرغ من بنائه ، تعجّبوا من حُسْنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفوننى أجْرى وتصنعون بى ما أنا أهله بنيتُه بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنّك لتقدِر على أن تبنىَ ما هو أفضل منه

٨٥١/١

(١) الخبر فى الأغانى ٢ : ١٤٤ — ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبنه ! فأمر به فطُرِح من رأس الخورنق[١]، فى ذلك يقول أبو الطَّمَحان القَيْنِىّ :

جزاءُ سِنِمَّارٍ جزاها، وربِّها . وباللاتِ والعُزَّى جزاءَ المكفَّرِ[٢]

وقال سليط بن سعد :

جزى بنوهُ أبا الغيلانِ عن كِبَرٍ وحُسْنِ فِعْلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ

وقال يزيد بن إياس النَّهشلىّ :

جزَى اللهُ كمّالاً بأسوإ فِعْلِهِ جزاءَ سِنِمَّارٍ جزاءً مُوَفَّرا

وقال عبد العزَّى بن امرئ القيس الكلبىّ — وكان أهدَى أفراسًا إلى الحارث بن مارية الغسّانىّ ، ووفد إليه فأعجبته وأعْجِب بعبد العُزَّى وحديثه ، وكان للملك ابن مسترضَع فى بنى الحميم[٣] بن عوف من بنى عبْد ودّ ، من كَلْب ، فنهشتْه حيّة ، فظنّ الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العُزَّى : جئنى بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لى عليهم فضْل فى نسب ولا فَعال ، ١/٨٥٢ فقال : لتأتينّى بهم أو لأفعلنّ ولأفعلنّ ! فقال : رجونا من حبائك أمراً حال دونه عقابك . ودعا ابنيه : شَرَاحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جَزَانِى جَزاه اللهُ شَرَّ جزائه جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ[٤]

سِوَى رَصِّه البُنْيانَ عِشْرينَ حِجَّةً يُعَلِّى عليه بالقَرَاميدِ والسَّكْبِ[٥]

فلَمَّا رأى البُنْيانَ تَمَّ سُمُوقُهُ وآضَ كمِثْلِ الطَّوْدِ ذى الباذخِ الصَّعْبِ[٦]

---

(١) فى الأغانى : « من أعلى الجوسق » .

(٢) فى الأغانى ؛ وعنه فى خزانة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفَّر : المحسن المجحود إحسانه .

(٣) كذا فى الطبرى وفى الأغانى : « ابن مسترضع فى بنى عبدود » .

(٤) وردت الأبيات فى الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ، والعينى ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٥) القراميد ، مفرده قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفى الحيوان : « سبعين حجة » ، وفى معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) فى معجم البلدان : « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

فَأَتْهَمَهُ مِنْ بَعْدِ حَرْسٍ وحِقْبَةٍ ... وقدْ هَرَّهُ أَهْلُ المَشَارِقِ والغَرْبِ
وَظَنَّ سِنِمَّارٌ به كلَّ حَبْرَةٍ[1] ... وفازَ لدَيْهِ بالمَوَدَّةِ والقُرْبِ
فقال اُقذِفوا بالعِلْجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِهِ ... فهذَا لَعَمْرُ اللهِ مِنْ أَعْجَبِ الخَطْبِ[2]
ومَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فاعْلَموا ... منَ الذَّنْبِ مَا آلى يَميناً على كَذْبِ
لَيَلْتَمِسَنْ بالْخَيْـلِ عُقْرَ بِلادِهمْ ... تحلَّلْ أبيْتَ اللَّعْنَ مِنْ قَوْلِكَ المُزْبِي[3]
ودُونَ الَّذِي مَنَّى ابنُ جَفْنَةَ نَفْسَهُ ... رِجَالٌ يَرُدُّونَ الظلُومَ عَنِ الشَّعْبِ
وقدْ رَامَنَا مِنْ قَبْلِكَ المَرْءُ حَارِثٌ ... فَعُودِرَ مَسْلُوًّا لدَى الأَكَمِ الصُّهْبِ ١/٨٥٣

قال هشام : وكان النّعمان هذا قد غزا الشأم مراراً ، وأكثر المصائب فى أهلها ، وسَبَى وغنِم ، وكان من أشدّ الملوكِ نِكاية فى عدوّه ، وأبعدهم مُغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتيْن : يقال لإحداهما : دَوْسر ، وهى لتَنوُخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهى لفارس ، وهما اللّتان يقال لهما : القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشأم ومنْ لم يَدِنْ له من العرب .

قال : فذُكِر لنا — والله أعلم — أنه جلس يوماً فى مجلسه من الخورْنَق ، فأشرف منه على النَّجَف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ممّا يلِى المغرب ، وعلى الفُراتِ ممّا يلِى المشرق ، وهو على متن النَّجَف ، فى يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الخُضْرة والنَّوْر والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيتَ مثل هذا المنظر قطّ ! فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذى يَدُوم ؟ قال : ما عند الله فى الآخرة ، قال : فبم يُنال ذاك ؟ قال : بتركك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ؛ فترك مُلْكَه من ليلته ولَبِس المُسوح ، وخرج مستخفياً هارباً لا يُعْلَم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ؛ فلم يُؤذن لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذنُ عليهم ، سألوا عنه فلم يجدوه ، وفى ذلك يقول عدىّ بن زيد العِبَادىّ :

---

(١) الحبرة : السرور ، وفى الحيوان ومعجم البلدان : « حبوة » .
(٢) ت : « أعظم الخطب » . (٣) المزبى : المقلق المزعج .

وتفكَّرْ ربَّ الخورنقِ إذ أشْـ رَفَ يوماً وللهُدَى تبصيرُ[1]

١/٨٥٤ سرَّهُ حالُهُ وكثرةُ ما يمْـ لكُ والبحرُ مُعرِضٌ والسَّدِيرُ[2]

فارعوَى قلبُه فقالَ وما غِبْـ طةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ

ثمَّ بعدَ الفلاحِ والمُلكِ والإمَّةِ وارتهمُ هناكَ القبورُ[3]

ثمَّ أضحَوا كأنَّهُمْ ورقٌ جفَّ، فألوَتْ به الصَّبا والدَّبورُ[4]

فكان مُلْك النعمان إلى أن ترك مُلْكه وساح فى الأرض تسعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبىّ : من ذلك فى زمن يَزْدَجِرْد خمس عشرة سنة ، وفى زمن بَهْرام جور بن يَزْدَجِرد أربع عشرة سنة .

وأمّا العلماء من الفُرْس بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون فى ذلك ما أنا ذاكره .

* * *

[ذكر ملك بَهْرام جور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِرد الأثيم ابنه بَهْرام جُور بن يَزْدَجِرد الخَشِن ابن بَهْرام كَرْمان شاه بن سابور ذى الأكتاف . وذُكر أن مولده كان هُرْمُزْدروز فَرْوَرْدِين ماه[5] ، لسبع ساعات مضيْن من النّهار . فإنّ أباه يَزْدَجِرْد دعا ساعة ولدَ بهْرام ممّن كان ببابه من المنجّمين ، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبيينه بيانًا يدلّ على الذى يئول إليه كلّ أمره ، فقاسوا الشمس ونظروا فى مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِرد أنّ الله مورّثٌ بَهْرامَ مُلْك أبيه ، وأنّ رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأنّ منْ الرأى أن يربّى بغير بلاده ، فأجال يَزْدَجِرْد الرأىَ فى دفعه فى الرضاع والتربية إلى بعض مَنْ ببابه من الرّوم أو العرب أو غيرهم ممّن لم يكن من الفرس ، فبدا له فى اختيار العرب لتربيته وحضانته ، فدعا بالمنذر ١/٨٥٥

---

(١) فى الأغانى ٢ : ١٣٩ : « وتذكر » . (٢) الأغانى : « سره ماله » .
(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أى ذهبت به .
(٥) يريد أنه ولد فى غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر فى السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان، واستحضنه بَهْرام، وشرّفه وأكرمه، وملّكه على العرب، وحبَاه بمرتبتيْن سَنِيّتين، تدعى إحداهما: رام أبزوذ يزْدجِرْد، وتأويله «زاد سرور يَزْدَجِرْد»، والأخرى تدعى بمِهِشْت، وتأويلها «أعظم الحَوَل»، وأمر له بِصلة وكُسوة بقدر استحقاقه لذلك فى منزلته، وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محَلّته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة، وأذهان ذكيّة، وآداب رضيّة؛ من بنات الأشراف؛ منهنّ امرأتان من بنات العرب، وامرأة من بنات العجم، وأمر لَهنّ بما أصلحهنّ من الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتجْن إليه، فتداولْنَ رضاعه ثلاث سنين، وفُطِم فى السنة الرابعة، حتى إذا أتت له[1] خمسُ سنين، قال للمنذر: أحضرْنى مؤدّبين ذوى علم، مدرّبين بالتعليم؛ ليعلّمونى الكتابة والرمى والفقه. فقال له المنذر: إنّك بعدُ صغير السنّ، ولم يأنِ لك أن تأخذ فى التعليم؛ فالزم مايلزم الصّبْيان الأحداث، حتى تبلغَ من السنّ ما يُطيق التعلّم والتأدّب، وأحضر[2] مَنْ يعلّمك كلّ ما سألت تعلّمَه. فقال بَهْرام للمنذر: أنا لعمرى صغير، ولكنّ عقلى عقل مُحْتَنِك، وأنت كبير السنّ وعقلك عقل ضَرَع[3]. أما تعلمُ أيّها الرجل؛ أنّ كلّ ما يُتقدّم فى طلبه يُنال فى وقته، وما يُطلب ١/٨٥٦ فى وقته يُنال فى غير وقته، وما يُفرّط فى طلبه يَفوتُ فلا ينال! وإنّى من ولد الملوك، والمُلْك صائر إلىّ بإذن الله، وأوْلى ما كُلّف به الملوك وطلبوه صالح العلم؛ لأنه لهم زَيْن، ولملكهم ركن به يقوَوْن. فعجّل علىّ بمن سألتُك من المؤدّبين.

فوجّه المنذر ساعةَ سمع مقالة بَهْرام هذه إلى باب الملك مَنْ أتاه برهط من فقهاء الفرس، ومعلّمى الرّمْى والفُروسيّة ومعلّمى الكتابة وخاصّة[4] ذوى الأدب، وجمع له حكماء من حكماء فارس والرّوم، ومحدّثين من العرب، فألزمهم بَهْرام، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك المِهَن وقتًا يأتونه فيه؛ وقدّر

---

(١) ل: «عليه». (٢) ت: «وأحضرك».
(٣) الضرع، بالتحريك: الصغير السن الضعيف.

لهم قدراً يفيدونه ماعندهم، فتفرّغ بَهْرام لتعلّم كلّ ماسأل أن يتعلّم، وللاستماع [١] من أهل الحكمة وأصحاب الحديث، ووعَى كلّ ما استمع، وثَقِف كلّ ماعلِّم بأيسر تعليم. وألْفِيَ بعد أن بلغ اثنتى عشرة سنة، وقد استفاد كلّ ماأفيد وحفظه، وفاق معلّميه ومَنْ حضره من أهل الأدب؛ حتى اعترفوا له بفضله عليهم.

وأثاب بهرام المنذرَ ومعلّميه، وأمرهم بالانصراف عنه، وأمر معلّمى الرمْى والفروسيّة بالإقامة عنده؛ ليأخذ عنهم كلّ ما ينبغى له التدرّب به، والإحكام له؛ ثم دعا بَهْرام بالنّعمان بن المنذر، وأمره أن يؤذِن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها، فأذن النعمان للعرب بذلك، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بَهْرام فى اختيار الخيل لمركبه، فقال لبهرام: لا تجشّمَنّ العرب إجراءَ خيلهم؛ ولكن مُرْ مَنْ يعرض الخيل عليك، واختر منها رضاك، وارتبِطه لنفسك. فقال له بهرام: قد أحسنت القول؛ ولكنى أفضل الرجال سؤدداً وشرفًا، وليس ينبغى أن يكون مركبى إلاّ أفضل الخيل، وإنما يعرَف فضلُ بعضها على بعض بالتجربة [٢]؛ ولا تجربة بلا إجراء.

٨٥٧/١

فرضىَ المنذر مقالتَه، وأمر النّعمان العرب فأحضروا خيولهم، وركبَ بَهْرام والمنذر لحضور الحلْبة، وسرّحت الخيل من فرسخيْن، فبَدرَ فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعًا سابقًا، ثم أقبل بعده بقيّتُها بَدَادِ بَدَادِ [٣] من بين فرسين تالييْن، أو ثلاثة موزّعة، أو سُكَيْتًا [٤]. فقرّب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بَهْرام، وقال: يبارِك اللهُ لك فيه، فأمر بَهْرام بقبضه وعظُم سروره به، وتشكّر للمنذر.

وإنّ بَهْرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حمله عليه المنذر إلى الصيد، فبصُر بعانة [٥]، فرمَى عليها وقصد نحوها؛ فإذا هو بأسد قد شدّ على

---

(١) س، ل: «والاستماع».

(٢) ت: «فى التجربة».

(٣) بداد بداد؛ أى مرتين. وفى الأصول: «بدار بدار».

(٤) السكيت: من يجىء آخر الحلبة.

(٥) العانة: القطيع من حمر الوحش.

عَيْر كان فيها ، فتناول ظهره بفيه ليَقْصِمه ويفترسه ، فرماه بَهْرام رمية فى ظهره ، فنفذت النشّابة من بطنه وظهر العَيْر وسُرّته حتى أفضت إلى الأرض. فساخت فيها إلى قريب من ثلثيها ، فتحرّك طويلا ، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم . فأمر بَهْرام فصور ما كان منه فى أمر الأسد والعيْر فى بعض مجالسه .

ثم إنّ بَهْرام أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه ، فشخص إلى أبيه ، وكان أبوه يَزْدَجِرد لسوء خلُقه لا يحفِل بولد له ، فاتّخذ بَهْرام للخدمة ، فلقى بَهْرام من ذلك عناء .

١/٨٥٨ ثم إنّ يَزْدَجِرْد وفد عليه أخ لقيصر ، يقال له : ثياذوس ، فى طلب الصلح والهدنة لقيصر والروم ، فسأله بَهْرام أن يكلّم يَزْدَجِرد فى الإذن له فى الانصراف إلى المنذر ، فانصرف إلى بلاد العرب ، فأقبل على التنعّم والتلذذ .

وهلك أبوه يَزْدَجِرد وبهرام غائب ، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات ألاّ يملّكوا أحداً من ذريّة يَزْدَجِرْد لسوء سيرته ، وقالوا : إن يَزْدَجِرْد لم يخلّف ولداً يحتمل الملك غير بَهْرام ، ولم يَلِ بَهْرام ولاية قطّ يُبلَى[1] بها خبره ، ويعرف بها حاله ، ولم يتأدّب بأدب العجم ؛ وإنما أدبُه أدب العرب ، وخُلُقه كخلُقهم ، لنشئه بين أظهرهم . واجتمعت كلمتهم وكلمة العامّة على صرف الملْك عن بَهْرام إلى رجل من عِترة أردشير بن بابك ، يقال له كسرى ، ولم يقيمُوا أن ملّكوه . فانتهى هلاكُ يَزْدَجِرْد والذى كان من تمليكهم كسرى إلى بَهْرام وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه ، وناسٍ من عِليْة العرب ، وقال لهم : إنّى لا أحسِبكم تجحدون خصّيصَى والدى ؛ كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم ، مع فظاظته وشدّته كانت على الفرس ؛ وأخبرهم بالذى أتاه من نَعْيِ أبيه ، وتمليك الفرس منْ ملّكوا عن تشاور منهم فى ذلك .

فقال المنذر : لا يهولنّك ذلك حتى ألطِف الحيلة[2] فيه . وإنّ المنذر

---

(١) ت : « يبتلى » .

(٢) ط : « للحيلة ، وما أثبته من ت » .

جهّز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ، ووجّههم مع ابنه إلى طيسبون[١] وبهأرْدشير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريبًا منهما ، ويدمن إرسال طلائعه إليهما ، فإن تحرّك أحدٌ لقتاله قاتله وأغار على ماوالاهما ، وأسر وسَبَى ؛ ونهاه عن سَفْك الدماء . فسار النّعمان حتى نزل قريبًا من المدينتين ، ووجّه طلائعه إليهما ، واستعظم قتال الفرس . وإنّ مَنْ بالباب من العظماء وأهل البيوتات أوفدوا جوانى صاحب رسائل يَزْدَجِرْد إلى المنذر ، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان ، فلما ورد جُوانَى على المنذر وقرأ الكتاب الذى كتِب إليه ، قال له : القَ الملكَ بَهْرام ، ووجّه معه مَنْ يوصله إليه . فدخل جوانى على بَهْرام فراعه ما رأى من وسامته وبهائه ، وأغفل السجود دَهشًا ، فعرف بَهْرام أنه إنما ترك السجود لما راعه من رُوائه ، فكلّمه بَهْرام ، ووعده من نفسه أحسن الوعد ، وردّه إلى المنذر ، وأرسل إليه أن يجيب فى الذى كتب ، فقال المنذر لجوانى : قد تدبّرت الكتاب الذى أتيتَنى به ؛ وإنما وجّه النعمان إلى ناحيتكم الملك بَهْرام حيث ملّكه الله بعد أبيه ، وخوّله إيّاكم .

فلما سمع جُوانى مقالة المنذر ، وتذكّر ما عاين من رُواء بهرام وهيبته عند نفسه ، وأنّ[٢] جميع مَنْ شاور[٣] فى صرف المُلْك عن بَهْرام مخصوم محجوج ، قال[٤] للمنذر : إنى لست مجيرًا جوابًا ، ولكن سِرْ إن رأيت إلى محلّة الملوك فيجتمع[٥] إليك مَنْ بها من العظماء وأهل البيوتات ، وتشاوروا فى ذلك . وأتِ فيه ما يجمل ؛ فإنهم لن يخالفوك فى شىء ممّا تشير به .

فردّ المنذر جُوانى إلى مَنْ أرسله إليه ، واستعدّ وسار بعد فصول جوانى من عنده بيومٍ ببهرام فى ثلاثين ألف رجل من فُرسان العرب وذوى[٦] البأس والنّجدة منهم إلى مدينتى الملك ؛ حتى إذا وردهما ، أمَر فجمع الناس ، وجلس بَهْرام على مِنْبَرٍ[٧] من ذهب مكلّل بجوهر ، وجلس المنذر عن يمينه ،

١ / ٨٦٠

(١) ت : « طيسيون » . س : « طيسون » . (٢) ل : « علم بأن » .
(٣) ت ، س : « تشاور » . (٤) ل : « فقال » .
(٥) ت : « فتجمع » . (٦) ت : « وأولى » (٧) ت « سرير » .

وتكلّم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد أبي بهرام كانت ، وسوء سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرضَ ، وأكثر القتل ظلمًا ، حتى قد قتلَ النّاس فى البلاد التى كان يملكها ، وأمورًا غير ذلك فظيعة . وذكروا أنّهم إنما تعاقدوا وتواثقوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك ، وسألوا المنذر ألاّ يجبرهم فى أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعَى المنذر ما بثُّوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أوْلَى بإجابة القوم منّى . فقال بهرام : إنّى لستُ أكذّبكم معشرَ المتكلّمين فى شيء مما نسبتم إليه يزدجرد لِمَا استقرّ عندى من ذلك ، ولقد كنت زاريًا عليه لسوء هديِه ، ومتنكّبًا لطريقه[1] ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ علىّ بالملك ، فأصلح كلّ ما أفسد ، وأرأب ما صدع ؛ فإن أتتْ للملكى سنة ولم أفِ لكم بهذه الأمور التى عددت لكم تبرّأت من الملك طائعًا ، وقد أشهدت بذلك علىّ الله وملائكته وموبذان موْبذ . وليكُنْ هو فيها حَكَمًا بينى وبينكم . وأنا مع الذى بيّنت على ما أعلمكم من رضاى بتمليككم مَنْ تناول التاج والزينة ، من بين أسدين ضاريين مُشْبِلين ، فهو الملك .

* * *

فلما سمع القومُ مقالة بهْرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بذلك ، وانبسطت آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إنّا لسنا نقدر على ردّ قول بهرام ؛ مع أنّا إن تمَمنا على صرف الملك عنه نتخوّف أن يكون فى ذلك هلاكنا لكثرة من استمدّ واستجاش من العرب ؛ ولكنّا نمتحنه بما عرَض علينا مما لم يدْعه إليه إلاّ ثقة بقوّته وبطشه وجرأته ، فإن يكنْ على ما وصف به نفسَه ، فليس لنا رأى إلاّ تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإنْ يهلِكْ ضعفًا ومَعْجزة ، فنحن من هلَكته[2] برآء ، ولشرّه وغائلته آمنون . ١/٨٦١

وتفرّقوا على هذا الرأى ، فعاد بهرام بعد أن تكلّم بهذا الكلام ، وجلس كمجلسه الذى كان فيه بالأمس ، وحضره مَنْ كان يحادّه . فقال لهم : إمّا

(١) ل : « لطريقته » .　　(٢) س : « مهلكته »

أن تجيبونى فيما تكلّمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخعين[١] لى بالطاعة ..
فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نرَ منه إلاّ ما نحبُّ ؛ ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يُوضع التاج والزينة كما ذكرت بين أسدين ، وتتنازعانهما أنت وكسرى ، فأيّكما تناولها من بينهما ، سلّمنا له الملك .

فرضى بهرام بمقالتهم ، فأُتِىَ بالتاج والزينة موْبذان موبَذ ، الموكّل كان بعقد التّاج على رأس كلِّ مليك يملّك ، فوضعهما فى ناحية ، وجاء بِسطام إصْبَهْبَذ ، بأسدين ضاريين مجوّعين مُشْبلين ، فوقف أحدُهما عن جانب الموضع الذى وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بحذائه ، وأرخى وَثاقهما ، ثم قال بهرام لكسرى : دونَك التّاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما منى ؛ لأنّك تطلب المُلْك بوراثة ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ، ١/٨٦٢ لثقته كانت ببطشه[٢] وقُوّته ، وحمل جُرْزا[٣] ، وتوجّه نحو التاج والزينة ، فقال له موْبذان موْبَذ : استماتتك فى هذا الأمر الذى أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوّع منك ، لا عن رأى أحدٍ من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسَك .
فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولاوِزْرَ عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ، فلما رأى مَوْبَذان موبذ جِدّهُ فى لقائهما ، هتف به وقال : بُحْ بذنوبك ، وتُبْ منها ، ثم أقدِم إن كنت لا محالة مُقدمًا ، فباح بَهْرام بما سلف من ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدُهما ، فلما دنا من بَهْرام وثب وثبة ، فعلا ظهره . وعصر جَنْبَىِ الأسد بفخذيه عَصْراً أثخنه ، وجعل يضرب على رأسه بالجُرْز الذى كان حمل ، ثم شَدّ الأسد الآخر عليه ، فقبض على أذنيْه ، وعَرَكهما بِكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذى كان راكبه حتى دمغهما ثم قتلهما كليهما على رأسهما بالجُرْز الذى كان حمله : وكان ذلك من صنيعه[٤] بمرأى من كِسْرى ومَنْ حضر ذلك المحفل .

* * *

(١) ل : « خاضعين » . (٢) ل : « كانت فى بطشه » .
(٣) الجرز : عمود من الحديد . (٤) ت : « صنعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزّينة ، فكان كسرى أوّل من هتَف به ، وقال : عمّرك الله بهرام ! الذى مَنْ حولَه سامعون ، وله مطيعون ، ورزقه مُلْك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع[1] الحضّر ، وقالوا : قد أذعنّا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به ملِكًا . وأكثروا الدّعاء له . وإنّ العظماء وأهلَ البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقُوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه[2] أن يكلّم بهرام فى التغمّد لإساءتهم فى أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلّم المنذر بَهْرام فيما سألوه من ذلك ، واستوهبه ما كان احتمل عليهم فى نفسه ، فأسعفه بَهْرام فيما سأل ، وبسط آمالهم . ١/٨٦٣

وإنّ بهرام ملَك وهو ابن عشرين سنة ، وأمرَ من يومه ذلك أن يُلزِم رعيّتَه راحة وَدَعةً ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعِدُهم الخير من نفسه ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

* * *

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو[3] على ما سواه ، حتى كثرتْ ملامة رعيّته إياه على ذلك ، وطمِع مَنْ حوله من الملوك فى استباحة بلاده ، والغلَبة على ملكه ؛ وكان أوّل مَنْ سبق إلى المكاثرة[4] له عليه خاقان ملك الترك ، فإنّه غزاه فى مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان فى جَمْع عظيم إلى بلادهم ، فتعاظمهم ذلك وهالهم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لهم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامّة ، فقالوا له : إنه قد أزِمَكَ أيها الملك من بائقة هذا العدوّ ما قد شغلك عمّا أنت عليه من اللهو والتلذّذ ، فتأهّبْ له كيلا يلحقنا منه أمرٌ يلزمك فيه مسبّة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربّنا[5] قوىّ ونحن أولياؤه . ولم يزدد إلا مثابرة على اللّهو والتلذّذ والصيد .

وإنه تجهّز فسار إلى أذْرَبيجان لينسُك[6] فى بيت نارها ، ويتوجّه منها إلى

---

(١) ت : « الجمع » . (٢) ل : « فسألوه » .
(٣) س ، ل : « اللهو » . (٤) ت ، س : « المكابرة » .
(٥) ت : « تعالى » . (٦) ينسك : يتعبد .

١/٨٦٤ أرمينيَة ، ويطلب الصيد فى آجامها ، ويلهو فى مسيره فى سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلثمائة رجل من رابطته ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخًا له يسمّى نَرْسِى على ما كان يدبّر من ملكه . فلم يشكّ الناسُ حين بلَغهم مسير بَهْرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف فى أنّ ذلك هَرَبٌ من عدوّه ، وإسلام لملكه ؛ وتآمروا فى إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخَراج ، مخافةً منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتِلَتَهم إن هم لم يُذعِنوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمعَ عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فآمن ناحيتَهم ، وأمر جنده بالتوَرّع ، فأتى بهرام عينٌ كان وجّهه ليأتيَه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزْمه ، فسار إليه بهرام فى العدّة الذين كانوا معه فبيّته ، وقتل خاقان بيده ، وأفشى القَتلَ فى جنده ، وانهزم مَنْ سَلِم من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلّفوا عسكرهم وذراريّهم وأثقالهم ، وأمعن بَهْرام فى طلبهم يقتلهم ويحوِى ما غنِم منهم ، ويَسبِى ذراريَّهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر[١] بَهْرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل[٢] على ما غلب[٣] عليه منها مَرْزبانا حبَاه سريراً من فضة ، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسألوه أن يُعلِمهم حدّ ما بينه وبينهم فلا يتعدّوه ، فحدّ لهم حدًّا ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيرُوز الملك ابن يزْدَجِرد ، فقدّمت

١/٨٦٥ إلى بلاد الترك ، ووجّه بهرام قائداً من قوّاده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأثخنهم ، حتى أقرُّوا لبهرام بالعبوديّة وأداء الجِزْية .

* * *

وإنّ بهرام انصرف[٤] إلى أذرَبيجان ، راجعًا إلى محلّته من السّواد ، وأمر بما كان فى إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجوهر ، فعلّق على بيت نار آذرَبيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فنزل[٥] دار المملكة بها ، ثم

---

(١) ت : « فظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .
(٣) ت : « مما قد غلب عليه » . س ، ل : « على ما غلب عليه » .
(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « ونزل » .

كتب إلى جُنْده وعمّاله بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولّى أخاه نَرْسِي خراسان ، وأمرَه أن يسير إليها وينزل بلْخ ، وتقدّم إليه بما أراد .

ثم إنّ بَهْرام سار فى آخر مُلْكه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشدّ على عَيْر ، وأمعن فى طلبه ، فارتطم فى جُبّ ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُبّ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرجه منه ، فنقلوا من الجبّ طينًا كثيراً وحَمْأةً ، حتى جمعوا من ذلك آكامًا عظامًا ، ولم يقدروا على جُثّة بَهْرام .

وذُكر أن بَهْرام لمّا انصرف إلى مملكته من غَزْوه[١] الترك ، خطب أهلَ مملكته أيامًا متوالية ، حثّهم فى خطبته على لُزوم الطاعة ، وأعلمهم أنّ نيّته التّوسعة عليهم ، وإيصالُ الخير إليهم ، وأنّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنّ أباه كان افتتح أمرَهم باللين والمعدلة ، فجحدوا ذلك أو مَنْ جحده منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الخَوَل والعبيد للملوك ، فأصاره ذلك إلى الغِلْظة وضرب الأبشار وسفك الدماء . وإنّ انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أذْرَبيجان ، وإنه نَحَل بيت نار الشيز ما كان فى إكليل خاقان من اليواقيت والجوهر[٢] وسيفا كان لخاقان مُفصّصًا بدرّ وجوهر وحِلْية كثيرة ، وأخدمه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن الناس الخراج لثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النّصْر فى وجهه ، وقسّم فى الفقراء والمساكين مالا عظيمًا ، وفى البيوتات وذوى الأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتبًا ، يذكر فيها أنّ الخبر ورد عليه بورود خاقان بلادَه ، وأنّه مجّد الله وعظّمه وتوكّل عليه ، وسار نحوه فى سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلثمائة فارس من نُخْبة رابطته على طريق أذْرَبيجان وجبل القبْق ، حتى نفذ على برارىّ خُوارِزم ومفاوزها ، فأبلاه

١/٨٦٦

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجواهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكّر لهم ما وضع عنهم من الخراج ، وكان كتابه فى ذلك كتابًا بليغًا .

وقد كان بَهْرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الخراج البقايا التى بقيتْ عليهم من الخراج ، فأعلِم أنّ ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السّنة التى وَلِىَ فيها .

وقيل إنّ بهرام جُور لمّا انصرف إلى طيسبُون من مَغْزاه خاقان التركىّ ، ولّى نَرْسى أخاه خراسان ، وأنزله بَلْخ ، واستوزر مِهْر نَرْسِى بن بُرازة ، وخصّه وجعله بزُرجفرمَذار ، وأعلمه أنه ماضٍ إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطّف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ؛ ليخفّف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدّم إليه بما أراد التقدّم إليه فيما خلّفه عليه إلى أوان انصرافه ، وأنه شخص من مملكته حتّى دخل أرض الهند متنكراً ، فمكث بها حينًا لا يسأله أحدٌ من أهلها عن شىء من أمره غير ما يروْن من فروسيّته[1] وقتله السباع ، وجماله وكمال خلْقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتّى بلغه أنّ فى ناحيةٍ من أرضهم فيلا قد قطع السُّبُل ، وقتل ناسًا كثيراً ، فسأل بعضَهم أن يدلّه عليه ليقتله ، وانتهى أمرُه إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بَهْرام والرسول إلى الأجَمَة التى فيها الفيل ، رقِىَ الرسول إلى شجرة لينظر إلى صُنْع[2] بهرام . ومضى بَهْرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مُزبِداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بَهْرام رماه رميةً وقعت بين عينيه حتّى كادت تغيب ، ووقَذَه بالنُّشّاب ، حتّى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بِمشْفرِه ، فاجتذبه جَذْبة جثا لها الفيل على ركبتيْه ، فلم يزل يطعنه حتّى أمكن من نفسه ، فاحتزّ رأسه وحمله على ظهره حتّى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصّ خبره على الملِك ، فعجب من شدّته وجرأته ، وحباه حِباء عظيمًا ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفُرس ، وكان

١/ ٨٦٧

(١) ت : « فروسته » .

(٢) ت : « إلى صنيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخِط عليّ فى شىء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك عدوّ قد نازعه مُلْكَه، وسار إليه بجنود عظيمة، فاشتدّ وَجَلُ الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قُوّته ، وأراده على الخضوع له وحَمْل الخراج إليه ، وهمّ صاحب بهرام بإجابته إلى ذلك، فنهاه بهرام عن ذلك، وضَمِن له كفاية أمره، فسكن إلى قوله، وخرج بهرام مستعدًّا له، فلما التقَوْا قال لأساورة الهند: احرسوا ظهرى . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرّجُل على رأسه فتنتهى ضربتُه إلى فمه، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين، ويأتى الفيل فيقدّ مِشْفره بالسيف، ويحتمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمى، وأكثرهم رَجّالة لا دوابّ لهم — وكان بهرام إذا رمى أحدَهم أنفذ السهمَ فيه، فلما عاينوا منه ما عاينوا ، ولَّوْا منهزمين لا يلوون على شىء ، وغَنِم صاحب بهرام ما كان فى عسكر عدوّه ، وانصرف محبوراً مسروراً ، ومعه بَهْرام ، فكان فى مكافأته إيّاه أن أنكَحه ابنتَه، ونحَله الدَّيْبُل وَمُكْران وما يليها من أرض السّند ، وكتب له بذلك كتابًا ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى ضُمَّت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بَهْرام، وانصرف بهرام مسروراً .

١/٨٦٨

ثم إنه أغزى مِهْرَ نَرْسى بن بُرازة بلاد الروم فى أربعين ألف مقاتل ، وأمرَه أن يقصد عظيمَها ، ويناظرَه فى أمر الإتاوة وغيرها؛ ممّا لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مِهْرنَرْسى ، فتوجّه[1] فى تلك العدّة ، ودخل القُسطنطينيّة ، وقام مقامًا مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكلّ الذى أراد بَهْرام ، ولم يزل لِمِهْرِنَرْسِي مُكْرِماً، وربما خفّف اسمه فقيل «نَرْسى» وربّما قيل «مِهْرنَرْسه» ،وهو مِهْرنَرْسِي بن بُرازة بن فرُّخزاذ بن خُورَهباذ بن سيسفاذ ابن سيسنابروه بن كَىْ أشَك بن دارا بن دارا بن بَهْمن بن إسفنديار بن بِشتاسْب .

١/٨٦٩

وكان مِهْرنَرْسِي معظَّمًا عند جميع ملوك فارس بحسنِ أدبه، وجودة آرائه، وسكون العامّة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه فى القدر ، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبته ؛ وإنّ منهم ثلاثة قد كانوا برّزوا :

---

(١) ل : «فوجهه» .

أحدهم زَرَوانْداذ ؛ كان مِهِرْ نرسى قصد به للدين والفقه ، فأدرك مِن ذلك امراً عظيماً ، حتى صيّره بهرام جور هِرْبذان هِرْبَذ ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبذان مَوبَذ . وكان يقال للآخر : ما جُشْنَس ، ولم يزل متولّياً ديوان الخراج أيام بَهْرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية «راستراى وشانسلان» . وكان الثالث اسمه كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية «أسطران سلار» ؛ وهذه مرتبة فوق مرتبة الإصبَهبَذ تقارب مرتبة الأرْجَبَذ ، وكان اسم مِهِرْ نرسى بمرتبته بالفارسية « بزُرْجفر ماندار » ؛ وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء » أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق دَشْتبارين من كورة أردشير خُرّة ، فابتنى فيه وفى جِرِه من كُورة سابور لاتّصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتّخذ فيها بيت نار — هو باق فيما ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية — يقال لها مِهِرْنَرْسِيان ، واتّخذ بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل فى كلّ واحدة منها بيتَ نار ؛ فجعلَ واحداً منها لنفسه ، وسمّاه فراز مرا آوَرْ خُذايان ؛ وتفسير ذلك : «أقبلى إلىّ سيّدتى » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لزَراوَنْداذ ، وسماه زراونداذان ، والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لماجُشْنَس ، وسماه ماجُشْنَسْفان ؛ واتّخذ فى هذه الناحية ثلاث باغات[١] ، جعل فى كلّ باغ منها اثنتَىْ عشرة ألف نخلة ، وفى باغ اثنى عشر ألف أصل زيتون ، وفى باغ اثنتى عشرة ألف سَرْوة[٢] ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النّيران فى يد قوم من ولده معروفين إلى اليوم ؛ وإنّ ذلك — فيما ذكر — إلى اليوم باقٍ على أحسن حالاته .

١/٨٧٠ ، ١/٨٧١

وذكر أن بَهْرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى بلاد السودان من ناحية[٣] اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسَبَى منهم خلْقاً ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت .

واختلفوا فى مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانىَ عشرة سنة وعشرة

---

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم فى اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ؛ فسره صاحب القاموس بالعرعر ، واحدته سروة .

(٣) ت : « مما يلى » .

أشهر وعشرين يومًا . وقال آخرون كان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالمُلْك من بعده يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جُور . فلمّا عُقِد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوْا له وهنئوه بالمُلك ، فردّ عليهم ردًّا حسنًا ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعيّة ، وطولَ جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنّهم إن فقدوا منه مثلَ الذى كانوا يعهدونه من أبيه ، فلا ينبغى لهم أن يستنكروه ؛ فإنّ خلواته إنما تكون فى مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مِهْرنَرْسى بن بُرازة صاحب أبيه ، وأنّه سائر فيهم بأحسن[1] السيرة ، ومستنّ لهم أفضل السُّنن ، ولم يزل قامعًا لعدوّه ، رءوفًا برعيّته وجنوده ، محسنًا إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هُرْمز ، وكان ملكًا على سِجِسْتان ، والآخر يقال له فَيْروز ؛ فغلب هُرْمز على الملك من بعد هلاك أبيه يَزْدَجِرد ، ٨٧٢/١ فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطِلة ، وأخبر مَلِكها بقصّته وقصّة هرمز أخيه ، وأنه أوْلى بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هُرْمز ، ويحتوى على مُلْك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يُجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبِر أنّ هرمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجَوْر لا يرضاه الله[2] ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يُستطاع أن يُنتصف ويحترف فى مُلْك الملك الجائر إلاّ بالجور والظلم . فأمدّ فيروز بعد أن دفع إليه الطالَقان بجيش ، فأقبل بهم[3] وقاتَل هُرْمز أخاه فقتله ، وشتّت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الْتاثوا على يَزْدَجِرد بن بَهْرام فى الخراج الذى كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجّه إليهم مِهْرنَرْسى بن بُرازة ، فى مثل العدّة التى كان بَهْرام وجّهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

---

(١) ت : « أحسن » .
(٢) ل : « ما لا يرضاه » .
(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْك يَزْدَجِرد ثمانىَ عشرة سنة وأربعة أشهر فى قول بعضهم . وفى قول آخرين سبع عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك فيروز بن يزدجرد]

ثم ملك فيروز بن يَزْدَجرد بن بَهْرام جُور ، بعد أن قتل أخاه وثلاثة نفر من أهل بيته .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : استعدّ فيروز من خُراسان ، واستنجد بأهل طَخَارِسْتان وما يليها ، وسار إلى أخيه هُرْمز بن يَزْدَجِرد ، وهو بالرَّى — وكانت أمّهما واحدة ، واسمها دينَك ، وكانت بالمدائن تدبّر ما يليها من الملك — فظفر فيروز بأخيه فحبسه ، وأظهر العدلَ وحسن السيرة ، وكان يتديّن ، وقَحَط الناس فى زمانه سبع سنين ، فأحسن تدبير [ذلك][1] الأمر حتى قَسم ما فى بيوت الأموال ، وكفّ عن الجباية ، وساسهم أحسن السياسة ؛ فلم يهلك فى تلك السنين أحدٌ ضياعًا إلا رجل واحد .

٨٧٣/١

وسار إلى قوم كانوا قد غلبوا على طَخَارِسْتان يقال لهم الهيَاطلة ، وقد كان قوّادهم فى أول مُلْكه لمعونتهم إياه على أخيه ، وكانوا — فيما زعموا — يعملون عمل قوم لوط ، فلم يستحلّ ترك البلاد فى أيديهم ، فقاتلهم فقتلوه فى المعركة ، وأربعة بنين له ، وأربعة إخوة ، كلّهم كان يتسمّى بالملك ، وغلبوا على عامة خُراسان حتى سار إليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا من أهل شيراز ، وكان فيهم عظيمًا ، فخرج فيمن تبعه شبه المحتسب المتطوّع حتى لقِيَ[2] صاحب الهيَاطلة ، فأخرجه من بلاد خُراسان ، فافترقا على الصلح ؛ وردّ ما لم يَضع مما فى عسكر فيروز من الأسراء والسَّبى . وملك سبعا وعشرين سنة .

وقال غير هشام من أهل الأخبار : كان فيروز مَلِكًا محدوداً محارَفا[3] مشئومًا على رعيّته ، وكان جلّ قوله وفعله فيما هو ضرر وآفة عليه وعلى أهل مملكته . وإنّ البلاد قَحَطت فى مُلْكه سبعَ سنين متوالية ، فغارت الأنهار والقُنىّ والعيون ، وقَحَلت[4] الأشجار والغياض ، وهاجت عامّة الزروع

---

(١) تكلة من ل ، س . (٢) ت : « أتى » . (٣) المحارف : المحروم الذى إذا طلب شيئاً لا يرزق ، وهو خلاف المبارك . (٤) ل : « وحملت » .

والآجام فى السَّهل والجبل من بلاده ، ومُوّتت فيها الطَّيْر والوحوش، وجاعت الأنعام والدوابّ ؛ حتى كانت لا تقدِر أن تحمل حمولة ، وقلّ ماء دِجْلة ، وعمّ أهلَ بلاده اللزَبات[1] والمجاعة والجهد والشدائد .

فكتب إلى جميع رعيّته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولاجزية ، ولا نائبة ولا سُخرة ،وأن قد ملَّكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعيِ فيما يقوتُهم ويقيمهم ، ثم أعاد الكتاب إليهم فى إخراج كلّ مَنْ كان له منهم مطمورة أو هُرْى[2] أو طعام أو غيره[3]؛ مما يقوت الناس، والتآسى فيه، وترك الاستئثار فيه ؛ وأن يكون حالُ أهلِ الغنى والفقر وأهل الشرف والضّعة فى التآسى واحداً . وأخبرهم[4] أنه إنْ بلغه أنّ إنسيًّا مات جوعًا عاقب أهلَ المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذى يموت فيه ذلك الإنسىّ جوعًا ، ونكَّل بهم أشدّ النَّكال .

فساس فيروز رعيّته فى تلك اللزْبة والمجاعة سياسة لم يعطَب أحد منهم جوعًا ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرّة ، يدعى بديه[5] فتعظّم[6] ذلك عظماءُ الفرس ، وجميع أهل أرْدشير خُرّة وفيروز ، وأنه ابتهلَ إلى ربّه فى نَشْر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثه عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده فى كثْرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلَحت الأشجار .

وإنّ فيروز أمر فبنِيت بالرّى مدينة ، وسماها رام فَيْروز ، وفيما بين جُرجان وباب صول مدينة، وسماها رُوشَن فيروز ، وبناحية أذْرَبيجان مدينة وسماها شهرام[7] فيروز .

---

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب ، والهرى ، بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت ، س : « بريه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت ، ل : « سهرام » .

ولما حَيِيَت بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْك، وأثخن فى أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجنوده نحو خُراسان مريداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاطلة ؛ فلما بلغ إخشنوار خبرُه اشتدّ منه رعبه . فذُكِر أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذلَ له نفسه ، وقال له : اقطع يدىَّ ورجلىَّ ، وألقِنى على طريق فيروز ، وأحسِنْ إلى ولدى وعيالى — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس[1] . فرقّ له فيروز ورَحِمه ، وأمر بحمله معه، فأعلمه على وجه النصح منه له — فيما زعم — أنه يدلُّه وأصحابَه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياطلة منه أحد ، فاغترّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم فى الطريق الذى ذكره[2] له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلّما شكوْا عطشًا أعلمهم أنهم قد قَرُبوا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعًا علم أنهم لا يقدرون فيه على تقدّم ولا تأخُّر ، بيّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز: قد كُنّا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذَر ؛ فأمّا الآن فلا بدّ من المضىّ قُدُمًا حتى نوافِىَ القوم على الحالات كلّها . فمضوْا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثَرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدّوهم ، فلمّا أشرفوا عليهم على الحال التى هم فيها دَعوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلّىَ سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألاّ يغزوَهم ولا يرومَ أرضهم ، ولا يبعثَ إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتها حدّاً لا يجوزه . فرضِىَ إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتابًا مختومًا ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خلّى سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حمَله الأنَف والحميَّة على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن نهاه وزراؤه وخاصّته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .
(٢) ت : « ذكر » .

وأبى إلا ركوب رأيه ، وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل كان يخصّه ويجتبى رأيه ، يقال له مُزْدبوذ[١] ، فلما رأى مُزْدبوذ لجاجته ، كتب ما دار بينهما فى صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقًا بينه وبين بلاد فيروز عظيمًا ، فلما انتهى إليه فيروز عقد عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلامًا له ولأصحابه فى انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بعسكرهم احتجّ عليه إخشنوار بالكتاب الذى كتبه له ، ووعظه بعهده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا لجاجًا ومحكًا وتواقفًا ، فكلّم كلّ واحد منهما صاحبه كلامًا طويلا ، ونشبت[٢] بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ؛ للعهد الذى كان بينهم وبين الهياطلة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التى كتبها له فيروز ، فرفعها على رُمح وقال : اللهمّ خُذْ بما فى هذا الكتاب . فانهزم فيروز وسها عن ١ / ٨٧٧ موضع الرايات ، وسقط فى الخندق ، فهلك ، وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ودواوينه ، وأصاب جند فارس شىء لم يصبهم مثله قطّ .

وكان بسجستان رجل من أهل كُورة أرْدشير خُرّة من الأعاجم ، ذو علم وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعه جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأغذّ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وآذنه بالحرب ، وتوعّده بالجائحة والبَوار ؛ فبعث إليه إخشنوار جيشًا عظيمًا . فلما التقوْا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدلّين ، فيقال : إنه رمى بعض مَنْ ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عينى فرسه حتى كادت النشّابة تغيب فى رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راكبه ، فاستبقاه وقال له : انصرفْ إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا الفرس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بُهِت وأرسل إلى سوخرا : أن سَلْ حاجتك ، فقال له : حاجتى أن تردّ علىّ الديوان ، وتُطلِق الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان فى يده ، واستنفذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوتَ الأموال التى كانت

---

(١) ت : « مردنوذ » .

(٢) ت : « ونشب » ، س : « وشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنّه غير منصرف إلاّ بها . فلما تبيَّن الجِدّ ؛ افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذِ الأسارى وأخذِ الديوان وارتجاع الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار إلى الأعاجم شرَّفوه وعظَّموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

١/٨٧٨ وهو سوخرا بن ويسابور[١] بن زهان[٢] بن نَرْسِي بن ويسابور بن قارِن ابن كروان بن أبيد بن أوبيد بن تيرُويه[٣] بن كردنك[٤] بن ناور بن طوس ابن نودكا بن منشو[٥] بن نَوْذَر بن مِنُوشِهْر .

وذكر بعضُ أهلِ العلمِ بأخبار الفُرْس من خَبَر فيروز وخبر إخشنوار نحواً مما ذكرت ؛ غير أنّه[٦] ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ، استخلف على مدينة طيسبون[٧] ومدينة بَهُرَسير[٨] — وكانتا محلّة الملوك — سوخرا هذا ، قال : وكان يقال لمرتبته قارن ، وكان يَلِي معهما سجستان. وأنّ فيروز لمّا بلغ منارة كان بَهْرام جور ابتناها فيما بين تُخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛ لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدّي لها ؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألاّ يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز فصفّد[٩] فيها خمسون فيلا وثلثمائة رجل ، فجرّت أمامه جرًّا ، واتّبعها ؛ أراد

١/٨٧٩ بذلك زَعْم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انتهِ يا فيروز عمّا انتهى عنه أسلافك ، ولا تُقْدِم على ما لم يقدِموا عليه . فلم يحفِلْ فيروز بقوله ، ولم تكرثه رسالته ؛ وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربته

---

(١) ل : « سابور » .
(٢) س : « رهان » .
(٣) س : « يرويه » .
(٤) س : « كرديد » .
(٥) س : « منشوا » .
(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « مما قد ذكرت غير أنه » .
(٧) س : « طيستون » ل : « طيسون » .
(٨) ت : « بهردشير » ، ل : « نهرشير » .
(٩) ط : « فصمد ».

ويستكرهها(١) ؛ لأنّ جُلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكايدة ، وأن إخشنوار أمر فحفر خلف عسكره خَندق عَرْضُه عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعًا ، وغُمّىَ بخشب ضعاف ، وألْقى عليه ترابًا ، ثم ارتحل فى جنده ، فمضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره(٢) ، فلم يشكّ فى أنّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب فى جنده فى طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغَذّوا السير ، وكان مسلكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقحمُوا على عَمَايَة(٣) ، فتردّى فيه فيروز وعامّة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلّ شىء فيه ، وأسر موْبذان موبذ ، وصارت فيْروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار فى يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثّة فيروز وجثّة كلّ مَنْ سقط معه فى ذلك الخندق ، فوضعت فى النواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يُباشرها ، فأبت عليه .

وإنّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلادفارس(٤) ، فارتجُّوا له وفزعوا ؛ حتّى إذا استقرّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهّب(٥) وسار فى عظم مَنْ كان قبَلَه من الجند إلى بلاد الهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبرُ مسيره لمحاربته ، فاستعدّ وأقبل متلقّيًا له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومرتبته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ولمرتبته قارن ، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنّ سبيلك فى الأمر الذى قَدِمت له كسبيل فيروز . إذْ لم يعقبه فى كثرة جنوده من محاربته إيّاى إلا الهلكة والبوار ، فلم ينهنِهْ سوخرا قولُ إخشنوار ، ولم يعبَأْ به ، وأمر جنوده فاستعدوا وتسلّحوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدّة إقدامه وحدّة قلبه ، فطلب موادعته وصُلْحه ، ١ / ٨٨٠

(١) ت : « يتكرهها » .
(٢) ت : « معسكره » .
(٣) ط : « غمائه » .
(٤) س : « الفرس » .
(٥) ت : « فاهتم » .

فلم يقبل منه سوخرا صُلْحًا دون أن يصير فى يده كلّ شىء صار عنده من عسكر فيروز . فسلّم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرابطه ونسائه ، وفيهنّ فيروز دخت ، ودفع إليه موبذان موبذ وكلّ أحد كان عنده من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كلّه إلى بلاد الفرس .

واختلف فى مدة[1] ملك فَيْرُوز ؛ فقال بعضهم : كانت ستًّا وعشرين سنة . وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

---

(١) ت : « عمر » .

ذكر ما كان من الأحداث فى أيام يزدجرد بن بهرام وفيروز بين عمّالهما على العرب وأهل اليمن

حُدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدُم الملوك من حِمْيَر فى زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حِمْير وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممّن يخدُم حسّان بن تُبّع عمرو بن حُجْر الكِندىّ ، وكان سيّدَ كِنْدة فى زمانه . فلمّا سار حسّان بن تُبَّع إلى جَديس خلّفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تُبّع أخاه حسّان بن تُبّع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكِندىّ . وكان ذا رأى ونُبْل ؛ وكان ممّا أراد عمرو إكرامَه به وتصغير بنى أخيه حسّان أن زوّجه ابنةَ حسّان بن تُبَّع ، فتكلّمت فى ذلك حِمْير . وكان عندهم من الأحداث التى ابتُلوا بها ؛ لأنّه لم يكن يطمعُ فى التّزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تبّع لعمرو بن حُجْر الحارثَ بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تُبّع عبد كُلال بن مثوّب ؛ وذلك أنّ ولَد حسان كانوا صغاراً ، إلاّ ما كان من تُبّع بن حسان ؛ فإنّ الجنّ استهامته ، فأخذ المُلْكَ عبدُ كُلال بن مثوّب مخافة أن يطمع فى الملك غيرُ أهلِ بيت المملكة ، فوليه بسنٍّ وتجربة وسياسة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النّصرانيّة الأولى ، وكان يُسِرّ ذلك من قومه ، وكان الذى دعاه إليه رجل من غسّان ، قدم عليه من الشأم ، فوثبتْ حمير بالغسانىّ فقتلته ، فرجع تُبّع بن حسان من استهامة الجنّ إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجْم ، وأعقل من تعلّم فى زمانه ، وأكثره حديثاً عما كان قَبْله ، وما يكون فى الزمان بعده . فملَّك تبّع ابن حسان بن تُبّع بن مَلِيكَيْكَرِب بن تُبّع الأقرن ، فهابتْه حِمْير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارثِ بن عمرو بن حُجْر الكندىّ فى جيش عظيم إلى بلاد مَعدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء ، امرأة من النّمِر ، فذهب مُلك

٨٨١/١
٨٨٢/١

آل النعمان ، وملك الحارثُ بن عمرو الكنديّ ما كانوا يملكون .

وقالَ هشام[1] : ملك بعد النعمان ابنُه المنذر بن النعمان وأمّه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغسّانىّ أربعًا وأربعين سنة؛ من ذلك فى زمن بَهْرام جور بن يزْدَجِرد ثمانى سنين وتسعة أشهر ، وفى زمن يزْدَجرد بن بهرام ثمانىَ عشرة سنة . وفى زمن فيروز بن يزْدَجرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنُه الأسود بن المنذر ، وأمّه هرّ ابنة النّعمان من بنى الهيجُمانة ، ابنة عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان ، وهو الذى أسرتْه فارس عشرين سنة ؛ من ذلك فى زمن فَيْروز بن يزْدَجرد عشر سنين ، وفى زمن بلاش بن يزْدجرد أربع سنين ، وفى زمن قُباذ بن فيروز ، ستّ سنين .

* * *

[ذكرُ ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزْدجرد ابنه بَلاش بن فيروز بن يزْدَجرد ابن بهرام جور ، وكان قُباذ أخوه قد نازعه المُلك ، فغلب[2] بَلاش ، وهرب قُباذ إلى خاقان ملك التُّرك يسأله المعونة والمدد ، فلما عُقِد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنئوه ودعوْا له ، وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه ، فخصّه وأكرمه وحبَاه ، ولم يزل بَلاش حسنَ السيرة ، حريصًا على العمارة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أنّ بيتًا خرب وجَلاَ أهلُه عنه إلاّ عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسدّ فاقتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبنى بالسّواد مدينة سمّاها بلاشاواذ ، وهى مدينة ساباط التى بقرب المدائن .

وكان ملكه أربع سنين .

* * *

[ذكرُ ملك قباذ بن فيروز]

ثم ملك قباذ بن فيروز بن يزْدَجرد بن بهرامَ جور ، وكان قباذُ قبل أن يصير المُلْك إليه قد سار إلى خاقان مستنصرًا به على أخيه بَلاش ، فمرّ فى طريقه بحدود

١ / ٨٨٣

(١) س : « غير هشام » . (٢) س : « فغلبه » .

نَيْسابور، ومعه جماعة يسيرة ممّن شايعه على الشخوص متنكّرين، وفيهم زَرْمِهِر بن سوخرا، فتاقتْ نفسُ قباذ إلى الجماع، فشكا ذلك إلى زَرْمِهِر، وسأله أن يلتمسَ له امرأة ذاتَ حَسَب، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحبِ منزله، وكان رجلا من الأساورة، وكانت له ابنة بِكْر فائقة فى الجمال، فتنصّح لها فى ابنتها، وأشار[1] عليها أن تبعثَ بها إلى قُباذ، فأعلمتْ ذلك زوجَها؛ ولم يزل زَرْمِهِرُ يُرغّبُ المرأةَ وزوجَها؛ ويشير عليهما بما يرغّبهما فيه حتى فعَلا، وصارت الابنةُ إلى قباذَ، واسمُها نيونْدُخْت[2]، فغشيَها قباذ فى تلك الليلة، فحملَت بأنو شِرْوانَ، فأمر لها بجائزة حسنة، وحباها حِباءً جزيلاً. ١/٨٨٤

وقيل: إنّ أمّ تلك الجارية سألتْها عن هيئةِ قُباذ وحالِه، فأعلمتْها أنّها لاتعرفُ من ذلك غير أنها رأتْ سراويله منسوجًا بالذهب، فعلِمتْ أمُّها أنه من أبناء الملوك وسرَّها ذلك. ومضى قُباذ إلى خاقان، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابنُ ملكِ فارسَ، وأن أخاه ضادّه فى المُلك وغلبه، وأنه أتاه يستنصره فوعَده أحسنَ العِدَة، ومكث قُباذ عند خاقانَ أربعَ سنين يدافعه بما وعده. فلمّا طال الأمرُ على قُباذَ أرسل إلى امرأةِ خاقانَ يسألُها أن تتّخذه ولداً، وأن تُكلّمَ فيه زوجَها، وتسأله إنجاز عِدتِه ففعلت، ولم تزل تحمِلُ على خاقانَ حتى وَجّه مع قُباذ جيشًا، فلمّا انصرف قباذ بذلك الجيشِ؛ وصارَ فى ناحية نيسابور سألَ الرَّجلَ الذى كان أتاه بالجارية عن أمرها، فاستخبر ذلك من أمّها، فأخبرته أنها قدْ ولدتْ غلامًا، فأمر قُباذ أنْ يُؤْتَى بها، فأتته ومعها أنو شروانُ تقوده بيدها. فلما دخلت عليه سألها عن قصّة الغلام، فأخبرتْه أنه ابنُه، وإذا هو قد نَزَع إليه فى صورته وجماله.

ويقال: إنّ الخبر ورد عليه فى ذلك الموضع بهلاك بَلاش، فتيمّن بالمولود، وأمر بحمله وحَمْلِ أمّه على مراكب نساءِ الملوك، فلما صار إلى المدائن[3]،

(١) ت: «وسألها».
(٢) ت: «بيوبذخت»، س: «بيوندخت».
(٣) س: «بالمدائن».

١/٨٨٥ واستوثق له أمرُ المُلْكِ خصَّ سوخرا، وفوّض إليه أمرَه ، وشكرَ له ما كان من خدمة ابنه إيّاه، ووجّه الجنودَ إلى الأطراف ، ففتكوا فى الأعداء ، وسبَوْا سبايا كثيرةً ، وبنى بين الأهواز وفارس مدينةَ الرّجان ، وبنى أيضًا مدينةَ حُلوانَ ، وبنى بكورة أردشير خرّة فى ناحية كازَرين[1] مدينة يقال لها قباذ خرّة ، وذلك سوى مدائنَ وقرًى أنشأها ، وسوَى أنهار احتفرها ، وجسورٍ عقدها .
فلما مضت أكثرُ أيامه ، وتولى سوخرا تدبيرَ مُلكه وسياسةَ أموره مال الناس عليه ، وعاملوه واستخفّوا بقُباذ ، وتهاونُوا بأمره ، فلما احتنَك لم يحتملْ ذلك ، ولم يرضَ به ، وكتب إلى سابورَ الرازىّ — الذى يقال للبيت الذى هو منه مِهْران ، وكان إصْبَهْبذ البلاد — فى القدوم عليه فيمن قبَله من الجند ، فقدِم سابور بهم عليه ، فواصفه قباذ حالةَ سوخرا ، وأمره بأمْرِه فيه ، فغدا سابورُ على قباذ فوجد عنده سوخرا جالسًا ، فمشى نحوَ قباذ متجاوزاً له متغافلاً[2] لسوخرا ، فلم يأبَهْ سوخرا لذلك من أرب سابور ، حتى ألقى وهَقاً[3] كان معه فى عنقه ، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السِّجن ، فحينئذٍ قيل : « نقصت ريحُ سوخرا وهبَّتْ لمهْران ريحٌ[4] » ، وذهب ذلك مثلا . وإنّ قباذَ أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقُتِل ، وإنه لمّا مضى لمُلْك قباذ عشرُ سنين اجتمعتْ كلمةُ مَوْبذان مَوْبذ والعظماء على إزالته عن ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، لمتابعته[5] لرجل يقال له مَزْدَك مع أصحاب له قالوا : إن الله إنما جعل الأرزاق فى الأرض
١/٨٨٦ ليقسّمها العبادُ بينهم بالتّآسى ، ولكنّ الناسَ تظالموا فيها ، وزعموا أنّهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردّون من المُكثرين على المقلّين ، وأنه منْ كان عنده فضلٌ من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره ، فافترَص السِّفلةُ ذلك واغتنموه ، وكانفوا[6] مزدك وأصحابه وشايعوهم ، فابتُلىَ الناس بهم ، وقوىَ أمرُهم حتى كانوا يدخلون على الرّجل فى داره فيغلبونه على منزله

(١) س : « كازرون » . ت : « كارون » .
(٢) س : « متغفلا » .
(٣) الوهق : الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابّة أو الإنسان حتى يؤخذ .
(٤) ت : « وهبت ريح بهرام » .
(٥) ت : « لمبايعته » .
(٦) المكانفة : المعاونة .

ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناعَ منهم ، وحملوا قُباذ على تزيين ذلك وتوعّدوه بخلْعه ،فلم يلبثوا إلاّ قليلا حتى صاروا لا يعرفُ الرجلُ منهم ولدَه ، ولا المولودُ أباه ،ولا يملك الرجلُ شيئًا ممّا يتّسع به . وصيَّروا قباذَ فى مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخًا له يُقال له جاماسب مكانَه ، وقالوا لقباذ : إنّك قد أثِمْتَ فيما عملت به فيما مضى ، وليس يطهّرك من ذلك إلا إباحةُ نسائك ، وأرادوه على أن يدفعَ إليهم نفسَه فيذبحوه ويجعلوه قُربانًا للنّار ، فلما رأى ذلك زَرْمِهر بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلا نفسَه، فقتلَ من المَزْدكيّة ناسًا كثيراً، وأعاد قُباذ إلى مُلْكه ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المَزْدكيّة بعد ذلك إنما يُحرّشون قباذ على زَرْمِهر حتى قتله ، ولم يزل قُباذ من خيار ملوكهم حتى حمله مَزْدك على ما حمله عليه ؛ فانتَشرت [1] الأطرافُ وفسدت الثغور .

* * *

وذكر بعضُ أهلِ العلم بأخبار الفُرس أنّ العظماءَ من الفرس هم حبسوا قباذ حين اتّبع مزدكَ وشايعه على ما دعاه اليه من أمره ، وملّكوا مكانه أخاه جاماسب بنَ فيروز ، وأن أختًا لقُباذ أتَت الحبسَ الذى كان فيه قُباذُ محبوسًا ، فحاولت الدخولَ عليه[2] ، فمنعها إياه الرجلُ الموكّل كان بالحبس ومَنْ فيه ، وطمع الرجل أن يفضَحَها بذلك السبب ، وألقى إليها طمعَه فيها ، فأخبرتْه أنها غيرُ مخالِفته فى شىء مما يَهوَى منها ،فأذِن لها فدخلت السجنَ فأقامت عند قباذَ يومًا ، وأمرت فَلُفَّ قباذُ فى بساط من البُسُط التى كانت معه فى الحبس ، وحُمِلَ على غلام من غلمانه قوىٍّ ضابط ، وأُخرِجَ من الحبس . فلما مرَّ الغلامُ بوالى الحبس سأله عمّا كان حاملَه فأفْحِم، واتّبعته أختُ قباذ فأخبرته أنه فِراشٌ كانت افترشته فى عِراكها ، وأنّها إنما خرجت لتتَطَهّر وتنصرفَ ؛ فصدّقَها الرجلُ ولم يمسّ البساطَ ، ولم يَدْنُ منه استقذاراً له ، وخلّى عن الغلام الحامل لقباذ، فمضى بقباذَ ومضتْ على أثره . وهرَب قباذُ فلحِق بأرض الهياطِلة ليستمدّ ملِكَها ويستجيشَه فيُحاربَ

١/٨٨٧

(١) انتشرت الأطراف ، أى تفرق أمر الناس فيها .

(٢) س : « إليه » .

من خالفه وخلعه . وأنه نزل فى مبدئه[١] إليها بأبرشهر رجل من عظماء أهلها، له ابنةٌ مُعْصِر[٢] ، وأنَّ نِكاحَه أمَّ كسرى أنو شروان كان فى سفره[٣] هذا ، وأنّ قباذَ رجع من سفره ذلك معه ابنُه أنوشِروانُ وأمّه ، فغَلَبَ أخاه جاماسب على مُلْكِه بعد أن مَلَكَ أخوه جاماسب ستَّ سنين ، وأنَّ قباذ غزا بعد ذلك بلادَ الروم ، وافتتَحَ منها مدينةً من مُدُن الجزيرة تُدْعَى آمِد ، وسَبَى أهلَها ، وأمر فبُنِيَتْ فى حدّ ما بين فارسَ وأرض الأهواز مدينة، وسمَّاها رامقباذ[٤] ،وهى التى تُسمَّى بو مقباذ[٥] ،وتُدْعى أيضًا أرّجان ١/٨٨٨ وكوّر كورة ، وجَعل لها رساتيق من كورة سرَق، كورة رام هُرْمز ، ومَلَّك قباذُ ابنَه كسرى ، وكتب له بذلك كتابًا وختمه بخاتمه .

فلما هلك قباذُ — وكان مُلْكهُ بسنى[٦] مُلْكِ أخيه جاماسب : ثلاثًا وأربعين سنة — فنفَّذ كسرى ما أمر به قباذ من ذلك .

---

(١) الأصول : « مبداه » .

(٢) المعصر : البنت التى بلغت شبابها ، وفى س : « محصن » .

(٣) ت : « سيره » .

(٤) ط : « رام قباذ » ، وما أثبته من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « برمقباذ » ، وانظر تصويبات ط .

(٦) ت : « كسنى » .

ذكر ما كان من الحوادث التى كانت بين العرب في أيام قُباذ فى مملكته وبين عمّاله

وحُدِّثتُ عن هشامِ بن محمد، قال: لمّا لقى الحارثُ بن عمرو بن حُجْر ابن عدىٍّ الكِندىّ النعمانَ بنَ المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأفلته المنذرُ بنُ النعمانِ الأكبرِ، وملكَ الحارثُ بن عمرو الكندىُّ ما كان يملك، بعث قُباذُ بن فيروز ملكُ فارس إلى الحارثِ بن عمرو الكندىّ: إنّه قد كان بيننا وبين الملك الذى قد كان قَبْلك عهدٌ، وإنى أحبّ أن ألقاك.

وكان قُباذُ زنديقًا يُظْهِرُ الخيرَ ويَكْره الدّماء، ويدارى أعداءه فيما يكرَه من سفك الدماء، وكثُرتِ الأهواءُ فى زمانه، واستضعفه الناسُ، فخرج إليه الحارثُ بنُ عمرو الكندىّ فى عَدد وعُدّة حتى التقَوْا بقنطرة الفَيّوم، فأمر قُباذ بطبَق من تمر فنُزِع نواه، وأمر بطبق فجُعِل فيه تمر فيه نواه، ثم وُضِعا بين أيديهما، فجعل الذى فيه النّوى يلى الحارثَ بنَ عمرو، والذى لا نوى فيه يلى قُباذ. فجعل الحارثُ يأكل التّمرَ ويُلْقى النّوى، وجعل قباذ يأكلُ ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكلُ مثل[3] ما آكل! فقال: [له الحارث][4]: إنما يأكلُ النوى إبلُنا وغنمُنا. وعلم أنّ قباذ يهزأ به، ثم اصطلحا على أن يُوردَ الحارثُ بنُ عمرو ومَنْ أحبّ من أصحابه خيولَهم الفراتَ إلى ألبابها[5]، ولا يجاوزوا أكثرَ من ذلك. فلما رأى الحارثُ ما عليه قباذُ من الضّعف طمِع فى السَّواد، فأمر أصحابَ مسالحه أن يقْطعوا الفراتَ فيُغيروا فى السواد، فأتى قباذَ الصريخُ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنَف مُلْكِهم. ثم أرسل إلى الحارثِ بن عمرو أنّ لصوصًا من لصوص

١/٨٨٩

---

(١) ط: «ما ذكر»، وما أثبته عن ت.
(٢) ت: «من».
(٣) ت: «كما آكل».
(٤) تكملة من ت.
(٥) الألباب: جمع لبب، وهو المنحر.

العربِ قد أغاروا ، وأنّه يحبُّ لقاءه . فلقيَه ، فقال له قُباذ : لقد صنعت صنيعًا ما صنعه أحد قبلَك ، فقال له الحارثُ : ما فعلتُ ولا شعرتُ ، ولكنها لصوصٌ من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبطَ العربِ إلاّ بالمال والجنود ، قال له قباذ : فما الذى تريد ؟ قال : أريدُ أن تُطْعِمَنى من السَّواد ما أتّخذُ به سلاحًا ، فأمرَ له بما يلى جانبَ العرب من أسفلِ الفرات ، وهى ستّةُ طساسيج[1] ، فأرسل الحارثُ بنُ عمرو الكندىُّ إلى تُبَّعٍ وهو باليمن : إنّى قد طمعت فى مَلِكِ الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستةَ طساسيجَ ، فاجْمع الجنودَ وأقبلْ فإنه ليسَ دون مَلِكهم شىءٌ لأن الملكَ [عليهم][2] لايأكلُ اللحمَ ، ولايستحلُّ هراقة الدّماء لأنه زنديق . فجمع تُبَّعٌ الجنودَ ، وسار حتّى نزل الحيرةَ وقرُبَ

١/ ٨٩٠ من الفُرات ، فآذاه البقُّ ، فأمر الحارث بن عمرو أن يَشُقَّ له نهراً إلى النَّجف ففعل ، وهو نهرُ الحيرة . فنزل عليه ووجّه ابنَ أخيه شَمِراً ذا الجناح إلى قباذ ، فقاتله فهزمه شمرٌ حتّى لحق بالرىّ ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تبّعٌ شمِراً ذا الجناح إلى خُراسانَ ، ووجّه تبّع ابنَه حسان إلى الصُّغْد ، وقال : أيُّكما سبقَ إلى الصين فهو عليها . وكان كلّ واحد منهما فى جيشٍ عظيم ؛ يقال : كانا فى ستّمائة ألفٍ وأربعين ألفًا . وبعث ابن أخيه يعفُر إلى الرُّوم ، وهو الذى يقول :

أيا صاحِ عُجْبُكَ للداهيَهْ ... لحِمْيَرَ إذْ نزلوا الجابيَهْ !

ثمانون ألفًا رَواياهُمُو ... لكلّ ثمانيةٍ راويَهْ

فسار يعفُر حتّى أتى القسطنطينيّة ، فأعطَوْه الطاعةَ والإتاوة ، ثم مضى إلى روميَةَ[3] وبينهما مسيرةُ أربعةِ أشهر ، فحاصرها وأصاب مَنْ معه جوعٌ ، ووقع فيهم طاعونٌ فرَقُّوا ، فأبصرهم الرومُ وما لَقُوا ، فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فلم يُفْلِتْ منهم أحدٌ . وسار شمِرٌ ذو الجناح حتّى أتى سَمَرْقَنْد ، فحاصرها

---

(١) طساسيج : جمع طسوج ؛ وهو الناحية .

(٢) تكملة من ت .

(٣) ت « الرميه » .

فلم يَظْفَرْ بشيء منها . فلمّا رأى ذلك أطاف بالحرَس ، حتى أخذ رجلا من أهلها ؛فسأله عن المدينة ومَلِكها ،فقال له : أمّا ملكُها فأحمقُ الناسِ ، ليس له همّ إلا الشرابُ والأكلُ ، وله ابنة وهى التى تقضى أمرَ الناس . فبعث معه بهديّة إليها ، فقال له : أخبرْها أنّى إنما جئتُ من أرض العربِ للذى بلغنى من عَقْلها لتُنْكِحَنى نفسَها ؛فأصيبَ منها غلامًا يملِكُ العجمَ والعرب ، وأنى لم أجئ ألتمس المالَ ، وأنّ معى أربعةَ آلافِ تابوتٍ من ذهب وفضة هاهنا ، فأنا أدفعُها إليها ، وأمضى إلى الصين ، فإن كانت الأرض لى كانت امرأتى ، وإن هَلَكتُ كان ذلك المالُ لها . فلما أنهيت [١] إليها رسالته قالت : قد أجبتُه فلْيبعَثْ بما ذَكر ، فأرسل إليها أربعةَ آلافِ تابوت، فى كلّ تابوتٍ رجلان ،فكان لسمرْقَنْد أربعةُ أبوابٍ على كل بابٍ منها أربعةُ آلاف رجل، وجعل العلامةَ بينه وبينهم أنْ يضربَ لهم بالجُلجُل. وتقدّمَ فى ذلك إلى رُسُله الذين وَجّه معهم ، فلما صاروا فى المدينة ضربَ لهم بالجلجل فخرجوا ، فأخذوا بالأبوابِ، ونهد شمِر فى الناس؛فدخل المدينة فقتلَ أهلَها وحوَى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زحُوفَ الترك فهزَمهم ، ومضى إلى الصّين فوجد حسّانَ بن تُبّع قد كان سبقه إليها بثلاث سنين ، فأقاما بها — فيما ذكَر بعضُ الناس — حتى ماتا . وكان مُقَامُهما إحدى وعشرين سنة .

قال : وقال مَنْ زعم أنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تُبّعًا جعل النار فيما بينه وبينهم ،فكان إذا حدثَ حدَثٌ أوقدوا النارَ بالليل ، فأتى الخبر فى ليلة ، وجعل آيةَ ما بينه وبينهم أنْ إذا أوقدتُ نارين مِنْ عندى فهو هلاكُ يعفُر ، وإن أوقدتُ ثلاثًا فهو هلاك تُبّع ، وإن كانت مِنْ عندهم نارٌ فهو هلاك حسّان ، وإن كانت نارين فهو هلاكهما . فكثوا بذلك .

ثم إنه أوقد نارين فكان هلاكُ يعفُر ، ثم أوقد ثلاثًا فكان هلاكُ تبّع .

قال : وأما الحديثُ المجتمعُ عليه فإنّ شَمِراً وحسانَ انصرفا فى الطريق الذى كانا أخذا فيه حيث بدآ ، حتى قدِما على تُبّع بما حازا من الأموالِ بالصين ، وصنوف

١/٨٩١ ١/٨٩٢

---

(١) ت « انتهت ».

الجوهر[١] والطِّيب والسَّبى ، ثم انصرفوا جميعًا إلى بلادهم ، وسار[٢] تُبَّع حتى قدم مكّةَ ، فنزل بالشِّعب من المطابخ[٣] ، وكانت وفاةُ تُبَّع باليمن ، فلم يخرج أحدٌ من ملوكِ اليمن بعدهُ عنها غازيًا إلى شيء من البلاد ، وكان مُلْكه مائةً وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل فى دين اليهود للأحبار الذين كانوا خرجوا من يثربَ مع تُبَّع إلى مكّةَ عِدّةٌ كثيرة .

قال : ويقولون : إن عِلْم كعبِ الأحبارِ كان من بقية ما أورثَتْ تلك الأحبارُ ، وكان كعبُ الأحبار رجلاً من حميَر .

وأما ابنُ إسحاق فإنّه ذكر أنّ الذى سار إلى المشرق من التبابعةِ تُبَّع الآخرُ ، وأنه تبَّع تُبّان أسعد أبو كرب بن ملِيكيكرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار ، وهو أبو حسّان ، حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه .

* * *

[ذكر ملك كسرى أنو شِرْوان]

ثم ملك كِسْرَى أنُو شِرْوان بن قُباذَ بن فيروزَ بن يَزْدَجِرْد بن بَهْرام جور . فلما ملَك كتب إلى أربعة فاذوسبانين — كان كلٌّ واحدٍ منهم على ناحية من نواحى بلاد فارس ومَنْ قِبَلهم — كُتُبًا نُسخةُ كتابه منها إلى فاذوسبان أذرَبيجان : بسم الله الرحمن الرحيم : من الملك كسرى بن قُباذ إلى وارى ابن النَّخير جان فاذوسبان أذرَبيجان وأرمينيَةوحَيِّزِها ، ودُنباوَنْد وطبَرِسْتان وحيِّزها ، ومَنْ قِبلَه : سلام ، فإنّ أحْرَى ما استوحشَ له الناسُ فَقْدُ مَن تخوَّفُوا فى فَقْدِهم إيّاه زوالَ النِّعم ووقوعَ الفِتَنِ ، وحُلولَ المكاره بالأفضلِ فالأفضلِ منهم ، فى نفسِه أوحشمِه أومالِه أو كريمِه ، وإنّا لا نعلم

٨٩٣/١

(١) س : « الجواهر » .
(٢) ت : « ثم سار » .
(٣) المطابخ : موضع بمكة ، ذكره ياقوت ، وقال : « مذكور فى قصة تبع » .

وَحشةً ولا فقدَ شيء أجلَّ رزيئةً عند العامّة ، ولا أحرى أن تعمَّ به البليّةُ من فقد ملكٍ صالح .

وإنّ كسرى لما استحكم له المُلْك أبطلَ ملّة رجلٍ منافقٍ من أهل فَسا يقال له : « زرادُشت[1] بن خُرّكان » ابتدعَها فى المجوسيّة ، فتابعه الناسُ على بدعته تلك ، وفاق أمرُه فيها ، وكان ممّن دعا العامةَ إليها رجلٌ من أهل مذرية[2] يُقالُ له : « مزدق بن بامداذ[3] » ، وكان ممّا أمرَ به الناسَ وزيّنه لهم وحثّهم عليه ، التآسى فى أموالهم وأهليهم ، وذَكَر أن ذلك من البرّ الذى يَرْضاه الله ويُثيبُ عليه أحسنَ الثّوابَ ، وأنّه لو لم يكنْ الذى أمرهم به ، وحثّهم عليه من الدّين كان مَكْرُمةً فى الفَعال ، ورضًا فى التفاوض . فحضّ بذلك السِّفْلةَ على العِلْية ، واختلطَ له أجناسُ اللؤماءِ بعناصرِ الكُرَماءِ ، وسهّل السبيل[4] للغصَبَة إلى الغصب ، وللظّلمَة إلى الظُّلم ، وللعُهّارِ إلى قضاء نَهْمَتهم ، والوصولِ إلى الكرائم اللّاتى لم يكونوا يطمعون فيهنّ ، وشمِل الناسَ بلاءٌ عظيمٌ لم يكن لهم عهدٌ بمثله . فنهى الناسُ كسرى عن السِّيرة بشيء مما ابتدع زراد شتُ[5] خُرّكان ، ومزدقُ بن بامداذ[6] ، وأبطلَ بدعتهما ، وقتَلَ بشراً كثيراً ثبتُوا عليها ، ولم ينتهُوا عمّا نهاهم عنه منها ، وقومًا من المنانيّة ،[7] وثبّتَ للمجوس ملّتهم التى لم يزالوا عليها .

١ / ٨٩٤

وكان يلى الإصْبَهْبَذة — وهى الرياسةُ على الجنود — قَبْلَ مُلْكه رجلٌ ، وكان إليه إصْبهبَذة البلادِ ، ففرّق كسرى هذه الولايةَ والمرتبة بينَ أربعة إصْبَهذين ، منهم أصبَهذ المشرق وهو خراسانُ وما والاها ، وأصبهَذ المغرب ، وأصبَهذ نيمروز ؛ وهى بلادُ اليمنِ ، وأصبهَذ أذْرَبيجان وما والاها ، وهى

---

(١) س : « رزدشت » .
(٢) ت : « مدرية » .
(٣) ت : « بامارد » .
(٤) س : « السبل » .
(٥) س : « زردشت » .
(٦) ت : « بامازد » .
(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المانوية » .

بلادُ الخزر ، [وما والاها] [1]؛ لما رأى فى ذلك من النظام لمملكته، وقوّى المقاتلةَ بالأسلحة والكُراع ، وارتجع بلاداً كانت من مملكة فارسَ ، خرج بعضُها من يد الملك قُبَاذ إلى ملوك الأمم لعلل شتّى وأسباب ، منها السِّند ، وبُسْت ، والرُّخّج ، وزابُلستان ، وطَخارستان ، ودَرْدِستان ، وكابُلستان ، وأعظمَ القتلَ فى أمّةٍ يقالُ لها البارز ، [2] وأجلَى بقيّتهم عن بلادهم ، وأسكنهم مواضعَ من بلاد مملكته ، وأذعنوا له بالعبوديّة ، واستعانَ بهم فى حروبه ، وأمر فأسِرَتْ أمّةٌ أخرى ، يقال لها صُول ، وقَدِمَ بهم عليه ، وأمر بهم فقُتِلوا ، ما خلا ثمانينَ رجلا من كُماتِهم استحياهم ، وأمرَ بإنزالهم شهرام فيروز ، يستعينُ بهم فى حروبه . ٨٩٥/١

وإن أمّةً يقال لها أبخز ، وأمةً يقال لها بنجر، وأمة يقال لها بلنجر ، وأمّةً يقال لها ألآن، تمالئوا على غزْو بلاده ، وأقبلوا إلى أرمينيةَ ليُغيروا على أهلها ، وكان مَسْلَكُهم إليها يومئذ سهلاً مُمْكناً ، فأغضى كسرى على ما كان منهم ، حتى إذا تمكّنوا فى بلاده وجّه إليهم جنوداً، فقاتلوهم واصْطَلموهم ما خلا عَشْرةَ آلاف رجلٍ منهم أسِروا ، فأسْكنوا أذْرَبيجان وما والاها ، وكان الملكُ فيروزُ بنى فى ناحيةِ صول وألآن بناءً بصخْرٍ أراده [3] أن يحصّن بلادَه عن تناول تلك الأمم إيّاها ، وأحدثَ الملكُ قباذُ بن فيروز من بَعْدِ أبيه فى تلك المواطن بناءً كثيراً ، حتى إذا ملك كسرى أمرَ فبُنِيتْ فى ناحية صول بصخرٍ منحوت فى ناحية جرجانَ مدنٌ وحصونٌ وآكامٌ وبنيانٌ كثيرٌ ، ليكونَ حِرْزاً لأهلِ بلادِه يلجئون إليها من عدوٍّ إن دَهمهم .

وإنَّ سِنْجِبُوا خاقانَ كان أمنعَ الترك وأشجعهَم ، وأعزَّهم وأكثرَهم جنوداً ، وهو الذى قاتلَ وزر [4] مَلِكَ الهياطلة غيرَ خائف كثْرةَ الهياطلة ومَنعتَهم ، فقتلَ وزرَ مَلِكها وعامةَ جنوده ، وغنِم أموالهَم ، واحتوى على

---

(١) تكملة من ت .
(٢) الأصول : « البازر » .
(٣) ت : « أراد » .
(٤) ت : « دوز » .

بلادِهم إلاّ ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ؛ فمنحوه طاعتَهم وأعلموه أنّ ملوكَ فارس لم يزالوا يتّقونهم بفداء يكفّونهم[1] به عن غزو بلادهم ، وإنّه أقبل فى مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارفَ ما والى بلادَ صُولَ ؛ وأرسلَ إلى كسرى فى توعّدٍ منه إياه واستطالة عليه ، أن يبْعثَ إليه بأموال ، وإلى أبخز وبنجر وبلنْجر بالفداء الذى كانوا يعطونه إيّاه قبْلَ مُلْك كسرى ، وأنّه إنْ لم يُعجِّلْ بالبَعْثة إليه بما سأل وطئ بلاده وناجزَه . فلم يحفل كسرى بوعيده ، ولم يُجبْه إلى شىء مما سأله لتحصينه كان ناحيةَ باب[2] صول ، ومناعةِ السُّبلِ والفجاج التى كان سنْجبُوا خاقان سالكَها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضَبْطِ ثغرِ أرمينيَة بخمسة آلاف مقاتلٍ من الفُرسان والرَّجّالة .

٨٩٦/١

فبلغ سنجبوا خاقان تحصينُ كسرى ثغر صول ، فانصرف بمنْ كان معه إلى بلاده خائبًا ،ولم يقدرْ مَنْ كان بإزاء جرجان من العدُوّ ــ للحصون التى كان أمر كسرى فبُنيتْ حواليْها ــ أن يشنُّوها بغارة ، ويغْلبوا عليها ، وكان كسْرى أنوشروان قد عرف الناسُ منه فضْلاً فى رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عُقِد التّاجُ على رأسه دخل إليه العظماءُ والأشرافُ فاجتهدوا فى الدعاء له ، فلما قضَوْا مقالتَهم ، قام خطيبًا ، فبدأ بذكر نعَم الله على خلْقه عند خلْقه إياهم ، وتوكُّله بتدبير أمورِهم ، وتقدير الأقوات والمعايشِ لهم ، ولم يدَعْ شيئًا إلاّ ذكره فى خطبته ، ثم أعلم الناسَ ما ابتُلُوا به من ضَياع أمورِهم ، وامّحاءِ دينهم ، وفسادِ حالهم فى أولادهم ومعاشِهم ، وأعلمَهُم أنه ناظرٌ فيما يُصْلِح ذلك ويَحْسِمُه ، وحثَّ الناسَ على معاونته .

٨٩٧/١

ثم أمر برءوس المزدكيّة فضُربتْ أعناقهم ، وقُسِّمت أموالهم فى أهل الحاجة ، وقَتلَ جماعةً كثيرةً ممّن كان دخل على الناس فى أموالهم ، وردّ الأموالَ إلى أهلها ، وأمر بكلّ مولودٍ اختُلِف فيه عنده أن يُلْحقَ بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « ويكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرفْ أبوُه ، وأنْ يُعطَى نصيبًا من مال الرجل الذى يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلّ امرأة غـُلبتْ على نفسها أن يُؤخذَ الغالبُ لها حتى يغرمَ لها مهرَهَا ، وبرضَى أهلها . ثم تـُخيـّر المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلاّ أن يكون كان لها زوج أوّل ، فتـُرَدّ إليه . وأمر بكلّ من كان أضرّ برجل فى ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يُؤخذ منه الحقّ ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جـُرْمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قيّمهم فكـُتبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم ، وأغناهم ، وأمرهم بملازمة بابه ليستعان بهم فى أعماله ، وخيّر نساء والده بين أن يُقِمْن مع نسائه فيواسَيْن ويَصرْن فى الأجر إلى أمثالهنّ ، أو يبتغى لهنّ أكفاءهنّ من البعولة . وأمر بكَرْى الأنهار ، وحفر القُنىّ وإسلاف[1] أصحاب العمارات وتقويتهم ، وأمر بإعادة كلّ جسْر قطع أو قنطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يردّ ذلك إلى أحسن ماكان عليه من الصلاح ، وتفقّد الأساورة ، فمن لم يكن له منهم يَسار قوّاه بالدوابّ والعدّة ، وأجرى لهم ما يُقَوِّيهم ووكّل ببيوت النيران ، وسهّل سبل الناس ، وبنى فى الطرق القصور والحصون ، وتخيّر الحكام والعمّال والولاة ، وتقدّم إلى مَنْ وَلِىَ منهم أبلغ التقدّم ، وعمد إلى سِيَر أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحَمَل الناس عليها ، فلما استوثق له المُلْك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكيَةَ بعد سنين من مُلْكه ، وكان فيها عظماء جنود قَيْصر ، فافتتحها . ثم أمر أن تُصَوّر له مدينة أنطاكيَة على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جَنْب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالروميّة على صورة أنطاكيَة ، ثم حمل أهل أنطاكِيَة حتى أسكنهم إياها .

١/٨٩٨

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهلُ كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكيَة ؛ كأنّهم لم يخرجوا عنها .

ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها ، ثم الإسكندرية ومادونها ، وخلّف طائفة من

---

(١) إسلافهم : إقراضهم .

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له[1] قَيْصر وحمل إليه الفدية ، ثمّ انصرف من الروم ، فأخذ نحو الخَزر فأدرك فيهم تَبْلَه ، وما كانوا وتروه به فى رعيّته . ثم انصرف نحو عَدَن ، فسَكَّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلى أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقلة من بلاد الروم وأرمينيَة ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عَدَن .

١ / ٨٩٩

وملّك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام فى ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطلة مطالبًا بوَتْر فيروز جدّه — وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك — فكتب إليه قبل شخوصه يُعلمه ما عزّم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطلة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوز بلْخ وما وراءها ، وأنزل جنوده فَرْغانة . ثم انصرف من خُراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده فى جند من أهل الدّيْلم وما يليها ، فقتلوا مسروقًا الحبشِىّ باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفَّراً منصوراً تهابه جميعُ الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والخَزر ونظرائهم ، وكان مكرِمًا للعلماء .

* * *

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبى صلّى الله عليه وسلّم فى آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعًا وأربعين سنة . قال : وفى زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى سنة اثنتين وأربعين من سُلْطانه ..

(١) ت : « إليه » .

قال هشام: لما قوىَ شأن أنوشِرْوان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر – وأمّه ماء السماء امرأة من النَّمِر [١] – فملّكه الحيرة وما كان يلى آلُ الحارث بن عمرو ، آكل المُرار . فلم يزل على ذلك حتى هلك . ١/٩٠٠

قال : وأنوشرْوان غزا بَرُزْجان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العربَ من قِبَل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان – وأمّه هِرّ ابنة النعمان – سبعَ سنين .

ثم ملَك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر – وأمّه أم الملك ابنةَ عمرو بن حُجْر أخت الحارث بن عمرو الكِندىّ – أربع سنين .

ثم استخلف أبو يعفُر بن علقمة بن مالك بن عدىّ بن الذميل بن ثور ابن أسَس بن ربى [٢] بن نُمارة بن لَخمْ ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء – وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سمّى بذلك لضفيرتين [٣] كانتا له من شعره ، وأمّه ماء السماء ، وهى مارية ابنةُ عَوْف ابن جُشَم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضيحان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِر بن قاسط ؛ فكان جميع مُلكه تسعاً وأربعين سنة .

ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر – وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار – ست عشرة سنة .

قال : ولثمانى سنين وثمانية أشهر [٤] من مُلْك عمرو بن هند ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وذلك فى زمن أنوشِروان وعام الفيل الذى غزا فيه الأشرمُ أبو يكسوم البيت .

---

(١) س ، ر : « اليمن » .
(٢) س : « أربى » .
(٣) ط : « لضفرين كانا » ؛ وما أثبته من س ، ل .
(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقيّة خبر تُبّع أيام قُباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إياهم إليها

حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تُبّع الآخر وهو تُبّان أسعد أبو كَرِب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها في بدءته لم يُهِج أهلها، وخلّف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غِيلة، فقدمها وهو مُجمع لإخرابها، واستئصال أهلها وقَطع نخلها؛ فجمع له هذا الحيّ من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة، أحد بني النجّار، ثم أحد بني عمرو بن مبذول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تُبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم -من بني عديّ بن النجار يقال له أحمر- رجلا من أصحاب تُبّع، وجده في عَذْق[1] له يجُدّه، فضربه بمِنْجله فقتله، وقال: إنما الثمرُ لمن أبّرَه[2]، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تُبّعًا عليهم حنَقًا.

فبينا تُبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاتلونه - قال: فتزعُمُ الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونه بالليل فيُعجبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إنّ قومَنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنّك إن أبيتَ إلّا ما تريد حِيلَ بينك وبينها، ولم نأمنْ عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولِمَ ذاك؟ فقالا: هي مهاجَر نبيّ يخرج من هذا الحيّ من قريش في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه. فتناهَى عند ذلك من قولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ورأى أنّ لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتّبعهما على دينهما. وكان اسم الحَبْرَين كعباً وأسدا، وكانا من بني قريظة، وكانا

١/٩٠٢

(١) العذق بالفتح: النخلة بما عليها من التمر، والجد هنا: القطع. (٢) أبره: أصلحه.

ابنىْ عم ، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لى ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن عمرو ؛ عن أبان بن أبى عياش، عن أنس بن مالك ، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزّى بن غزيّة بن عمرو بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، فى حربهم وحرب تُبّع، يفتخر بعمرو بن طَلّة ويذكر فضله وامتناعه :

أَصَحا أم انْتَهَى ذُكَرَهْ ... أَمْ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهْ(١)

أَمْ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ... ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصُرَهْ!

إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَةٌ ... مِثْلُهَا آتى الْفَتَى عِبَرَهْ(٢)

فَسَلَا عِمْرَانَ أَوْ فَسَلَا ... أَسَدًا إِذْ يَغْدُو مَعَ الزُّهَرَهْ(٣)

فَيْلَقٌ فِيهَا أَبُو كَرِبٍ ... سَابِغًا أَبْدَانُهَا ذَفِرَهْ(٤)

ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَؤُمُّ بِهَا ... أَبَنِي عَوْفٍ أَمِ النُّجُرَهْ(٥)

يا بَنِي النَّجَّارِ إِنَّ لَنَا ... فِيهِمُ قَبْلَ الأَوَانِ تِرَهْ(٦)

فَتَلَقَّتْهُمْ عَشَنْقَقَةٌ ... مَدُّهَا كَالْغَبْيَةِ النَّثِرَهْ(٧)

---

(١) الخبر والشعر فى ابن هشام ١ : ٢٥ - على هامش الروض الأنف » . والذكر : جمع ذكرة بمعنى الذكرى ؛ كما تقول : بكرة وبكر .

(٢) قال السهيلى : « حرب رباعية مثل ؛ أى ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هى فوق ذلك » .

(٣) قوله : « يغدو مع الزهرة » يريد صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة .

(٤) أبدانها ذفرة ، يعنى الدروع؛ والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الدفر ، بالدال المهملة ؛ فإنما هو فيما كره من الروائح . (السهيلى) .

(٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .

(٦) رواية ابن هشام :

* فيهمُ قَتْلَى وإنَّ تِرَه *

قال السهيلى : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتلى وترة ؛ . والوترة ؛ الوتر » .

(٧) فى ابن هشام :

* فتلقتهمْ مسايفة *

وقال السهيلى فى شرحه : « أى كتيبة مسايفة » . والغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهى التى لا تمسك ماء والعشنقة : الطويلة من الإبل .

سَيِّدٌ سَامَى الْمُلُوكَ وَمَنْ يَغْزُ عَمْرًا لَا يَجِدْ قَدَرَهْ[1]

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تُبّع :

تُكَلِّفُنِي مِنْ تَكَالِيفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِيفِ وَالْمَنْصَعَهْ
نَخِيلاً حَمَتْهَا بَنُو مَالِكٍ خُيُولَ أَبِي كَرِبَ الْمُفْظِعَهْ

قال : وكانَ تُبّع وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ، فوجّه إلى مكّة — وهى طريقه إلى اليمن — حتى إذا كان بالدُّفِّ من جُمْدان بين عُسْفان وأمَج ، فى طريقه بين مكّة والمدينة ، أتاه نفر من هُذيل ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألاَ ندلّك على بيت مال داثر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى. قالوا : بيت بمكّة يعبده أهله ، ويصلّون عندَه . وإنما يُريد الهُذليُّون بذلك هلاكَه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وَبغَى عنده . ١/٩٠٤

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلاّ هلاكك وهلاك جُنْدِك ؛ ولئن فعلت ما دعوْك إليه لتهلكنّ وليهلكنّ مَنْ معك جميعًا ، قال : فماذا تأمرانى أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهلُه ، تطوف به وتعظّمه وتكرّمه ، وتحلق عنده رأسك وتتذلّل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أمَا والله إنه لَبيت أبينا إبراهيم ، وإنّه لَكما أخبرناك ؛ ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصَبوا حوله ، وبالدّماء التى يُهريقون عنده ، وهم نجس أهل شِرْك . أو كما قالا له .

فعرف نصحَهما وصِدْق حديثهما ، فقرّب النَّفَر من هُذَيل ، فقطّع أيديَهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكّة ، وأرِى فى المنام أن يكسوَ البيت ،

---

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدٌ سَامَ الْمُلوكَ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدَرَهْ

قال السهيلى : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه

فكساه الخَصَف[١] ثم أرِىَ أن يكسوَه أحسن من ذلك، فكساه المَعَافر[٢]، ثم أرِىَ أن يكسَوه أحسن من ذلك ، فكساه المُلاء والوصائل[٣]؛ فكان تُبّع – فيما يزعمون – أوّلَ مَنْ كساه وأوصى به ولاتَه من جُرْهم، وأمرهم بتطهيره، وألاّ يقربوه دمًا ولا ميتة ولا مِثْلاثاً وهى المحائض[٤] ، وجعل له بابًا ومفتاحًا، ثم خرج متوجّهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده ، وبالحَبْرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومَه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوْا عليه حتى يحاكموه إلى النّار التى كانت باليمن .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق، عن أبى مالك بن ثعْلبة بن أبى مالك القُرَظىّ ، قال : سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله يحدّث أنّ تُبّعا لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمْير بينه وبين ذلك، وقالوا : لا تدخلْها علينا وقد فارقت دينَنا ، فدعاهم إلى دينه، وقال: إنّه دينٌ خير من دينكم ، قالوا : فحاكِمْنا إلى النار ، قال : نعم – قال: وكانت باليمن فيما يزعُم أهل اليمن نارٌ تحكُم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم – فلما قالوا ذلك لتُبّع قال : أنصفتم ، فخرج قومُه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج النار منه ، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادُوا عنها وهابوها ، فذمَرهم مَنْ حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصّبر فصبروا ، حتى غشيتْهم وأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى

١/٩٠٥

(١) الخصف : جمع خصفة ؛ وهى شىء ينسج من الخوص والليف .

(٢) المعافر : برود يمانية منسوبة إلى معافر ؛ قبيلة باليمن ؛ قال فى اللسان عن الأزهرى: «برد معافرىّ : منسوب إلى معافر اليمن ؛ ثم صارا سماً لها من غير نسبة» .

(٣) الوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن ؛ واحدتها وصيلة .

(٤) فى ط : «الحائض» ، وصوابه من ابن هشام . قال السهيلى : وقوله : «ولا تقربوه مثلات ؛ وهى المحائض؛ ولم يرد الحيّض؛ لأن حائضاً لا يجمع على محائض؛ وإنما هى جمع محيضة . وهى خرقة المحيض . قال : «ويقال للخرقة مثلات . . » ويروى : «مثلاث» .

أعناقهما تعرَق جباههما، لم تضرّهما، فأصفقت حِمْير عند ذلك على دينه ؛ فمن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن(١) .

حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه أنّ الحبْرين ومَنْ خرج معهما من حِمْير؛ إنّما اتّبعوا النار ليردّوها، وقالوا : مَنْ ردّها فهو أوْلى بالحقّ ، فدنا منها رجالٌ من حِمْير بأوثانهم ليردُّوها، فدنت منهم لتأكلَهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحبْران بعد ذلك، وجَعلا يتلُوَان التوراة وتنكُص، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ؛ فأصفقت عند ذلك حميَر على دينهما ، وكان رئام بيتًا لهم يعظّمونه وينحرون عنده ويُكلّمون منه إذْ كانوا على شِرْكهم ، فقال الحبْران لتبّع : إنما هو شيطان يَفْتِنهُم ويلعب بهم ، فخلّ بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ؛ فاستخرجا منه – فيما يزعم أهل اليمن – كلبًا أسود ، فذبحاه وهدما ذلك البيت ؛ فبقاياه اليوم باليمن – كما ذكر لى – وهو رئام به آثار الدّماء التى كانت تُهراق عليه(٢) . ٩٠٦/١

فقال تبّع فى مسيره ذلك وما كان همّ به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا، وما صنع بالبيت حين قدم مكّة من كسوته وتطهيره، وما ذكر له الحبْران من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرْمَدِ ... أَرِقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَهَّدُ

حنقًا على سِبْطَيْنِ حَلَّا يَثْرِبًا ... أوْلَى لهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ !

ولَقَدْ نزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنْزِلًا ... طَابَ الْمَبِيتُ به وَطَابَ المَرْقَدُ

وَجَعَلْتُ عَرْصَةَ مَنْزِلٍ بِرُبَاوةٍ ... بَيْنَ الْعَقِيقِ إلى بقيعِ الْغَرْقَدِ

ولقدْ تَرَكْنَا لَابَهَا وَقَرَارَهَا ... وسِبَاخَهَا فُرِشَتْ بِقَاعٍ أَجْرَدِ ٩٠٧/١

ولقد هَبَطْنَا يَثْرِبًا وَصُدُورُنَا ... تَغْلِي بَلَابِلُهَا بِقَتْلٍ مُحْصِدِ

(١) الخبر فى ابن هشام ١ : ٢٧ ، والتيجان ٢٩٦ . (٢) الخبر فى ابن هشام ١ : ٢٨ .

(٢) بيت رئام ، زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يملئون له حياضاً من دماء القربان ، فيخرج فيصيب منها .

ولقدْ حَلَفْتُ يَمِينَ صَبْرٍ مُؤْلِيًا قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بالمُتَرَدِّدِ
إنْ جِئْتُ يَثْرِبَ لَا أُغَادِرُ وَسْطَهَا عِذْقًا ولا بُسْرًا بيَثْرِبَ يَخْلُدُ
حتى أَتَانِي مِنْ قُرَيْظَةَ عالِمٌ حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مُسَوَّدُ
قال ازْدَجِرْ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ لِنَبِيِّ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ
فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوَ غَيْرِ مُثَرِّبٍ وتركْتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدِ
وتركْتُهُمْ لِلّهِ أرْجُو عَفْوَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
ولقدْ تَرَكْتُ بِهَا لَهُ مِنْ قَوْمِنا نَفَرًا أُولِي حَسَبٍ وبأسٍ يُحْمَدُ
نَفَرًا يكونُ النَّصْرُ فى أَعْقابِهِمْ أرْجُو بِذاكَ ثوابَ رَبِّ مُحَمَّدِ
ما كنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ بَيْتًا طاهِرًا لِلّهِ فى بَطْحاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
حتى أتانى مِنْ هُذَيْلٍ أَعْبُدٌ بالدُّفِّ مِنْ جُمْدانَ فَوْقَ الْمُسْنَدِ
قالوا بمَكَّةَ بيْتُ مَالٍ داثِرٍ وكنوزُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدِ
فأرَدْتُ أمرًا حالَ رَبِّى دُونَه واللّهُ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ
فَرَدَدتُ ما أمَّلْتُ فيه وفيهمُ وتَرَكْتُهم مَثَلًا لأهْلِ الْمَشْهَدِ
قد كانَ ذُو القَرْنَيْنِ قَبْلِى مُسْلِمًا مَلِكًا تَدِينُ له الْمُلُوكُ وتَحْشُدُ
ملَكَ الْمَشارِقَ والْمَغارِبَ يَبْتَغِى أسْبَابَ عِلْمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ
فرأى مغيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِها فى عَيْنِ ذِى خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ[1]
مِن قَبْلِهِ بلْقيسُ كانَتْ عَمّتِى مَلَكَتْهُمُ حتى أتاها الْهُدْهُدُ[2]

١/٩٠٨

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : هذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنّه إنما كان حنَق تُبّع على هذا الحىّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وأنّه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة ،

(١) الخلب : الطين ، والثأط الحرمد : الحمأ الأسود .

(٢) الشعر أورده ابن هشام فى التيجان ١١٢ — ١١٤ ، ولم يورده فى السيرة ؛ وذكر أنه مصنوع .

فنعوه منهم ، حتّى انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره :

حنقًا على سِبْطيْن حلاَّ يثربًا ⁂ أوْلَى لهم بعقابِ يوم مُفْسِدِ

١/٩٠٩ حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قدِم على تُبّع قبل ذلك شافع بن كُلَيب الصَّدَفىّ ، وكان كاهنًا، فأقام عنده، فلما أراد توديعَه قال تُبّع :ما بَقِىَ مِن علمك ؟ قال : بقِىَ خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجِدُ لقوم مُلْكًا يوازى ملكى ؟ قال : لا إلا الملك غسان نَجْل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولمن؟ قال أجِده لبارّ مبرور ، أيِّد بالقَهور ، ووُصِف فى الزّبور ، وفُضّلَتْ أمّته فى السُّفور ،يفرّج الظلَم بالنور ، أحمد النبىّ ، طوبى لأمته حين يجىّ ، أحد بنى لؤىّ ، ثم أحد بنى قصىّ. فبعث تُبّع إلى الزَّبُور فنظر فيها، فإذا هو يجد صفة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة،عن ابن إسحاق ، عمن حدّثه، عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن، ممّن يروى الأحاديث ، فحدّث بعضهم بعض الحديث ، وكلّ ذلك قد اجتمع فى هذا الحديث : أنّ مَلِكًا من لَخْم ، كان باليمن فيما بين التبابعة من حِمْير ، يقال له : ربيعة بن نَصْر ، وقد كان قَبْل ملكه باليمن مَلَك تبّع الأوّل،وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صيفىّ ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلْم بن زيد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشَم بن وائل بن الغوْث بن قطَن بن عَريب بن زُهير بن أيْمن بن هَمَيْسع ابن العرَنجَج حِمْير بن سبأ الأكبر بن يعرُب بن يَشْجُب بن قَحطان .

وكان اسم سبأ عَبْد شمْس ؛ وإنما سُمّىَ سبأ — فيما يزعمون — لأنه كان أول من سبَى فى العرب . ١/٩١٠

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التّبابعة ، ثم كان بعد تُبّع الأول زيد بن عمرو، وشَمِر يُرْعش بن ياسر يُنْعم بن عمرو ذى الأذعار ،ابن عمّه. وشَمِر يُرْعش الذى غزا الصين وبنى سَمَرْقَنْد وحَيَّرَ الحيرة ،وهو الذى يقول :

أناشِرُ أبو كَرِبَ اليَمَانِى جَلَبْتُ الخَيْلَ من يَمَنٍ وشامِ
لآتِىَ أعْبُدًا مَرَدُوا عَلَيْنَا وَرَاءَ الصِّينِ فى عَثْمٍ ويامِ
فَنَحْكُمُ فى بلادِهِمُ بحُكْمٍ سَوَاءٍ لا يُجَاوِزُه غُلَامُ

القصيدة كلّها .

قال : ثم كان بعد شمر يُرْعِش بن ياسر يُنْعِم تُبّع الأصغر، وهو تُبّان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب بن زيد بن تُبّع الأول بن عمرو ذى الأذعار، وهو الذى قدم المدينة ، وساق الحَبْرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وقال ما قال من الشِّعر فكلّ هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمىّ ؛ فلما هلك ربيعة بن نصر ،رجع مُلْك اليمن كلّه إلى حسان بن تُبّان أسعد أبى كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سَلَمة، قال: حدّثنى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّ ربيعة بن نَصْر رأى رؤيا هالته، وفَظِعَ بها ، فلما رآها بعث فى أهل مملكته ، فلم يدع كاهنًا ولا ساحراً ولاعائفًا ولا منجّمًا إلاّ جَمَعه إليه ، ثم قال لهم : إنّى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها ، فأخبرونى بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال : إنى إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خَبَركم عن تأويلها ، إنّه لا يعرف تأويلَها إلاّ من يعرفها قبل أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك: فإن كان الملك يريد هذا فليبعثْ إلى سَطِيح وشِقّ ، فإنّه ليس أحدٌ أعلم منهما ، فهما يخبرانك بما سألت— واسم سَطِيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ بن مازن بن غسّان ، وكان يقال لسطيح : الذّئبىّ ، لنسبته إلى ذئب بن عدىّ . وشِقّ بن صعب بن يشكر بن رُهْم بن أفرك بن نذير بن قيس بن عَبْقر بن أنمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه قبل شِقّ سَطِيح ، ولم يكن فى زمانهما مثلهما من الكُهّان ، فلما قدم عليه سطيح دعاه

٩١١/١

فقال له : يا سطيح ، إنى قدرأيت رؤيا هالتنى وفظِعت بها ، فأخبرْنى بها فإنّك إن أصبتَها أصبت تأويلها ، قال ــ أفعل ، رأيتَ جُمْجُمة ــ قال أبو جعفر : وقد وجدته فى مواضع أخر ، رأيت حُمَمة[1] ــ خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض تِهْمَة ، فأكلتْ منها كلّ ذات جُمْجُمة . فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أحلِف بما بين الحرّتين من حَنَش ، ليهبِطَنّ أرضَكم الحبَش ، فليملِكُنّ ما بين أبْيَنَ إلى جُرَش .

٩١٢/١

قال له الملك : وأبيكَ يا سطيح ؛ إنّ هذا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن يا سطيح ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : فهل يدوم ذلك من مُلكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هاربين . قال الملك : ومَنْ ذا الذى يلى ذلك مِنْ قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يزَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيّ زكيّ ، يأتيه الوحى من العلىّ . قال : وممّن هذا النبىّ ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدّهر ياسطيح من آخر ؟ قال : نعم . يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقٌّ ما تخبرنا ياسطيح ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق[2] إذا اتّسق ، إنّ ما أنبأتك به لحقّ .

فلمّا فرغ قدِم عليه شِقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شِقّ ، إنى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظِعْتُ بها ، فأخبرنى عنها ، فإنك إن أصبتَها أصبت تأويلها ــ كما قال لسطيح ؛ وقد كتمه ما قال سطيح لينظر أيتفِقان أم يختلفان ــ قال : نعم ، رأيتَ جُمجمة ، خرجت من ظلَمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلُّ ذات نَسَمة . فلما رأى ذلك الملك من قولهما شيئًا واحداً ، قال له : ما أخطأت ياشِق منها شيئًا ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلِف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلنّ أرضَكم السودان ، فليغلِبُنّ على كلّ طَفْلة

٩١٣/١

(١) هى رواية ابن هشام فى السيرة .

(٢) ط : « والغلق » .

البنان ، وليَملكُنّ ما بين أبْيَنَ إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك يا شِقّ إن هذا لنا لغائظ مُوجع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان . قال : ومَنْ هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ليس بدنىّ ولا مُدَنّ[١] ، يخرج من بيت ذى يزن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسَل ، يأتى بالحقّ والعدل ، بين أهل الدين والفضل ؛ يكون المُلْك فى قومه إلى يوم الفَصْل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاة ، يُدْعى من السماء بدعوات ، يَسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتّقى الفوز والخيرات . قال : أحقّ ما تقول يا شِقّ ؟ قال : إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وَخفْض ؛ إنّ ما نبّأتك لحقّ ما فيه أمْض[٢] . فلما فرغ من مسألتهما ، وقع فى نفسه أنّ الذى قالا له كائن من أمر الحبشة ، فجهّزَ بنيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحهم ، وكتب لهم إلى مَلِك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرّزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقيّة ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النّعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم[٣] .

١/٩١٤

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سَطِيح وشِقّ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك فى العرب ، وتحدّثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذى كانوا يتحدّثون به من أمر الكاهنيْن ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرىّ ، فى بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذيْنك الكاهنين : سطيح وشِقّ :

ما نَظَرَتْ ذاتُ أشْفارٍ كنظرتِها ... حقًّا كما نَطَقَ الذِّئْبىُّ إذْ سَجَعَا[٤]

---

(١) المدنى : المقصر فى الأمر .

(٢) قال ابن هشام «أمض» ، يعنى شكا ، هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو : «أمض ، أى باطل» .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٨ – ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان سَطِيح إنما يدعوه العرب الذئبىّ ، لأنه من ولد ذئب بن عدىّ. فلما هلك ربيعة بن نصر ، واجتمع مُلْك اليمن إلى حسّان بن تُبّان أسعد أبى كرب ابن مَلْكيكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار ، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحوّل الملك عن حِمْير وانقطاع مدّة سلطانهم — ولكلّ أمر سبب — أنّ حسان ابن تُبّان أسعد أبى كرب ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرض العجم ، كما كانت التبابعة قبْله تفعل ؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق ، كرِهت حِمْير وقبائل اليمن السير معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهليهم ؛ فكلّموا أخًا له كان معه فى جيشه ، يقال له عمرو ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان تملّكك علينا مكانه ، وترجع بنا إلى بلادنا . فتابعهم على ذلك ، فأجمع أخوه ومن معه من حِمْير وقبائل اليمن على قَتْل حسّان ، إلّا ما كان من ذى رُعَين الحميَرىّ ، فإنّه نهاه عن ذلك ، وقال له : إنّكم أهل بيت مملكتنا ، لا تقتل أخاك ولا تشتّت أمر أهل بيتك — أو كما قال له — فلما لم يقبل منه قوله — وكان ذو رُعَيْن شريفًا من حميَر — عمَد إلى صحيفة فكتب فيها : ١/٩١٥

ألَا مَن يَشْتَرِى سَهرًا بنَوْمٍ سعيدٌ مَن يَبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فإمّا حِمْيَرٌ غَدَرتْ وخَانَتْ فمَعْذِرَةُ الإلهِ لذِى رُعَيْنِ

ثم ختم عليها . ثم أتى بها عمرًا ، فقال له : ضع لى عندك هذا الكتاب ؛ فإنّ لى فيه بغيةً وحاجة ، ففعل . فلما بلغ حسّان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحِمْير وقبائل اليمن من قتله ، قال لعمرو :

يا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَىَّ مَنِيَّتِى فالمُلْكُ تأخُذُه بغيرِ حُشودِ

فأبى إلا قتلَه ، فقَتَله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن . فقال قائل من حمير :

إنّ للهِ مَن رأى مِثْل حَسَّا نَ قَتيلا فى سَالِفِ الْأَحقَابِ.[1]

(١) رواية ابن هشام فى السيرة : « لاه عينا » قال السهيلى فى شرحه : «أراد « لله »وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ؛ وهذا الحذف كثير ، ولكنه جاز فى هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة » .

قَتَلَتْه الأَقْيالُ مِن خَشيَةِ الْجيْ ... شِ وقالُوا له لَباب لَبَابِ[1]

مَيْتُكم خَيْرُنا وحَيُّكمُ رَبٌّ ... عَلَيْنا وكُلُّكمْ أَرْبابِي

فلمّا نزل عمرو بن تُبّان أسعد أبي كرب اليمن مُنِع منه النّوم ، وسلّط عليه السهر – فيما يزعمون – فجعل لا ينام ، فلما جَهَده ذلك جعل يسأل الأطبّاء والحُزاة من الكهّان والعرّافين عمّا به، ويقول : منِع منىّ النوم فلا أقدر عليه ، وقد جَهَدنى السهر ، فقال له قائل منهم : والله ما قتلَ رجل أخاه قطّ أو ذا رحِم بغيًا على مثل ماقتلت عليه أخاك إلاّ ذهب نومُه ، وسلّط عليه السّهر ، فلما قيل له ذلك ، جعل يقتُل كلّ مَنْ كان أمرَه بقتل أخيه حسّان من أشراف حمْير وقبائل اليمن ، حتى خَلَص إلى ذى رُعين ، فلما أراد قتله قال : إنّ لى عندك براءة ممّا تريدأن تصنع بى ،قال له: وما براءتك عندى ؟ قال : أخرِج الكتاب الذى كنت استودعتكه ووضعته عندك ، فأخرج له الكتاب ، فإذا فيه ذانك البيتان من الشعر :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِى سَهَرًا بنومٍ ... سعيدٌ مَنْ يبيتُ قريرَ عَيْنِ

فإمَّا حِمْيَرٌ غدرتْ وخانت ... فمعذرة الإله لذى رُعَيْنِ

فلمّا قرأهما عمرو قال له ذو رُعين : قد كنت نهيتُك عن قتل أخيك فعصيتَنى ، فلما أبيت علىّ وضعتُ هذا الكتاب عندك حجّة لى عليك ، وعذراً لى عندك ، وتخوّفت أن يصيبك إن أنت قتلتَه الذى أصابك ، فإن أردت بى ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك ،كان هذا الكتاب نجاةً لى عندك ، فتركه عمرو بن تُبّان أسعد فلم يقتله من بين أشراف حمير ، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته . وقال عمرو بن تُبّان أسعد حين قتل من قتل من حمْيَر وأهل اليمن ممّن كان أمره بقتل أخيه حسان ، فقال :

شَرَيْنا النَّوْمَ إذْ عُصِبَتْ عَلَابِ ... بتَسْهِيدٍ وعَقْدٍ غيْرِ مَيْنِ[2]

تَنادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمُ : لَبابِ ... وقدْ بَرَزَتْ مَعَاذِرُ ذِى رُعَيْنِ

قَتَلْنا مَنْ تولَّى المكْرَ منهمْ ... بَواءً بابْنِ رُهْمٍ غيْرَ دَيْنِ .

(١) قال ابن اسحاق: قوله: «لباب، لباب»، لابأس، لابأس بلغة حمير» . (٢) ط: «بين».

١/٩١٦
١/٩١٧

قَتَلْناهُمْ بِحَسّانَ بنِ رُهْمٍ وحسّان قَتيلُ الثَّائرَيْن
قَتَلْناهُم فلَا يُقْيَا عليهمْ وقرَّتْ عِنْدَ ذا كُمْ كلُّ عَيْن
عُيونُ نَوَادبٍ يَبْكِينَ شَجْوًا حرائرَ من نسَاء الفَيْلَقَيْن
أوانِسَ بالعِشَاء وهُنَّ حُور إذَا طَلَعَتْ فُروعُ الشِّعْرَيَيْن
فنُعْرَفُ بالوَفاء إذا انْتَمَيْنا ومَنْ يَغْدرْ نُبايِنْهُ بِبيْن
فَضَلْنا النَاسَ كلَّهُمُ جميعاً كفَضْلِ الإبْرِزيّ على اللُّجَيْن
مَلَكْنَا النّاسَ كلّهُم جَمِيعاً لنا الأَسْبَابُ بعدَ التُّبَّعَيْن
مَلَكْنا بعدَ دَاوُدٍ زماناً وعَبَّدْنا ملُوكَ المشْرِقَيْن
زَبَرْنا فى ظَفارِ زبورَ مَجْدٍ ليَقرَأَه قُرومُ القريَتَيْن
فنحن الطَّالبونَ لكلِّ وَتْرٍ إذا قال المقَاوِلُ أيْنَ أيْنِ !
سَأَشْفِي مِنْ وُلاةِ المكرِ نفْسي وكَانَ المكرُ حَيْنَهُمُ وَحَيْنِي
أَطعْتُهُمُ فلم أَرْشُدْ وكَانوا غُواةً أهلَكوا حَسَبِي وَزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تُبّان أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد: عمرو بن تبّع هذا يدعي موثّبان ؛ لأنه وثب على أخيه حسّان بفُرْضة نُعْم فقتله ــ قال : وفُرضة نُعْم رَحَبة طوق بن مالك، وكانت نُعْم سرّية تبّع حسان بن أسعد .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال: فمرج أمرُ حميَر عند ذلك، وتفرّقوا ، فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة منهم ، يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر[1] ، فملكهم فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمْير ، يذكر ما ضيّعت[2] حمْير من أمرها ، وفرّقت جماعتها ، ونفت من خيارها :

١/٩١٨

(١) الشناتر : الأصابع بلغة حمير . (٢) ح : « فرطت » .

تقتِّلُ أبْناها وتَنفِى سَرَاتَها　　وتَبنِى بأَيدِيهِمْ لهَا الذلَّ حِمْيَرُ

تُدمِّرُ دُنْياها بطَيْشِ حُلُومِهَا　　ومَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهُوَ أَكْثَرُ

كذَاكَ القُرونُ قَبْلَ ذَاكَ بِظُلْمِها　　وَإِسرَافِها تأتِى الشُّرُورَ فَتَخْسَرُ

وكان لَخنْيعة ينوف ذو شناتر يصنع ذلك بهم — وكان امرأ فاسقًا يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان — مع الذى بلغ منهم من القتل والبغْى — إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه فى مَشْرَبَة له قد صنعها لذلك ، لئلاّ يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مَشْرَبته تلك إلى حَرَسه ومَن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكًا ، فجعله فى فيه — أى ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّى سبيله ، فيخرج على حَرَسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعة ذو نواس بن تُبّان أسعد أبى كرب بن مَلِيكَيْكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار أخو حسّان — وزُرْعة كان صبيًّا صغيراً حين أصيب أخوه ، فشبّ غلامًا جميلاً وسيمًا ذا هيئة وعقْل — فبعث إليه لَخنْيعة ينوف ذو شُناتر ؛ ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبْله ، فلما أتاه رسوله عرف الذى يريد به ، فأخذ سكّينًا حديداً لطيفًا ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلمّا خلا به فى مشربته تلك أغلقَها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكّين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتزّ رأسَه ، فجعله فى كُوّة مشربته تلك التى يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سواكه ذلك ، فجعله فى فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ، أرطب أم يَبَاس[١] ؟ فقال : سلْ نخماس[٢] استرطبان[٣] ذو نواس ، استرطبان ذو نواس ؛ لاباسْ . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس لَخنْيعة ينوف ذى شناتر فى الكُوّة مقطوع فى فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس فى أثر ذى نواس حتى أدركوه ،

٩١٩/١

(١) اليباس واليبيس : مثل الكبار والكبير .　　(٢) النخماس فى لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيلى : قوله : «استرطبان» إلى آخر الكلام مشكل ؛ وفى الأغانى : «ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، رطب أم يباس» .

فقالوا له : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحتَنا من هذا الخبيث . فملّكوه واستجمعت عليه حمْير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وتهوّد وتهوّدت معه حِمْير ، وتسمّى «يوسف» ، فأقام في ملكه زمانًا . وبنجْران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثّامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلّها أهل أوثان يعبدونها . ثم إنّ رجلا من بقايا أهل ذلك الدّين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ، فحملهم عليه فدانوا به[١] .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهوّد سمي يوسف ، وهو الذى خدّ الأخدود بنجران وقتل النصارى . ١ / ٩٢٠

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس ، عن وهب بن منبّه اليمانيّ[١] ، أنه حدّثهم أن موقع ذلك الدّين بنجْران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحًا مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدّعوة ، وكان سائحًا ينزل القرى ، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرَف فيها وكان لا يأكل إلا من كَسْب يده ، وكان بنّاء يعمل الطّين ، وكان يعظّم الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئًا ، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسي ، وكان في قرية من قرى الشّأم يعمل عمله ذلك مستخفيًا ؛ إذ فطِن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئًا كان قبله ، فكان يتّبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرّة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتّبعه صالح ، وفيميون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفيًا منه لا يحبّ أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّي ، فبينا هو يصلّي إذ أقبل نحوه التنّين — الحية ذات الرءوس السبعة — فلما رآها فيميُون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ،

---

(١) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٣٠ . ٢٨ — ٢٩ ، والأغاني ٢٠ : ٧ — ٩ (ساسي) .

ولم يدرِ ما أصابها ، فخافها عليه فعيل عَوْلُه[1] ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل عَلَى صلاته حتّى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئًا حبّك قطّ ، وقد أردت صُحبتك والكينونة معك حيثما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ؛ فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القَرية أن يفطُنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّ ، دعا له فشُفِى ، وإذا دُعِى إلى أحد به الضرّ لم يأته . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنّه لا يأتى أحداً إذا دعاه ، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته ، وألقى عليه ثوبا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إنّى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملاً ، فانطلق معى حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حُجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل فى بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط[2] الرجل الثوبَ عن الصبىّ ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبىّ : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوّك فى نعمتك ليفسدها عليه فاشفِه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبىّ ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتّبعه صالح ، فبينما هو يمشى فى بعض الشأم مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظرك وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم علىّ ، فإنى ميّت الآن . قال : فمات ، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدِى عليهما فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران — وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لهم عيد كلّ سنة ؛ إذا كان ذلك العيدُ علّقوا عليها

---

(١) عيل عوله ، أى غلب على صبره ، وفى ط : « فعول عليه عولة » ، وما أثبته عن ابن هشام . وانظر اللسان .

(٢) انتشط الثوب : جذبه و رفعه إليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحليّ النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يومًا — فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحًا ، فكان فيميون إذا قام من الليل — فى بيت له أسكنه إياه سيّده الذى ابتاعه — يصلّى، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّما أنتم فى باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذى أعبد أهلكها، وهو الله وحدَه لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا فى دينك، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحًا فجعفتْها[1] من أصلها فألقتها، فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فمن هنالك كانت النصرانيّة بنجران فى أرض العرب[2] .

فهذا حديث وهب بن منبّه فى خبر أهل نجران .

١/٩٢٣ حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سَلمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولًى لبنى هاشم، عن محمد بن كعب القرَظىّ. قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق أيضًا عن بعض أهل نَجْران أنّ أهلَ نجران كانوا أهلَ شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قُراها قريبًا من نجْران — ونجْران القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحر يعلّم غلمانَ أهل نجران السّحر ، فلما أن نزلها فيميون — قال : ولم يسمّوه باسمه الذى سمّاه به وهبُ بن منبِّه، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خيمة بين نَجْران و بين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث الثامر ابنَه عبد الله بن الثّامر، مع غلمان أهل نَجْران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جعفتها ، أى قلعتها وأسقطتها .

(٢) الخبر فى السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم، فوحّد الله وعَبَده وجعل يسأله عن الاسم الأعظم — وكان يعلمه — فكتمه إيّاه وقال : يا بن أخى ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفَك عنه. فلما أبى عليه — والثامر أبو عبد الله لا يظنّ إلاّ أنّ ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان — فلما رأى عبد الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عنه، وتخوّف ضعفه فيه عَمَد إلى قِداح فجمعها، ثم لم يُبْقِ لله اسمًا يعلمه إلا كتبه فى قِدْح[1] ؛ لكل اسم قِدْح[1] ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً ؛ حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها ، لم يضرّه شىء ؛ فقام إليه فأخذه، ثم أتى صاحبه، فأخبره أنه[2] قد علم الاسم الذى كتمه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال : وكيف علمتَه ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخى ، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثّامر إذا أتى نَجْران لم يلق أحداً به ضرّ إلاّ قال له : يا عبد الله، أتوحّد الله وتدخل فى دينى فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحّد الله ويسلِم ، ويدعو له فيشفى ، حتى لم يبق أحدٌ بنجْران به ضُرّ إلّا أتاه فاتّبعه على أمره، ودعا له فعُوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجْران ، فدعاه فقال له : أفسدت علىّ أهل قريتى ، وخالفتَ دينى ودين آبائى ، لأمثِّلنّ بك ! قال : لا تقدر على ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجْران، بُحور لا يقَع فيها شىء إلّا هلَك، فيُلقَى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال عبد الله بن الثامر : إنّك والله لا تقدر على قتلِى حتى توحِّدَ الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فإنك إن فعلت ذلك سُلّطت علىّ فقتلتنى ، فوحّد الله ذلك الملك، وشهد بشهادة عبد الله ابن الثامر ، ثم ضربه بعصًا فى يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله، فهلك الملك مكانه ، واستجمع أهلُ نجْران على دين عبد الله بن الثّامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثمّ أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النّصرانية بنجران[3] .

١/٩٢٤ ، ١/٩٢٥

(١) القدح : السهم . (٢) ح ، ل « بأنه » .
(٣) الخبر فى سيرة إبن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.

قال : فسار إليهم ذو نُواس بجنوده من حِمْير وقبائل اليمن ، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيّرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدود ، فحرّق بالنار ، وقتّل بالسيف ؛ ومثّل بهم كلّ مُثْلة ، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا ، وأفلت منهم رجل يقال له دَوْس ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرَّملَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعضَ أهل اليمن يقول : إنّ الذى أفلت منهم رجل من أهل نَجْران يقال له جبّار[١] بن فيض[٢] .

قال : وأثبت الحديثين عندى الذى حدّثنى أنه دوْس ذو ثعلبان .

ثم رجع ذو نُواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

فى ذى نواس وجنوده تلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ إلى قوله: ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٣] .

يقال : كان فيمن قَتَل ذو نُواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم . ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِل قبل ذلك ، قَتَله ملِك كان قَبْله ، هو كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قَتَل ذو نواس مَنْ كان بعده من أهل دينه[٤] .

* * *

١/٩٢٦ وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل مُلْك اليمن متصلا لا يطمع فيه طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم فى زمن أنوشِرْوان . قال : وكان سببُ ظهورهم أن ذا نُواس الحِمْيَرىّ ملك اليمن فى ذلك الزمان ، وكان يهوديًّا ، فقدم عليه يهودىّ ، يقال له دَوْس من أهل نَجْران ، فأخبره أنّ أهل نجران قتلوا ابنيْن له ظلمًا ، واستنصره عليهم - وأهل نَجْران نصارى - فحمِىَ ذو نُواس لليهوديّة ، فغزا أهلَ نجران ، فأكثر فيهم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « قيض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل فى الأرض كالخندق والجدول ونحوه » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥

من أهل نَجْران ، حتّى قدِم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضَه، فقال له : الرّجال عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البَعْثة إلىّ بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحرّق . فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم؛ أنه حدّث أنّ رجلا من أهل نَجْران فى زمن عمربن الخطاب حفر خَرِبة من خَرِب نَجْران لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن[1] منها قاعداً واضعًا يده على ضَرْبة فى رأسه ممسكًا عليها بيده؛ فإذا أخِّرت يده عنها انثعبت[2] دمًا ، وإذا أرسِلت يده ردّها عليها ، فأمسك دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربّى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره، فكتب إليهم عمر : أنْ أقرُّوه على حاله، وردُّوا عليه الدّفْن الذى كان عليه . ففعلوا .

١/٩٢٧

وخرج دَوْس ذو ثَعْلبان[3]، حين[4] أعجز القومَ على وجهه ذلك؛ حتى قدم[5] على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نُواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعُدتْ بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود ؛ ولكنّى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فإنه على هذا الدّين ، وهو أقرب إلى بلادك منّا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممّن ظلمك، واستحلّ منك ومن أهل دينك ما استحلّ. فكتب معه قيصر إلى ملِك الحبشة يذكر له حقّه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره، وطلب

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منهل سفت الريح فيه التراب حتى دفن .
(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفى ر ، ت : « انبعثت » ، ح ، ل : « انبعث » .
(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .
(٤) ت ، ح : « حتى » .
(٥) كذا فى ت ، وفى ط : « تقدم » ؛ وفى ابن هشام : « أتى » .

ثأره ممّن بغى عليه وعلى أهل دينه. فلما قدم دَوْس ذو ثَعْلبان بكتاب قيصر على النّجاشيّ صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمّر عليهم رجلا منهم من أهل الحبشة، يقال له أرياط؛ وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم، وأخْرِب ثلث بلادهم، واسْبِ ثُلث نسائهم وأبنائهم.

فخرج أرياط ومعه جنوده، وفى جنوده أبرَهة الأشرم، فركب البحر ومعه دَوْس ذو ثعْلبان، حتى نزلوا بساحل اليمن، وسمع بهم ذُو نُواس فجمع إليه حِمْير ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرّق، لانقطاع المدّة وحلول البلاء والنّقْمة، فلم يكن له حرب غير أنّه ناوش ذو نُواس شيئًا من قتال، ثم انهزموا، ودخلها أرياط بجموعه، فلما رأى ذو نُواس ما رأى ممّا نزل به وبقومه وجّه فرسه إلى البحر، ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضَحْضَاح[1] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرة، فأقحمه فيه، فكان آخرَ العهد به.

١/٩٢٨

ووطئ أرياط اليمن بالحبشة، فقتل ثلثَ رجالها، وأخرب ثلثَ بلادها، وبعث إلى النجاشيّ بثلث سباياها ثم أقام بها، قد ضبطها وأذلّها، فقال قائل من أهل اليمن، وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس ذو ثعلبان من أمر الحبشة؛ فقال:

« لا كدَوْس ولا كأعلاقِ رَحْلِهْ ». يعنى ما ساق إليهم من الحبشة، فهى مَثَل باليمن إلى اليوم.

وقال ذو جَدَن الحميرىّ وهو يذكر حِمْير، وما دخل عليها من الذُّلّ بعد العزّ الذى كانوا فيه، وما هُدِم من حصون اليمن، وكان أرياط قد أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سِلْحين وَبيْنُون وغُمْدان؛ حصونًا لم يكن فى الناس مثلها، فقال:

هَوْنَكِ لَيسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فاتا ... لَا تَهْلِـكى أسَفًا فى ذِكْرِ مَنْ مَاتا

أبَعْدَ بَينُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أثَرٌ ... وَبَعْدَ سِلْحينَ يَبْنِي النَّاسُ أبْياتا!

وقال ذو جَدَن الحميرىّ فى ذلك:

دَعِينى لا أبالكِ لَنْ تُطِيقِى ... لَحاكِ اللهُ قَدْ أنزَفْتِ رِيقِى[2]

(١) الضحضاح من الماء: الذى يظهر منه القعر.

(٢) أنزفت ريقى، أى أكثرت على من العذل؛ حتى أيبست ريقى فى فمى، وقلة الريق من الحصر. قاله السهيلى.

لدَى عَزْفِ الْقِيانِ إذِ انْتَشَيْنا ... وَإذ نُسْقَى منَ الخمْرِ الرّحيقِ
وَشُرْبُ الْخمْرِ لَيسَ عَلَيَّ عَارًا ... إذَا لم يَشْكُنِى فيها رفيقى
فإنَّ الموْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ ... ولَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوق[1]
وَلا مُتَرَهِّبٌ فى أُسْطُوانٍ ... يُناطِحُ جُدْرُه بَيْضَ الأَنُوق[2]
وغُمْدَان الَّذِى حُدِّثْتِ عَنْهُ ... بَنَوْهُ مُمْسِكًا فى رَأْسِ نِيق[3]
بِمَنْهَمَةٍ وأسفَله جُرُوبٌ ... وحُرُّ المَوْحَلِ اللَّثِقِ الزَّلِيقِ[4]
مَصَابيحُ السَّلِيطِ تَلُوحُ فيه ... إذَا يُمْسِى كتَوْماضِ البُرُوقِ
ونَخْلَتُه التى غُرِسَتْ إليه ... يَكاد البُسْرُ يَهْصِرُ بالعُذوق[5]
فأصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا ... وغيَّرَ حُسْنَه لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَمِيتاً ... وَحَذَّرَ قَومَهُ ضَنْكَ المَضِيق[6]

٩٢٩/١

وقال ابن الذئبة[7] الثَّقفىّ ، وهو يذكر حميرَ حين نزل بها السودان وما أصابوا منهم :

لَعمْرُكَ ما لِلفَتَى مِنْ مَفرّْ ... مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقه وَالْكِبَرْ
لَعَمْرُكَ ما لِلفَتَى صُحرَةٌ ... لَعمْرُكَ ما إنْ لَه مِن وَزَرْ[8]

---

(١) الشفاء هنا : ما يتداوى به ، تسمية للسبب باسم المسبب ، والنشوق . كل دواء يدنى من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ؛ ويقال فى المثل إذا أريد ما لا يوجد : «أعزّ من بيض الأنوق» .

(٣) رواية ابن هشام : « مسمكا » ، وهو المرتفع . والنيق : أعلى الجبل .

(٤) المنهمة : موضع الرهبان . والجروب : الحجارة السوداء؛ ورواية ابن هشام« جرون» ؛ جمع جرن ، وهو النقير . وحر الموحل : خالص كل شىء . واللثق ، من اللثق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيلى) .

(٥) ط : « يهزر » ، وما أثبته من ابن هشام، قال السهيلى : أى يميل بها ، والعذوق : جمع عذق ، بالكسر ، وهى الكباسة . (٦) فى ابن هشام : « مستكيناً » . (٧) فى ابن هشام« عبد الله بن الذئبة» ، والذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم .

(٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ .

أبعْدَ قبائلَ من حِميَرٍ أتَوا ذا صَباحٍ بذاتِ العَبرْ.[١]
بألبٍ ألوبٍ وحَرَّابةٍ[٢] كمثلِ السَّماء قُبيلَ المطرْ
يُصِمُّ صِياحُهُمُ المُقْرَباتِ وينفُونَ مَنْ قاتَلوا بالزَّمَرْ.[٣]
سَعالَى كمِثْلِ عَديدِ التُّرا بِ يَيْبَسُ منهم رطابُ الشَّجرْ.[٤]

* * *

وأما هشام بن محمد ، فإنّه زَعم أنّ السفن لما قدمت على النجاشيّ من عند قيصر حَمل جيشه فيها ، فخرجوا فى ساحل المنْدب . قال : فلما سمع بهم ذو نُواس كتب إلى المقَاوِل يدعوهم إلى مُظاهرته ، وأن يكون أمرُهم فى محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوْا وقالوا : يقاتل كلّ رجل عن مَقْوَلته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدّة من الإبل ، وخرج حتى لقِىَ جمعَهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها ، فلكم المال والأرض، واستبْقوا الرجال والذرّيّة . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك، فكتب إلى النّجاشيّ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نُواس حتى إذا دخل بهم صنعاء، قال لعظيمهم : وجِّهْ ثقاتِ أصحابك فى قَبْضِ هذه الخزائن . ففرّق أصحابه فى قبضها ودفَع إليهم المفاتيح، وسبقت كتُب ذى نواس إلى كلّ ناحية : أن اذبحوا كلّ ثور أسودَ فى بلدكم ؛ فقتلت الحبشة، فلم يبق منهم إلا الشّريد . وبلغ النجاشيَّ ما كان من ذى نُواس، فجهّز إليه سبعين ألفًا، عليهم قائدان: أحدهما أبرهة الأشرم ؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نُواس ألاّ طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخرَ العهد به .

١/٩٣٠

وأقام أبرهة ملكًا على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشيّ بشىء ،

---

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف ألوف » ، وألب ألوب، أى مجتمع كثير . الحرابة: أصحاب الحراب ، وانظر اللسان .

(٣) المقربات من الخيل : العتاق التى لا تسرح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للعدو . وفى ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شبههم بالسعالى من الجن ؛ جمع سعلاة .

فقيل للنجاشيّ : إنه قد خلَع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجّه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرْياط ، فلما حلّ بساحته ، بعث إليه أبرهة أنّه يجمعنى وإياك البلاد والدّين ، والواجبُ علىّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممّن معى ومعك ، فإن شئت فبارزنى ؛ فأيُّنا ظفر بصاحبه كان المُلْك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضىَ بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكْر به ، فاتّعدا موضعًا يلتقيان فيه ، وأكمن أبرهة لإرياط عبداً له يقال له أرنجده ، فى وَهْدة قريب من الموضع الذى التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق[1] أبرهة بحربته ، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمِّى الأشرم ، ونهض أرنجده من الُحفْرة ، فزرق أرياط فأنفذه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتَكمْ فقال : لا تدخل امرأة اليمن على زوجها حتّى يُبدَأ بى ، قال : لك ذاك ، فغبر بذلك زمانًا . ثم إن أهل اليمن عَدَوْا عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أنَى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشيَّ قتلُ أرياط ، فآلى ألاّ يكون له ناهية دون أن يُهريق دم أبرهة ، ويطأ بلادَه ، وبلغ أبرهة أليّتُه ، فكتب إليه : أيُّها الملك ؛ إنّما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، قدِم علىّ يريد توهينَ ملكك ، وقتل جندك ، فسألته أن يكفّ عن قتالى إلى أن أوجّه إليك رسولاً ، فإن أمرته بالكفّ عنى ، وإلاّ سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلّا محاربتى ، فحاربته فظهرت عليه ، وإنّما سلطانى لك ، وقد بلغنى أنّك حلفت ألاّ تنتهىَ حتّى تُهريق دمى ، وتطأ بلادى . وقد بعثت إليك بقارورة من دمى ، وجراب من تراب أرضى ؛ وفى ذلك خروجك من يمينك ، فاستمّ أيّها الملك يدك عندى ؛ فإنما أنا عبدك وعزّى عزّك . فرضىَ عنه النجاشى وأقرّه على عمله .

١/٩٣١

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرياط باليمن سنين[2] فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشىّ ،

١/٩٣٢

(١) زرقه : طعنه بالمزراق ؛ وهى الحربة .

(٢) ح : «سنتين» .

وكان فى جنده حتّى تفرّقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كلّ واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنّك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تُفنِيَها شيئًا ؛ فابرُز لى وأبرز لك ، فأيّنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتَنى فاخرج . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيمًا حادراً[1] ، وكان ذا دين فى النصرانيّة ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلاً وسيمًا وفى يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عَتْوَدَة، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة —يريد يافوخه[2]— فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمتْ حاجبه وعينه وأنفه وشفته؛ فبذلك سمِّىَ أبرهة الأشرم، وحمل غلام أبرهة عَتْودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عَتْوَدة فى قتله أرياط : « أنا عَتْوَدَهْ، من فرقة أردَه ، لا أبٌ ولا أمّ نجده » ، أى يقول : قتلك عبدُه ، قال : فقال الأشرم عند ذلك[3] لعتْودة : حكمك يا عتودة . .[4] وإن كنت قتلته، ولا ينبغى لنا ذلك إلا ديته ، فقال عَتْودة : حكمى ألاّ تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتّى أصيبَها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط ، وكان كلّ ما صنع أبرهة بغير علم النجاشىّ ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضبًا شديداً ، وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألاّ يدع أبرهة حتى يطأ بلادَه ، ويجزّ ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جرابًا من تُراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشىّ ، وكتب إليه : أيُّها الملك ؛ إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلّ طاعته لك ، إلاّ أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبَط لها

١/٩٣٣

(١) الحادر : الغليظ المجتمع ؛ كذا فسره صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .
(٢) اليافوخ : وسط الرأس .
(٣) ح : «بعد ذلك» .
(٤) كذا فى ط ، وفى الكلام نقص .

وأسوسُ لها ، وقد حلقت رأسي كلّه حين بلغني قَسَم الملك ، وبعثت إليه بجراب من تُراب أرض اليمن ، ليضعَه تحت قدميه فيبرّ قسمُه .

فلما انتهى ذلك إلى النّجاشيّ رضي عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك بأرض اليمن ، حتى يأتيَك أمري . فلما رأى أبرهة أنّ النجاشيّ قد رضيَ عنه ، وملّكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرّة بن ذي يزَن ، فنزع منه امرأته ريحانة ابنة علْقمة بن مالك بن زيد بن كَهْلان – وأبو ريحانة[1] ذو جَدَن ، وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرّة فأقام أبرهة باليمن وغلامه عَتَوْدة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حينًا ، ثم عدا على عَتَوْدة رجل من حِمْير – أو من خثعم – فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله – وكان رجلا حليمًا سيداً شريفًا ورعًا في دينه من النصرانية – قال : قد أنَى لكم يا أهل اليمن أن يكونَ فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ إنّي والله لو علمت حين حكّمته أنّه يسأل الذى سأل ما حكّمتُه ، ولا أنعمته عينًا ، وايم الله لا يؤخذ منكم فيه عَقْل ، ولا يتبعكم منّي في قتله شيء تكرهونه. ١/٩٣٤

قال : ثم إنّ أبرهة بنى القُلَّيْس[2] بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النّجاشيّ ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حاجّ العرب .

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ غضب رجل من النّسَأة[3] أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، فخرج حتى أتى القُلَّيس فقعد[4] فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ؛ فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيلَ : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحجّ العرب إليه بمكّة ، لما سمع

---

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبته ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلي : « وسميت هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بنائها وعلوها » .

(٣) ط : « النساء » ؛ وما أثبته عن ابن هشام ، والنسأة : هم الذين كانوا يؤخرون شهر المحرم إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعني أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب ، فغضب فجاء فقعد فيها ؛ أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرَنّ إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعىّ بن حزابة الذكوانىّ ، ثم السُّلَمىّ ، فى نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خُزاعىّ ؛ فبينا هم عنده غشيَهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه ، وكان يأكل الخُصَى ، فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيبنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خزاعىّ ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فإنما أكرمتكم بغدائى لمنزلتكم منى. ١/٩٣٥

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزاعىّ ، وأمّره على مُضَر ، وأمره أن يسير فى الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَّيْس ؛ كنيسته التى بناها . فسار محمد بن خُزاعىّ ، حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كنانة -وقد بلغ أهلَ تِهامة أمرُه ، وما جاء له- بعثوا إليه رجلاً من هُذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصىّ ، فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعىّ أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحَنقًا ، وحلف ليغزوَنّ بنى كنانة وليهدمنّ البيت .

* * *

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنَى أبرهة بعد أن رضىَ عنه النّجاشىّ وأقرّه على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناء معجبًا لم يُرَ مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنّه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبقى أثرُها وذكْرها ، وسأله المعونةَ له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفُسَيفساء والرّخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشىّ حين استتمّ بناؤها : إنىّ أريد أن أصرف إليها حاجّ العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبُر عليها ، فخرج رجل من بنى مالك بن كنانة حتى قدم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدْم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل ، فلقيَه ذو نَفْر الحميرىّ ، فقاتله فأسره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقِنى ، فإنّ حياتى خير لك مِنْ قتلى ، فاستبقاه ، ثم سار فلقيَه نُفيل ١/٩٣٦

ابن حبيب الخثعمىّ ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسرَه ، فسأله أن يستبقيَه ، ففعل وجعله دليله فى أرض العرب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع السّير إلى البيت أمر الحبشان فتهيّأت وتجهّزت ، وخرج معه بالفيل– قال : وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفظِعوا به ، ورأوْا جهاده حقًّا عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام – فخرج له رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نفْر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهُزِم ذو نفْر وأصحابه ، وأخِذ له ذو نفْر أسيراً ، فأتِىَ به ، فلما أراد قتله قال له ذو نفْر : أيُّها الملك ، لا تقتلنى ؛ فإنّه عسى أن يكون كونى معك خيراً لك من قتلى . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وَثاق – وكان أبرهة رجلا حليمًا – ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعم ، عرض له نُفَيل ابن حبيب الخثعمىّ فى قبيلىْ خثعم : شهران وناهس ومَنْ تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخِذ له نُفيل أسيراً ، فأتى به ؛ فلما همّ بقتله قال له نُفَيل : أيُّها الملك ، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يدَاىَ لك على قبيلَىْ خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطّاعة ، فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه يدلّه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتّب فى رجال ثقيف ، فقال له : أيُّها الملك ؛ إنّما نحن عبيدُك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذى تريد – يعنون اللاّت – إنما تريد البيتَ الذى بمكّة– يعنون الكعبة– ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك . فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال ، حتى أنزله المغمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قبرَه ، فهو القبر الذى يرجُم الناس بالمغمِّس .

ولما نزل أبرهة المغمّس بعث رجلا من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

١/ ٩٣٧

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ .

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قُريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها ، فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومَنْ كان بالحرَم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنّه لا طاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حُناطة الحميرىّ إلى مكة ، وقال له : سلْ عن سيّد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : ١/٩٣٨ إن الملك يقول لكم : إنى لم آتِ لحربكم ؛ إنما جئت لهدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجةَ لى بدمائكم ؛ فإن لم يُرِدْ حربى فأتنى به .

فلما دخل حُنَاطة مكّة سأل عن سيّد قريش وشريفها ، فقيل له : عبدالمطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطّلب : والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — أو كما قال — فإنْ يمنعْه فهو بيته وحَرمه ، وإن يخلِّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دَفْع عنه — أو كما قال له — فقال له حُناطة : فانطلِق إلى الملِك ، فإنّه قد أمرنى أن آتيَه بك — فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفْر — وكان له صديقًا — حتى دُلّ عليه ، وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نفْر ، هل عندك غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفْر : وما غَناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوًّا أو عشيًّا ! ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك إلّا أن أنيسًا سائس الفيل لى صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظّم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذِن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبى .

فبعث ذو نفْر إلى أنَيْس ، فجاء به ، فقال : يا أنَيْس ؛ إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عِير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، ١/٩٣٩ وقد أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذِنْ له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت. قال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكّة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رءوس الجبال ، فأذَنْ له عليك ، فيكلِّمك بحاجته وأحْسِن إليه . قال : فأذن له

أبرهة – وكان عبد المطلب رجلا عظيمًا وسيمًا جسيمًا– فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلْكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطّلب : حاجتى إلى الملك أن يردّ علىّ مائتى بعير أصابها لى . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتُك ، ثم زهدت فيك حين كلّمتنى ؛ أتكلّمنى فى مائتى بعير قد أصبتُها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلّمنى فيه ! قال له عبد المطلب : إنّى أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربًّا سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع منّى ، قال : أنت وذاك ، اردد إلىّ إبلى .

وكان – فيما زعم بعض أهل العلم – قد ذهب عبد المطّلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطة بعمرو بن نُفاثة بن عدىّ بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة – وهو يومئذ سيّد بنى كنانة – وخويلد بن واثلة الهذلىّ – وهو يومئذ سيد هُذَيل – فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

١/ ٩٤٠

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التى أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطّلب إلى قُريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز فى شَعَف الجبال والشِّعاب تخوُّفًا عليهم معرّة الجيش ، ثم قام عبد المطّلب فأخذ بحلْقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لاَ أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَا ... يا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا

إنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عاداكا ... امْنَعْهُمُ أنْ يُخرِبُوا قُراكا

ثم قال أيضًا :

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالكْ[(١)]

لا يغلبنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحالُهُم غَدْوًا محالكْ[(٢)]

فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا ... أَوْلى فأَمْرٌ ما بدا لَكْ[(٣)]

ولئِنْ فَعَلْتَ فإنَّه ... أَمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعالكْ

جَرُّوا جُموعَ بِلادِهِمْ ... والفِيلَ كَىْ يَسْبُوا عِيالَكْ

عَمَدُوا حِمَاكَ بكَيْدِهِمْ ... جَهْلًا ومَا رَقَبُوا جَلالكْ

[وقال أيضًا][(٤)] :

وَكُنْتَ إذا أَتَى باغٍ بِسِلْمٍ ... نُرَجّي أَنْ تَكُونَ لَنَا كذَلِكْ

فَوَلَّوْا لم ينالُوا غَيْرَ خِزْيٍ ... وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكْ

ولم أَسْمَعْ بأَرْجَسَ من رِجالٍ ... أَرَادوا العِزَّ فانتهكُوا حَرَامَكْ

٩٤١/١

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقَة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومَنْ معه من قريش إلى شعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكّة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة ، وهيأ فيلَه ، وعبَّى جيشه — وكان اسم الفيل محموداً — وأبرهة مجمع لهدْم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجّهوا الفيل أقبل نُفيل بن حَبيب الخَثْعَمىّ حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه . فقال : ابْرُكْ محمُود ، وارجعْ راشداً من حيث جئت ؛ فإنك فى بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نُفيل بن حبيب يشتدّ حتى صعد

---

(١) الحلال فى البيت : القوم الحلول فى المكان .

(٢) غدواً ، أى غدا ولم يستعمل تاماً إلا فى الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيها اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

فى الجبل ، وضربوا الفيل ليقومَ فأبى ، وضربوا فى رأسه بالطّبرزين[١] ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنَ لهم فى مَرَاقّه فبزَغوه[٢] ليقوم فأبى ، فوجّهوه راجعًا إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجّهوه إلى الشأم ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكّة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى مِنقاره ، وحجران فى رجليه مثل الحمّص والعدَس لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك ، ١/٩٤٢ وليس كلُّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أيْنَ المَفرّ والإلهُ الطّالِبْ والأشْرَمُ المَغْلوبُ غَيْرُ الغالبْ !

وقال نفيل أيضًا :

ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنا نَعِمْناكمْ مَعَ الإصْباحِ عَيْنا
أتانا قابِسٌ مِنْكُمْ عِشاءً فلَمْ يُقدَرْ لقَابِسِكُمْ لدَيْنا
رُدَيْنَةُ لوْ رَأَيْتِ ولَم تَرَيْهِ لدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأيْنَا
إذًا لَعَذَرْتِنى وحَمِدْتِ رَأْيِى ولم تأْسَىْ عَلَى ما فاتَ بَيْنا[٣]
حَمِدْتُ اللهَ إذْ عَايَنْتُ طيْرًا وخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنا
فكلُّ القَوْمِ يَسْألُ عن نُفَيْلٍ كأنَّ عَلَىَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا !

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ منهل ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنمُلةً أنمُلةً ، كلّما سقطت منه

---

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسى معرب ؛ قال الجواليقى : «لأن فرسان العجم كانت تحمله معها يقاتلون به» . المعرب ٢٢٨ .

(٢) بزغوه : أدموه .

(٣) قال السهيلى : نصب «بينا» نصب المصدر المؤكد لما قبله ؛ إذ كان فى معناه ولم يكن على لفظه ؛ لأن «فات» معناه «فارق» ، و «بان» .

أنملة اتبعتها منه مدّة تَمُتّ[١] قيحًا ودمًا حتى قَدِموا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطّير ، فما مات حتّى انصدع صدره عن قلبه — فيما يزعمون[٢] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سُليمان ، عن أبيه . قال : وحدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن السّلمانيّ ، عن أبيه . قال : وحدّثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير الكَعْبيّ ، عن أبي مالك الحِمْيريّ عن عطاء بن يسار . ١/٩٤٣ قال : وحدّثنا محمد بن أبي سعيد الثّقَفيّ عن يَعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمّه أبي رَزين العُقَيْليّ . قال : وحدّثنا سعيد بن مُسْلم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ؛ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ قالوا : كان النجاشيّ قد وجّه أرياط أبا صحم[٣] في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداخها[٤] وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذلّ الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهّزون أيام الموسم للحجّ إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتي ها هنا من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيَنّ لكم خيراً منه ! فبنى لهم بيتًا ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلاّه بالذهب والفضة ، وحفّه بالجوهر ، وجعل له أبوابًا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجابًا ؛ وكان يوقد بالمَنْدَل ، ويلطّخ جُدُره بالمسك ، فيسوّده حتى يغيب الجوهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ، ونَسَكوا له ، وكان نُفيل الخثعميّ يؤرّض[٥] له ما يكره ، فلما كان ليلة من

---

(١) قال السهيلي : تمت ، بالضم والكسر ؛ فعلى رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قيحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ — ٤٦ . (٣) ر : « ضخم » .

(٤) أداخها : أذلها . (٥) أرض الشيء : سواه وزينه .

الليالى لم ير أحداً يتحرّك ، فقامَ فجاء بعذرة فلطّخ بها قبْلته، وجمع جيَفًا
١/٩٤٤ فألقاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك، فغضب غضبًا شديداً ، وقال : إنّما فعلت هذا العرب غضبًا لبيتهم ، لأنقضنّه حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشىّ يخبره بذلك، ويسأله أن يبعث إليه بفيله «محمود» – وكان فيلا لم يُر مثله فى الأرض عِظَمًا وجسماً وقوّة – فبعث به إليه ، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس ومعه ملِك حِمْير ، ونُفَيل بن حبيب الخثعمىّ ، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نَعم الناس فأصابوا إبلا لعبد المطلب ، وكان نُفَيل صديقًا لعبد المطّلب ، فكلّمه فى إبله، فكلّم نُفَيل أبرهة ، فقال : أيُّها الملك ، قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قَدْراً ، وأقدمهم شرفًا ، يحمل على الجياد ، ويُعطى الأموال ، ويطعِم ما هبّت الريح. فأدخله على أبرهة ، فقال : حاجتك! قال : تردّ علىّ إبلى ، فقال : ما أرى ما بلَغنى عنك إلا الغرور ، وقد ظننت أنّك تكلّمنى فى بيتكم الذى هو شرفكم ، فقال عبد المطلب : اردُدْ علىّ إبلى ، ودونك البيت ؛ فإن له ربًّا سيمنعه . فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلّدها النّعال ، وأشعرها ، وجعلها هَدْيًا ، وبثّها فى الحرَم لكى يصاب منها شىء فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حِراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطعِم بن عدىّ وأبو مسعود الثقفىّ ، فقال عبد المطلب :

لَاهُمَّ إنَّ المَرْءَ يمْـ ... نَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلَالَكْ
لا يَغلِبنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحالُهُمْ غَدْوًا مِحالَكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهم وَقِبْـ ... لَتنا فأمْرٌ ما بَدَا لكْ

١/٩٤٥ قال : فأقبلت الطّير من البحر أبابيل، مع كلّ طير [منها][1] ثلاثة أحجار : حجَران فى رجليه وحجر فى مِنقاره ، فقذفت الحجارة عليهم ، لا تصيب شيئًا إلا هشّمته ، وإلّا نفَط ذلك الموضع ، فكان ذلك أول ما كان الجُدرىّ والحصبة والأشجار المرّة ، فأهمدتهم الحجارة، وبعث الله سيْلاً أتِيًّا ، فذهب بهم فألقاهم فى البحر .

---

(١) تكملة من ح ، ر .

قال: وولّى أبرهة ومَنْ بَقِيَ معه هُرّابًا، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً . وأما «محمود» فيل النجاشيّ فربَض ولم يشجع على الحرَم فنجا، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصب. ويقال : كانت ثلاثة عشر فيلا، ونزل عبد المطّلب من حراء ، فأقبل رجلان من الحبشة فقبّلا رأسه وقالا : أنت كنت أعلم .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدّث أنّ أولما رُئيَتِ الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أوّل ما رئى بها مُرار الشجر : الحَرْمل والحنظل والعُشَر ، ذلك العام .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنُه فى الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فذلّت حِمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة ؛ فنكحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتّخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب .

قال : ولما ردّ الله الحبشة عن مكّة، فأصابهم ما أصابهم من النّقمة ، عَظّمت العرب قريشًا، وقالوا: أهل الله، قاتل الله عنهم، فكفاهم مؤونة عدوّهم .

قال : ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملكَ اليمن فى الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقًا ، وأخرجوا الحبشة من اليمن ثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزَن الحميريّ ، وكان يَكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما همْ فيه ، وطلب إليه أن يخرجَهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه ولم يجدعنده شيئًا مما يريد، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما همْ فيه من البلاء والذلّ ، فقال له النعمان : إنّ لى على كسرى وفادة فى كلّ عام ، فأقِم عندى حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معى . قال : فأقام عنده حتى خرج النّعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى

١/٩٤٦

كِسرى ، فلما قدِم النّعمان على كسرى وفرغ من حاجته، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذنَ لهعليه ، ففعل. وكان كسرى إنما يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَل[1] العظيم، مضروبًا فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلّقًا بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ذلك، كانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يُستَر بالثياب حتى يجلِس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلاّ برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزنَ برك ، ثم قال: أيّها الملك غلبتْنا على بلادنا الأغربة ، فقال كسرى : أىّ الأغربة ؟ الحبشة أم السّند ؟ قال : بل الحبشة، فجئتك لتنصرَنى عليهم ، وتخرِجهم عنّى ، ويكون مُلْك بلادى لك، فأنت أحبّ إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخيْر ؛ إنّما بها الشاء والبعير ، وذلك ممّا لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورّط جيشًا من فارس بأرض العرب. لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم وافٍ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن، خرج فجعل ينثُر الورِق للناس يَنْتَهِبها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أنْ دخل على كسرى ، فقيل له : العربىّ الذى أعطيتَه ما أعطيته ينثُر دراهمه للناس يَنْتَهِبها العبيد والصبيان والإماء. فقال كسرى : إنّ لهذا الرجل لشأنا، ائتونى به ، فلما دخل عليه قال : عمَدت إلى حِباء الملِك الذى حَباك به تنثره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبالُ أرضِى التى جئت منها إلاّ ذهب وفضة — يرغّبه فيها لما رأى من زهادته فيها — إنّما جئت الملك ليمنعَنى من الظلم، ويدفع عنّى الذلّ ، فقال له كسرى : أقِم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرَازبته وأهلَ الرأى ممّن كان يستشيره فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيُّها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستَهم للقتل ، فلو أنّك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردتَ بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلكًا ازددته إلى ملكك. فقال : إنّ هذا الرأى ! أحصوا لِى كمْ فى سجونى من الرجال ؛ فحسبوا له،

١/٩٤٧ ١/٩٤٨

(١) القنقل : مكيال يسع ثلاثين منا ، والمن : وزان رطلين .

فوجدوا فى سجونه ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حَسَبًا وبيتًا ، اجعلوه عليهم. فوجدوا أفضلَهم حسبًا وبيتًا وَهْرِز — وكان ذا سن — فبعثه مع سيف ، وأمَّره على أصحابه ، ثم حملهم فى ثمانى سفائن ، فى كلّ سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم فى البحر .

فخرجوا حتى إذا لجَّجوا فى البحر ، غرقت من السفن سفينتان بما فيهما ، فخلَص إلى ساحل اليمن من أرْض عدن ستّ سفائن ، فيهنّ ستمائة رجل ، فيهم وهرِز ، وسيف بن ذى يزن، فلما اطمأنّا بأرض اليمن ، قال وَهْرِز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئتَ من رجل عربىّ ، وفرس عربىّ ؛ ثم اجعل رجلى مع رجلك؛ حتى نموت جميعًا أو نظهر جميعًا . قال وَهْرِز : أنصفت وأحسنت ! فجمعَ إليه سيف مَن استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناسُ بعضهم إلى بعض بعث وهرِز ابنًا له كان معه — يقال له نَوْزاذ — على جريدة خَيْل ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم. فخرج إليهم فناوشهم شيئًا من قتال ، ثم تورّط فى مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهرِز حنقًا عليهم ، وجِدًّا على قتالهم .

فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرِز : أرونى ملِكهم ، فقالوا : ترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذاك[1] ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلا ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أنّى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفًا لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإنّى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

١/٩٤٩

ثم أوْتَر قوسه — وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدّتها — ثم أمر بحاجبيه

(١) ر : « ذلك » .

فعَصَبا له ، ثم وضع فى قوسه نُشّابة فمغَط (١) فيها حتى إذا ملأها أرسلها فصكّ بها الياقوتة التى بين عينيه ، فتغلغلت النّشابة فى رأسه ، حتى خرجت من قفاه ، وتنكّس عن دابّته ، واستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليهم الفُرْس ، وانهزمت الحبشة ، فقتلوا وهرب شريدهم فى كلّ وجه ، فأقبل وَهْرِز يريد صنعاء يدخلها ؛ حتى إذا أتى بابها قال : لا تدخل رايتى منكّسة أبداً ، اهدموا الباب. فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايتَه يُسار بها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى : إنّى قد ضبطت لك اليمن ، وأخرجت مَنْ كان بها من الحبشة ؛ وبعث إليه بالأموال . فكتب إليه كسرى يأمره أن يملّك سيف بن ذى يزن على اليمن وأرضها ، وفرض كسرى على سيف بن ذى يزن جِزْية وخرجاً يؤديه إليه فى كلّ عام معلوم ، يُبْعث إليه فى كلّ عام . وكتب إلى وهرز أن ينصرف إليه . فانصرف إليه وهرز ، وملّك سيف بن ذى يزن على اليمن ، وكان أبوه ذو يزن من ملوك اليمن .

١/٩٥٠

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حِمْيَر والحبشة ، وملكهم وتوجيه كسرى من وجّه لحرب الحبشة باليمن (٢) .

* * *

وأمّا هشام بن محمد ، فإنّه قال : ملك بعد أبرهة يكسوم ، ثم مسروق . قال : وهو الذى قتله وهرز فى مُلك كسرى بن قُباذ ، ونفى الحبشة عن اليمن .

قال : وكان من حديثه أن أبا مُرّة الفيّاض ذا يزن ، كان من أشراف اليمن ، وكانت تحته ريحانة ابنة ذى جَدَن ، فولدت له غلاماً سمّاه مَعْدِ يكرب ، وكانت ذاتَ جمال ، فانتزعها الأشرم من أبى مُرّة ، فاستنكحها ، فخرج أبو مرّة من اليمن ، فلحق ببعض ملوك بنى المنذر — أظنّه عمرو بن هند — فسأله أن يكتب له إلى كسرى كتاباً ، يعلمه فيه قدرَه وشرفه ونزوعه إليه فيما نزع إليه فيه . فقال : لا تعجَل ، فإنّ لى عليه فى كلّ سنة وِفادة ، وهذا وقتها ، فأقام قبله حتى وفَد عليه معه ، فدخل عمرو بن هند على كسرى ،

(١) مغط الرجل القوس مغطاً ؛ إذا مدها بالوتر . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ — ٥٢

فذكر له شرفَ ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه، فأقبل عليه، فألطفه وأحسن مسألته ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك، إن السُّودان قد غلبونا[1] على بلادنا، وركبوا منّا أموراً شنيعة[2] ، أجلّ الملك عن ذكرها ، فلو أنّ الملِك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقدّمه لسائر الملوك. فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤمّلين له ، راجين أن يقصِم الله عدوّنا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدّق ظنّنا ، ويحقّق رجاءنا، ويوجّهَ معى جيشاً ينفون هذا العدوّ عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه — فإنّها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى المِلك من بلاد العرب — فعل . ١/٩٥١

قال : قد علمت أنّ بلادكم كما وصفْت ، فأىّ السّودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السّند ؟ قال : بل الحبشة، قال أنوشِرْوان: إنّى لأحبّ أن أصدّق ظنَّك ، وأن تنصرف بحاجتك؛ ولكنّ المسلكَ للجيش إلى بلادكَ صعب، وأكره أن أغرّره بجندى ، ولى فيما سألتَ نظَر ، وأنت على ما تحبّ .

وأمر بإنزاله وإكرامه ؛ فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرّة قال قصيدة بالحِمْيريّة يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجِمت له ، أعجب بها .

وولدت ريحانة ابنة ذى جَدَن لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسمّاه مسروقاً ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمّه ريحانة فى حِجْر أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلاّ أنّ الأشرم أبوه ، فأتى أمّه فقال لها : مَنْ أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سبّنى فلان ، فأخبرتْه أنّ أباه أبو مرّة الفيّاض، واقتصّت عليه خبره ، فوقع ذلك فى نفس الغلام ، ولبِث بعد ذلك لبثاً . ١/٩٥٢

---

(١) ح : « غلبوا » . (٢) كذا فى ح ، وفى ط : « شنعه » .

ثم إنّ الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملِك الرّوم ، وتجنّب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الرُّوم ما يحبّ ، ووجده يحامى عن الحبَشة لموافقتهم إيّاه على الدّين ، فانكفأ راجعًا إلى كسرى ، فاعترضَه يومًا وقد ركب ، فصاح به : أيّها الملِك ، إنّ لى عندك ميراثًا . فدعا به كسرى لمّا نزل ، وقال : مَنْ أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليمانىّ ذى يزَن ، الذى وعدتَه أن تنصره ، فمات ببابك وحَضْرتك ، فتلك العِدةُ حقٌّ لى وميراث يجب عليك الخروج لى منه . فرقّ له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إنّى لم آتك للمال ، إنّما جئتك للرجال ، ولتمنَعنى من الذّلّ . فأعجَبَ ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقِمْ حتّى أنظرَ فى أمرك . ثم إنّ كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له المؤْبذان : إنّ لهذا الغلام حقًّا بنزوعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدّم من عِدَته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو أنّ الملِك وجّههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهلَ مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرّأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرْب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقوّد عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهْرِز ، كان[1] كسرى يعدِله بألف أسوار[2] ، وقوّاهم وجهّزهم وأمر بحملهم فى ثمانىَ سفائن ، فى كُلّ سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، فغرقت من الثّمانى السفن سفينتان ، وسلِمت ستّ ، فخرجوا بساحل حَضْرموت ، وسار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحِمْير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بَشَرٌ كثير ، ونزل وهْرِز على سِيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قلّتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهرز : ما جاء بك ، وليس معك إلاّ من

١/٩٥٣

---

(١) ح : « وكان ».

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ ترى ! لقد غرّرت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذنت لك ؛ فرجعت إلى بلادك ولم أهجك ؛ ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منّى ولا من أحد من أصحابى مكروه ، وإن أحببتَ ناجزتُك الساعة ، وإن أحببت أجّلتك حتّى تنظرَ فى أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهْرِز أمرَهم . ورأى أنّه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينَك أجلا ، وتعطينى موثِقًا وعهداً ، وتأخذ مثله منّى ؛ ألاّ يقاتل بعضنا بعضًا حتّى ينقضىَ الأجلُ ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كلّ واحد منهما فى عسكره ، حتّى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج[1] ابن وهْرِز يسير على فرس له ، حتّى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسُه ، فتوسّط به عسكرهم ، فقتلوه — ووهْرِز لا يشعر به — فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فلِمَ قتلتم ابنى ؟ فأرسل إليه مسروق : إنّ ابنك حمَل علينا ، وتوسّط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهًا . قال وهْرِز للرّسول : قل له : إنه لم يكن ابنى ، إنما كانَ ابنَ زانية ، ولو كان ابنى لصبر ولم يغدر حتّى ينقضىَ الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمِىَ به فى الصعيد حيث ينظَر إلى جثمانه ، وحلف ألاّ يشرب خمراً ، ولا يدهن رأسه حتّى ينقضىَ الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلاّ يومًا واحداً ، أمر بالسّفن التى كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فضْل كسوة فأحرِق ، ولم يدع منه إلاّ ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكلّ زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهْوا أمر بفضله فألقِىَ فى البحر ، ثم قام فيهم خطيبًا ، فقال : أمَّا ما حرّقتُ من سفنكم ، فإنى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرّقت من ثيابكم ، فإنّه كان يغيظنى إن ظفرتْ بكم الحبش أن يصير

(١) ر ، ل : « وخرج » .

ذلك إليهم ، وأمّا ما ألقيت من زادكم فى البحر ، فإنّى كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يومًا واحداً ، فإن كنتم قومًا تقاتلون معى وتصبرون أعلمتمونى ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفى هذا حتى يخرج من ظهرى ؛ فإنى لم أكن لأمكّنَهم من نفسى أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفَر .

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجلُ عبّى أصحابَه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضّهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلّتين ، ١/٩٥٥ إمّا ظفروا بعدوّهم ، وإمّا ماتوا كرامًا ، وأمرهم أن تكون قسيّهم موتَرة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشْقًا بالبَنْجكان — ولم يكن أهل اليمن رأوا النشّاب قبل ذلك — وأقبل[١] مسروق فى جَمْع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يَرَى أنّ دونَ الظفر شيئًا . وكان وهْرِز قد كلّ بصره فقال : أرونى عظيمهَم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسًا ، فقالوا : قد ركب فرسًا ، فقال : ارفعوا لى حاجبَىّ ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكِبَر ، فرفعوهما بعصابة ، ثم أخرج نُشّابة ، فوضعها فى كبد قوسه ، وقال : أشيروا لى إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبته[٢] ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموْا ، ونزع فى قوسه حتى إذا ملأها[٣] سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رِشاء ، حتى صكّت جبهة مسروق ، فسقط عن دابّته ، وقتل فى ذلك الرّشق منهم جماعة كثيرة ، وانفضّ صفّهم لمّا رأوا صاحبَهم صريعًا ، فلم يكن دون الهزيمة شىء ، وأمر وهْرز بجثّة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكانَها ، وغَنم من عسكرهم ما لا يُحصى ولا يُعدّ كثرة ، وجعل الأُسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمْير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتّفين ، لا يمتنعون منه .

---

(١) ح : « فأقبل » . (٢) أثبته : عرفه حق المعرفه .
(٣) ح : « ملأ بها » .

فقال وهْرِز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تُبقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتّى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جَمَل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا فى الحقيبة نُشّابة ، فقال : لأمك الويل ! أبُعْدٌ أم طول مسير — حسب أن النشابة لحقته . وأقبل وهْرِز حتّى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله فى المخاليف . ١/٩٥٦

وفى ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهْرِز والفُرس ، يقول أبو الصَّلْت أبو أميّة بن أبى الصَّلت الثقفىّ :

لِيَطْلُبِ الْوِتْرَ أَمْثَالُ ابنِ ذى يَزَنٍ ... رَيَّمَ فى البحر لِلأَعداء أحوالا[1]

أَتى هِرَقْلَ وقد شالَتْ نَعامتُهُمْ ... فلَمْ يجِدْ عِنْدَه بَعْضَ الذى قالا[2]

ثمّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابعةٍ ... مِنَ السِّنين لقَدْ أَبْعَدْتَ إيغالا

حتى أَتى بِبَنِى الأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ ... إِنكَ لَعَمْرِى لقدْ أَطْوَلْتَ قلْقالا[3]

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهَنْشَاهِ المُلُوكِ له ... أَو مِثْلُ وهْرِزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إذْ صالا!

لله دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خرجوا ... مَا إِنْ تَرَى لَهُمُ فى النّاس أمثالا

غُرٌ جَحَاجِحَةٌ ، بيضٌ مَرَازِبَةٌ ، ... أُسْدٌ تُرَبِّبُ فى الغيضَاتِ أَشْبَالا

يرْمُونَ عن شدُفٍ كأنّها غُبُطٌ ... فى زَمْخَرٍ يُعْجِلُ المرمِىّ إعجَالا[4] ١/٩٥٧

أَرْسَلْتَ أَسْداً عَلى سُودِ الكلابِ فقَدْ ... أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فى الأرْضِ فُلّالا

فاشْرَبْ هَنيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَّكِئاً ... فى رَأسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلَالا

---

(١) القصيدة فى ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبى الصلت » . ريم فى البحر : أقام فيه .

(٢) شالت نعامتهم ، أى هلكوا ، والنعامة فى الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسى . والغبط : الهوادج . والزمخر : القصب الفارسى .

وَأَطْلِ بِالْمِسْكِ إذْ شَالَتْ نَعامَتُهُمْ وأَسْبِلِ اليَوْمَ فى بُرْدَيْكَ إسْبَالا
تِلكَ المَكارِمُ لَا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبَا بماء فَعَادَا بَعدُ أَبْوالا[1]

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهرز إلى كسرى، وملّك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتّلها ويبقر النساء عمّا فى بطونها، حتى إذا أفناها إلاّ بقايا ذليلة قليلة، فاتّخذهم خوَلا، واتخذ منهم جمّازين يسعوْن بين يديه بحرابهم، فمكث بذلك حيناً غير كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم، حتى إذا كان فى وسط منهم وجئوه بالحراب حتى قتلوه، ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهْرز فى أربعة آلاف من الفُرْس، وأمره ألاّ يترك باليمن أسْوَد ولا ولدَ عربيّة من أسْوَد إلاّ قتله؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلا جَعْداً قَطِطاً[2] قد شرك فيه السودان إلاّ قتله.

١/٩٥٨ فأقبل وهْرز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشيّاً إلا قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمّره كسرى عليها. فكان عليها، وكان يَجْبيها إلى كسرى حتى هلك، وأمّر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرز، فكان عليها حتى هلك، فأمّر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز حتى هلك، ثم أمّر كسرى بعده خُرَّ خسْرَه بن البينجان بن المرزبان بن وهْرز، فكان عليها.

ثم إنّ كسرى غضب عليه، فحلف ليأتينّه به أهلُ اليمن يحملونه على أعناقهم ففعلوا، فلما قدم على كسرى تلقّاه رجل من عظماء فارس، فألقى عليه سيفاً لأبى كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القَتْل ونزعه، وبعث باذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلّى الله عليه وسلّم.

وكان - فيما ذُكِر - بين كسرى أنو شِرْوان وبين يخطيانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتا، قوله: «تلك المكارم لا قعبان من لبن». (٢) الجعد: القصير الشعر، وكذلك القطط.

الروم ، موادعة وهدنة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عُمان والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومَنْ فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النّعمان — نائرة[1] ، فأغار خالد بن جبلة على حيّز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم فى إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ١/٩٥٩ والصلح ، ويعلمه ما لقىَ المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذى ملّكه على مَنْ فى بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يردّ على المنذر ما غنم من حيّزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاّ يستخفّ بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتَر الكُتب إلى يخطيانوس فى إنصاف المنذر ، فلم يحفِل بها ، فاستعدّ كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس فى بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرُّهاء ، ومدينة مَنْبِج ، ومدينة قِنّسْرين ، ومدينة حَلَب ، ومدينة أنْطاكيَة — وكانت أفضل مدينة بالشأم — ومدينة فامية ، ومدينة حِمْص ؛ ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عَنْوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسَبَى أهلَ مدينة أنطاكيَة ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طَيْسَبُون على بناء مدينة أنطاكيَة — على ما قد ذكرت قبل — وأسكنهم إياها ؛ وهى التى تسمّى الروميّة ، وكوّر[2] لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسُّوج نَهْروان الأعلى ، وطسّوج نهروان الأوسط ، وطسّوج نهروان الأسفل ، وطسّوج بادَرايا ، وطسُّوج باكُسايا ، وأجرى على السَّبْى الذين نقلهم من أنطاكيَة إلى الروميّة الأرزاق . وولّى القيام ١/٩٦٠ بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاّه الرّياسة على أصحاب

---

(١) النائرة : العداوة . (٢) ر ، ن : « وكور بها ».

صناعاته[١] ، يقال له : بَرَاز ، رِقّة منه لذلك السَّبى ، إرادة أن يستأنسوا ببراز لحال ملّته ، ويسكنوا إليه . وأمّا سائر مدن الشام ومصر فإنّ يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمِن له فدية يحملها إليه فى كلّ سنة على ألاّ يغزوَ بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتابًا ، وختَم هو وعظماء الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه فى كلّ عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُوَر من كُوَرِهم قبل ملك كسرى أنوشِرْوان فى خراجها الثُّلث ، ومن كُوَر الرّبع ، ومن كُوَر الخمس ، ومن كُوَر السدس ؛ على قدر شِرْبها وعمارتها ، ومن جزية الجماجم شيئًا معلومًا ، فأمر الملك قُباذ بن فَيْروز فى آخر ملكه بمسْح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصحّ الخراج عليها ، فمُسِحت ؛ غير أن قُباذ هلك قبل أن يستحكِم له أمرُ تلك المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستتمامها وإحصاء النخل والزيتون والجماجم ، ثم أمر كتّابه فاستخرجوا جُمل ذلك ، وأذن للناس إذنًا عامًّا ، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل التى استخرجت من أصناف غلاّت الأرض ، وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أحْصِى من جِرْبان[٢] هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع[٣] ، ونأمر بإنجامها فى السنة فى ثلاثة أنْجُم ، ونجمع فى بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثَغْر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا فَتْق أو شىء نكرهه . واحتجنا إلى تداركه أو حَسْمه ببذلنا فيه مالا ، كانت الأموال عندنا معدّة موجودة ، ولم نُرد استئناف اجتبائها على تلك الحال . فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

١/٩٦١

فلم يُشِر عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينبِس بكلمة ، فكرّر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى : أتضعُ أيها الملك — عمّرك الله — الخالدَ من هذا الخراج على الفانى من كَرْمٍ يموت ، وزَرْعٍ يَهِيج[٤] ، ونهرٍ يغور ، وعيْن أو قناة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلْفة

(١) ح : « مبتاعاته » . (٢) الجربان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من الأرض ؛ نقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع .

(٣) الوضيعه : ما يأخذه السلطان من الخراج والعشور . (٤) يهيج : ييبس .

المشئوم ، منْ أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتّاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدّوَى [١] حتى يموت ، فضربوه بها الكتّاب خاصة تبرّؤًا منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيّها الملك بما أنت مُلزِمنا من خراج .

وإنّ كسرى اختار رجالا من أهل الرأى والنصيحة ، فأمرهم بالنظر فى أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدّة النخل والزيتون ورءوس أهل الجزية . ووضع الوَضائع على ذلك بقدر ما يرون أنّ فيه صلاح رعيته ، ورفاغة [٢] معاشهم ، ورفعه إليه . فتكلّم كلّ امرئ منهم بمبلغ رأيه فى ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وَضْع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم ، وهو الحنطة والشعير والأرزّ والكَرْم والرِّطاب والنخل والزيتون ؛ وكان الذى وضعوا على كلّ جَرِيب أرض مِنْ مزارع الحنطة والشعير درهمًا ، وعلى كلّ جَرِيب أرض كَرْم ثمانية دراهم ؛ وعلى كلّ جَرِيب أرض رِطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسيّة درهمًا ، وعلى كلّ ستّ نخلات دَقَل [٣] مثل ذلك ؛ وعلى كلّ ستة أصول زيتون مثل ذلك ، ولم يضعوا إلاّ على كلّ نخل [فى] [٤] حديقة ، أو مجتمع غير شاذّ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلاّت السّبع . فقوِىَ الناس فى معاشهم . وألزمُوا الناس الجِزْية ما خلا أهلَ البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتّاب ، ومَنْ كان فى خدمة الملك ، وصيّروها على طبقات : اثنى عشر درهمًا وثمانية وستة وأربعة ، كقَدْر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يُلزِموا الجزية مَنْ كان أتى له من السنّ دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيَها وأمر بإمضائها والاجتباء عليها فى السنة فى ثلاثة أنجُم ، كلّ نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله «الأمر المتراضَى» ؛ وهى الوضائع التى اقْتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتباء أهل الذمّة عليها ، إلاّ أنه وضع على كلّ جَرِيب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كلّ

٩٦٢/١

---

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحبر .

(٢) ح : « رفاهية » وهما بمعنى

(٣) الدقل : أردأ التمر .

(٤) من س

١/٩٦٣ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حِنْطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصّة وضائعَ كسرى على جِرْبان الأرضِ وعلى النخل والزيتون والجماجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معايش الناس .

وأمر كسرى فدوّنت وضائعه نُسخًا ، فاتُّخذت نسخة منها فى ديوانه قِبَله ، ودفعت نسخة إلى عمّال الخراج ، ليجتبوا خراجَهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكُوَر ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عُمّال الكُوَر والزيادة على أهل الخراج فوق ما فى الديوان الذى دفعت إليه نسخته ، وأن يرفعوا الخراج عن كلّ مَنْ أصاب زرعه أو شيئًا من غلاّته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وعمّن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك ؛ ليأمر بحسبه للعمّال ، وألاّ يخلّوا بين العمّال وبين اجتباء مَنْ أتى له دون عشرين سنة.

* * *

وكان كسرى ولّى رجلا من الكتّاب – نابهًا بالنبل والمروءة والغَناء والكفاية ، يقال له بابك بن البيروان – ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إنّ أمرى لا يتمّ إلا بإزاحة علّتى فى كلّ ما بى إليه الحاجة من صلاح أمر الملك فى جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له فى الموضع الذى كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سُوسَنجرد ونَمَط صوف فوقه ، ووضعت له وسائد لتُكَأته ، ثم جلس على ما فُرِش له ، ثم نادى مناديه فى شاهد عسكر ١/٩٦٤ كسرى من الجند أن يحضره الفرسان على كُراعهم وأسلحتِهم والرجّالة على ما يلزمهم من السّلاح ، فاجتمع إليه الجُند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ؛ فأمرَهم بالانصراف ، ونادى مناديه فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، فاجتمع إليه[1] الجند. فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا[2] إليه ، وأمر مناديَه أن ينادى فى اليوم الثالث : ألاّ يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرِم بتاج وسرير ؛ فإنه عَزْم لا رُخصةَ فيه ولا محاباة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلّح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويعودوا » .

ليعترض عليه ، وكان الذى يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف[١] ودرعا ، وجَوْشنا[٢] ، وساقين ، وسيفًا ، ورمحًا ، وترسًا ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتَريهما ، وثلاثين نشّابة ووتَرين مضفورين يعلّقهما الفارس فى مِغْفر له ظهريًّا .

فاعترض كسرى على بابك بسلاح تامّ ما خلا الوتَريْن اللذين كان يستظهر بهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنّك أيها الملك واقف فى موضع المعْدَلة التى لا محاباة تكون منّى معها ولا هوادة ، فهلمّ كلّ ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلّقهما ، ثم غرّد داعى بابك بصوته ، وقال : للكمىّ سيّد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم انصرف . وكان يفضّل الملك فى العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم .

١/٩٦٥

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غِلْظتَى فى الأمر الذى أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ؛ إنما هى لأن ينفُذ لى عليه الأمر الذى وضعتنى بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكانى[٣] . فقال كسرى : ما غلُظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعيّتنا ، وأقيم عليه أوَدُ ذى الأوَد منهم .

ثم إنّ كسرى وجّه مع رجل من أهل اليمن يقال له سَيْفان بن مَعْدِ يكرب — ومن الناس من يقول إنّه كان يسمى سيف بن ذى يزن — جيشًا إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستوْلوا عليها . فلمّا دانت لكسرى بلاد اليمن وجّه إلى سَرَنْديب من بلاد الهند — وهى أرض الجوهر — قائدا من قوّاده فى جند كثيف ، فقاتل ملِكها فقتله ، واستولَى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالا عظيمة ، وجوهراً كثيراً .

ولم يكن ببلاد الفرس بناتُ آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك فى مُلْك كسرى أنوشِرْوان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقّة ، فدعا

---

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكانى » .

بموبذان موبذ ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاظم الناسُ ذلك ، فتعجّبنا من استعظامهم أمرها لهوانها ، فأخبِرنا برأيك في ذلك .

فقال له موبذان موبذ : فإنّي سمعت أيها الملك — عمّرك الله — فقهاءنا يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدلُ الجورَ ، ويمحق ، بُلِيَ أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أنْ ١/٩٦٦ تناهى إليه أنّ فتيانًا من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب أعماله ألاّ يتعدَّوْا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ، فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدوّ عن بلاده من غير أن يكون حاربهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .

وكان لكسرى أولاد متأدّبون ، فجعل الملْك من بعده لهُرمُز ابنه الذي كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هُرمُز الملْك وقدرته على تدبير الملْك[١] ورعيّته[٢] ومعاملتهم .

* * *

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عهد كسرى أنوشروان ، عام قَدِم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكّة ، وساق فيه إليها الفيل ؛ يريد هدم بيْت الله الحرام ، وذلك لمضيّ اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان . وفي هذا العام كان يوم جَبَلَة ، وهو يوم من أيّام العرب مذكور .

---

(١) ح ، ن : « ملكه » .
(٢) ح ، ن : « ورعيتهم » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا أبى ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدّث عن المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن محرمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل . ١/٩٦٧

قال : وسأل عثمان بن عفّان قَبَاث بن أشْيم ، أخا بنى عمرو بن لَيْث : أنت أكبر أم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلّى الله عليه وسلم أكبرُ منى ، وأنا أقْدَمُ منه فى الميلاد ، ورأيت خَذْق[1] الفيل أخضرَ محيلا بعده بعام ، ورأيت أُميّة بن عبد شمس شيخًا كبيراً يقودُه عبْدُه . فقال ابنه : ياقَبَاث ، أنت أعلم وما تقول .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن المطّلب ابن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مخرمة ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن لِدَان[2] .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلِد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين مَضَت من سلطان كسرى أنوشِرْوان ، وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحُدّثت عن يحيى بن معين ، قال : حدّثنا حجّاج بن محمد ، قال : حدّثنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال : وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل .

حدّثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبدُ العزيز بن أبى ثابت ،

---

(١) خذق الفيل : روثه .

(٢) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٠٧ ، لدان : مثنى لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدّثنا الزّبير بن موسى ، عن أبي الحُويرث ، قال : سمعت عبدَ الملك ابن مَرْوان يقول لقُباث بن أشْيَم الكِنانيّ اللّيثيّ : يا قباث ، أنتَ أكبر أم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أكبر منى وأنا أسنّ منه ، ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل ، ووقفت بى أمىّ على روث الفيل محيلا أعقله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلمة ، قال : حدّثى ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ الاثنين عام الفيل ، لاثْنَتَىْ عشرة مضت من شهر ربيع الأول ؛ وقيل إنه وُلد صلّى الله عليه وسلّم فى الدّار التى تُعْرَف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان وَهَبَها لعَقِيل بن أبى طالب ، فلم تزَلْ فى يد عَقِيل حتى توفّى ، فباعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجّاج بن يوسف ، فبنى دارَه التى يُقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيتَ فى الدّار ، حتى أخرجتْه الخيْزُران فجعلَتْه مسجداً يصلَّى فيه .

١/٩٦٨

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزْعمُون فيما يتحدّث الناس — والله أعلم — أنّ آمنة بنت وهب أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كانت تُحدّث أنّها أتِيَتْ لمّا حَمَلت برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وقع بالأرْض فقُولى : أعيذُه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأتْ حين حَمَلت به أنّه خرج منها نور رأت منه قُصور بُصْرَى من أرض الشّام ، فلمّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنّه قد ولد لك غلام فأته فانظُر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدّثتْه بما رأتْ حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمِرت أن تسمّيَه .

حدّثنى محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدّثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرىّ ، قال : حدّثنا عبدُ العزيز بن عمران ، قال : حدّثنى عبدُ الله بن عثمان بن أبى سُليمان بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ، عن ابن أبى سُوَيد الثقفىّ ، عن

١/٩٦٩ عثمان بن أبي العاص ، قال : حدّثتني أمّي أنّها شهدت ولادة آمنة بنت وهب أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان ذلك ليلاً ولدته — قالت : فما شيء أنظر إليه من البيت إلاّ نوّر ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو ، حتى إني لأقول : لتقعنّ عليّ .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فيزعمون أنّ عبد المطلب أخذه فدخل به على هُبَل في جوف الكعبة ، فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثمّ خرج به إلى أمّه فدفعه إليها ، والتمس له الرُّضَعاء ، فاسترضع له امرأةً من بني سعد بن بكر ، يقال لها حليمة ابنة أبي ذُؤَيب ، وأبو ذؤيب عبدالله ، بن الحارث ، بن شِجْنَة ، بن جابر ، بن رِزام ، بن ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن عِكْرِمة ، بن خَصَفَة ، بن قَيْس ، بن عَيْلان ، بن مُضَر . واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزّى ، بن رفاعة ، بن مِلاّن ، بن ناصرة ، بن فُصيّة ، بن سعد ، بن بكْر ، بن هَوَازن ، بن منصور ، بن عِكْرِمَة ، بن خَصَفَة ، بن قيْس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوته من الرَّضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُنَيْسة ابنة الحارث ، وخِذامة[1] ابنة الحارث وهي الشَّيْماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليمة ابنةُ عبد الله بن الحارث ، أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ويزعمون أنّ الشَّيْماء كانت تحضُنُه مع أمّها إذ كان عندهم صلّى الله عليه وسلّم [2] .

وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثني به الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن شَيْبَة ، عن عميرة ابنة عُبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برّة ابنة

---

(١) قال السهيلي : « خذامة ، بكسر الخاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : حذافة ، بالحاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم » .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

١/٩٧٠ أبى تُجْزَأة، قالت : أوَّلُ من أرضعَ رسول اللهصلّى الله عليه وسلّم ثُوَيْبَة ، بلبنِ ابنٍ لها – يُقال له مَسْرُوح – أيامًا قبلأن تقدَم حليمة ؛ وكانت قد أرْضَعَت قبله حمزةَ بن عبد المطلب ، وأرْضَعَت بعدَه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوىّ .

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق– وحدّثنا هنّاد بن السَّرِىّ ، قال : حدّثنا يونس بن بُكير ، قال : حدّثنا ابن إسحاق . وحدّثنى هارون بن إدريس الأصمّ، قال : حدّثنا المُحَارِبىّ ، عن ابن إسحاق . وحدّثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : حدّثنى عمّى محمد ابن سعيد ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق – عن الجهم بن أبى الجهم مولى عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، قال : كانت حليمة ابنة أبى ذُؤَيْب السَّعدية أمّ رسولالله صلّىالله عليه وسلّم التى أرْضَعَتْه. تُحدّث أنها خَرَجَتْ منبلدها معها زوجُها وابنٌ لها ترضعه فى نسوةٍ من بنى سعْد بن بكر ، تَلْتمسُ الرُّضَعاء[1] ، قالت : وذلكْ فى سَنَة شهْبَاء لم تُبْقِ شيئًا، فَخَرَجْتُ على أتان لى قَمْرَاء ، معنا شارفٌ[2] لنا؛ والله ما تبِضّ بقطرة، وما ننام ليْلَنا أجمعَ من صَبِيّنا الذى معىمن بكائه مِن الجوعِ ، وما فى ثَدْيى مَا يُغْنيه ، وما فى شَارِفنا ما يغذُوه[3] ، ولكنّا نرجو الغيثَ والفرجَ ؛ فخرجتُ على أتانى تلك، فلقد أذمّت[4] بالرّكب حتى شقّ ذلك عليهمضعفًا وعَجَفًا ، حتى قدمنا مكّة نلتمِسُ الرُّضعاء ، فما منّا امرأة إلاّ وقد عُرِضَ عليها رسول الله صلّىالله عليه وسلّمفتَأبَاه إذا قيللها إنّه ١/٩٧١ يتيمٌ ، وذلك أنّا إنّما نرجوالمعروفَ من أبى الصّبىّ ، فكنّا نقولُ : يتيمٌ

---

(١) الرضعاء : يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعاء فهو جمع رضيع ؛ وأوّل السهيلىرواية ابن إسحاق من وجهين . أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثانى أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه . (٢) الشارف من الإبل : المسنة الهرمة .

(٣) فى ابن هشام : « ما يغديه » .

(٤) قال السهيلىّ : أذمت ، أى جاءت بما يذم عليه .

ما عسى أن تصنع أمه وجده ! فكنا نكرهه لذلك ؛ فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا ، غيري . فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعًا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلي ، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ! قالت : فذهبت إليه فأخذته وما حملني على ذلك إلا أني لم أجد غيره . قالت : فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما — وما كان ينام قبل ذلك — وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ، حتى انتهينا ريًّا وشبعًا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حين أصبحت : أتعلمين والله يا حليمة ، لقد أخذت نسمة مباركة ، قلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتاني تلك ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عليها شيء من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، اربعي[1] علينا . أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لشأنًا . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، ٩٧٢/١ وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعًا لبنًا ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ، اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض[2] بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعًا لبنًا . فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير به ، حتى مضت سنتان وفصلته . وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا[3] ، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلمنا أمه وقلنا لها : يا ظئر ، لو تركت بني عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة ! قالت :

---

(١) اربعي : أقيمي وانتظري ؛ ربع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانتظره .

(٢) ما تبض : ما ترشح . (٣) الجفر : الشديد .

فلم نزل بها حتَّى ردَدْناه معنا . قالت : فرجعْنا به ، فوالله إنَّه بعد مقدمنا به بأشْهر مع أخيه فى بَهْمٍ[١] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخُوه يشتدّ ، فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشىّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضْجَعاه وشقَّا بطنه وهما يسوطانه[٢] . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نَشتدّ ، فوجدناه قائمًا منتقعًا وجهه ، قالت : فالتزمْتُه والتزمَه أبُوه ، وقلنا له : مالك يا بنىّ ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثيابُ بياض ، فأضجعانى فشقَّا بطنى فالتمسا فيه شيئًا لا أدرى ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خبائنا . قالت : وقال لى أبوه : والله يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألْحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتَمَلْناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمَكِ به يا ظِئْر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مُكْثه عندك ؟ قالت : قلتُ : قد بلغ الله بابنى وقضيتُ الذى علىّ وتخوّفتُ الأحْداثَ عليه ، فأدَّيتُه إليكِ كما تحبّين . قالت : ما هذا بشأنك ، فاصدقينى خبرَك ، قالت : فلم تدعنى حتَّى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوّفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلاًّ والله ما للشَّيطان عليه سبيل ، وإنَّ لبُنَىَّ لشأنًا ، أفلا أخبرُكِ خَبَرَهُ ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيتُ حين حَمَلْتُ به أنَّه خرج منِى نُورٌ أضاء لى قصور بُصْرَى من أرض الشأم ، ثم حملْتُ به ، فوالله ما رأيت من حَمْل قطّ كان أخفَّ منه ولا أيسرَ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنَّه لواضعٌ يديه بالأرْض ، رافعٌ رأسَه إلى السَّماء ؛ دعيه عنكِ وانطَلِقى راشِدَةً[٣] .

٩٧٣/١

حدَّثنا نصرُ بن عبد الرحمن الأزْدىّ ، قال : حدَّثنا محمد بن يَعْلَى ، عن عمر بن صُبَيْح ، عن ثَوْر بن يزيد الشَّأمىّ ، عن مكْحول الشأمىّ ، عن شدَّاد بن أوْس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بنى عامر ، وهو مِدْرَهُ قومِه وسيّدُهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فَمَثَلَ بين يدىْ النبىّ صلى الله عليه وسلم قائمًا ، ونسبَه

(١) البهم : الصغار من الغنم .

(٢) قال السهيلى : « يقال : سطت اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط : عود يضرب به » .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٠٨ – ١١٢ .

إلى جدّه، فقال: يا بن عبد المطّلب، إنّى أُنبِئْتُ أنّك تزعم أنّك رسول الله إلى النّاس، أرسلك بما أرسَل به إبراهيمَ، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنّك فوّهت بعظيم، وإنّما كانت الأنبياءُ والخلفاءُ فى بيتَيْن من بنى إسرائيل، وأنت ممّن يَعْبُد هذه الحجارةَ والأوثان، فما لك وللنبوّة! ولكنّ لكلّ قول حقيقة، فأنبئْنى بحقيقة قولك، وبدءِ شأنك؛ قال: فأُعْجِبَ النبىّ صلى الله عليه وسلم بمَسْألتِه، ثم قال: يا أخا بنى عامر، إنّ لهذا الحديث الذى تسألنى عنه نبأً ومجلسًا، فاجلسْ، فثَنَى رجلْيه ثم برك كما يبرك البعير، فاستقْبَله النبىّ صلى الله عليه وسلّم بالحديث فقال: يا أخا بنى عامر، إن حقيقةَ قولى وبدءَ شأنى، أنّى دَعْوةُ أبى إبراهيم، وبُشْرَى أخى عيسى بن مريَم. وإنّى كنْتُ بِكْرَ أمّى، وإنّها حملت بى كأثْقل ماتحمِلُ، وجعَلَتْ تشتكى إلى صواحِبِها ثقلَ ما تَجِدُ. ثم إنّ أمى رأت فى المنام أنّ الّذى فى بطنها نورٌ، قالتْ: فجعلت أتْبِع بصرى النورَ، والنورُ يسبقُ بصرى، حتى أضاءَتْ لى مشارقُ الأرض ومغاربُها. ثم إنّها ولَدَتْنى فنشأتُ، فلمّا أن نشأتُ بُغِّضَت إلىّ أوْثانُ قريش، وبُغِّضَ إلىّ الشّعْر، وكنت مسترضَعًا فى بنى ليث بن بكر، فبينَا أنا ذات يوم منتبِذ من أهلى فى بطنِ واد مع أتْراب لى من الصبيان نتقاذف بيننا بالجُلّة، إذ أتانا رهْطٌ ثلاثة معهم طَسْتٌ من ذهب مُلِىء ثلْجًا، فأخذونى من بين أصحابى، فخرج أصحابى هُرّابا حتى انتهوْا إلى شفير الوادى، ثم أقبلُوا على الرّهط فقالوا: ما أربُكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منّا، هذا ابن سيّد قريش، وهو مسترضَعٌ فينا؛ من غلام يتيم ليس له أب، فماذا يردّ عليكم قتلُه، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بدّ[1] قاتليه، فاختاروا منّا أيّنا شئتم، فليأتكم مكانَه فاقتلُوه، وَدعُوا هذا الغلام فإنّه يتيم. فلمّا رأى الصبيان القومَ لا يُحيرون[2] إليهم جوابًا، انطلقوا هُرّابًا مسرعين إلى الحىّ، يؤذنونهم ويستصْرخونهم[3] على القوم؛ فعمَد أحدُهم فأضْجعنى على الأرض

(١) ح: «ولا». (٢) ط: «لا يخبرون»

(٣) ح: «مستصرخين».

إضْجَاعًا لطيفًا ، ثم شقّ ما بين مفرق صدْرى إلى منتهى عانتى ، وأنا أنْظرُ إليه، فلم[1] أجد لذلك مَسًّا . ثمّ أخرج أحشاءَ بطنى ثمّ غسلها بذلك الثلج فأنْعَم غسْلَها، ثم أعادها مكانَها، ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه: تنحّ، فنحَّاه عنى ، ثم أدْخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصَدَعَه ، ثم أخرج منه مُضْغَة سوداء ، فرَمى بها ثم قال بيده يمنةً منه ؛ كأنَّه يتناول شيئًا ، فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه ، فختم به قلبى فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوّة والحكمة ، ثمّ أعادَهُ مكانَه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهراً ، ثم قال الثَّالث لصاحبه : تَنَحَّ عنى ، فأمَرَّ يَدَه ما بيْن مفرق صدْرى إلى مُنْتَهَى عانتى ، فالتأم ذلك الشقّ بإذْن الله . ثم أخذ بيدى فأنهضَنى من مكانى إنْهَاضًا لطيفًا، ثم قال للأوَّل الذى شقّ بطنى : زِنْه بعشرة من أمَّتِه ، فوزنونى بهم فرجحتُهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمَّتِه ، فوزنونى بهم فرجَحْتُهم ، ثم قال : زنه بألف من أمّته، فَوَزَنُونى بهم فرجَحْتُهم. فقال : دعوهُ ، فلو وزَنْتمُوه بأمَّته كلها لرجحهم . قال : ثمَّ ضمّونى إلى صُدورهم وقبّلوا رأسى وما بينَ عينيَّ ، ثم[2] قالوا : يا حبيب، لم ترَعْ ؛ إنَّك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقَرَّتْ عيناك . قال : فبينَا نحن كذلك ، إذ أنا بالحىّ قد جاءوا بحذافيرهم ، وإذا أمّى — وهى ظئْرى — أمام الحىّ تهتف بأعْلَى صوتها وتقول : يا ضعيفاه ! قال : فانكبُّوا علىَّ فقبَّلوا رأسى وما بين عينىّ ، فقالوا : حبّذا أنت من ضعيف ! ثم قالت ظِئْرى : يا وحيدَاه ! فانكَبّوا علىّ فضمّونى إلى صُدُورِهم وقَبَّلوا رأسى وما بين عَيْنَىَّ ، ثم قالوا : حَبَّذا أنت من وحيد وما أنتَ بوحيد ! إنَّ اللهَ معك وملائكتَه والمؤمنين من أهل الأرض . ثمَّ قالت ظئْرى : يا يتيماه ، استُضْعِفْتَ من بيْن أصحابِك فقُتِلْتَ لضعفِك ، فانكبّوا علىّ فضَمّونى[3] إلى صدورهم وقبّلوا رأسى وما بينَ عينَىّ. وقالوا: حبّذا أنت من يتيم ، ما أكْرَمَك على الله ! لو تعلم ماذا يراد بك من الخير ! قال : فوصلوا بى إلى شَفِير الوادى ، فلمّا بصرت بى

٩٧٦/١

(١) كذا فى ت ، ح ، وفى ط : « لم » . (٢) ح : « وقالوا » .
(٣) ت ، ر : « وضمونى » .

أمّي – وهي ظئري– قالت : يا بُنَيَّ ألا أراك حيًّا بعدُ ! فجاءت حتّى انكبّتْ عليّ وضمّتْني إلى صدْرِها ؛ فو الذى نفسي بيده ، إنّي لفى حِجْرِها وقد ضمّتني إليها ، وإنّ يدى فى يد بعضهم ، فجعلتُ ألتفتُ إليْهم وظَنَنْتُ أنّ القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض[1] القوم : إنّ هذا الغلامَ قد أصابه لَمَمٌ أو طائفٌ من الجنّ ، فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويُدَاوِيَه . فقلت : يا هذا ، ما بى شيء مما تذكر ، إن آرائى سليمة وفؤادى صحيح ، ليس بى قَلَبَة[2] . فقال أبى – وهو زوج ظئري – ألا ترون كلامه كلامَ صحيح ! إنى لأرجو ألاّ يكون بابنى بأسٌ[3] ، فاتّفقوا على أن يذهبوا بى إلى الكاهن ، فاحتملونى حتى ذهبوا بى إليْه ، فلمّا قصُّوا عليه قِصَّتى قال : اسكُتُوا حتّى أسمعَ من الغلام ، فإنّه أعلمُ بأمره منكم ، فسألني ، فاقتصصت[4] عليه أمرى مابين أوّله وآخره ، فلمّا سمع قولى وَثَبَ إلىّ فضمّنى[5] إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يالَلْعَرَب ، يا لَلْعَرب ! اقتلوا هذا الغلامَ واقتلونى معه ، فو اللاّت والعزّى لئن تركْتموه وأدرك ، لَيُبَدّلَنّ دينَكُم وليُسفِّهَنّ عقولَكُم وعقولَ آبائكم ، ولَيخالفنّ أمْركم ، وليأتيَنّكُم بدين لم تسمعوا بمثله قطّ ! فعَمَدَتْ ظِئْرى فانتزعَتْني من حِجْرِه وقالت : لأنْتَ أعْتَهُ وأجَنّ من ابني هذا ! فلو علمتُ أنّ هذا يكونُ من قولك ما أتيتُك به ، فاطلب لِنَفْسِك من يقتُلُك ، فإنّا غيرُ قَاتِلى هذا الغلام . ثم احتملونى فأدّونى إلى أهلي فأصبحت مُفْزَّعًا مما فعل بى ، وأصبح أثر الشّقّ ما بين صدرى إلى مُنْتَهَى عانتى كأنه الشِّراك ؛ فذلك حقيقةُ قولى وبدءُ شأنى يا أخا بنى عامر.

فقال العامريّ : أشهدُ بالله الذى لا إله غيره[6] أنّ أمْرَك حقّ[7] ، فأنبئْني

١/٩٧٧

---

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بى قلبة ؛ أى ليس به شيء ؛ وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل فى رءوسها ، فيقلبها إلى فوق ؛ قال فى اللسان : « ولا يستعمل إلا فى النفى » .

(٣) ت ، ح : « شيء من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضمنى » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « لحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك — وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسّائل : سل عمّا شئت، وعمّا بدا لك، فقال للعامريّ يومئذ: «سل عنْك» ، لأنّها لغةُ بنى عامر ، فكلّمه بما علِم — فقال له العامريّ : أخبرنى يا بنَ عبد المطلب ما يزيدُ فى العِلم ؟ قال : التعلّم ، قال : فأخبرنى ما يدلّ على العلْم ؟ قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : السؤال ، قال : فأخْبِرْنى ماذا يزيدُ فى الشرّ ؟ قال : التّمادى ، قال : فأخْبرنى هل ينفع البِرُّ بعد الفجور ؟ قال : نعم، التّوبةُ تغسِل الحوْبة ، والحسناتُ يُذْهِبْن السيئات، وإذا ذكر العبدُ ربّه عند الرّخاء ، أغاثه[1] عند البَلاء ، قال العامريّ : وكيف[2] ذلك يا بنَ عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأنّ الله يقول : لا وعزّتِى وجلالى ، لا أجمع لعبدى أمْنَيْن ، ولا أجمع له أبداً خوْفَيْن ، إن هو خافَنى فى الدنيا أمِنَنِى يومَ أجمعُ فيه عِبادى عندى فى حظيرة الفردوس[3] ، فيدومُ له أمْنُه ، ولا أمْحقُه[4] فيمن أمحق ، وإن هو أمِنَنِى فى الدُّنيا خافَنى يوم أجْمَعُ فيه عبادى لميقات يوم معلوم ، فيدومُ له خوفُه ؛ قال : يابن عبد المطّلب ، أخبرنى إلامَ تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادةِ الله وحْدهُ لاشريكَ لَهُ ، وأن تَخْلَع الأنْدَاد، وتكْفُرَ باللاّت والعزّى ،وتقرَّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول، وتصلّى الصلوات الخمس بحقائقهنّ ، وتصوم شهراً من السَّنة ، وتؤدى زكاةَ مَالِكَ ، يطهّركَ اللهُ بها ويُطَيّب لك مالَكَ ، وتحجّ البيْتَ إذا وجَدْت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمِن بالموْت ، وبالبَعْث بعد الموت ، وبالجَنّة ، والنار . قال : يابن عبد المطّلب ، فإذا فعلتُ ذلك فما لِى ؟ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ﴿جنَّاتُ عدْنٍ تَجْرى من تحْتِها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاءُ مَنْ تزكّى﴾[5] .قال : يابن عبدالمطّلب ، هل مع هذا من الدنيا شىء ؟ فإنّه يُعْجِبُنى الوَطاءَة من العيش ! قال النبى

(١) ت، ل : « أعانه » .

(٢) ت، ح : « كيف » .

(٣) ط : « القدس » ، وما أثبته من ر .

(٤) ل . « أمحق » .

(٥) سورة طه ٧٦

صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، النَّصْرُ والتَّمكُّن فى البلاد . قال : فأجابَ وأنابَ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعْدان الكَلاعىّ ، أنّ نفراً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا : يا رسول الله ، أخبرْنا عن نفسك ، قال : نعم ، أنا دَعْوَةُ أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورَأتْ أمى حين حَمَلَت بى أنّه خرَج منها نورٌ أضاءَ لها قصورَ بُصْرى من أرْضِ الشام ، واسْتُرْضِعْت فى بنى سعد بن بَكْر ، فبَيْنَا أنا مع أخٍ لى خلفَ بُيُوتِنا نرعى بَهْماً لنا ، أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطسْتٍ من ذهب مملوءةٍ ثلجًا ، فأخذانى ، فشقَّا بطنى ، ثم استخْرجا منه قلبى ، فشقّاه فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء ، فطَرَحاها ، ثم غسلا بطنى وقلبى بذلك الثّلج حتى أنْقَيَاه ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زِنْه بعشرة من أمّته ، فَوَزَنَنى بهم فوزْنتهُم ، ثم قال : زِنْهُ بمائة من أمَّتِه ، فوزَنَنِى بهم فَوَزَنْتُهُم ، ثم قال : زنه بألف من أمَّتِه ، فوزننى بهم فوزَنْتهُم ، ثم قال : دعْه عنْك ، فلو وَزَنْتَهُ بأمَّتِه لوَزَنَها[١] .

قال ابن إسحاق : هلك عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأمُّ رسولِ الله آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حاملٌ به .

١ / ٩٨٠ وأمَّا هشام فإنه قال : توفِّيَ عبدُ الله أبو رسول الله ، بعدَ ما أتَى على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانيةٌ وعِشْرون شهراً .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر الواقدىّ : الثَّبَت عندنا مِمَّا ليس بيْن أصحابنا فيه اختلاف ، أنّ عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام فى عِير لقريش ، فنزل بالمدينة — وهو مريض — فأقام بها حتّى توفّى ، ودفن فى دار النابغة ، فى الدّار الصّغْرى إذا دخلت الدّار على يسارك فى البيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبدالله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارىّ ، أنّ أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة ، توُفّيت — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابنُ ستّ سنين — بالأبْوَاءِ بين مكة والمدينة ، كانتِ قدمت به المدينة على أخْوالِه من

---

(١) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١١٢

بنى عدىّ بن النّجّار تُزيرُه إيّاهم ، فماتَتْ وهىَ راجعةٌ به إلى مكّة[١] .

وقد حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبَرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أنّ قبْر آمنة بنت وهب فى شِعْبِ أبى ذرٍّ بمكّة .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن مَعْبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أنّ عبد المطلب تُوُفّىَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمانى سنين ؛ وكان بعضهم يقول : تُوُفّىَ عبد المطلب ورسول الله ابنُ عَشْرِ سنين[١] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا طلْحَة بن عمرو الحَضْرَمىّ ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبى صلّى الله عليه وسلّم فى حِجْر أبى طالب بعد جدّه عبد المطّلب ، فيُصْبِحُ ولد عبد المطلب غُمْصًا رُمْصًا ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صَقِيلاً دهينًا[٢] . ٩٨١/١

* * *

رجع الحديث إلى تمام أمرِ كسرى بن قُباذ أنو شروان

حدثنا على بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب يَعْلَى بن عِمران البَجَلىّ ؛ قال : حدّثنى مَخْزوم بن هانئ المخزومىّ عن أبيه — وأتت له خمسون ومائة سنة — قال : لمّا كانت ليلة وُلِدَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرى وسَقَطَتْ منه أربعَ عشرَة شرفة ، وخَمَدَتْ نار فارس ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألف عام[٣] ، وغاضتْ بُحَيْرة سَاوَة ، ورأى المؤبَذان إبلاً صِعابًا ، تقود خيلاً عِرابًا ، وقد قطعَتْ دِجْلَة وانتشرتْ فى بلادها . فلمّا أصْبَح كِسْرَى أفزَعَهُ ما رأى ، فصبَرَ تَشَجّعًا ، ثم رأى ألاّ يكتم ذلك عن وزرائه ومَرَازِبَتِه ، فلبِسَ تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

---

(١) الخبر فى ابن هشام ١ : ١١٣ .
(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والغمص والرمص : البياض الذى يجتمع فى زوايا الأجفان.
(٣) الفائق : « ألف عام » .

فلمّا اجتمعوا إليه أخبرهم بالّذى بَعَثَ إليهم فيه ودعاهم . فبينَاهُم كذلك إذْ وَرَدَ عليه كتابٌ بخمودِ النّارِ فازداد غمًّا إلى غمّه، فقال المُوْبذان: وأنا أصلح الله المَلِكَ! قد رأيت فى هذه الليلة ... وقصّ عليه الرُّؤيَا فى الإبل. فقال : أىّ شىء يكون هذا يا مُوْبذان ؟ — وكان أعلمهم عند نفسه بذلك — فقال : حادثٌ يكون من عندِ العرب ، فكتب عند ذلك :

من كسْرى مَلِكِ المُلُوك إلى النُّعمَان بن المنذر ، أمَّا بعد ؛ فوجّهْ إلىّ رجلاً عالمًا بما أريدُ أن أسألَه عنه .

فوجّه إليه عبدَ المسيح بن عمرو بن حيَّان بن بُقَيْلة الغسّانىّ ، فلمَّا قدم عليه ، قال له : أعندك علم بما أريد أنْ أسألَكَ عنه ؟ قال : ليخبِرْنى الملك ، فإنْ كان عندى منه علم ، وإلاّ أخبرتُهُ بمن يعلمه له ، فأخْبَرَه بما رأى ؛ فقال : علم ذلك عند خال لى يسكُن مَشَارِفَ الشأم ، يقال له سَطِيح ، قال : فأتِهِ فاسأله عمّا سألتك ، وأتِنى بجوابه . فركب عبدُ المسيح راحلتَهُ حتى قدم على سَطِيح — وقد أشفى على الموت — فسلَّم عليه وحيَّاه ، فلم يُحِرْ سطيحٌ جوابًا ، فأنشأ عبدُ المسيح يقول : ٩٨٢/١

أصمُّ أم يَسْمَعُ غِطريفُ اليَمَنْ ! ... يا فاصِلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ وَمَنْ

أم فَازَ فَازْلَمَّ بِهِ شَأْوُ العَنَنْ[(1)] ... أتاكَ شَيْخُ الحَىِّ مِنْ آلِ سَنَنْ

وَأمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بنِ حَجَنْ ... أزْرَقُ مُمْهَى النَّابِ صَرَّارُ الأُذُنْ[(2)]

أبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالبَدَنْ ... رَسُولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِى لِلْوَسَنْ

يَجُوبُ بِى الأرضَ عَلَنْدَاةٌ شَزَنْ[(3)] ... تَرْفَعُنِى وَجْنٌ وتَهْوِى بِى وَجَنْ[(4)]

لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ ... حَتَّى أتَى عَارِى الجَآجِى والقَطَنْ

---

(١) الفائق : «فاد» ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) ممهى : محدد .

(٣) العلندى : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزن : النشيط .

(٤) الوجين : الغليظ من الأرض ، جمعه وجن .

تَلُفُّهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدِّمَنْ   كَأَنَّمَا حُثْحِثَ مِنْ حِضْنَيْ ثَكَنْ(١)

فلمّا سمع سطيح شعرَه ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل يسيح(٢) ، إلى سطيح ، وقد أوْفى على الضَّريح ، بعثك مَلِكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموْبَذان . رأى إبلاً صعابًا ، تقود خيْلا عرابًا ، قد قطعتْ دجْلة وانتشرت في بلادها ؛ يا عبدَ المسيح : إذا كثُرَت التلاوَة ، وبُعث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادي السَّماوة ، وغاضَتْ بحيرةُ ساوة ، وخمدَتْ نارُ فارس ، فليْسَت الشَّأمُ لِسَطيح شأما ؛ يملِكُ منهم ملوكٌ وملِكات ، على عدَدِ الشرُفات ، وكلٌّ ما هو آت آت .

ثمَّ قضى سطيح مكانَه ، فقام عبد المسيح إلى رحْله وهو يقول :

شَمِّرْ فإنَّكَ مَاضِي الهَمِّ شِمِّيرُ   لا يُفزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ

إنْ يَكُ مُلْكُ بَني ساسانَ أَفْرَطَهُمْ   فإنَّ ذَا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهَارِيرُ

فرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ   تَهَابُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المَهَاصِيرُ

مِنْهُمْ أخُو الصَّرْحِ مِهْرَانٌ وَإخْوَتُهُ   والهُرْمُزان وسابورٌ وسابورُ

والنَّاسُ أولادُ عَلَّاتٍ فَمَن عَلِموا   أَنْ قد أقَلَّ ، فَمَهْجُورٌ ومَحْقُورُ

وهُمْ بَنُو الأمِّ لَمَّا أنْ رَأَوْا نَشَبًا   فذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحفوظٌ ومَنْصُورُ

وَالخيْرُ والشَّرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ   فالخيْرُ مُتَّبَعٌ والشَّرُّ مَحْذُورُ

فلمَّا قَدِم عبدُ المسيح على كِسْرى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منَّا أربعةَ عشر ملِكًا قد كانت أمور .

فَمَلَكَ منهم عشرةٌ أربعَ سنين ، ومَلَكَ الباقون إلى ملْك عثمان بن عفان(٣) .

* * *

(١) البوغاء : دقاق التراب ، وحثحث : حث وأسرع . وثكن : اسم جبل .

(٢) ر : « مشيح » .

(٣) الخبر في الفائق ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١

وحُدِّثتُ عن هشام بن محمد ، قال : بعث وَهْرِز بأموال وطُرَف من طُرَف اليمن إلى كسْرى ، فلما صارَتْ ببلاد بنِي تميم ، دعا صَعْصَعَةُ ابن ناجية بن عِقال المجاشِعِيّ بَنِي تميم إلى الوثوب عليه ، فأبَوْا ذلك ، فلمّا صارتْ في بِلادِ بنى يربوع دعاهم إلى ذلك ، فهابوه ، فقال : يابنى يَرْبُوع ، كأنّى بهذه العِير قد مرّت ببلاد بكْر بن وائل ، فوَثَبُوا عليها فاستعانوا بها على حَرْبِكُمْ ! فلمّا سمعوا ذلك انْتَهَبُوها ، وأخذ رجلٌ من بنى سَليط يقال له النَّطِف خُرْجاً فيه جوْهر ، فكان يقال : « أصاب كنز النَّطِف » ؛ فصار مثلا ؛ وأخذ صعْصَعة خَصَفَة[١] فيها سبائكُ فِضَّة ، وصار أصحاب العير إلى هَوْذَة بن على الحنفىّ باليمامة ، فكساهم ، وزوّدهم وحملهم ، وسار معهم حتى دخل على كسرى . وكان لهَوْذة جَمَالٌ وبَيَان ، فأعجب به كسرى وحَفِظ له ما كان منه ، ودعا بعِقد من دُرّ فعقد على رأسه ، وكساه قباء ديباج ، مع كسوة كثيرة ، فمن ثَمَّ سُمِّىَ هوذة ذا التاج ؛ وقال كسرى لهوذة : أرَأيْتَ هؤلاءِ القوم الذين صنعوا ما صنعوا مِنْ قومِكَ هم ؟ قال : لا ، قال : أصلحٌ هُم لك ؟ قال : بيننا الموتُ ، قال : قد أدْرَكْتَ بعضَ حاجتك [ونلت ثأرك][٢] . وعزم على توْجيه الخيل إلى بنى تميم ، فقيل له : إنّ بلادَهُمْ بلادُ سوء ، إنّما هى مفاوزُ وصحارى لا يهتَدَى لمسالكها ، وماؤهُمْ من الآبار ، ولا يؤمن أن يُعَوِّرُوها فيهلك جندك . وأشيرَ إليه أن يكتبَ إلى عامِله بالبحرين وهو آزاذ فرُوز بن جُشْنَس الذى سمّته العرب المُكَعْبِر — وإنّما سُمِّيَ المكعبر ، لأنّه كان يقطع الأيدىَ والأرْجُل وآلى ألاّ يدع من بنِي تميم عيناً تطرِفُ — فَفَعَل ؛ ووجّه له رسولاً . ودعا بهوذة فجدّدَ له كرامةً وصِلَةً وقالَ : سِرْ مع رسولى هذا فاشْفِنِى واشْتَفِ ، فأقبل هوذة والرّسُول معه حتى صار إلى المكعبر ، وذلك قريب من أيّام اللُّقاط[٣] ، وكان بَنُو تميم يصيرون فى ذلك الوقت إلى هَجَر ، للميرَةِ واللّقاط ، فنادى منادى المكَعْبِر : مَن كان هاهنا من بنى تميم فلْيَحْضر

(١) الخصفة : وعاء من خوص . (٢) من ح .

(٣) اللقاط ، بالضم : جمع اللاقطة ؛ وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام .

١ / ٩٨٥

فإن الملك قد أمر لَهُمْ بميرَةٍ وطعام يُقسّم فيهم ؛ فحضروا ، فأدخلهم المُشَقَّر — وهو حصن حِيَاله حصنٌ يقال له الصَّفا ، وبينهما نهرٌ يقال له محلّم — وكان الذى بنى المشقَّر رجلا من أساورَة كسرى يقال له: «بَسَك بن ماهبوذ» ، كان كسرى وجَّهَهُ لبنائه ، فلمَّا ابتدَأه قيل له: إنَّ هؤلاء الفَعَلَة

١/٩٨٦ لا يقيمون بهذا المَوْضع إلاَّ أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بهم تَمَّ بناؤُك ، وأقاموا عليْه حتى يَفْرُغوا منه ؛ فنقل إليْهم الفواجِرَ من ناحية السَّوَادِ والأهْواز ، وحُمِلَتْ إليهم رَوَايا الخمْرِ من أرض فارس فى البحر ، فتَنَا كَحُوا وتَوَالدوا ، فكانوا[١] جُلَّ أهل مدينة هَجَر ، وتكلَّم القومُ بالعربيَّة ، وكانت دعوَتُهم إلى عبْد القيْس ، فلما جاء الإسلامُ قالوا لعبد القيْس : قد علمتم عَدَدَنا وعُدَّتنا وعظيمَ غَنَائنا ، فأدْخِلونا فيكم وزوّجونا ، قالُوا : لا ، ولكن أقيموا على حالِكم ، فأنتم إخوانُنَا وموالينا ، فقال رجلٌ من عبد القيس : يا معاشر عبد القيْس ، أطيعونى وألحقوهم ، فإنَّه ليس عن مثْل هؤلاء مرغَب ، فقال رجل من القوم : أما تَسْتَحى ! أتأمرنا أن نُدْخِل فينا من قد عرَفْتَ أوَّلَه وأصلَه ! قال : إنَّكم إن لم تفعَلُوا ألحقَهُمْ غيركم من العرب ، قال : إذاً لا نستوحش لهم ؛ فتفرَّق القوْم فى العرب ، وبقيتْ فى عبد القيس منهم بَقيَّةٌ فانتَمَوْا إليهم ، فلم يردُّوهم عن ذلك . فلما أدْخَلَ المكعبِرُ بَنِى تميم المشقَّر قتل رجالهم واستبقى الغلمان ، وقُتِل يومئذ قَعْنَب الرِّياحىّ — وكان فارسَ بنى يَرْبُوع — قتله رجلان من شَنٍّ[٢] كانا ينوبان الملوك ؛ وجعل الغلمانَ فى السُّفن ، فعبر بهم إلى فارس ، فَخَصَوْا منهم بشرًا . قال هبيرة بن حُدير العَدوىّ : رجع إليْنا بعد ما فتحت إصطخر عدَّة منهم ، أحدُهم خصِىٌّ والآخر خيَّاط . وشدَّ رجلٌ من بنى تميم ، يقال له عبيد بن وَهْب على سلسلة الباب فَقَطَعَهَا وخرَجَ ، فقال :

١/٩٨٧ تذَكَّرْتُ هنْداً لاتَ حِينَ تَذَكُّرِ تَذَكَّرْتها ودُونَهَا سَيْرُ أَشْهُرِ

حِجَازِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ حَلَّ أهلها مُصابَ الخريفِ بيْنَ زُورٍ وَمِنْوَرِ[٣]

---

(١) ح : « وكانوا » .

(٢) بنو شن ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥

(٣) ر ، ل : « هضاب الخريف » .

أَلا هَلْ أَتى قَوْمى عَلى النَّأْيِ أنّنى حَمَيْتُ ذِمارى يَوْمَ بَابِ المُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتاجَ البابِ بالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفَرَّجَ مِنْها كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرِ

وكلَّم هوذة بن علىّ المُكَعْبِر يومئذ فى مائة من أسرَى بنى تميم ، فوهبهم له يوم الفِصْح ، فأعتقهم ، فى ذلك يقول الأعشى :

سائِلْ تميماً به أَيَّامَ صفقتِهمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسارَى كلُّهم ضَرَعا[1]
وَسْطَ المُشَقَّرِ فى غَبْرَاء مُظْلِمَةٍ لا يَسْتَطيعونَ بَعْدَ الضُّرِّ مُنْتَفعا
فقال للمَلْكِ أطْلِقْ مِنْهُمُ مِائَةً[2] رِسْلًا مِنَ القَوْلِ مَخْفُوضاً وما رَفَعا
فَفَكَّ عن مِائَةٍ مِنْهُمْ إسارَهُمُ[3] وأَصْبَحوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّه خُلِعا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الفِصْحِ ضاحِيَةً[4] يَرْجُو الإلٰهَ بِمَا أَسْدَى وَمَا صَنَعَا[5]
فلا يَرَوْنَ بذاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ إنْ قالَ قائِلُها حَقًّا بِها وَسِعَا ٩٨٨/١

يصف بنى تميم بالكُفْر لنعمته .

قال : فلما حضرت وهْرِزَ الوفاة — وذلكَ فى آخر ملْك أنوشِرْوان — دعا بقوسه ونشَّابته ، ثم قال : أجلسونى ، فأجلسوه ، فرمى وقال : انظروا حيث وقعت نُشَّابتى فاجعلوا ناؤوسِى هناك ، فوقعت نشَّابتُه منوراءِ الدَّيْر ، وهى الكنيسة الّتى عند نُعْم ، وهىَ تسمَّى اليومَ مقبرةَ وَهْرِز ؛ فلمَّا بلغ كِسْرَى موتُ وَهْرِز ، بَعَثَ إلى اليمن أسواراً يقال له وِيْن[6] ، وكان جبَّاراً مُسْرِفاً ، فعَزَلَهُ هُرْمُز بن كِسْرَى ، واستعمل مكانه المَرْوُزان ، فأقام

(١) من قصيدة فى ديوانه ٧٢ — ٨٧ ، والضرع ، بفتحتين : الذليل الضعيف .
(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .
(٣) الديوان : « وثاقهم » .
(٤) الديوان : « يوم الفتح » .
(٥) الديوان : « سدى » .
(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما فى التصريبات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبَلَغ وَلدُه . ثم هلك كِسْرَى أنوشِرْوان ، وكان مُلْكُه ثمانيًا وأربعين سنة .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُز بن كِسْرى أنوشروان ، وكانت أمّهُ ابنة خاقان الأكبر ، فحُدِّثْتُ عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُز بن كِسْرى هذا كثيرَ الأدب ، ذا نيّة فى الإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين ، والحمل على الأشراف ، فعادَوْه وأبغضوه ، وكان فى نفْسه عليهم مثلُ ذلك ، ولمّا عُقِدَ التاجُ على رأسه ، اجْتَمَع إليْه أشرافُ أهْلِ مَمْلَكَته ، واجتهدوا فى الدعاء له والشكر لوالده ، فوعدهم خيراً . وكان مُتَحَرِّيًا للسيرةِ فى رعيّته بالعدْل ، شديداً على العظماء لاستطالتهم كانت على الوُضعاء ، وبلغ من عدْله أنّه كان يسير إلى ماه ليصيفَ ،فأمر فَنُودىَ فى مسيره ذلك فى جُنْدِه وسائر منْ كان فى عسْكره أنْ يتحامَوْا مواضعَ الحرُوث ولا يضرّوا بأحَد من الدّهاقين فيها ، ويضبطوا دوابّهُمْ عن الفساد فيها ، ووكّل بتعاهد ما يكُون فى عسكره من ذلك ومعاقبةِ منْ تعدّى أمْرَه .

١/٩٨٩

وكان ابنُه كِسْرَى فى عَسْكَرِه ، فعار مركب[1] من مراكبِه ووقع فى مَحْرَثَة من المحارث التى كانت على طريقه فرتع فيها وأفْسَد منها ، فأخِذَ ذلك المركب ، ودُفِع إلى الرَّجُل الذى وكّل هُرْمُز بمعاقبة من أفسد أوْ دابّتهُ شيئًا من المحارث وتغريمه . فلم يقدر الرَّجل على إنفاذ أمر هُرْمز فى كسرى ، ولا فى أحد مِمّن كان معه فى حَشَمِه ، فرفع ما رأى من إفساد ذلك المركب إلى هُرْمز ، فأمر أن يجْدَع أذنيه ، ويبتّر ذَنَبُه ، ويغرّم كسرى ؛ فخرج الرَّجل من عند هُرْمُز لينفّذ أمرَه فى كِسْرى ومركبه ذلك ، فدسّ له كِسْرَى رهْطًا من العُظماء ليسْألوه التّغْبيبَ فى أمْره ، فلقوه وكلّموه فى ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخّر ما أمر به هُرْمُز فى المركب حتى يكلّموه فيأمر بالكفّ عنه ، ففعل . فلقىَ أولئك الرّهْط هُرْمُز

---

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدّابّة .

وأعلموه أنّ بالمركب الذى أفسد ما أفسد زعارةً[1]، وأنّه عار فوقع فى مَحْرَثة؛ فأخذ من ساعة وقع فيها، وسألوه أن يأمر بالكفّ عن جدْعه وتبتيره لما فيها من سوء الطِّيَرة على كِسْرى. فلم يُجِبْهم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالمركب فجُدِع أذناه، وبُتِّرَ ذنبه، وغرم كِسْرَى مثل ما كان يغرّم غيره فى هذا الحدّ، ثمّ ارتحل من معسكره. وكان هُرْمُز ركب ذات يوم فى أوان إيناع الكرْم إلى ساباط المدائن، وكانَ مَمرُّهُ على بساتينَ وكروم، وإنّ رجلاً ممّن ركب معه من أساورته اطّلع فى كَرْم فرأى فيه حِصْرِمًا، فأصاب منه عناقيدَ ودَفعَها إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل واطبُخْها بِلَحم واتّخِذْ منها مَرقةً فإنها نافعة فى هذا الإبّان[2]. فأتاه حافظُ ذلك الكرْم فَلَزِمَه وصرخ، فبلغ [من][3] إشفاق الرّجل من عقوبة هرمز على تناوُلِه من ذلك الكرْم أنْ دفع إلى حافظ الكرْم مِنْطَقة محلاّة بذهب كانت عليه، عوضًا له من الحصْرم الذى رزأ من كرْمه، وافتدى نفسَه بها، ورأى أنّ قَبْضَ الحافظ إياها منه وتخْلِيته عنه، مِنّةٌ منّ بها عليه، ومعروف أسداه إليه. وقيل إنّ هرمز كان مظفّرًا منصوراً لا يَمُدُّ يدَه إلى شىء إلاّ ناله، وكان مع ذلك أديبًا أريبًا داهيًا ردىء النيّة، قد نزعه أخوالُه الأتراك، وكان مُقْصِيًا[4] للأشْراف، وإنّه قتل من العلماء وأهل البيُوتات والشَّرف ثلاثةَ عشر ألف رجل وستّمائة رجل، وإنّه لم يكن له رأىٌ إلا فى تألُّف السَّفِلة واستِصْلاحهم، وإنّه حَبَس ناسًا كثيراً من العظماء وأسْقطهم وحطّ مراتبَهم ودرجاتهم، وجهّزَ الجنودَ وقصّر بالأساورة فَفَسَد عليه كثيرٌ ممّن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم؛ ولكلّ شىء سبب. وإنّ الهَرابِذة رفعوا اليه قصّة يبغون فيها على النّصارى، فوقع فيها: إنّه كما لا قِوامَ لسرير مُلْكنا بقائمتيه المقدّمتين دون قائمتَيْه

١/٩٩٠

١/٩٩١

---

(١) الزعارة، بتخفيف الراء أو تشديدها: شراسة الطبع.

(٢) ل: «الأوان».

(٣) من ح.

(٤) ل: «مغضباً».

المؤخَّرتين ، فكذلك لاقِوَام لمَلْكِنا ولاثباتَ له، مع استفسادنا مَنْ فى بلادِنا من النَّصارى وأهل سائر المِلَلِ المخالفة لنا ؛ فأقصِروا عن البغْى على النَّصارى، وواظبوا على أعمال البرّ لِيرَى ذلك النصارى وغيرُهم من أهْل الملل [والأديان] ، [1] فيحمَدوكم عليه ، وتَتوق أنفسُهم إلى ملَّتِكم .

وحُدِّثتُ عن هشام بن محمد، قال: خرج على هرمز التُّرك — وقال غيره : أقبَل عليه[2] شابة ملك التُّرك الأعظم — فى ثلثمائة ألف مقاتل، فى سنة إحْدى عشرة من ملكه ، حتَّى صار إلى باذغِيس وهَراة . وإنَّ ملكَ الروم صار إلى الضَّواحى فى ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإنَّ ملك الخزَرِ صار فى جمْعٍ عظيم إلى الباب والأبواب ، فعاث وأخْرب ، وإنَّ رجليْن من العرب يقال لأحدهما : عبّاسُ الأحْول ، والآخر : عمرو الأزْرق ، نزلا فى جمع عظيمٍ من العرب بشاطئ الفرات ، وشنُّوا الغارةَ على أهل السَّواد ، واجْتَرأ أعداؤُه عليه وغزوا بلاده ، وبلغ من اكْتِنَافهم إياها أنَّها سُمِّيتْ منخلا كثير السِّهام . وقيل : قد اكتنف بلادَ الفرسِ الأعداءُ من كلّ وجه كاكْتِناف الوترِ سِيتَىِ القوْس . وأرْسل شابة ملك التُّرك إلى هرمز وعظماءِ الفرس يُؤْذِنُهم بإقْبَاله فى جنُوده، ويقول : رُمُّوا قناطرَ أنهارٍ وأودية أجتازُ عليها إلى بلادكم ، واعْقدوا القَناطر على كلّ نهْرٍ من تلك الأنهار لاقنطرةَ له ، وافْعلوا ذلك فى الأنهارِ والأوْدية الّتى عليها مسْلكِى من بلادكم إلى بلادِ الرُّوم ، لإجْماعى بالمسير إليها من بِلادِكم . فاستْفظَع هرمز ما وَرَد عليه من ذلك ، وشاور فيه ، فأجْمِع له على القصْد لملك التّرك ، فوجَّه إليه رجُلاً من أهل الرّىّ يقال لَهُ بَهْرام بن بهْرام جُشْنَس — ويعرف بِجُوبِين — فى اثنى عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عيْنيه من الكهول دون الشَّباب . ويقالُ : إنَّ هُرْمز عرض ذلِك الوقت من كان بحضرته من الديوانِيَّة ، فكانت عِدَّتهم سبعين ألف مُقاتل ، فمضى بهرام بمن ضُمَّ إليه مُغِذًّا حتى جاز هَراة وباذغِيس ، ولم يشعُر شابة ببهرام حتى نزل بالقرب منه مُعَسْكِراً ، فجرت

١/٩٩٢

(١) من ح .
(٢) ر : « إليه » .

بَيْنَهُما رسائلُ وحروبٌ، وقتَل بهرامُ شابةَ برَمْية رماه إيَّاها . وقيل : إن الرّمىَ فى ملك العجم كان لثلاثة نفر ، منها رمية أرششياطين بين منُوشهر ، وأفراسياب[١] ، ومنها رَمْيَة سوخرا فى التّرك ، ومنها رمية بهرام هذه . واستباح عسكرَه وأقام بموْضعه ، فوافاه برموذة بن شابة ، وكان يعدل بأبيه ، فحاربَه فهزمه ، وحصره فى بعض الحصُون ، ثم ألحَّ عليه حتَّى استسْلم له ، فوجَّهه إلى هرمز أسيرًا ، وغَنِمَ مما[٢] كان فى الحصْن [وكانت][٣] كنوزاً عظيمة[٤] .

١/٩٩٣

ويقال إنَّه حمل إلى هرمز من الأمْوال والجوْهر والآنية والسلاح وسائر الأمْتعة مِمّا غَنِمَه وَقْرَ مائتىْ ألف وخمسين ألف بعير ، فشكر هرمز لبهْرام ما كان منه بسبب الغنائم التى صارت إليْه ، وخاف بهرام سَطْوَة هرمز ، وخاف مثْلَ ذلك منْ كان معه من الجنود ، فخلعوا هرمز وأقْبلوا نَحْوَ المدائن ، وأظْهروا الامْتِعاضَ ممَّا كان من هرمز ، وأنَّ ابنَه أبَرْوِيز أصلحُ للمُلْك منه . وساعَدَهم على ذلك بعض من كان بحضرةِ هرمز ، فهرب أبَرْوِيز بهذا السببِ إلى آذربيجان خوفًا[٥] من هرمز ، فاجتمع إليه هناك عدّةٌ من المرازِبة والإصْبَهْبذين ، فأعطوْه بَيْعَتَهُم ، ووثب العظماءُ والأشرافُ بالمدائن ، وفيهم بِنْدى وبِسْطام خالا أبَرْوِيز ، فخلعوا هرمز وسملوا[٦] عينيه وترَكُوه تَحَرُّجًا من قتله .

وبلغ الخبرُ أبَرْوِيز ، فأقبل بمن شايَعَه[٧] من آذربيجان إلى دار الملك مُسابقًا لبهرام ، فلما صار إليْها استولى على المُلْك وتحرَّز من بهرام ، والتقى هُو وهُو على شاطئ النَّهْرَوَان ، فجرتْ بينهما مناظرةٌ وموافقة ، ودعا أبَرْوِيزُ بهرامَ إلى أن يؤمِّنَه ويرفع مرتَبَتَهُ ويُسْنِى ولايتَه ، فلم يقْبَل ذلك ، وجرت بينهما حروبٌ اضطرَّت أبَرْوِيز إلى الهرب إلى الروم مستغيثًا بملكها بعد حرْب

١/٩٩٤

(١) ط : فراسيات » ، وأثبت مافى الشاهنامة .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سمل عينيه : فقأهما بحديدة محماة . (٧) ر : « بايعه » .

شديدة وبيات كان من بعْضهم لبعض . وقيل إنَّه كان مع بَهْرام جماعةٌ من الأشدَّاء ، وكان فيهم ثلاثةُ نفرٍ من وجوه الأتراك لايعْدَل بهم فى فروسيَّتِهم(١) وشدَّتهم من الأتراك أحدٌ ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز. فلمَّا كان الغدُ من ليْلة البيات وقف أبَرْويز ودعا النَّاسَ إلى حرب بهرام فتثاقَلُوا عليه ، قصده النفر الثلاثةُ من الأتراك ، فخرج إليهم أبرْويز فقتلهم بيده واحداً واحداً ، ثمَّ انصرف من المعْركة وقد أحسَّ من أصحابه بالفتور والتغيُّر ، فصار إلى أبيه بِطَيْسَبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبيَّنه من أصحابه وشاوره ، فأشار عليه بالمصير إلى مَوْريق ملك الروم ليستنجده ، فأحْرز حُرَمَه فى موضع أمِنَ عليْهم بهرامَ ، ومضى فى عدَّة يسيرة ؛ منهم بِنْدى وبِسْطام وكُرْدى أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنْطَاكيَة ، وكاتَبَ موريق فَقَبِلَه ، وزوَّجه ابنةً له كانتْ عزيزةً عليه(٢) ، يقال لها : مَرْيم . وكان جميع مدَّة مُلْك هرمز بن كسرى فى قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأمَّا هشام بن محمد فإنَّه قال : كان ملكه اثنتى عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

٩٩٥/١ ثم مَلَكَ كِسرى أبَرْويز بن هرمز بن كِسرى أنوشِروان ؛ وكان من أشدّ ملوكهم بطشًا ، وأنْفذِهم رأيًا ، وأبْعدهم غوْراً ، وبلغ — فيما ذُكِر — من البأس والنَّجْدة والنَّصر والظَّفَر وجمْع الأمْوال والكنوز ومُساعدة القَدَر ومساعفة(٣) الدَّهْر إيّاه ما لم يتهيَّأ لملك أكثر منه ، ولذلك سُمّى أبرْويز ، وتفسيرُه بالعربية : « المظفَّر » . وذُكر أنه لمَّا استوْحش من أبيه هرمز — لِمَا كان من احتْيال بهرام جوبين فى ذلك ، حتَّى أوْهم هرمز أنَّه على أن يقوم بالملْك لنفسه دونه — سار إلى آذربيجان مكتَتِماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلمَّا صار فى النَّاحية اجتمعت إليه جماعة ممَّن كان هناك من الإصْبَهْبَذين وغيرهم ، فأعْطوْه بيعتَهم على نُصْرته ؛ فلم يُحْدث فى الأمر شيئًا . وقيل إنَّه لما قتل آذِينْجُشْنَس المُوَجَّه لمحاربة بهرام جوبين ، انفَضَّ

---

(١) ط : «فروستهم» وما أثبته من ت ، ل . (٢) ح : « عنده » . (٣) كذا فى ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبعهم جوبين ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتَبَتْ أختُ آذِينْجُشْنَس إلى أبرَوِيز — وكانت تِربه — تخبره بضعف هرمز للحادث فى آذِينْجُشْنَس ، وأنَّ العظماءَ قد أجْمعوا على خلعه ، وأعلمته أنّ جوبين إن سَبَقَه إلى المدائن قبل مُوَافاته احتوى عليْها .

فلمَّا ورد الكتاب على أبرَوِيز ، جمع من أمكنه من أرْمينيَة وآذربيجان ، وصار[1] بهم إلى المدائن ، واجتمع إليْه الوجوهُ والأشراف مسرورين بِمُوَافاته ، فَتَتَوَّج بتاج المُلْك ، وجلس على سريره ، وقال : إنَّ من ملّتنا إيثارَ البِرّ ، ومن رأينا العمل بالخيْر ، وإنّ جدَّنا كِسْرى بن قُباذ كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنَّ هرمز أبانا كان لكم قاضيًا عادلاً ، فعليْكم بلزوم السَّمع والطاعة . ٩٩٦/١ فلما كان فى اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمَّرك الله أيها الملك ! إنَّك تعلم أنِّى برىءٌ مما أتى إليك المنافقون ، وأنى إنَّما تواريت ولحقت بآذربيجان خوفًا من إقدامك على القتل . فصدَّقه هرمز وقال له : إنَّ لى إليك يا بُنىَّ حاجتيْن ، فأسْعِفْنى بهما ؛ إحداهما : أن تنْتقم لى ممَّن عاون على خلْعِى والسَّمْل لعيْنىَّ ، ولا تأخذْك فيهم[2] رأفة ؛ والأخرى : أن تُؤْنسنى كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأى ، وتأذن لهم فى الدخول علىّ . فتواضع له أبرَوِيز وقال : عمّرك الله أيُّها الملك ، إنَّ المارق بهرام قد أظلَّنا ومعه الشجاعةُ والنَّجدة ، ولسْنا نقدر أن نمدَّ يداً إلى من آتى إليك ما آتى ، فإن أدالنى اللهُ على المنافق ، فأنا خليفتُك وطوْعُ يدك .

وبلغ بَهرامَ قدومُ كِسْرى وتمليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حثيثًا نحو المدائن ، وأذكى أبرَوِيزُ العيون عليه ، فلمَّا قرُبَ منه رأى أبرَوِيز أنَّ التَّرفُّق به أصْلح ، فتسلَّح وأمر بِنْدُويه وبِسْطام وناسًا كان يَثِقُ بهم من العظماءِ وألفَ رجُل من جنْده ، فتزيَّنوا وتسلَّحوا ، وخرج بهم أبرَوِيز من قصْره نحو بهرام ، والنَّاس يدعون له ، وقد احْتوَشه بِنْدُويَه وبِسطام

(١) ت ، ح : « فصار » .
(٢) ت ، ح : « بهم » .

وغيرُهما من الوجوه حتّى وقف على شاطئ النَّهْرَوان ، فلمَّا عرف بهرام مكانَه ، ركب بِرْذَوْنا له أبلقَ كان معجبًا بِه ، وأقبَل حاسرًا ومعه إيزَدْجُشْنَس وثلاثةُ نفر من قرابة مَلِك الترك كانوا جَعَلوا لبهرام على أنفسهم أن يأتوه بأبَرْوِيز أسيرًا ، وأعطاهم بهرامُ على ذلك أموالاً عظيمة . ولمَّا رأى بَهْرام بزَّة كسرى وزينتَه والتاجَ ، يُسَايِره معه «دِرَفْش كابيان» علَمُهُم الأعظم منشورًا ، وأبصر بِنْدُوَيَه وبِسْطام وسائرَ العُظماء وحسنَ تسلُّحِهم وفراهةَ دوابِّهم ، اكْتأب لذلك ، وقال لمن معه : ألا تَروْن ابنَ الفاعلة قد ألْحَمَ وأشْحم ، وتحوَّل من الحداثة إلى الحُنْكة ، واسْتَوَتْ لحيَتهُ وكَملَ شبابهُ ، وعظُم بَدَنُه ! فبينا هو يتكلَّم بهذا وقد وقف على شاطئ النَّهروان . إذ قال كِسْرى لبعض منْ كان واقفًا : أيّ هؤلاء بهرام ؟ فقال أخٌ لبهرام يسمَّى كُرْدى لم يزل مُطيعًا لأبَرْوِيز مُؤْثراً له : عمَّرك الله ! صاحبُ البِرْذون الأبلق . فبدأ كِسرى فقال : إنَّك يا بهرام رُكنٌ لمملكتنا وسنادٌ لرعيَّتنا ، وقد حَسُن بلاؤُك عندنا ، وقد رأيْنا أن نختار لك يومًا صالحًا لنُولِّيَكَ فيه إصْبَهْبَذَة بلاد الفرس جميعًا ؛ فقال له بهرام — وازداد من كِسْرى قربًا — : لكنّى أختار لك يومًا أصلبك فيه . فامتلأ كِسْرى حزنًا من غير أن يبدوَ فى وجْهه من ذلك شيء ، وامتدَّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبَرْوِيز : يا بن الزَّانية المُرَبَّى فى خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئًا ممَّا عرضه عليه ، وجرى ذِكْر إبرش جدّ بهرام ، فقرّعه أبَرْوِيز بطاعة إبرش كانت لمِنوشِهْر جدّه . وتفرَّقا وكلٌّ واحد منهما على غاية الوحْشة لصاحبه .

١ / ٩٩٧

وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها كُرْدية ، من أتمّ النساء وأكملهنَّ ، وكان تزوَّجَها ، فعاتبت بهرام على سوء مُلافظته كانت لكِسْرى ، وأرَادَتْه على الدُّخول فى طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كِسْرى وبهرام مُبايتة ، فيُقَال إنَّه لما كان من غدِ الليلة التى كان البيات فيها ، أبْرز كسرى نفْسه ، فلما رآه الأتراك الثلاثةُ قصدوه ، فقتلهم بيده أبَرْوِيز ، وحرَّض الناسَ

١ / ٩٩٨

على القتال فتبيَّن فشلاً ، فأجمع [١] أبرَوْيز على إتيان بعض الملوك للاستجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاوره ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأحرَزَ نساءَه وشَخَص فى عدّة يسيرة ، فيهم بِنْدُويه وبِسطام وكُرْدى أخو بهرام ، فلمّا خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى المُلْك ويكتُبَ إلى ملك الروم عنه فى ردّهم فيُتْلَفوا ، فأعلموا أبرَوْيز ذلك ، واستأذنوه فى إتلاف هرمز فلم يحِرْ جوابًا ، فانصرف بِندُويه وبِسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خَنْقًا ، ثم رجعوا إلى كِسْرى وقالوا : سِرْ على خير طائر ، فحثّوا دوابّهم وصاروا إلى الفُرات فقطعوه ، وأخذوا طريقَ المفازة بدلالة رجل يقال له خُرْشيذان ، وصاروا إلى بعض الدّيارات التى فى أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيَتْهم خيلُ بهرام ، يرأسُها رجلٌ يقال له بهرام بن سِياوَش ، فلمّا نذِروا بهم أنبه بنْدُوَيه أبرَوْيزَ من نومه وقال له : احتلْ لنفسك ، فإنّ القوم قد أطلّوك ؛ قال كِسرى : ما عندى حيلة ، فأعلمه بِنْدُوَيه أنّه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بِزّته ويخرج ومن معه من الدّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القومَ حتى تَوَارَوْا بالجبل ، فلمّا وافى بهرام بن سياوش ، اطّلع عليه من فوق الدّير بِنْدويه وعليْه بِزّة أبرَوْيز ، فوَهّمه بذلك أنه أبرَوْيز ، وسأله أن يُنْظِره إلى غده ليصير فى يده سلمًا ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه فى يدىْ بهرام بن سِياوش .

١/٩٩٩

ويقال إنّ بهرام دخل دُور المُلكِ بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع فى أبرَوْيز ، وذمّه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] [٢] كان كلُّهم منصرفًا عنه ، إلاّ أن بهرام جلس على سرير الملك وتتوّج وانْقادَ له الناس خوفًا — ويقال إنّ بهرام بن سِياوش واطأ بِنْدويه على الفتْك بجوبين ، وإنّ جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بِنْدويه فلحق بآذربيجان ، وسار أبرَوْيز حتى أتى أنطاكِيَة ، وكاتب مَوْريق ملك الرُّوم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »
(٢) من ح .

منها ، وأرْسل إليه بجماعة ممّن كان معه وسأله نُصْرَته ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زَوّجه مريم ابنتَه وحملها إليه ، وبعث إليه بثياذوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرْجِس ، يتولّى تدبير أمرهم ، ورجلٌ آخر كانت قوّته تعدل بقوّة ألف رجل ، واشترط عليه حياطته ، وألاّ يسْأله الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوكَ الروم . فلمّا ورد القوم على أبَرْوِيز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمّ عرضهم وعرّف عليهم العرفاء ، وفي القوْم ثياذوس وسَرْجِس والكَمِيّ الذي يعدل بألف رجل ؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بِنْدُوَيه ورجل منْ أصْبهْبَذِي الناحية يقال له مُوسِيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضّ الناس من فارس وأصْبَهان وخُراسان إلى أبَرْوِيز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدّنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حرْب شديدة قُتِل فيها الكميُّ الرّوميّ . ويقال إن أبَرْوِيز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلا — منهم كُرْدِي أخو بهرام ، وبِنْدُوِيه وبِسطام ، وسَابُور[١] بن أفريان بن فرُّخزاد[١] ، وَفرْخهُرْمُز — حرباً شديداً وصل فيها بعضُهم إلى بعض . والمجوس تزعم أن أبَرْويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلمّا ظن أنه قد تمكّنَ منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

١٠٠٠/١

وذُكِر أنّ المنجّمين أجمعت أنّ أبَرْوِيز يملك ثمانياً وأربعين سنة . وقد كان أبرَويز بَارَزَ بهْرام فاختطف رُمْحه من يده وضرب به رأسه حتى تقصّف ، فاضطرب على بهرام أمرُه ووجِل ، وعلم أنّه لا حيلة له في أبَرْوِيز فانحاز نحوَ خراسان ، ثم صار إلى التّرك ، وصار أبَرْوِيز إلى المدائن بعد أن فرّق في جنود الرُّوم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق . ويقال إنّ أبَرْويز كتب للنّصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بِيَعِهِم وأنْ يدخل في ملّتهم من أحبَّ الدخولَ فيها من غير المجوس ، واحتجّ في ذلك أنّ أنُوشِرْوان كان

(١ — ١) ط : « وسابور أنديان وأبادر وفرخراذ » ، وما أثبته من التصويبات .

هادَنَ قيْصَر فى الإتاوة التى أخذها منه على استِصْلاح من فى بلده من أهْل ١٠٠١/١
بلده ، واتّخاذ بيوت النيران هنالك . وإنّ قيْصر اشترط مثل ذلك فى النصارى؛
ولبث بهرام فى الترك مكرّمًا عند الملك ، حتّى احتال له أبَرْويز بتوْجيه رجل
يقال له هُرْمز ، وجّهه إلى التّرْك بجوْهر نفيس وغيره حتى احتال لخاتون
أمرأة الملك ولاطَفَها بذلك الجوهر وغيره ، حتّى دسَّت لبهرام مَنْ قتله .
فيقال إنّ خاقان اغتمّ لقتْله وأرسل إلى كردية أختِه وإمْرَأتِه[١] يُعْلمها
بلوغ الحادث ببهرام منه ، ويسألها أن تُزوّج نفْسها نطرا أخاه ، وطلّق خاتون
بهذا السَّبب ، فيقال إن كردية أجابت خاقان جوابًا ليّنًا وصرفت نطرا ، وإنّها
ضمّت إليها من كان مع أخيها من المُقَاتلة وخرجت بهم من بلاد التّرك إلى
حدود مَمْلكة فارس ، وإنّ نطرا التركى اتّبَعها فى اثنىْ عشر ألف مقاتل ،
وإنّ كردية قتلت نطرا بيَدها ومضت لوجْهها ، وكَتَبَتْ إلى أخيها كردى
فأخذ لها أمانًا من أبَرْويز . فلمّا قدمت عليه تزوّجَها أبَرْويز واغْتَبَط
بها وشكر لها ما كان من عتابها لبهرام ، وأقبل أبرْويزُ على بِرمّوريق وإلطافه .
وإنّ الروم خلَعُوا — بعْد أن ملك كسرى أربع عشرة سنة — موريقَ وقتلوه وأبادوا
وَرَثَتَهُ — خلا ابنٍ له هرب إلى كسرى — وملّكوا عليهم رجلاً يقال له قُوفا .

فلمّا بلغ كِسْرى نكثُ الروم عهدَ موريق وقَتْلُهم إيّاه ، امتعض ١٠٠٢/١
من ذلك وأنِفَ منه ، وأخذته الحفيظة ، فآوى ابنَ موريق اللاَّجىءَ إليْه ،
وتوّجَه وملّكه على الروم ، ووجّه معه ثلاثة نفر من قُوّاده فى جنود كثيفة .
أمّا أحدهم فكان يقال له رُميوزان[٢] ، وجّهه إلى بلاد الشام فدوّخها حتى
انتهى إلى أرض فِلَسْطين ، وورد مدينة بيْت المَقْدس فأخذ أسْقُفّها ومن
كان فيها من القِسّيسين وسائر النصارى بخشبة الصّليب ، وكانت وُضعت فى
تابوت من ذهب ، وطُمِر فى بُسْتان وزُرِعَ فَوْقه مبقلة ، وألحّ عليهم حتى دلّوه
على موضعها ، فاحتفر عنها بيده واستَخْرجها ، وبعث بها إلى كِسْرى فى أربع
وعشرين من ملكه .

(١) ط : «مروته» ، وما أثبته من ت ، ح .

(٢) ت ، ح : «دميران» .

وأمَّا القائدُ الآخر — وكان يقال له شاهين، وكان فاذوسبان المغرب — فإنّه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نُوبة، وبعث إلى كِسْرى بمفاتيح مدينة إسكندريّة فى سنة ثمان وعشرين من ملكه. وأما القائد الثالث فكان يقال له فَرُّهان، وتدعى مرتبته شَهْرَبَراز. وإنّه قصد القُسْطنْطِينيَّة حتى أناخ على ضَفَّة الخليج القريب منها، وخيَّم هنالك، فأمره كِسْرى فخرَّب بلاد الرّوم غضبًا ممَّا انتهكوا من موريق، وانتقامًا له منهم، ولم يخضع لابن موريق من الرّوم أحد ولم يمنحه الطاعة، غير أنَّهم قتلوا قوفا الملكَ الذى كانوا ملّكوه عليهم لِمَا ظَهَرَ لهم من فجوره وجرْأته على الله وسوء تدبيره، وملَّكوا عليهم رجلاً يقال له هِرَقْل. ١/١٠٠٢

فلمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخْريب جنود فارس إيَّاها وقَتْلِها مُقَاتِلتهم وسبيهم ذراريّهم واسْتِباحتِهم أموالهم وانْتِهاكِهم ما بحضْرتهم، بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنْقِذه وأهلَ مملكته من جنود فارس، فرأى فى منامه رجلاً ضخْمَ الجثَّة رفيعَ المجلس، عليه بِزّة، قائمًا فى ناحية عنه، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرَّجل عن مجلسه، وقال لهرقل[1]: إنى قدْ أسلمته[2] فى يدك. فلم يقصُصْ رؤْياه تلكَ فى يقظته على أحد، ورأى الليلة الثانية فى منامه أن الرَّجل الذى رآه فى حلمه جالس فى مجْلس رفيع، وأنَّ الرَّجل الدَّاخلَ عليهما أتاهُ وبيَدِه سلْسِلة طويلة، فألقاها فى عُنُق صاحب المجلس وأمكنه منْه، وقال له: هأنذا قد دفعتُ إليك كِسْرى بِرُمَّته، فاغْزُه فإنَّ الظفر لك، وإنَّك مدالٌ عليه ونائلٌ أمْنيّتك فى غزَاتك. فلمَّا تتابعت عليه هذه الأحلام، قصَّها على عظماء الروم وذوى الرأى منهم.

فأخبروه أنَّه مدالٌ عليه، وأشاروا عليه أن يغزوَه، فاستعدّ هِرَقْل واستخلف ابنًا له على مدينة قسطنطينيَّة، وأخذ غير الطريق الذى فيه شَهْرَبراز، وسار حتَّى أوغل فى بلاد أرمينيَة، ونزل نَصيبين بعد سنة، وكان

(١) ح: «لم».
(٢) ت، ح: «سلمته».

شاهين — فاذوسبانُ المغرب — بباب كِسْرى حين ورد هِرَقْل نَصيبين لمَوْجدة كانت من كسرى عليه ، وعزله إيَّاه عن ذلك الثَّغْر ، وكان شهر براز ١/١٠٠٤ مُرابطًا للموضع الذى كان فيه لتقدّم كسرى كان إليه فى الجثوم فيه ، وترك البراح منه ، فبلغ كسْرَى خبرُ تساقط هِرَقْل فى جنوده إلى نَصيبين ، فوجَّه لمحاربة هرقْل رجلاً من قُوَّاده يقال له : راهزار ، فى اثنى عشر ألف مقاتل ، وأمره أن يقيم بنِينَوَى من مدينة الموْصِل على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن يجوزوها — وكان كِسْرَى حين بلَغه خبرُ هِرَقْل مقيمًا بدَسْكَرة الملك — فنفَذ راهزار لأمرْ كسرى ، وعسْكر حيث أمره ، فقطع هِرقْل دِجْلة فى موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جندُ فارس ، فأذْكى راهزار العيونَ عليه ، فانْصَرَفُوا إليه وأخبروه[1] أنَّه فى سبعين ألف مقاتل ، وأيْقنَ راهزار أنَّه ومَنْ معه من الجنود عاجزُون عن مناهضة سبعين ألف مُقَاتل ، فكتب إلى كِسْرى غيرَ مرَّة دَهْمَ هرقْلٍ إيَّاه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثرتهم وحسنِ عدَّتهم ، كلُّ ذلك يجيبه كسرى فى كتابه ؛ أنَّه إن عجز عن أولئك الرُّوم فلنْ يعجز عن استِقْتَالهم وبذْل دمائهم فى طاعته . فلمَّا تتابعت على راهزار جواباتُ كُتُبِه إلى كِسْرى بذلك ، عبَّى جندَه وناهض الرُّوم ، فقتلت الرُّوم راهزار وستَّة آلاف رجُل ، وانهزَم بقيَّتُهُم وهَرَبُوا على وجوههم ، وبلغ كِسْرى قتلُ الرُّوم راهزار وما نَال هرقل من الظَّفر ، فهدَّه ذلك وانحاز من دَسْكَرة الملك إلى المدائن ، وتحصَّن فيها لعجْزه كان عن محاربة هرقل .

وسَار هِرَقل حتَّى كان قريبًا من المدائن ، فلمَّا تساقط إلى كِسْرى ١/١٠٠٥ خبرُه واستعدَّ لقتاله ، انصَرَف إلى أرض الرُّوم وكتب كِسْرى إلى قُوَّاد الجُنْد الذين انهزموا يأمرهم أن يدُلّوه على كلّ رجل منهم ومن أصحابهم ، ممَّن فشل فى تلك الحرب ولم يرابِطْ مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استَوجَب ، فأحْرجهم بهذا الكتابِ إلى الخلاف عليه ، وطلب الحِيَل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصفُ ما كان من أمْر الرُّوم فى عمله .

---

(١) ت ، ح : « فأخبروه » .

وقد قيل: إنّ قول الله : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، إنّما نزل فى أمر أبرَوِيز ملك فارس وملك الرُّوم هِرَقل ، وما كان بينهما ممّا قد ذكرت من هذه الأخبار .

ذكر منْ قال ذلك :

حدّثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدّثنى الحسين ، قال : حدّثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن عِكرمة : أن الرّوم وفارس اقتتلوا فى أدنى الأرض . قال : وأدنى الأرض يومئذ [٢] أذْرِعات ، بها التقوْا فهُزمَت الرُّوم، فبلغ ذلك النبىّ صلى الله عليه وسلّم وأصحابَه وهم بمكة؛ فشقّ ذلك عليهم — وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يكرَهُ أن يظهر الأمّيّون من المجوس على أهل الكتاب من الرّوم — وفرح الكفّار بمكّة وشمِتوا ، فلقوا أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : إنّكم أهل كتاب والنّصارى أهل كتاب ونحن أمّيّون ، وقد ظهر إخوانُنا من أهل فارس على إخوانكم من أهْل الكتاب ، وإنّكم إن قاتلتمونا لنظهرَنّ عليكم ؛ فأنزل الله :﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ — إلى — ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ، فخرج أبو بكْر الصدّيق إلى الكفّار فقال : أفرحتم بظهور إخْوانكم على إخْوَاننا ! فلا تفرحوا ولا يقرّنّ الله أعيُنَكم ، فوالله ليظْهرَنّ الرُّوم على فارس ، أخبرنا بذلك نبيُّنا . فقام إليه أُبَىّ بن خلَف الجمَحِىّ ، فقال : كذبتَ يا أبا فَصيل ! فقال له أبو بكر : أنت أكذبُ يا عدوّ الله ! فقال: أناحبك[٣]! عشرَ قلائص[٤] منّى ، وعشر قلائص منك،

١ / ١٠٠٦

(١) سورة الروم ١ — ٨ .
(٢) ط : « يوم » ، والصواب ما أثبته من التفسير .
(٣) المناحبة : المخاطرة والمراهنة .
(٤) القلائص : جمع قلوص ؛ وهى من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ ، وإن ظهرت فارس غرِمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاءَ أبو بكر إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنّما البِضع ما بين الثّلاث إلى التّسع ، فزايِدْه فى الخطَر[١] وماِدّه فى الأجل . فخرج أبو بكر فلقِىَ أبَيًّا فقال : لعلّك ندمتَ ، قال : لا ، تعال أزايِدْك فى الخطَر وأمادّك فى الأجَل ، فاجْعَلْها مائة قلوص إلى تسعِ سنين ، قال : قد فعلْت[٢] .

حدثنا القاسم ، قال : حدّثنا الحسين ، قال : حدّثنا حجّاج ، عن أبى بكْر ، عن عِكْرمة ، قال : كانت فى فارس امرأة لا تَلِدُ إلاّ الملوك الأبطال ، فدعاها كِسْرى ، فقال : إنّى أريدُ أنْ أبْعَثَ إلى الرُّوم جيشًا وأستعْمِل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيرى علىّ أيّهم أستعمل ، قالت : هذا فلانٌ وهو أروغ من ثعْلب ، وأحذر من صقْر ؛ وهذا فَرُّخان وهو أنفذُ من سِنان ، وهذا شَهْربراز وهو أحْلم من كذا ؛ فاستعملْ أيّهم شئت ، قال : فإنّى قد استعملت الحليم ، فاستعمل شَهْربَراز ، فسار إلى الرُّوم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتَلَهم وخرّب مدائِنهُم ، وقطع زيتونَهم . قال أبو بكر : فَحدَّثْت هذا الحديثَ عَطاء الخراسانىّ فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنّك لو أتيتَها لرأيتَ المدائنَ التى خرُبت والزّيتون الذى قُطع ؛ فأتيتُ الشّام بعد ذلكَ فرأيته[٢] .

قال عَطاءُ الخراسانىّ : حدّثنى يحيى بن يَعْمَر ، أنّ قَيْصَر بعث رجلا يُدْعى قطمة بجيش من الرُّوم ، وبعث كِسْرى بشَهْربَراز ، فالتقيا بأذْرِعَات وبُصرى — وهى أدْنَى الشّأم إليكم — فلقيت فارسُ الرومَ فغلبتهْم فارس ، ففرح بذلك كُفّار قريش وكرهه المُسْلِمُون ، فأنزَل الله : ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ ...﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عِكْرمة ، وزاد : فلم يبرح شَهْربَراز يطَؤهم ويخرّب مدائنهم حتّى بلغ الخليج ، ثمّ مات كسرى فبلغهم موتُه ، فانهزم

١٠٠٧/١

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْربَراز وأصحابُه ، وأُدِيلَت بهم الرُّوم عند ذلك فاتّبعوهم يُقتّلونهم .

قال : وقال عِكرمة فى حديثه : لمّا ظهرت فارس على الرُّوم ، جلس فَرُّخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيتُ كأنى جالس على سرير كسرى؛ فبلغت كِسْرى ، فكتب إلى شَهْر بَراز : إذا أتاك كتابى فابعث إلىّ برأس فَرُّخان . فكتب إليه : أيّها الملك ، إنّك لن تجد مثل فَرُّخان ؛ إنّ له نكايةً وصوْتًا فى العدوّ فلا تفعل . فكتب إليه : إنّ فى رجال فارس خلَفًا منه ، فعجِّل علىّ برأسه . فراجعه ، فغضِب كِسْرى فلم يجِبْه ، وبعث بريداً إلى أهل فارس : إنى قد نزعتُ عنكم شَهْربَراز ، واستعملتُ عليكم فَرُّخان. ثمّ دفع إلى البريد صحيفةً صغيرة ، وقال : إذا ولِىَ فَرُّخان المُلْك وانقادَ له أخوه ، فأعطِه هذه الصحيفةَ . فلمّا قرأ شَهْربَراز الكتاب ، قال : سمعًا وطاعةً ، ونزل عن سريره وجلس فَرُّخان ، ودفع الصَّحيفةَ إليه فقال : ائتونى بِشَهْربَراز ، فقدّمه ليضرب عُنُقَه ، فقال : لا تعجل حتّى أكتب وصيّتى ، قال : نعم ، فدعا بالسَّفَط فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال : كلّ هذا راجعتُ فيكَ كِسْرى ، وأنت أردتَ أن تقتلنى بكتاب واحد ! فردّ المُلْكَ إلى أخيه ، وكتب شَهْر بَراز إلى قيْصَر ملك الرُّوم : إنّ لى إليك حاجةً لا تحملها البُرُد ولا تبلّغها الصُّحف ، فالقَنى ، ولا تلقنى إلاّ فى خمسين روميًّا ، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيًّا ، فأقبل قيْصَرُ فى خمسمائة ألف رومىّ ، وجعل يَضعُ العُيُون بين يديْه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتّى أتاه عيُونُه ؛ أنّه ليْس معه إلا خمسون رجلا ، ثم بُسِط لهما والتقيا فى قُبّة ديباج ضُربت لهما ، مع كلّ واحد منهما سكّين ، فدَعَوْا تَرْجمانًا بينهما ، فقال شَهْربراز : إن الذين خرّبوا مدائنَك أنا وأخى بكيْدنا وشجاعتنا ، وإنّ كِسْرى حسدنا فأراد أنْ أقتلَ أخى ، فأبَيْتُ ، ثمّ أمر أخِى أن يقتلنى ؛ فقد خلَعْناه جميعًا فنحنُ نقاتله معاك . قال : قد أصَبْتُما ، ثمّ أشارَ أحدُهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فَشَا ، قال : أجَلْ ، فقتلا التّرْجمان جميعًا بسِكّينَيْهما ؛ فأهلك الله كِسْرى ، وجاء الخبرُ

١٠٠٨/١
١٠٠٩/١

إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم يومَ الحُدَيبِيَة ، ففرح ومن معه[١] .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : فى سنة عشرين من مُلْك كِسْرى أبَرْوِيز ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلَّم ، فأقام بمكَّة ثلاث عشرةَ سنة ، وهاجر فى سنة ثلاث وثلاثين من مُلْكِه إلى المدينة .

(١) الخبر فى التفسير ٢٠ : ١٣ — ١٤ (بولاق) .

ذكر الخبر عن الأسباب التى حدثت عند إرادة الله إزالة ملْك فارس عن أهل فارس

وو‌طِئَتْها العربُ بما أكْرَمَهُم به بنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم من النبوّة والخلافة والمُلْك والسلطان فى أيام كِسْرى أبَرْوِيز .

فمن ذلك ما روِى عن وَهْب بن منبِّه ، وهو ما حدَّثنا به ابن حُمَيد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كِسْرى كما حدَّثنى بعضُ أصحابى ، عن وهب بن منبِّه ، أنه كان سَكَرَ دِجلة العَوْراء[1] ، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُدْرَى ما هو ، وكان طاقُ مجْلسه قد بُنِىَ بنيانًا لم يُرَ مثله ، وكان يعلّق تاجَه ؛ فيجلس فيه إذا جلس للناس ، ١٠١٠/١ وكان عنده ستون وثلثمائة رجل من الحُزَاة — والحُزَاة العلماء — من بين كاهنٍ وساحرٍ ومنجِّم ؛ قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السَّائب ، يعتاف اعتيافَ العرب قلَّما يخطِئ — بعث به إليه باذانُ من اليمن — فكان كِسْرَى إذا حزَبه أمر جمع كهَّانه وسحَّاره ومنجِّميه ، فقال : انظروا فى هذا الأمر ما هو !

فلمَّا أن بعث الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كِسْرى ذات غَداة وقد انقصَمَتْ طاقُ مُلْكه من وسَطها من غير ثقَل ، وانخرقت عليه دِجْلة العوْراء ، فلمَّا رأى ذلك حزنه ، وقال : انقصمت طاقُ ملْكى من وسطها من غير ثقْل ، وانخرقت علىَّ دجلة العوراء ، « شاهْ بِشْكَسْتْ » : يقول : الملك انكسرَ . ثم دعا كُهَّانه وسحَّاره ومنجِّميه ، ودعا السَّائب معهم ، فقال لهم : انقصَمَتْ طاقُ ملْكى من غير ثقل ، وانخرقت علىَّ دجلة العوراء ، « شاهْ بِشْكَسْتْ » انظُرُوا فى هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنْده فنظروا فى أمْره ، فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكّعوا فى علمهم ، فلا

---

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ؛ ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضى لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجّم علمُ نجومه . وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقًا نشأ من قبَل الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميْه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجَنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصِب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملِك[1] كان قبله . ١٠١١/١

فلما خلَص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض ، ورأوْا ما قد أصابهم ، ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حِيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر[2] جاء من السماء ، وإنه لَنبيّ قد بُعث - أوهو مبعوث - يسلب هذا الملك ويكسره . ولئن نعيْتم لكسرى مُلْكه ليقتلنّكم ، فأقيموا بينكمْ أمراً تقولونه له تؤخّرونه عنكم إلى أمرٍ ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إنّا قد نظرنا فى هذا الأمر فوجدْنا حُسّابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرتَ دِجْلة العوراء وضعوه على النُّحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ، فزال كلّ ما وضع عليهما ؛ وإنّا سنحسب لك حسابًا تضع عليه بنيانك فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى . فعمل فى دجلة ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال مالا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها][3] قال لهم : أجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبُسط والفرش والرياحين فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمعوا[4] له ، واجتمع إليه اللعّابون ، ثم خرج حتى جلس عليها ، فبينا هو هنالك[5] انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرَج[6] إلا بآخر رَمَق .

---

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكملة من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

١/١٢ ١ فلما أخرجوه ، جمع كهّانه وسحّاره ومنجّميه ، فقتل منهم قريبًا من مائة ، وقال سمّنتكم[١] وأدنيتكم دون الناس ، وأجريت عليكم أرزاق ، ثم تلعبون بى ! فقالوا[٢] : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ مَن كان قبلنا ، ولكنّا سنحسب لك حسابًا فتثبّتْ حتى تضعها على الوثاق من السعود . قال : انظروا ما تقولون ! قالوا : فإنا نفعل ؛ قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى وأنفق من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، ثمانية أشهر من ذى قِبل . ثم قالوا : قد فرغنا ، قال : أفأخرج فأقعد عليها ؟ قالوا : نعم ، فهاب الجلوس عليها ، وركب بِرْذَوْنا له ، وخرج يسير عليها ؛ فبينا هو يسير فوقها إذ انتسفته دِجْلة بالبنيان ، فلم يدرَك إلاّ بآخر رَمَق ، فدعاهم فقال : والله لأمرّنّ على آخركم ولأنزعنّ أكتافكم ، ولأطرحنّكم تحت أيدى الفِيَلة أو لتصدُقُنى ما هذا الأمر الذى تلفّقون علىّ ! قالوا : لا نكذبك أيّها الملك ، أمرتَنا حين انخرقت عليك دِجلة ، وانقصمت[٣] عليك طاق مجلسك[٤] من غير ثقل أن ننظر فى علمنا لِمَ ذلك ! فنظرنا ، فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء ، فتردد علينا علمنا فى أيدينا ، فلا يستقيم لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا لمنجّم علم[٥] نجومه ؛ فعرفنا أن هذا الأمر حدث من السّماء ، وأنه قد بُعِث نبىّ أو هو مبعوث ؛ فلذلك حيل بيننا وبين علمنا ،

١٠١٣/١ فخشينا إن نَعَيْنا لك ملكك أن تقتلنا ، وكرهنا من الموت ما يكره الناس ، فعلّلناك عن أنفسنا بما رأيت . قال : ويحكم ! فهلاّ تكونون بيّنتم لى هذا فأرى فيه رأيى ! قالوا : منَعنا من ذلك ما تخوّفنا منك . فتركهم ولها عن دِجلة حين غلبته.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الفضل ابن عيسى الرّقاشىّ ، عن الحسن البصرىّ ؛ أنّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قالوا : يا رسول الله ، ما حجّة الله على كِسرى فيك ! قال : بعث

(١) ت : « أمنتكم » ، ح : « قربتكم » ر ، ل : « سميتكم » .
(٢) كذا فى ح وابن الأثير ؛ وفى ط : « قالوا » .
(٣) ل : « وانقصم » .
(٤) ت ، ح : « ملكك » .
(٥) ت ، ح : « نجم » .

إليه مَلَكًا فأخرج يده من سُور جدار بيته الذى هو فيه يتلألأ نوراً ، فلما رآها فزع ، فقال : لَمْ تُرَعْ يا كسرى ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابًا فاتبعْه تَسلَمْ دنياك وآخرتك ، قال : سأنظر .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، عن الزهرىّ ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بَعَث الله إلى كسرى ملَكًا وهو فى بيت إيوانه الذى لا يُدْخل عليه فيه ، فلم يرعه إلاّ به قائمًا على رأسه فى يده عصا ، بالهاجرة فى ساعته التى كان يَقيل فيها ، فقال : يا كسرى أتُسْلِم أو أكسر هذه العصا ! فقال : بِهِلْ بِهِلْ ، فانصرف عنه ثم دعا [(١)] أحراسه وحجّابه فتغيّظ عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل علىّ ؟ فقالوا : ما دخلَ عليك [(٢)] أحد ولا رأيناه ؛ حتى إذا كان العام القابل [(٣)] أتاه فى الساعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له : أتُسلِم أو أكسر هذه العصا؟ فقال : بِهِلْ بِهِلْ بِهِلْ ؛ ثلاثا ؛ فخرج عنه فدعا كسرى حجّابه وحرّاسه وبوّابيه فتغيّظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك . حتى إذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى جاءه فيها ، فقال له كما قال : أتُسلِم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بِهِلْ بِهِلْ ، قال : فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوُّرُ ملكه ؛ وانبعاثُ ابنه والفرْس حتى قتلوه .

١٠١٤/١

قال عبد الله بن أبى بكر : فقال الزهرىّ : حدّثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبى سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذُكِر لى أن الملَك إنما دخل عليه [(٤)] بقارورتين فى يديه ، ثم قال له : أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى فرضّضهما ، ثم خرج فكان من [أمر][(٥)] هلاكه ما كان .

---

(١) ت ، ح : « فدعا » .
(٢) ت ، ح : « علينا » .
(٣) ت ، ح : « المقبل » .
(٤) ت ، ح : « إليه » .
(٥) تكلة من ت ، ح .

حدثنى يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علىّ بن عاصم ، قال : أخبرَنا خالد الحذّاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبى بَكْرة ، يقول : بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة فى هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محدِقون بقصره؛ إذ أقبل رجل يمشى معه عصا ؛ حتى قام[1] على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إنّى رسول الله إليك أن تُسلم ، قالها ثلاث مرات — وكسرى مستلقٍ ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه — قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرَسه ، فقال : أنت أدخلت علىّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قِبَلنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحِدقْ بقصرى ، ولا يدخل[2] علىّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصًا ، وهو يقول له : ياكسرى بن هرمز ، إنّى رسولُ الله إليك أن تُسلم ، فأسلِم خير لك — قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه — فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم آمرك ألاّ يدخلَ علىّ أحد ! قال : أيّها الملك، إنّه والله ما دخل عليك مِنْ قِبَلنا أحد ، فانظرْ من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرَس والحرس : أن أحدِقوا بى الليلة ، ولا تدخل[3] امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : ياكسرى بن هرمز ، إنّى رسول الله إليك أن تُسْلِم ، فأسلِم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : ياكسرى إنك قد أبيتَ علىّ ، والله ليكسرنّك الله كما أكْسِرُ عصاىَ هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم آمركم ألاّ يدخل علىّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قِبَلنا أحد !

١٠١٥/١

---

(١) ت ، ح : «وقف» .

(٢) ت ، ح : «لا يدخلن» .

(٣) ت ، ح : «تدخلن» .

قال : فلم يلبث أن وثب عليه ابنُه فقتله .

* * *

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والجيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بذى قار .

١٠١٦/١ وذُكر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه لما بلغه ماكان من هزيمة ربيعة جيشَ كسرى ، قال : « هذا أوّل يوم انتصف العرب من العجم ؛ وبى نُصروا » .

وهو يوم قُراقِر ويوم الحِنْو حِنْو ذى قار ، ويوم حِنْو قُراقِر ، ويوم الجُبابات ، ويوم ذى العُجْرُم ، ويوم الغَذَوان ، ويوم البطحاء ، بطحاء ذى قار ، وكلّهنّ حول ذى قار .

فحدِّثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى ، قال : حدّثنى أبو المختار فِراس بن خَنْدق - أو خندقة - وعدّة من علماء العرب قد سمّاهم ؛ أن الذى جرّ يوم ذى قار ، قتلُ النعمان بن المنذر اللخمىّ عدىّ بن زيد العِبادىّ ؛ وكان عدىّ من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدىّ بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الجَصّاص - وأخذته من كتاب حمّاد وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عُصيّة بن امرئ القيس بن زيد مَناة بن تميم ثلاثة : عديًّا الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيبًا ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعمّارا - وهو أبىّ - وعمراً - وهو سمىّ - ولهم أخ من أمّهم ، يقال له عدىّ بن حنظلة من طيّىء . وكان عمّار يكون عند كسرى ، فكان أحدهُما يشتهى هلاك عدىّ بن زيد ، وكان الآخر يتديّن فى نصرانيّته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أُكُلٌ[1] وناحيةٌ ، يُقْطعونهم القطائع ، [ويجزلون صلاتهم] [2]

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا

(٢) تكلة من الأغانى فيما رواه عن هشام الكلبى .

وكان المنذر بن المنذر لما مَلَك جعل ابنه النعمان فى حجْر عدىّ ، فهم الذين أرضعوه[وربّوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود» ، أمّه مارية بنت الحارث بن جُلْهُم من تيم الرِّباب ، فأرضعه][١] ، وربّاه قوم من أهل الحيرة يقال لهم: بنو مَرِينا ، ينسَبون إلى لَخم ، وكانوا أشرافًا . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلّهم الأشاهب[٢] ، من جمالهم ؛ فذلك قول الأعشى :

١٠١٧/١

وبَنُو المُنْذِرِ الأشاهِبُ بالحِـــــيرة يَمْشُونَ غَدْوةً بالسُّيوفِ[٣]

وكان النّعمان أحمر أبرش[٤] قصيراً ، وكانت أمّه يقال لها سَلْمَى بنت وائل بن عطيّة الصائغ من أهل فَدَك ، وكانت أمَةً للحارث ابن حِصْن بن ضَمْضَم بن عدىّ بن جَنَاب من كَلْب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عمُّ النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدىّ بن زيد وإخوته ، فكانوا فى كتّابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كلّه إياس بن قبيصة الطائىّ [وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه][١] فكان عليه أشهراً[٥] ، [٦] وكسرى فى طلب رجل يملّكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدىّ بن زيد ، فقال له: من بقى من بنى المنذر[٦] ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال: بقيّتهم فى ولد هذا الميّت

---

(١) تكملة من الأغانى فيما رواه عن هشام الكلبى .

(٢) قال فى القاموس : « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » ، وقال شارحه : « سموا بذلك لبياض وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغانى : « فكث ملكاً عليها أشهراً » .

(٦-٦) كذا فى أصول الطبرى وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ؛ وفى الأغانى بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، فضجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثنى عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلا من الفرس ، ولآمرنهم أن ينزلوا على العرب فى دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقدِموا عليه ، فأنزلهم على عدىّ بن زيد . فكان عدىّ يفضل إخوة النعمان عليه فى النُّزُل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفوننى العرب ؟ فقولوا : نكفيكهم إلا النّعمان ، وقال للنّعمان : إن سألك الملك : عن إخوتك فقل له : إن عجزتُ عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . ١٠١٨/١

وكان من بنى مَرِينا رجل يقال له عدىّ بن أوس بن مرينا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر][١] : إنك قد عرفت أنّى لك راجٍ ، وأنّ طَلِبتى ورغبتى إليك أن تخالف عدىّ بن زيد ، فإنّه والله لاينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدىّ بن زيد أن يُدخلَهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلّمه ، فكان يرى رجالاً قَلّمَا رأى مثلهم ؛ فإذا سألهم : هل تكفوننى ما كنتم تلُون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النّعمان . فلما دخل عليه النّعمان رأى رجلاً دميمًا فكلّمه ، وقال له : أتستطيع أن تكفيَنى العربَ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوتك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فملّكه وكساه ، وألبسه تاجًا قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج — وقد مُلِّك — قال عدىّ بن أوْس بن مرينا للأسود : دونك فإنك قد خالفت الرأى .

ثم إنّ عدىّ بن زيد صنع طعامًا فى بِيعة ، ثم أرسل إلى ابن مَرِينا أن ائتنى بمن[٢] أحببت ، فإنّ لى حاجة ، فأتاه فى ناس فتغدّوْا فى البِيعة ، وشربوا ، فقال : عدىّ [بن زيد][٣] لعدىّ بن مَرِينا : يا عدىّ ، إنّ أحقّ منْ عرف الحقّ ثم لم يَلُم عليه ، مَنْ كان مثلك ؛ إنّى قد عرفت أنّ صاحبك الأسود بن المنذر كان أحبّ إليك أن يملّكَ من صاحبى النعمان ، فلا تلمنى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أحبّ ألاّ تحقد علىّ شيئًا لو قدرتَ

(١) تكلة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأمم ١ : ٢٣٨ .
(٢) ت ، ح : «فيمن» .
(٣) من الأغانى وتجارب الأمم .

عليه ركبتَه ، وأنا أحبُّ أن تعطيَني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإنّ نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفرَ من نصيباك . فقام عديّ بن زيد إلى البِيعة فحلف ألاّ يهجوَه ولا يبغيه غائلة أبداً ، ولا يَزْوِيَ عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عديّ بن زيد قام عديّ بن مَرينا ، فحلف على مثل يمينه ألاّ يزال يهجوه أبداً ، ويبغيه الغوائل ما بقي . وخرج النّعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عديّ بن مرينا لعديّ بن زيد : ١٠١٩/١

ألا أبْلِغْ عَدِيًّا عَن عَدِيٍّ فَلَا تجْزَعْ وإنْ رَثّتْ قُواكا[1]
هَيا كِلنا تَبَزُّ لغَيْرِ فَقْرٍ لتُحْمَدَ أو يَتِمَّ به غِناكا
فإنْ تَظْفَرْ فلم تَظفَرْ حَميداً وإنْ تَعْطَبْ فلا يَبْعُدْ سِواكا
نَدِمْتَ نَدامةَ الكُسعيِّ لمّا رأتْ عَيْنَاكَ ما صَنَعَتْ يَداكا[2]

وقال عديّ بن مرينا للأسود : [أمّا][3] إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بثأرك من هذا المعَدّيّ ، الذي عمل بك ما عمل[4] فقد كنت أخبرك أنّ معدًّا لا ينام مكرُها[5] . أمرتك أن تَعصيَه فخالفتني . قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألاّ يأتيَك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتَها عليّ . ففعل .

وكان ابنُ مَرينا كثير المال والضَّيْعة ، فلم يك في الدهر يوم إلاّ على باب النعمان هديّة من ابن مرينا[6] ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضي في ملكه شيئًا إلا بأمر عديّ بن مَرينا ، وكان إذا ذُكر عديّ بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعديّ إلا أن ١٠٢٠/١

---

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعي : نسبة إلى كسع ، حي من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم حي من اليمن رماة ؛ والكسعي رجل يضرب به المثل في الندامة ، وهو رجل رام رمى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كيدها ومكرها » .

(٦) في ط : « فلم يك في الأرض يوم » ، وفي تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفي ابن الأثير : « وكان لا يخلى النعمان يوماً من هدية » . وما أثبته عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَن يُطيف بالنعمان منزلةَ ابن مَرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عدىّ ابن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنّه لا يسلم عليه أحد ؛ وإنه ليقول : إنّ الملك — يعنى النعمان — عامله ، وإنّه ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، وكتبوا كتابًا على لسان عدىّ إلى قَهْرمان[١] لعدىّ ثم دسُّوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل إلى عدىّ بن زيد : عزمتُ عليك إلاّ زرتَنى ، فإنّى قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهو عند كسرى[٢] فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتّى حبِس فى محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدىّ بن زيد يقول الشعر وهو فى السجن ، فكان أول ما قال فى السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِى عن الهُمام ويأتِي ... كَ بخُبْرِ الأنْباءِ عَطْفُ السُّؤالِ[٣]

فقال أشعاراً ، وكان كلّما قال عدىّ من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويعده ويمنّيه ويَفْرَق أن يرسله فيبغيه الغوائل ، فقال عدىّ :

أرِقْتُ لِمُكْفَهِرٍّ باتَ فِيهِ ... بَوارقُ يَرْتَقِينَ رُءوسَ شِيبِ[٤]

---

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسى معرب ، ويطلق فى لغة الفرس على القائم بأمور الرجل ، كالخازن والوكيل .

(٢) كذا فى الطبرى وتجارب الأمم ، وفى الأغانى : « وعدى يومئذ عند كسرى » .

(٣) فى رواية الأغانى بعد هذا البيت :

أيْنَ عَنَّا إخطارُنا المال والأنْـ ... ـفُس إذ ناهدوا ليوم المحال

ونِضالى فى جَنْبِك النَّاسَ يرمُو ... نَ وأرْمِى ، وكُلّنا غيرُ آلِ

فأصيبُ الّذى تريدُ بلا غِشٍّ ... وأربِى عليهمُ وأوَالى

ليت أنّى أخذتُ حتى بكَفّىَّ ... ولم ألقَ ميتةَ الأقتالِ

محلُوا مَحْلَهُمْ لصرعتِنا العا ... م ، فقد أوقعوا الرحا بالثِّفال

(٤) انظر بقية القصيدة فى الأغانى ٢ : ١١١ ، ١١٢

وقال أيضًا :

* طَالَ ذَا ٱللَيْلُ عَلَيْنَا وَٱعْتَكَرْ[١] *

وقال أيضًا :

١٠٢١/١ * أَلَا طَالَ اللَّيَالِى وَالنَّهَارُ[٢] *

وقال حين أعياه ما يتضرّع إلى النعمان أشعاراً، يذكّره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

* أَرَوَاحٌ مُوَدِّعٌ أَمْ بُكُورُ[٣] *

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين، فأقبل رجل من غسّان، فأصاب فى الحيرة ما أحبّ . ويقال : الذى أغار على الحيرة فحرّق فيها، جفنة بن النعمان الجفنىّ ، فقال عدىّ :

سَمَا صَقْرٌ فأشْعَلَ جَانِبَيْهَا وأَلْهَاكَ الْمُرَوَّحُ وَالعَزِيبُ[٤]

فلما طال سجن عدىّ كتب إلى أخيه أبىّ ، وهو مع كسرى بشعر فقال :

أبلغْ أُبَيًّا على نأْيِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ المَرْءَ ما قَدْ عَلِمْ !
بأنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَا دِ ، كُنْتَ بِهِ وَالِهًا مَا سَلِمْ[٥]

---

(١) بقيته :

* وكأنّى نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمَرْ *

وانظر بقية القصيدة فى الأغانى .

(٢) لم يذكره صاحب الأغانى .

(٣) بقيته :

* لك فاعْمِدْ لأىّ حالٍ تَصِيرُ *

وهو مطلع قصيدة فى شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر فى خبر الأغانى .

(٤) المروّح : الإبل المروحة إلى أعطافها . والعزيب : ما ترك فى مراعيه . وانظر بقية الأبيات فى رواية الأغانى .

(٥) الأغانى : « واثقاً » .

لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٍ بِالْحَدِيـ ـدِ إمَّا بِحَقٍ وإمَّا ظُلِم
فَلَا أَعْرِفَنْكَ كَدَأْبِ الغُـلَا مِ ما لَمْ يَجِدْ عَارِماً يَعْتَرِمْ[1]
فَأَرْضَكَ أَرْضَـكَ إِنْ تأتِنا تَنَمْ نوْمةً ليس فيهـا حُلُمْ

فكتب إليه أخوه :

إنْ يَكُنْ خَانَكَ ٱلزَّمَانُ فلا عا جِزُ بَاعٍ ولَا أَلَفُّ ضَعِيفُ[2]
ويمينِ الإلٰهِ لَوْ أَنَّ جَأْوَا ءَ طَحُونا تضِئُ فيها السُّيُوفُ[3]

١٠٢٢/١

ذاتَ رِزٍّ مُجْتَابَةً غَمْرَةَ المَوْ تِ صَحِيحٌ سِرْبَالُها مَكْفُوفُ[4]
كُنْتَ فى حَمْيِهَا ، لجئْتُكَ أَسْعَى فاعلَمَنْ لَوْسمِعْتُ إذْ تَسْتَضِيفُ[5]
أوْ بمالٍ سُئِلْتُ دُونكَ لَمْ يُمْـ نَعْ تِلَادٌ لِحَاجةٍ أَوْ طَرِيفُ[6]
أوْ بأَرْضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فيها لَمْ يَهُلْـنِى بَعِيدُهَا أوْ مَخُوفُ[7]
فى الأَعَادِى وَأَنْتَ مِنِّى بَعِيدٌ عزَّ هٰـذَا ٱلزَّمَانُ والتَّعْرِيفُ
إنْ تَفُتْنِى وَٱللهِ إلْفاً فجُوعاً لا يُعَقِّبْكَ ما يَصوبُ الخَرِيفُ
فَلَعَمْرِى لَئِنْ جَزِعْتُ عَلَيْهِ لجَزوعٌ عَلى الصديق أسوفُ
ولَعَمرِى لَئِنْ مَلَكْتُ عزائى لَقَلِيلٌ شَرْوَاكَ فِيما أطوفُ[8]

فزعموا أن أبيًّا لما قرأ كتاب عدىّ قام إلى كسرى فكلّمه ، فكتب وبعث

---

(١) كذا فى الطبرى والأغانى . وفى اللسان ١٥ : ٢٨٩ : «ولا تلقين كأم الغلام» ، وروى عن الأزهرى : «كذات الغلام ما لم تجد» ، وقال فى شرحه : أراد بذات الغلام الأم المرضع .

(٢) الألف : الثقيل البطىء .

(٣) الجأواء ، من وصف الكتيبة ؛ يقال : كتيبة جأواء ، أى بينة الجأى ، وهى التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع .

(٤) الرز : الصوت يسمع من بعيد ، والسربال : القميص . والمكفوف ، من كففت الثوب إذا خطت حاشيته .

(٥) تستضيف : تستجير .

(٦) الأغانى : «سألت» ، بالبناء للمعلوم . (٧) الأغانى : «والتعنيف» .

(٨) شرواك : مثلك .

١٠٢٣/١ معرجلا، وكتب خليفة النعمان إليه: إنه قد كتب إليك [في أمره][١]. فأتاه أعداء عديّ من بني بُقَيلة [٢] من غسّان، فقالوا: اقتله الساعة، فأبى عليهم وجاء الرجل[٣]، وقد تقدّم أخو عديّ إليه ورشاه، وأمره أن يبدأ بعديّ، فدخل عليه وهو محبوس بالصِّنَّين، فقال: ادخل عليه فانظر ما يأمرك به، فدخل الرسول على عديّ، فقال: إنّي قد جئت بإرسالك، فما عندك؟ قال: عندي الذي تحبّ، ووعده عِدَةً، وقال: لا تخرجنّ من عندي، وأعطني الكتاب حتى أرسل به، فإنّك والله إن خرجت من عندي لأقتلَنّ، فقال: لا أستطيع إلاّ أن آتيَ الملك بالكتاب، فأدخله عليه، فانطلق مخبِر حتى أتى النعمان، فقال: إنّ رسولَ كسرى قد دخل على عديّ وهو ذاهب به، وإنْ فعل والله لم يستبقِ منّا أحداً، أنت ولا غيرك. فبعث إليه النعمان أعداءه فغمّوه[٤] حتى مات، ثم دفنوه.

ودخل الرسولُ على النعمان بالكتاب، فقال: نعم وكرامة! وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية، وقال له: إذا أصبحت فادخل عليه، فأخرجه أنت بنفسك. فلما أصبح ركب، فدخل السِّجن، فقال له الحرَس: إنه قد مات منذ أيام، فلم نجترئ على أن نخبر الملك للفرَق منه، وقد علمنا كراهته لموته. فرجع إلى النعمان فقال: إنّي قد دخلت عليه وهو حيّ، [وجئت اليوم فجحدني السجّان وبهتني. وذكر له أنه قد مات منذ أيام][٥] فقال له النعمان: يبعثك الملك إليّ فتدخل إليه قبلي! كذبت، ولكنك أردت الرِّشوة والخبث. فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه، واستوثق منه ألاّ يخبر كسرى؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدَم عليه. ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى، فقال: إنه قد مات قبل أن أدخل عليه،

---

(١) تكلة من الأغاني.

(٢) بقيلة: بطن من الحيرة.

(٣) الأغاني: «الرسول».

(٤) غموه، أي غطوا وجهه بشيء حتى مات.

(٥) من رواية الأغاني.

وندم النّعمان على موت عدىّ، واجترأ أعداء عدىّ على النعمان؛ وهابهم النّعمان هيبة شديدة، فخرج النعمان فى بعض صَيْده ذات يوم ، فلقى ابنا لعدىّ، يقال له زيد، فلمّا رآه عرف شبَهه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدىّ بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريف ، ففرح به فرحًا شديداً ، وقرّبه وأعطاه ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وجهّزه[1] ، ثم كتب إلى كسرى[2] إنّ عديًّا كان ممّن أعين به الملك فى نصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه ، وانقضت مدته ، وانقطع أُكله ، ولم يُصَب به أحد أشدّ من مصيبتى ؛ وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلَفًا ، لما عظّم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه ، وقد سرّحتُه إلى الملك ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه ، فلْيفعل .

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرَف عمّه إلى عمل آخر ، فكان هو الذى يلى ما كَتَب به إلى أرض العرب ، وخاصّة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظّفة فى كلّ سنة : مُهران أشقران والكَمْأة الرطبة فى حينها واليابسة، والأقِط والأُدْم وسائر تجارات العرب ، فكان زيد بن عدىّ بن زيد يلى ذلك ، وكان هذا عمل عدىّ .

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع ، سأله كسرى عن النّعمان ، فأحسن عليه الثناء ، فمكث سنوات بمنزلة أبيه ، وأعجب به كسرى ، وكان يُكثر الدخول ١٠٢٥/١ عليه ، وكانت للملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم ، فكانوا يبعثون فى تلك الأرَضين بتلك الصفة ، [فإذا وجدت حملت إلى الملك][3] غير[4] أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشىء من ذلك ، ولا يريدونه . فبدأ الملك فى طلب النساء فكتب بتلك الصفة [4]. ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهزه : أعد له معدات السفر.

(٢) ح : « وانقضى » ، والأغانى : « وانقطعت مدته وانقضى أجله » .

(٣) تكلة من رواية الأغانى .

(٤ - ٤) رواية الأغانى : « غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم. ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكتب بها إلى النواحى » .

ثم قال : إنّى رأيت الملك كتب فى نسوة يُطلَبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالمًا ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمّه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهنّ . قال : أيّها الملك، إن شرّ شىء فى العرب وفى النعمان [خاصّة] [١] أنهم يتكرّمون — زعموا فى أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يغيّبهن [عمّن تبعث إليه، أو يعرض عليه غيرهنّ] [١] ؛ وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر أن يغيّبهن ، فابعثنى وابعث معى رجلا من حرَسك [٢] يفقه العربية ، [حتّى أبلغ ما تحبّه] [١] . فبعث معه رجلاً جليداً [٣] ، فخرج به زيد ، فجعل يكرِم ذلك الرجل ويُلْطِفه حتّى بلغ الحيرة .

فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساءٍ لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] [١] ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهنّ قد جئنا بها .

وكانت الصفةُ أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصابها إذْ أغار على الحارث الأكبر الغسّانى بن أبى شمِر، فكتب إلى أنوشروان يصفها [٤] له ، [وقال : إنى قد وجّهت إلى الملك جارية] [١] معتدلة الخلْق ، نَقيّة اللون والثّغْر، بيضاء، قمراء، وطفاء [٥] ، [كحلاء] [١] دعجاء [٦] ، حوراء [٧] ، عيناء [٨] ، قنواء [٩] ، شمّاء [١٠] ، زجّاء [١١] ، برجاء، [١٢] أسيلة الخدّ، [١٣] شهيّة القدّ [١٤] ،

١٠٢٦/١

(١) تكملة من رواية الأغانى . (٢) الأغانى : « من ثقاتك » .
(٣) الأغانى : « جلدا فهما » .
(٤) الأغانى : « بصفتها » .
(٥) الوطفاء : غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .
(٦) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .
(٧) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون فى بنى آدم إلا على الاستعارة .
(٨) العين : سعة العين .
(٩) القنواء، من القنا، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه.
(١٠) الشم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها .
(١١) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .
(١٢) البرجاء : الجميلة الحسنة .
(١٣) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .
(١٤) الأغانى : « شهية المقبل » .

جَثْلَةَ الشعْر[١] ، عظيمةَ الهامة ، بعيدةَ مهوَى القرْط ، عيطاء[٢] ، عريضةَ الصَّدْر ، كاعبَ الثَّدْى ، ضخْمةَ مُشاشة المنْكب[٣] والعَضُد ، حسنةَ المِعْصم ، لطيفةَ الكفّ ، سَبْطةَ البنان، لطيفة طَىِّ البَطْن، [٤] خميصةَ الحَصْر ، غَرْثَى الوِشاح[٥] ، رَداحَ[٦] القبُل ، رابيةَ الكَفَل ، لَفَّاء الفَخذين[٧] ، رَيَّا الروادف ، ضَخْمةَ المأكمتَيْن[٨] ، عَظيمةَ الرُّكْبة مُفْعَمَةَ الساق[٩] ، مُشْبَعة الخلخال[١٠] ، لطيفة الكَعْب والقَدَم ، قَطوفَ المَشْى[١١] ، مِكْسالَ الضُّحَى[١٢] ، بَضّةَ المتجرَّد[١٣] ، سموعًا للسيّد ، ليست بخنْساء[١٤] ، ولا سعفاء[١٥] ، ذليلة الأنف[١٦] ، عزيزة النَّفَر ، لم تُغْذَ فى بؤس ، حَيِيّة رزينة ، حليمةً ركينةً ، كريمةَ الخال ، تقتصر بنَسَبِ أبيها دون فصيلتها ، وبفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتْها الأمور فى الأدب ، فرأيها رأى أهل الشَّرَف ، وعَمَلُها عَمَلُ أهل الحاجة ،

---

(١) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

(٢) العيطاء : الطويلة العنق .

(٣) المشاشة : رأس العظم .

(٤) الأغانى : « ضامرة البطن » .

(٥) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(٦) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقبل : ما استقبلك من مشرف .

(٧) اللفاء : الضخمة الفخذين المكتنزتهما .

(٨) المأكتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين .

(٩) مفعمة الساق : ممتلئتها .

(١٠) مشبعة الخلخال : كناية عن سمن الساقين .

(١١) القطوف ، من القطاف ؛ وهو تقارب الخطو .

(١٢) المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو مدح لها عندهم ؛ كقولهم : « نئوم الضحى » .

(١٣) البضة : الناعمة .

(١٤) الخنساء ، من الخنس وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة ، ليس بطويل ولا مشرف .

(١٥) السفعاء ، من السفع وهو السواد .

(١٦) الأغانى : « رقيقة الأنف » .

صناع الكَفيْن ، قطيعةَ اللسان[١] ، رَهْوَةَ الصَّوْت[٢] ،تزين البيتَ[٢] ، وتشينُ العدُوّ ، إن أردتَهَا اشْتهَتْ ، وإن تركْتها انتهَتْ ، تُحملق عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذبذب شفتاها ، وتبادِرك الوثبة ؛[ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست][٣] .

فقبِلَها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة فى دواوينه ؛ فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشقّ[٤] عليه ، فقال لزيد — والرسول يسمع : أما [٥] فى عِين السّواد وفارس ما تبلغون

١٠٢٧/١ حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشقّ عليك لم يكتب إليك به[٥] .

فأنزلهما يوميْن ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذى طلب الملك ليس عندى ، وقال لزيد : اعذِرنى عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذى جاء معه : اصدُق الملك الذى سمعت [٦] منه ، فإنى سأحدثه بحديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : فأين الذى كنت خبّرتنى [به][٧] ؟ قال : قد كنت أخبرتُك بضَنّهم بنسائهم على غيرهم ، وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرْى على الشبع والرّياش ، واختيارهم السَّموم والرياح على طِيب أرضك هذه ، حتى إنّهم ليسمّونها السجن ؛ فسل هذا الرسول [الذى كان][٧] معى عن الذى قال ، [٨]فإنّى أكرم الملك عن الذى قال وردّ عليه أن أقوله[٨] ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال : أيها الملك ، أما فى بقر السواد [وفارس][٧] ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

---

(١) قطيعة اللسان ، أى ليست سليطة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهلته . (٢) الأغانى : الولى

(٣) من رواية الأغانى .

(٤) الأغانى : « فشقت عليه » .

(٥ — ٥) رواية الأغانى : « أما فى مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال : الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أى البقر ، فأمسك الرسول وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغانى : « عما سمعت » . (٧) من الأغانى

(٨ — ٨) الأغانى : « فإنى أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به » .

فعرِف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال[١] : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا ، فيصير أمره إلى التّباب .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان[٢] ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النّعمان يستعدّ ويتوقّع ؛ حتى أتاه كتابُه : أن أقبِل فإنّ للملِك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابُه فحمل سلاحه ، وما قوِىَ عليه ، ثم لحق بجبلى طيّئ . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضًا عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّئًا على أن يُدخلوه [بين الجبلين] [٣] ويمنعوه . فأبوْا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ؛ فإنّه لاحاجة لنا فى معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به][٣]. فأقبل [يطوف على قبائل العرب] [٣] ليس أحد من الناس يقبله ، غير أنّ بنى رواحة بن سعد[٤] من بنى عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك – لمِنّة كانت له عندهم فى أمر مروان القَرَظ[٥] – فقال : لا أحبّ أن أهلِكَكُم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

١٠٢٨/١

فأقبل حتّى نزل بذى قار فى بنى شيبان سرًّا ، فلقِىَ هانئ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيْبان ، وكان سيّداً منيعاً ، والبيت يومئذ من ربيعة فى آل ذى الجَدّين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدّين. وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبُلّة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئًا مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجّه النعمان إلى كسرى ، فلقِى زيد بن عدىّ على قنطرة سَاباط ، فقال : انجُ نعَيْم ، [إن استطعت النّجاء][٣] ، فقال : أنت يا زيد فعلت هذا[٦] ! أما

---

(١) رواية الأغانى : « ولكنه لم يزد على أن قال » .
(٢) الأغانى : « حتى بلغ النعمان » . (٣) تكلة من رواية الأغانى .
(٤) الأغانى : « رواحة بن قطيعة بن عبس » .
(٥) هو مروان بن زنباع العبسى ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يغزو اليمن ، وبها منبته .
(٦) رواية الأغانى : « أفعلتها يا زيد ! »

والله لئن انفلتُّ لأفعلنّ بك ما فعلتُ بأبيك! فقال له زيد: امض نُعَيم، فقد والله وضعتُ لك عنده أخيّة(١) لا يقطعها المُهر الأرِن(٢). فلمّا بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيّده وبعث به إلى خانقين، فلم يزل فى السجن حتّى وقع الطاعون فمات فيه، والناس يظنّون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى:

فذاك وما أنْجَى من الموتِ ربَّه ... بساباط حتَّى مات، وهو مُحَرْزَقُ(٣)

١٠٢٩/١ وإنما هلك بخانقين، وهذا قبيل الإسلام، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلّم، وكان سبب وقعة ذى قار بسبب النعمان(٤).

وحدّثت عن أبى عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، قال: حدّثنا أبو المختار فراس بن خَنْدَق، وعدّة من علماء العرب قد سمّاهم، أن النعمان لما قتل عديًّا كاد أخو عدىّ وابنه النعمانَ عند كسرى، وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشىء غَضِب منه كسرى، فأمر بقتله، وكان النعمان لمّا خاف كسرى استودع هانئ بن مسعود بن عامر الخصيب بن عمرو المزدلف بن أبى ربيعة بن ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة، حلْقَته ونِعَمه وسلاحاً غير ذلك، وذاك أن النُّعمان كان بنّاه ابنتين له.

— قال أبو عبيدة: وقال بعضهم: لم يدرك هانئ بن مسعود هذا الأمر، إنّما هو هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود. وهو الثَّبَت عندى —

فلما قَتل كسرى النعمان، استعمل إياس بن قبيصة الطائىّ على الحيرة وما كان عليه النُّعمان. قال أبو عبيدة: كان كِسرى لما هرب من بَهْرام مرّ بإياس بن قَبيصة فأهدى له فرسًا وجَزوراً، فشكر ذلك له كسرى،

(١) الأخية فى الأصل: أن يدفن طرفا الحبل فى الأرض وفيهما عصية أو حجير، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة. (٢) الأرن: النشيط.

(٣) ديوانه ١٤٧. وحرزق الرجل، أى حبسه؛ وهذه رواية الطبرى والديوان، وفى الأغانى: «محزرق»، وهما بمعنى. قال التوزى: قلت لأبى زيد الأنصارى: أنتم تنشدون قول الأعشى: «حتى مات وهو محزرق»، وأبو عمر الشيبانى ينشده «محرزق»، بتقديم الراء على الزاى؟ فقال: إنها نبطية، وأم أبى عمرو نبطية، فهو أعلم بها منا. (٤) الخبر فى الأغانى ٢: ١٠٥ — ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال: قد أحرزها فى بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضمّ ما كان للنعمان ويبعث [به][1] إليه ، فبعث إياس إلى هانئ : أن أرسل إلىّ ما استودعك النعمان من الدروع ١٠٣٠/١ وغيرها — والمقلّل يقول : كانت أربعمائة درع ، والمكثّر يقول : كانت ثمانمائة درع — فأبى هانئ أن يسلم خفارته . قال : فلما منعها هانئ ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل — وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبىّ ؛ وهو يحبّ هلاك بكر بن وائل — فقال لكسرى : يا خير الملوك ، أدلّك على غرّة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقط الفراش فى النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكهم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط الفراش فى النار » ، فأقرّهم حتى إذا قاظوا ، جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو ، حنو ذى قار ؛ وهى من ذى قار [على مسيرة][1] ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النّعمان بن زرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فنزل النعمان على هانئ ثم قال له : أنا رسول الملك إليكم أخيّركم ثلاث خصال : إمّا أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تعرّوا الديار ، وإمّا أن تأذنوا بحرب .

فتوامروا فولّوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيّار العجلىّ ، وكانوا يتيمّنون به فقال لهم : لا أرى إلاّ القتال ؛ لأنكم إن أعطيتم بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريّكم ، وإن هربتم قتلكم العطش ، وتلقاكم تميم فتهلككم . فآذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس وإلى الهامرز التسترىّ — وكان مسلحه بالقطقطانة — وإلى جلابزين[2] — وكان مسلحه ببارق — وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدّين — وكان كسرى استعمله على طفّ ١٠٣١/١ سفوان — أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساورة ، وقد بعث النبى صلّى الله عليه وسلّم ورقّ أمر فارس ، وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم : « اليوم انتصفت العرب من العجم » ،

---

(١) تكملة من ح .

(٢) فى النقائض : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الوقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم انسلّ قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هانئًا ، فقال له : أعطِ قومك سلاح النّعمان فيقووْا ، فإن هلكوا كان تبعًا لأنفسهم ، وكنتَ قد أخذت بالحزْم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل وقسّم الدروع والسلاح فى ذوى(١) القُوَى والجلَد من قومه . فلما دنا الجمع من بكْر ، قال لهم هانئ : يا معشر بكْر ، إنّه لاطاقةَ لكم بجنود كسرى ومَنْ معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيّار فقال له : إنما أردتَ نجاتنا فلم تَزِدْ على أن ألقيتَنا فى الهَلَكة ، فردّ الناس وقطّع وُضُن الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا — فسمىَّ «مقطّع الوُضن» ، وهى حُزُم الرّحال . ويقال : مقطّع البُطُن ، والبُطْن حزُم الأقتاب — وضرب حنظلة على نفسه قبّة ببَطحاء ذى قار ، وآلى ألاّ يفِرّ حتى تفِرّ القبّة . فمضى مَنْ مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقَوْا ماء لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالحِنْو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت إلى الجُبابات ، فتبعتهم بَكْر ، وعِجْل أوائل بكْر ، فتقدمت عِجْل ، وأبلَتْ يومئذ بلاء حسنًا ، واضطمّت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلكت عِجْل ، ثم حملت بكْر فوجدوا عِجْلا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول : ١٠٣٢/١

إنْ يَظفَروا يحرِّزوا فينا الغرَلْ   إيهاً فِداءٌ لكُم بَنِي عِجِلْ !

وتقول أيضًا تحضِّض الناس :

إن تَهْزِموا نعانقْ   ونفرِشِ النَّمارقْ
أوْ تَهْرُبوا نُفارقْ   فِراقَ غَيْرِ وَامِقْ

فقاتلوهم بالجُبابات يومًا . ثم عطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذى قار ، فأرسلت إياد إلى بكر سرًّا — وكانوا أعوانًا على بكْر مع إياس بن قبيصة : أىّ الأمرين أعجب إليكم ؟ أن نطيرَ تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تلاقوا

---

(١) ط : « ذى » ، وما أثبته عن ح .

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم . قال : فصبّحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يذمّرن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السَّكونيّ — وكان حليفًا لبني شيبان — : يا بني شيبان، أطيعوني وأكمنوني لهم كمينًا . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسَهم فكمنوا في مكان من ذي قار ، يسمى إلى اليوم الجُبّ ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامَرْز ، وعلى ميسرته الجلابزين ، وعلى ميمنة هانئ بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيبانيّ ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العِجْليّ ،وجعل الناس يتحاضّون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة : ١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاعُكُمُ فجِدُّوا ماعِلَّتى وأنا مُؤْدٍ جَلْدُ[1]!

وَالقَوْسُ فيهـا وَتَرٌ عُرُدُّ مِثْلُ ذِراعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

قَدْ جَعَلَتْ أَخْبَارُ قَوْمِى تَبْدُو إنَّ المَنايا لَيسَ مِنْهَا بُدُّ

هٰذَا عُمَيْرٌ تحتَهُ أَلَدُّ يَقْدُمُهُ لَيسَ لَهُ مَرَدُّ

حتَّى يَعودَ كالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنى شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا

* نَفْسِى فِدَاكُمْ وَأَبِى وَالْجَدُّ[2] *

وقال حنظلة أيضًا :

يا قَوْمِ طِيبُوا بالقِتَالِ نفْسَا أَجْدَر يَوْمٍ أَنْ تَفُلُّوا الفُرْسا

وقال يزيد بن المكسّر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيّار :

مَنْ فَرَّ مِنكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وجارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ إنَّ الشِّرَاكَ قُدَّ مِنْ أَدِيمِهِ[3]

وكُلُّهُمْ يَجْرِى عَلَى قَدِيمِهِ من قارِحِ الهُجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهِ

---

(١) المؤدى : ذو الأداة التامة من السلاح .

(٢) ح : « فدتكم » .

(٣) الشراك : سير النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صيّروا الأمر بعد هانئ إلى حنظلة ، فمال إلى مارية ابنته – وهى أمّ عشرة نفر ؛ أحدهم جابر بن أبجر – فقطّع وضينها فوقعت إلى الأرض وقطّع وُضُن النساء ، فوقعنَ إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانيّة حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيْهاً بَنِي شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفّْ إِنْ تُهْزَمُوا يُصَبِّغوا فينَا القُلَفْ

١٠٣٤/١ فقطّع سبعمائة من بنى شيبان أيدىَ أقبيتهم مِنْ قِبَل مناكبهم ؛ لأنْ تخِفّ أيديهم بضرب السيوف ، فجالدوهم .

قال : ونادى الهامَرز : مَرْد ومَرْد ، فقال بُرْد بن حارثة اليشكرىّ : ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجُل ، قال : وأبيكم لقد أنصفَ . فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبى كاهل :

ومِنَّا بُرَيْدٌ إذ تحدَّى جُموعَكُمْ فَلَمْ تُقْرِبوهُ المَرْزُبَانَ المُسَوَّرا

أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيّار : يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشّاب ، فحملت ميسرة بكْر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل بُرد منهم رئيسَهم الهامرز ، وحملت ميمنة بكْر وعليها يزيد بن مُسهر على ميسرة الجيش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جُبّ ذى قار من ورائهم ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدُّوا على قَلْب الجيش ، وفيهم إياس ابن قبيصة ، وولّت إياد مُنهزمة كما وعدتهم ، وانهزمت الفُرْس .

قال سَليط : فحدّثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى الناس ، ولّت بكْر منهزمة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادىَ فصاروا من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هى الهزيمة ، وذاك فى حرّ الظهيرة وفى يوم قائظ ، فأقبلت كتيبة عِجْل كأنهم طُنّ قَصَب ، لا يفوت بعضهم بعضًا ، لا يُمْعِنُونَ هربًا ، ولا يخالطون القوم . ثم تذامروا فزحفوا فرموهم بجباههم ، فلم تكن إلا إياها ، فأمالوا بأيديهم ، فولّوا ، فقتلوا الفرس ومَنْ معهم ؛ ما بين بطحاء ذى قار ، حتى بلغوا الراحضة .

١٠٣٥/١

قال فراس : فخبِّرت أنّه تبعه تسعون فارسًا[1] ، لم ينظروا إلى سلَب ولا

(١) كذا فى النقائض ، والعبارة فى ط مصحفة .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدَم (موضع قريب من ذى قار)، فوُجد ثلاثون فارساً من بنى عِجْل ، ومن سائر بَكْر ستون فارساً ، وقتلوا جلابزين ؛ قتله حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس يمدح بنى شيبان خاصّة فى قوله :

فِدًى لِبَنِى ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ ناقتى ... وراكِبُهَا يومَ اللّقَـاء، وقلَّتِ[1]

هُمُ ضَرَبُوا بالحِنوِ، حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقدِّمَةَ الهامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

وأَفْلَتَنَا قَيسٌ وقُلْتُ لَعَـلَّهُ ... هُنالِكَ لَوْ كانَتْ بهِ النَّعْلُ زَلَّتِ[2]

فهذا يدلّ على أن قيساً قد شهد ذا قار .

وقال بُكير ، أصَمُّ بنى الحارث بن عُبَاد ، يمدح بنى شيْبان :

إنْ كُنْتِ ساقِيَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا ... فأُسْقِى عَلَى كَرَمٍ بَنِى هَمَّام

وأَبا رَبِيعَةَ كُلَّهَا وَمُحَلِّماً ... سَبَقَا بِغايَةِ أَمْجَدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١

ضَرَبوا بَنى الْأَحْرَارِ يوْمَ لَقُوهُمُ ... بالمَشْرَفِيِّ عَلَى مَقِيلِ الهـامِ

عَرَباً ثَلاثَةَ آلُفٍ وكَتِيبَةً ... أَلفَيْنِ أَعْجَمَ مِن بَنى الفَدَّامِ

شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لها ... ذِكْرَى لَه فى مُعْرِقٍ وشَآمِ

عَمْرٌو ومَا عَمْرٌو بِقَحْمٍ دالهٍ ... فيها، ولا غُمْرٍ ولا بغُلَامِ[3]

فلما مدح الأعشى والأصمّ بنى شيبان خاصّة غضبت اللهازِم ، فقال أبو كلبة ، أحد بنى قيس يؤنّبها بذلك :

جُدِّعْتُمَا شاعِرَىْ قَوْم أُولِى حَسَبٍ ... حُزَّتْ أُنُوفُهُمَا حَزّاً بِمِنْشَارِ

أعْنى الأَصَمَّ وأَعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا ... فلا استعانا عَلَى سَمْعٍ بِإِبْصارِ

---

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفى ط : « وقلت » ، والصواب ما أثبته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وأفلتهم قيس فقلتُ لَعَلَّهُ ... يَبِلُّ لئنْ كانتْ بهِ النعلُ زَلَّتِ

(٣) القحم فى الأصل : المهزول من الإبل ، والداله : الضعيف . وفى النقائض : « دالف » .

لَوْلا فَوارِسُ لامِيلٌ ولا عُزُلٌ[1] مِنَ اللَّهَازِمِ ما قاظوا بذِى قارِ
نَحْنُ أتيناهُمُ مِنْ عِنْدِ أشْمُلِهِم كَمَا تَلَبَّسُ وُرَّادٌ بِصُدَّارِ ؟

١٠٣٧/١ قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبى كلبة ، قال : صدق .
وقال معتذراً ممّا قال :

مَتى يُقْرَنْ أصَمُّ بحَبْلِ أعْشَى يَتِيها فى الضَّلاَلِ وَفى الخسَارِ
فلَسْتُ بِمُبْصِرٍ ما قدْ يرَاهُ ولَيْسَ بِسامِعٍ أبَدًا حِوَارِى

وقال الأعشى فى ذلك اليوم :

أتانا عَنْ بَنِى الأَحْرا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَما[2]
أرادوا نَحْتَ أَثْلَتِنـــا وكُنَّا نَمْنَعُ الخُطُمَـــا[3]

وقال أيضًا لقيس بن مسعود :

أَقَيس بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وأَنتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبابكَ وائلُ
أَتجْمَعُ فى عَامٍ غَزاةً ورِحْلَةً ألا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقته القَوابِلُ !

وقال أعشى بنى ربيعة :

ونَحْنُ غَداةَ ذى قارٍ أقَمْنا وقَدْ شَهِدَ القَبائِلُ مُحْلِبِينا[4]
وقَدْ جاءوا بها جَأْواءَ فِلْقاً مُلَمْلَمَةً كَتَائِبُهَا طَحونا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ ظِلالُ دُجَاهُ عَنَّا مُصْلِتِينَا
فوَلَّوْنا الدَّوابِرَ وَاتَّقَوْنا بِنُعْمانَ بْنِ زُرْعَةَ أكْتَعِينَا
وَذُدْنا عَارِضَ الأحْرَارِ وِرْداً كَمَا وَرَدَ القطَا الثَّمَدَ المَعِينَا

---

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .
(٢) ديوانه ٢٠٤ .
(٣) ديوانه ١٢٨ .
(٤) ديوان الأعشين ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قِبَل ملوك الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند

١٠٣٨/١ قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبَل ملوك الفرس من آل نصْر ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدّة ولاية كلّ مَنْ ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لهم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولىَ ذلك لهم النعمان بن المنذر ، والذى ولىَ لهم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمّه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولىَ ذلك أربع سنين ؛ من ذلك فى زمن أنو شِروان ثمانية أشهر ، وفى زمن هرمز بن أنو شروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرُب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنو شِروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفى زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إياس بن قبيصة الطائىّ ومعه النَّخيرجَان ، تسع سنين فى زمن كسرى ابن هرمز . ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بُعِث النبى صلّى الله عليه وسلّم فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آزاذبه بن ماهان[1] بن مِهِر بنْداذ الهمذانىّ سبع عشرة سنة ، من ذلك فى زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفى زمن ١٠٣٩/١ شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفى زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفى زمن بوران دُخْت بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر — وهو الذى تسمّيه العرب الغَرور ، الذى قتل بالبحرين يوم جُؤاثَى ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة — ثمانية شهر .

(١) كذا فى تصويبات ط .

فكان آخر مَنْ بقى من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر — فيما زعم هشام — ومن استخلف من العبَاد والفرس عشرون ملكًا . قال : وعدّة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر

* * *

رجع الحديث إلى ذكر المرُزان وولايته اليمن ، من قِبَل هُرْمز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حُدّثت عن هشام بن محمّد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وِين[1] عن اليمن ، واستعمل مكانه المرُوزان ، فأقام باليمن ، حتّى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهلَ جبل من جبال اليمن يقال له المصانع[2] خالفوه ، وامتنعوا من حَمْل الخراج إليه — والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمَع فيه — فسار المروزان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يُطمع فى دخوله إلاّ من باب واحد ، يَمنع ذلك الباب رجل واحد ؛ فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذى يحاذى حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحته هواء ذاهب ، فلم ير شيئًا أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه[3] أن يصطفّوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب[4] فرسه فاستجمع حُضْرًا[5] ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حِمْير وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم — والأيم بالحميرية شيطان — فانتهرهم وزبَرهم بالفارسيّة ، وأمرهم أن يكتّفَ بعضهم بعضًا ، فاستنزلهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسَبَى بعضهم[6] ، وكتب بالذى كان من أمره إلى كسرى

١ / ١٠٤٠

(١) ط : «زين» وأثبت ما فى التصويبات . (٢) وقال ياقوت : «حصن يقال له المصانع».
(٣) ت ، ح : « فأتى أصحابه فأمرهم » .
(٤) ط : « فضرب » ، وما أثبته من ت ، ح .
(٥) الحضر : ارتفاع الفرس فى عدود .
(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجّب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلفْ مَنْ شئت ، وأقبل إلىّ .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ؛ يقال له خُرَّ خُسْرة ، والآخر أُسوارٌ يتكلّم بالفارسية ، ويتدهْقَن ، فاستخلف المروزان ابنه خُرَّ خُسْرة — وكان أحبّ ولده إليه — على اليمن ، وسار حتى إذا كان فى بعض بلاد العرب هلك ، فوضع فى تابوت ، وحمل حتى قَدِم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع فى خزانته ، وكتب عليه فى هذا التابوت : فلان الذى صنع كذا وكذا ، قصّته فى الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرُّب خرّخسرة وروايته الشعر ، وتأدّبه بأدب العرب ، فعزله ، وولّى باذان ، وهو آخر من قَدِم اليمن من ولاة العجم .

١٠٤١/١ وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجوهر والأمتعة والكُراع وافتتح من بلاد العدوّ ، وساعده من الأمور ، ورُزِق من مؤاتاته ، وبطِر[١] ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناسَ على ما فى أيديهم من الأموال ، فولّى جِباية البقايا عِلْجًا من أهل قرية تدعى خَنْدق من طَسُّوج بَهُرَسير ؛ يقال له : فَرُّخزاذ بن سُمَىّ ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغَصَبهم أموالهم فى غير حلّه ، بسبب بقايا الخراج ، واستفسدهم بذلك ، وضيّق عليهم المعاش ، وبغّض إليهم كسرى وملكه .

وحدِّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحدٌ من الملوك ، وبلغت خيلُه القُسْطنطينيّة وإفريقيّة ، وكان يشتو بالمدائن ، ويتصيّف ما بينها وبين هَمَذان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلاّ واحداً ، وخمسون ألف دابّة بين فرس وبِرْذَون وبغل ، وكان أرغبَ النّاس فى الجوهر والأوانى وغير ذلك .

وأمّا غير هشام فإنه قال : كان [له][٢] فى قصره ثلاثة آلاف امرأة يطؤهنّ ،

---

(١) ت ، ح : «وبطر وأشر» .
(٢) من ر ، ل .

وألوف جوارٍ اتّخذهنّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابّة لمركبه ، وسبعمائة وستون فيلا ، واثنا عشر ألف بغل لثَقَلِه ، وأمر فبُنيت بيوت النيران ، وأقام فيها اثنى عشر ألف هِرْبَذ للزّمزمة . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرُفع إليه أنّ الذى اجتُبِى فى تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورِق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ؛ يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحوّل إلى بيت مالٍ بنى بمدينة طَيْسَبون [١] ، وسمّاه بهار حفرد خسرو ، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يَزْدَجرد وقباذ بن فيروز ، اثنا عشر ألف بَدْرة ، فى كلّ بَدْرة منها من الورِق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعةٍ ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف وأحد وسبعون ألفًا وأربعمائة وعشرونَ درهمًا ونصف وثلث ثمن درهم ، فى أنواع لا يحصِى مبلغَها إلا الله ، من الجواهر والكُسَى وغير ذلك .

١٠٤٢/١

١٠٤٣/١

وإنّ كسرى احتقر الناس ، واستخفّ بما لا يستخفّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوّه وجُرأته على الله [٢] أنه أمر رجلا كان على حرَس بابه الخاصّ — يقال له : زاذان فرُّوخ — أن يقتل كل مقيَّد فى سجن من سجونه ، فأحصُوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفًا ، فلم يقدم زاذان فَرُّوخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعلل أعدّها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ؛ أحدُ ذلك احتقارُه إيّاهم ، وتصغيره عظماءهم . والثانى تسليطُ العِلْج فرّخان زاد بن سمىّ عليهم ، والثالث أمرُه بقتل مَنْ كان فى السجن ، والرابع إجماعه على قتل الفَلّ الذين انصرفوا إليه من قبل هِرَقْل والروم ؛ فمضى ناس من العظماء إلى عَقْر بابل ، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكّل بهم مؤدبون يؤدبونهم ، وأساورة يحولون

---

(١) ل ، ح : « طيستون » ر : « طيسور » .

(٢) ت ، ح : « عتوه على الله عز و جل وجرأته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بَهُرَسير ليلا ، فخلّى عمّن كان فى سجونها ، وخرج مَنْ كان فيها ، واجتمع إليه الفَلّ الذين كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شَاهنْشاه ، وصاروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى ، فهرب مَنْ كان فى قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره ،ويدعى باغ الهِنْدوان فارًّا مرعوبًا ، وطُلب فأخذ ماه آذر وروز آذر[١] ، وحبس فى دار المملكة ، ودخل شيرويه دار الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فملّكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه . ١٠٤٤/١

وحدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً ، أكبرهم شَهْرِيار ، وكانت شِيرين تبنّته، فقال المنجمون لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ؛ ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه ، وعلامته نقصٌ فى بعض بدنه،فحُصِر ولده لذلك عن النِّساء ، فمكثوا حينًا لا يصلون إلى امرأة، حتى شكا ذلك شَهْريار إلى شيرين، وبعث إليها يشكو الشَّبَق ، ويسألها أن تُدْخِل عليه امرأة وإلاّ قتَل نفسه ؛ فأرسلت إليه : إنّى لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلاّ أن تكون امرأة لا يُؤبه لها ، ولا يجمُل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست[٢] أبالى ماكانت، بعد أن تكون امرأة . فأرسلتْ إليه بجارية كانت تحجمها، وكانت – فيما يزعمون – من بنات أشرافهم ؛ إلاّ أن شيرين كانت غضبت عليها فى بعض الأمور ، فأسلمتها فى الحجّامين ؛ فلما أدخلتها على شَهْريار وثب عليها ، فحملت بيزْدَجِرْد، فأمرت بها شيرين فقُصِرت[٣] حتى ولدت ،وكتمتْ أمرَ الولد خمس سنين . ثم إنّها رأت من كسرى رِقّة للصبيان حين كَبِر ، فقالت له: هل يسرّك أيُّها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان فى ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالى . فأمرت بيزْدَجِرْد فُطُيِّبَ وحُلِّى ، وأدخلتْه عليه ، وقالت : هذا يَزْدَجِرد بن شَهْريار ، فدعا به فأجلسه فى

---

(١) المعنى فيما يظهر أنه أخذ فى شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح : « إنى لست » .

(٣) قصرت : حبست .

١/١٠٤٥ حِجْره ، وقبّله وعطف عليه ، وأحبّه[1] حبًّا شديداً ، وجعل يبيّته معه؛ فبينا هو يلعب ذات يوم بين يديه؛ إذ ذكر ما قيل [فيه][2]، فدعا به فعرّاه من ثيابه ، واستقبله واستدبره ، فاستبان النقصَ فى أحد وَرِكيْه ، فاستشاط غضبًا وأسفًا ، واحتمله[3] ليجلِد به الأرض ، فتعلّقتْ به شيرين ، وناشدته الله ألاّ يقتله ، وقالت له : إنه إن يكن أمرٌ قد حضر فى هذا الملك فليس له مردّ . قال : إن هذا المشئوم؛ الذى[4] أخبِرتُ عنه ، فأخرجيه فلا أنظر إليه . فأمرت به فحمِل إلى سِجِسْتان .

وقال آخرون : بل كان بالسّواد عند ظؤورته فى قرية يقال لها خُمَانيَة. ووثبت فارس على كِسْرى فقتلته ، وساعدهم على ذلك ابنه شيرويه بن مريم الروميّة .

وكان ملكه ثمانيًا وثلاثين سنة . ولمضىّ اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسةعشر يومًا من ملكه هاجرَ النبىّ صلى الله عليه وسلّم من مكةإلى المدينة.

* * *

[ذكر ملك شيرويه بن أبرويز]

ثم ملك من بعده ابنه شيرويه ، واسمه قباذ بن أبَرْويز بن هُرْمز بن كسرى أنوشِرْوان . فذُكر أن شيرويه لما مَلَكَ دخل عظماء الفرس عليه بعد حَبْسه[5] أباه، فقالوا له : إنّه لا يستقيم أن يكونَ لنا ملِكان اثنان، فإمّا أن تقتل كسرى ونحن خَوَلُك الباخعون لك بالطاعة ، وإمّا أن نخلعَك ونعطيه الطاعة على ما لم ١/١٠٤٦ نزل نعطيه قبْلَ أن تملك . فهدّت هذه المقالة شيرويه وكسرته ، وأمر بتحويل كسرى من دار المملكة إلى دار رجل يقال له مارَسْفَنْد . فحُمِل كسرى على

(١) ت ، ح : « فأحبه » .
(٢) تكلة من ر ، وفى ت ، ح : « له » .
(٣) ت ، ح : « فاحتمله » .
(٤) ت ، ح : « وهو الذى أخبرت عنه » .
(٥) ت ، ح : « خلعه » .

برذون ، وقُنِّع رأسه ، وسِير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فمرّوا به فى مسيرهم[1] على إسكاف جالس فى حانوت شارع على الطريق ، فلما بَصُر بفرسان من الجند معهم فارس مقنّع ، عرف أن المقنّع كسرى ، فحذَفه بقالِبٍ ، فعطف إليه[2] رجلٌ ممّن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عنقَ الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى فى دار مَارَسْفَنْد جمع شيرويه مَن كان بالباب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إنّا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته فى تدبيره ونوقّفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خُرّة يقال له أسفاذ جُشْنَس ، ولمرتبته رئيس الكتيبة ، كان يلى تدبير المملكة ، فقال له : انطلقْ إلى الملك أبينا ، فقل له عن رسالتنا : إنا لم نكن للبليّة التى أصبحتَ فيها ولا أحدٌ من رعيّتنا سببًا ، ولكنّ الله قضاها عليك جزاء منه لك بسيّئ أعمالك ؛ منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفَتْكك به ، وإزالتُك الملك عنه ، وسمْلك عينيه ، وقتلُك إياه شرّ قِتلة ، وما قارفْتَ فى أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك فى حَظْرك علينا مثافنة[3] الأخيار ومجالستهم ، وكلّ أمر يكون لنا فيه دَعَة وسرور وغبطة . ومنها إساءتك كانت بمَنْ خلّدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك فى استخلاصك كان لنفسك من النّساء وتركك العطف عليهنّ بمودّة منك والصَّرف لهنّ إلى معاشرة مَنْ كُنّ يُرزقنَ منه الولد والنَّسْل ، وحبسك إياهنّ قِبلَك مكرَهات . ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامّة فى اجتبائك إياهم الخرَاج ، وما انتهكت منهم فى غلْظتك وفظاظتك عليهم . ومنها جمعُك الأموال التى اجتبيتها من النّاس فى عنف شديد ، واستفساد منك إيّاهم ، وإدخالك البلاء والمضارّ عليهم فيه . ومنها تجميرُك من جَمّرت[4] فى ثغور الروم وغيرهم

١٠٤٧/١

---

(١) ل : « فى مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال فى اللسان : « ثافنت الرجل مثافنةً ، أى صاحبتُه لا يخفى على شىء من أمره » .

(٤) التجمير : حبس الأمير جنوده فى أرض العدو ، ولا يأذن لهم فى العودة والقفل .

من الجنود ، وتفريقُك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرُك بموريق ، ملك الروم، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويهه باسمك فى تزويجه إيّاك أكرمَ النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقّه ، وتركك إطْلابه[1] ما طلب إليك من ردّ خشبة الصليب، التى لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته[2] . فإن كانت لك حجج تُدْلى بها عندنا وعند الرعيّة فأدلِ بها، وإن لم تكن لك حجّة ، فتب إلى الله من قريب، وأنبْ إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جُشْنَس رسالة كسرى شيرويه هذه، وتوجّه من عنده إلى كسرى ليبلّغه إياها ، فلما توجّه إلى الموضع الذى كان حبس فيه كسرى ألْفَى رجلاً يقال له جيلنوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالسًا ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جشنس جلينوس أن يستأذِن له على كسرى ليلقاه برسالة من شيرويه ، فرجع جلينوس فرفع السّتر الذى كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمّرك الله ! إن أسفاذ جشنس بالباب ، وذكر أنّ الملك شيرويه أرسله إليك فى رسالة [3]، وهو يستأذن عليك ، فرأيك فى الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحًا : يا جلينوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهلِ العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التى ذكرت من شيرويه الملك، فليس لنا مع ملكه إذْن ، وإن كان لنا إذن وحجِب فليس شيرويه بملك؛ ولكن المثَل فى ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فَأْذَنْ لأسفاذ جشنس يبلّغ الرسالة التى حملها . فلما سمع جلينوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد إسفاذ جشنس، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جشنس ، ودعا بعضَ من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

---

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أى علمت ذلك الأمر من طلب رد خشبة الصليب .

(٣) ت، ح : « برسالة » .

١٠٤٨/١

كساء كان لابسه ، وأخرج من كمه ششتقة بيضاء نقيّة ، فمسح بها وجهه، ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأمره كسرى بالانبعاث، فانبعث وكفّر بين يديه — وكان كسرى جالسًا على ثلاثة أنماط [من][1] ديباج خُسْرَوانىّ منسوج بذهب، قدفرشت على بساط من إبريسم، متكئًا على ثلاث وسائد منسوجة بذهب ، وكان بيده سَفَرْجلة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس، تربّع جالسًا ووضع السّفرجلة التى كانت بيده على تُكَأته، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدّة استدارتها وامْلساس الوسادة التى كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ، ومن النّمط إلى البساط ، ولم تَلْبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمّه ، وذهب ليضعها بين يدى كسرى ، فأشار إليه أن ينحّيَها عنه ، وقال له : أعْزبها عنى ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكفّر بيده ، فنكس كسرى، ثم قال متمثّلاً : الأمر إذا أدبر فاتت الحيلة فى الإقبال به، وإذا أقبل أعيت الحيلة فى الإدبار به، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيَل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطُّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حمّلتَ من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السّفرجلة التى تأويلها الخير ، سقطت من عُلْو إلى سفل، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب؛ وذلك منها دليل فى حال الطِّيرَة : أنّ مجد الملوك قد صار عند السُّوَق[2]؛ وأنّا قد سلبنا الملك ، وأنّه لا يلبث فى أيدى عقبنا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة، فدونك فتكلّم بما حمِّلت من رسالة ، وزُوِّدْتَ من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس فى تبليغ الرسالة التى حمّله إياها شيرويه، ولم يغادر منها كلمة ، ولم يزلها عن نَسَقها . فقال كسرى فى مرجوع تلك الرسالة : بلّغ

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جمع السوقة ، وهى من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء .

١٠٤٩/١

١٠٥٠/١

عنَى شيرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغى لذى عقل أن يبثّ من أحد الصغيرَ من الذنب ، ولا اليسير من السيئة إلاّ بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقّنه إياه منه ، فضلاعن عظيم ما بثثت ونشرت [١] وادّعيت منا ، ونسبتَنا إليه من الذنوب والجرائم ؛ مع أنّ أولى الناس بالردّ عن ذى ذنب ، وتوبيخ ذى جرمة [٢] ، مَنْ قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كنّا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغى أن تنشره وتؤنبنا [به] [٣] أيها القصير العمر القليل العلم ؛ فإن كنت جاهلا بما يلزمك من العيوب ببثّك منّا ما بثثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ؛ فاستثبتْ عيوبك واقتصر فى الزَّرْىِ علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقالتك فيه إلاّ اشتهاراً بالجهل ، ونقص الرأى . أيُّها العازب العقل ، العديم العلم ؛ فإنّه إن كان لإجهادك نفسك فى شَهْرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ؛ فقضاة أهل مِلّتك ينفُون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحّونه عن مضامّة الأخيار ومجالستهم ، ومخالطتهم إلاّ فى أقلّ المواطن فضلا عن أن يملك ؛ مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونيّتنا فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملّتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا فى شىء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حُجّة ولا توبيخ ؛ ونحن نشرح الحال فيما ألزمتَنا من الذنوب ، وألحقتَ بنا من الجرائم ؛ عن غير التماس منّا لذلك نقصًا فيما أدليْنا به من حجة ، أو أتينا عليه من بُرْهان ؛ لتزداد علمًا بجهالتك وعزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرتَ من أمر أبينا هُرمز ؛ فمن جوابنا فيه أنّ الأشرار والبغاة كانوا أغْرَوْا هرمز بِنا حتى اتهمنا واحتمل غِمْراً [٤] وَغَمْراً ورأينا من ازْوِراره عنّا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوّفنا ناحيتَه ، فاعتزلْنا بابه لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذرَبيجان ، وقد استفاض ، فانتهك من الملك ما انتهك . فلما انتهى إلينا خبرُ ما بلغ منه شخَصْنَا من أذربيجان إلى بابه ، فهجم علينا المنافق بهرام فى جنود عظيمة من العصاة

١٠٥١/١

---

(١) ت ، ر : « فسرت » .

(٢) ت ، ح : « جريمة » .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الغمر ، بالكسر : الغل والحقد .

المستوجبة القتل ، مارقًا من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الرّوم ، فأقبلنا منها بالجنود والعُدّة ، وحاربناه فهرب منّا ، وصار من أمره فى بلاد التّرك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر فى الناس ؛ حتّى إذا صفا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات الّتى كانوا أشفوْا عليها ، قلنا : إنّ من خير ما نحن بادئون به فى سياستنا ، ومفتتحون به مُلْكنا الانتقامَ لأبينا ، والثأر به والقتل لكلّ من شرِك فى دمه ؛ فإذا أحكمنا ما نوينا ١/١٠٥٢ من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرّغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كلّ من شرِك فى دمه ، وسعى فيه ومالأ عليه .

وأمّا ما ذكرتَ من أمر أبنائنا ، فمن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلاّ صحيحة أعضاء جسده ؛ غير أنّا وكّلنا بالحراسة لكم ، وكفّكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم إرادة كفّ ما نتخوّف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثم كنا أقمنا من النفقات الواسعة فى كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأمّا أنت خاصّة ، فمن قصّتك أن المنجّمين كانوا قضوْا فى كتاب مولدك أنك مترّب علينا ، أو يكون ذلك بسببك ؛ فلم نأمرْ بقتلك ؛ ولكن ختمنا على كتاب قضيّةِ مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القضيّة وجدنا فرميشا ملك الهند كتب إلينا فى سنة ستّ وثلاثين من مُلْكنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب فى أمور شتّى ، وأهدى لنا ولكم — معشرَ[1] أبنائنا — هدايا ، وكتب إلى كلّ واحد منكم كتابًا ، وكانت هديّته لك — فاذكرها — فيلا ، وسيفًا ، وبازيًا أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتيب إليكم وجدته قد وقّع على كتابه إليك بالهنديّة : اكتم ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كلّ واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتبسنا كتابه[2] إليك لحال التوقيع الذى ١/١٠٥٣ كان عليه ، ودعوْنا بكاتب هندىّ ، وأمرنا بفضّ خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عيناً ، وانعم بالاً ، فإنك متوّج ماه آذر روز ديبا ذرسنة

(١) ت ، ل : « معاشر » . (٢) ت ، ح : « كتابك » .

ثمانوثلاثين[١] من مُلْك كسرى ، وملّك على ملكه وبلاده؛ فوثقنا أنك لم تكن لتملك إلاّ بهلكنا وبوارنا ، فلم ننتقصك – بما استقرّعندنا من ذلك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصّلاتِ وغير ذلك – شيئاً ؛ فضلا عن أمرنا بقتلك .

وأمّا كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمنا ، واستودعناه شيرين صاحبتنا ؛ وهى فى الأحياء صحيحة العقل والبدن ؛ فإن أحببت أن تأخذَ منها قضيّة مولدك ، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتُكسبك قراءتك إياهما ندامة وثبوراً فافعل .

وأمّا ما ذكرت من حال من خُلِّد السّجن فمن جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جَيُومَرْت إلى أن ملك بِشْتاسْب ، كانوا يدبّرون ملكهم بالمعدَلة ؛ ولم يزالوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكنا يدبّرونه بمعدلة ، معها ورع الدين؛ فسلْ إن كنتَ عديم عقل وعلم وأدب حَمَلَةَ الدّين – وهم[٢] أوتاد هذه الملّة – عن حال من عصى الملوك وخالفهم ، ونكَث عهدهم ، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنّهم لايستحقّون أن يُرحَموا ويعفَى عنهم . واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس فى سجوننا ، ولا من قد وجب عليه فى القضاء العدل أن يقتل أو تُسمَل[٣] عينه ، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه . وكثيراً ما كان الموكّلون بهم وغيرهم من وزرائنا يذكرون استيجابَ من استوجب منهم القتل ، ويقولون : عاجلْهم بالقتل قبل أن يحتالوا لأنفسهم حِيَلاً يقتلونك بها ، فكنّا لحبّنا استبقاء النفوس وكراهتنا سفك الدماء نتأنّى بهم ، ونكِلهم إلى الله ، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذى اقتصرنا عليه ؛ إلاّ على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب ، وشمّ الرياحين ، ولم نَعْدُ فى ذلك ما فى سنن الملّة من الحوْل بين المستوجبين للقتل ، وبين التلذّذ والتنعّم بشىء مما منعناهم إياه؛ وكنّا أمرنا لهم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذى يُصلحهم فى اقتصاد ، ولم نأمر بالحوْل بينهم وبين نسائهم والتوالد والتناسل فى حال حبسهم . وقد بلغنا أنك أجمعت على التخلية

١/١٠٥٤

---

(١) نص فارسى ، ومعناه أنك متوج فى شهر آذر ، فى يوم سعيد ، فى سنة ثمان وثلاثين من ملك كسرى . (٢) ر : « فهم » . (٣) ت ، ح : « وتسمل » .

عن أولئك الدّعار المنافقين المستوجبين للقتل[١] ، والأمر بهدم محبسهم ، ومتى تُخلِّ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسيء إلى نفسك ، وتُخِلَّ بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التى فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل ، مع أنّ أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ الحكماء وقالوا : لا تؤخّرنّ معاقبةَ المستوجبي العقوبة ؛ فإنّ فى تأخيرها مدفعة للعدل ، ومضرّة على المملكة فى حال التدبير ؛ ولئن نالك بعضُ السرور إن أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافقين العصاة المستوجبين[١] للقتل لتجدنّ غِبّ ذلك فى تدبيرك ، ودخول أعظم المضرّة والبليّة على أهل الملّة. ١٠٥٥/١

وأمّا قولك : إنّا إنما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور[٢] وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لا من بلاد العدوّ بالمجاهدة لهم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما فى أيديهم ؛ فمن جوابنا فيه أنّ مِن إصابة الجواب فى كلّ كلام يُتكلّم بجهل وعنجهيّة ترك الجواب فيه ، ولكن لم نَدَعْ — إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وكانت حجّتنا فيما غشينا أن نحتج به ، قويّة ، وعذرنا واضحاً — شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنما يقيم مُلْك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصّة ملك فارس ، الذى قد اكتنفت بلاده أعداءٌ فاغرة أفواههم لالتقام ما فى يديه ، وليس يُقدَرُ على كفّهم عنها ، وردعهم[٣] عمّا يريدون من اختلاس ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلاّ بكثرة الأموال ووفورها ، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلاّ بالجدّ والتشمير فى اجتباء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل اقتدينا فى ذلك بآبائنا والماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

---

(١) ر : « المستوجبي القتل » ، . ل : « المستوجبين القتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقدعهم » .

وكثّروها ووفّروها لتكون ظهراً لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ؛ وغير ذلك ممّا لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان فى خزائننا ، المنافق بهرام فى عصابة مثله وفتّاك مستوجبين للقتل، فشذّبوها وبذّروها وذهبوا بما ذهبوابه منها، ولم يتركوا فى بيوت أموالنا وخزائننا إلاّ أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها ، ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله مُلْكَنَا ، واستحكمت أمورنا وأذعن لنا الرعيّة بالطاعة ، ودفعنا عنهم البوائق التى كانت حلّت بهم ، ووجّهنا إلى نواحى بلادنا أصْبَهْبذين ، وولّينا دونهم على تلك النواحى فاذوسبانيْن[1] ، واستعملنا على ثغورنا مرازبة وولاة ذوِى صرامة ومضاء وَجَلَد، وقوّينا مَنْ ولّينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أثخن هؤلاء الولاة مَنْ[2] كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدّو . وبلغ من غاراتهم عليهم ، وقتلهم مَنْ قتلوا ، وأسْرهم مَنْ أسروا منهم ، من سنة ثلاثَ عشرَةَ مِنْ مُلْكنا ، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه فى حرم بلاده إلاّ بخفير ، أو خائفاً ، أو بأمان منّا ، فضلا عن الإغارة على شىء من بلادنا ، والتعاطى[3] لشىء مما كرهنا ، ووصل فى مدّة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزائننا ممّا غنمنا من بلاد العدوّ من الذهب والفضة وأنواع الجوهر ، ومن النّحاس والفرِنْد والحرير والإستبرق والديباج والكُراع والأسلحة والسَّبْى والأسراء ما لم يَخْفَ عِظَمُ خطر ذلك وقدره على العامة ، فلمّا أمرنا فى آخر سنة ثلاث عشرة من مُلْكنا بنقش سكك حديثة ، لنأمر فيستأنف ضرب الورِق بها ، وُجد فى بيوت أموالنا — على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورِق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورِق — مائتا ألف بَدْرة، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال. فلما رأينا أنا قدحَصَّنّا ثغورنا، وردعنا العدوّ عنها وعن رعيتنا، [وجمعنا مشتّت أمرنا][4] ،وكَعَمنا أفواههم الفاغرة كانت لالتقام ما فى أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن، وأمّنّا على نواحى

١٠٥٦/١

١٠٥٧/١

(١) ح : « قاووسانين » ، ر : « فاروسانين » ، ل : « قاوسانين » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « ما » .

(٣) ل : « أو التعاطى » .

(٤) تكملة من ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغار ، أمرنا باجتباء بقايا السّنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضّة ، ومن خزائننا من جوهر أو نحاس، وردّ ذلك كلّه إلى موضعه ؛ حتّى إذا كان فى آخر سنة ثلاثين من مُلْكنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الورِق ، فوجد فى بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جندنا، والأموال التى أحصيت لنا قبل ذلك من الورِق أربعمائة ألف بَدْرة ،يكون ما فيها ألف ألف ألف مثقال وستمائة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ ممّا أفاء الله بمنّه وطَوْله علينا من أموال ملوك الروم ، فى سفن أقبلت بها إلينا الرّيح ؛ فسمّيناها فَىْء الرياح ؛ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمانٍ وثلاثين من مُلْكنا، التى هى هذه السنة تزداد كثرة ووفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمناً وطمأنينة، وثغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛وقد بلغنا أنك هممت — لرذولة[1] مروءتك — أن تبذّر هذه الأموال وتُتْويها[2] ،عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أنّ هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلاّ بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كدّ وعناء شديد ، لندفع بها العدوّ المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١/١٠٥٨ المتقلّبين إلى غلبتهم على ما فى أيديهم . وإنما يُقْدَر على كفّ أولئك العدوّ فى الأزمان والدهور كلّها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوَى الجنودُ إلاّ بالأموال ، ولا يُنتفع بالأموال إلاّ على كثرتها ووفورها ؛ فلا تهمّنّ بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسُرَنّ عليها ؛ فإنها كهف لملكك وبلادك ، وقوة لك على عدوّك .

ثم انصرف إسفاذ جشنس إلى شيرويه فقصّ عليه ما قال له كسرى ، ولم يُسقِط منه حرفاً ؛ وإنّ عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا مَلِكان ، فإمّا أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خوَلُك ، المانحوك الطاعة ، وإمّا أن نخلَعك ونعطيه الطاعة . فهدّت شيرويه هذه المقالة وكسرته ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدَب لقتله رجال كان وَتَرهم كسرى ، فكلّما أتاه

---

(١) الرذل : الدون فى المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذالة ورذولة .

(٢) تتويها : تذهبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزَبَره . فلم يُقدِم على قتله أحد؛ حتى أتاه شابّ يقال له مِهْرهُرْمُز بن مَرْدانشاه ليقتله، وكان مردا نشاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروذ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإنّ كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجّميه وعافَته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيّته آتية[1] من قِبَل نيمروذ . فاتّهم مردانشاه ، وتخوّف ناحيتَه لعظم قدره ، وأنّه لم يكن فى تلك الناحية مَنْ يعدِل له فى القوة والقدرة .

١٠٥٩/١

فكتب إليه أن يعجّل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأى فى طلب عِلّة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتذمّم من قتله لمّا علم من طاعته إيّاه ، ونصيحته له ، وتحرّيه مرضاته . فرأى أن يستبقيَه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوّضه منها أموالاً عظيمة يجود له بها، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدى والأرجل وتقطع الأعناق فى رحبة الملك .

وإنّ كسرى أرسل يومَ أمر بقطع يده عيناً ليأتيَه بخبر ما يسمع من مردانشاه وممّن بحضرته[2] من النظّارة ، وإنّ مردانشاه لما قطعت يمينه قبض عليها بشماله، فقبّلها ووضعها فى حجره ، وجعل يندبها بدمع له دارّ ويقول: واسمحتاه ! وارامِيتاهْ ! واكاتبتاهْ ! واضاربتاهْ ! والاعبتاهْ ! واكريمتاهْ !

فانصرف إلى كسرى الرجل الذى كان وجّهه عيناً عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرقّ له كسرى ؛ وندم على إتيانه فى أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعْلِمه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئًا يجد السبيل إلى بذله له إلاّ أجابه إليه ، وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إنّى لم أزلْ أعرف تفضّلَك علىّ أيها الملك ، وأشكره لك ، وقد تيقّنت أن الذى أتيتَ إلىّ مع كراهتك إيّاه؛ إنّما كان سببه القضاء؛ ولكنّى سائلك أمراً فأعطنى من الأيْمان على إسعافك إيّاى به ما أطمئنّ إليه ، وليأتِنى بيقينِ حلِفك علَى ذلك رجل من النسّاك ، فأفرشك إيّاه وأبثّه لك .

---

(١) ح ، ل : « تأتيه » .

(٢) ل : « بحضره » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه ، وحلف بالأيمان المغلّظة ليجيبنّه إلى ما هو سائله ؛ ما لم تكن مسألته أمراً يُوهِن ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحيَ بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحنْث ، زعم . ١/١٠٦٠

وإنّ كسرى سأل مِهْر هرمز بن مردانشاه ، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومرتبته . فأخبره أنه مِهْر هرمز بن مردانشاه ؛ فاذوسبان نيمروذ ، فقال كسرى : أنتَ ابن رجل شريف كثير الغَناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيّانا ، ونصيحته لنا ، وغَنائه عنّا بغير ما كان يستحقّه ، فشأنك وما أمرتُ به . فضرب مهرهرمز على حَبْل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يُحِكْ فيه ، ففُتِّش كسرى فوجد قد شدّ فى عضده خَرَزة لا يُحيكُ السيف فى كلّ من تعلّقها . فنزعت من عَضُده ، ثم ضربه بعد ذلك مهرهرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرّق جيبه وبكى منتحبًا ، وأمر بحمل جثّته إلى الناوس فحمِلت ، وشيّعها العظماء وأفنَاء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذر روزماه . وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين – والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا – إياه على قتلهم ، فابتلِيَ بالأسقام ولم يلتذّ بشىء من لذّات الدنيا ، وكان هلاكه بدَسْكَرَة المَلِك ، وكان مشئومًا على آل ساسان ؛ فلما قتل إخوته جَزِع جزعًا شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وآزرْميدختْ أختاه فأسمعتاه وأغلظتا له ، وقالتا : حَمَلَكَ الحرصُ على مُلْك لا يتمّ ، على قتل أبيك وجميع إخوتك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورمى بالتّاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلّها مهمومًا مُدْنفًا . ويقال : إنه أباد مَنْ قدر عليه من أهل بيته ؛ وإنّ الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلاّ قليلا منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر . ١/١٠٦١

* * *

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرَوْيز بن هرمز بن أنوشَرْوان، وكان طفلاً صغيراً – قيل : إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن فى أهل بيت المملكة محتنِكٌ – فملّكته عظماء فارس ، وحضنه رجل يقال له مهآذرْجُشنس ؛ وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة ، فأحسن سياسة المُلْك ، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسّ معه بحداثة سنّ أردشير . وكان شَهْربراز بثغر الروم فى جُنْد ضمّهم إليه كسرى ، وسمّاهم السعداء ، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه فى الأمر يهمّهما ، فيستشيرانه فيه ؛ فلمّا لم يشاوره عظماء فارس فى تمليك أردشير ،

١/١٠٦٢ اتّخذ ذلك ذريعة إلى التعتّب والتبغّى عليهم ، وبسط يده فى القتل ، وجعله سبباً للطمع فى الملك ، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبوديّة[1] إلى رفعة الملك ، واحتقر أردشير لحداثة سنّه واستطال عليهم ، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور فى الملك . ثم أقبل بجنده وقد عمَد مهآذرجشنس ؛ فحصّن سور مدينة طيسبون وأبوابها ، وحوّل أردشير ، ومن بَقِى من نسل الملك ونسائهم ، وما كان فى بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكُراعه إلى مدينة طَيسبون . وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهربراز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم ، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون ، وحاصر مَنْ فيها وقاتلهم عنها ، ونصب المجانيق عليها فلم يصل إليها . فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قِبَل المكيدة ، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خُسروا ، وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جُشْنَس بن آذرجشنس ؛ أصبهبذ نيمروذ ؛ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها ، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم ، واستصفى أموالهم ، وفضح نساءهم . وقتَل ناس بأمر شهربراز أردشير بن شيرويه ؛ سنة اثنتين ماه بهمن ، ليلة روزآبان فى إيوان خُسْرَوْشاه قباذ .

وكان ملكه سنة وستة أشهر .

* * *

---

(١) كذا فى ح ، ل ، وفى ط : « العبودة » .

[ذكر مُلك شهر براز]

ثم مَلَكَ شَهْرَبَراز ، وهو فَرَّخان ماه إسفَنْديار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه مَلِكاً. وإنّه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدّة ذلك عليه أنّه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فتبرّز فيه . وإنّ رجلا من أهل إصْطَخْر ، يقال له فسفرّوخ بن ما خُرشيذان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهربراز أردشير وغَلَبته على الملك ، وأنِفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاقدوا على قتله ، وكانوا جميعاً فى حَرَس الملوك ، وكان من السنّة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سِماطيْن ، عليهم الدروع والبيض والتِّرَسة والسيوف ، وبأيديهم الرماح ، فإذا حاذى بهم الملك وضع كلّ رجل منهم تُرْسه على قَرَبوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإنّ شهربراز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفرُّوخ وأخواه ، قريباً بعضهم من بعض ، فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفرُّوخ ، ثمّ طعنه أخواه ، وكان ذلك إسفندارمَذْ ماه ، وروز دى بدين[1] ، فسقط عن دابته ميِّتاً ، فشدُّوا فى رجله حبلاً وجرّوه إقبالا وإدباراً ، وساعدهم على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فرّوخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهياى ، كان مؤدّب الأساورة ، وكثير من العظماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظماء . وإنّهم ملّكوا بوران بنت كسرى .

وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

* * *

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذُكر أنها قالت يوم ملكت : البرّ أنوِى وبالعدل آمر ، وصيّرت مرتبة شهر براز لفسفرّوخ ، وقلّدته وزارتها ، وأحسنت السِّيرة فى رعيّتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورِق ورمّ القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بقَيت من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامّة كتباً أعلمتهم ما هى عليه من الإحسان

١٠٦٣/١ ١٠٦٤/١

(١) نص فارسى قديم ، ومعناه أن ذلك كان فى شهر إسفندارمذ ، وكان فى يوم شتاء .

إليهم ، وذكرت حال مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريَهم الله من الرّفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوَّخ البلاد ، ولا ببأسِهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النوائر ؛ ولكن كلّ ذلك يكون بالله عزّ وجلّ ، وأمرتهم بالطاعة وحضّتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جمَّاعة لكلّ ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .

وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

* * *

[ذكر ملك جشنسده]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشْنَسْدِه ، من بنى عمّ أبَرْويز الأبعدين .

وكان ملكه أقلّ من شهر .

* * *

[ذكر ملك آزرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آزَرْمِيدُخت بنت كسرى أبَرْويز بن هرمز بن كسرى أنوشِروان ؛ ويقال إنها كانت من أجْمَل نسائهم ؛ وإنها قالت حين ملَكت : منهاجُنَا منهاج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفَنا أحد هَرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرُّخهُرْمُز إصبهبذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوّجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التّزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك منّى ، فصرْ إلىّ ليلة كذا وكذا . ففعل فرّخهرمز وركب إليها فى تلك الليلة ، وتقدمت آزرميدخت إلى صاحب حَرسها أن يترصّده فى الليلة التى تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحبُ حرسها لأمرها ، وأمرت به فجرّ برجله ، وطُرِح فى رحبة دار المملكة ، فلمّا أصبحوا وجدوا فرّخهرمز قتيلاً ، فأمرت بجثّته فغيّبت ، وعلِم أنه لم يقتَل إلا لعظيمة . وكان رستَم بن فرّخهرمز صاحب يَزْدَجِرْد الذى وجّه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل فى جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسَمَل

١٠٦٥/١

عينىْ آزَرميدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُمّت .

وكان ملكها ستة أشهر .

* * *

[كسرى بن مهراجشنس]

ثم أتى برجل من عقب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له : كسرى بن مِهرْجُشْنَس ، فملّكه العظماء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير الملك، وقتل بعد أن ملك بأيام .

* * *

[ذكر ملك خرّزا خسروا]

وقيل إن الذى ملك بعد آزَرْميدخت خُرَّزاذ خُسْروا من ولد أبَرْويز . وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نَصيبين ،فلما صار إلى ١/١٠٦٦ المدائن مكث أيامًا يسيرة ، ثم استعصوْا عليه وخالفوه .

* * *

[ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعدآزرميدخت كسرى بن مهراجشنس : لمّا قُتِل كسرى بن مهرا جشنس، طلب عظماء فارس من يملّكونه من أهل بيت المملكة، فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبَل النساء ، فأتوا برجل كان يسكن مَيْسان، يقال له فيروز بن مِهرَانْجُشْنس، ويسمى أيضًا جُشْنَسْدِه قد ولدته صَهار بُخت بنت يزدانْدار بن كسرى أنوشروان ، فملّكوه كرهًا .

وكان رجلاً ضَخْم الرأس ، فلما توّج قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطيّر العظماء من افتتاحه كلامه بالضِّيق ؛ وقتلوه بعد أن ملك أيامًا .

ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلّم بما تكلّم به .

* * *

[ذكر ملك فرّخزاذ خسروا]

وقال قائل هذا القول: ثمّ شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبته رئيس الحوَل إلى موضع فى ناحية المغرب قريب من نَصيبين، يقال له: حصن الحجارة، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتَل شيرويه بنى كسرى يقال له: فرّخزاذ خُسْروا إلى مدينة طيسبون، فانقاد له الناس زمنًا يسيراً، ثم استعصوْا عليه وخالفوه، فقال بعضهم: قتلوه.
وكان ملكه ستة أشهر.

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن شهريار]

١/١٠٦٧ وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزْدَجِرْد بن شهريار بن كسرى بإصطخر، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته، فلما بلغ عظماء أهل إصْطَخر أنّ مَنْ بالمدائن خالفوا فرّخزاذ خسروا، أتوا بيزْدَجِرْد بيت نار يدعى بيت نار أردشير، فتوّجوه هنالك، وملّكوه – وكان حَدَثًا – ثم أقبلوا به إلى المدائن، وقتلوا فرّخزاذ خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة.

وساغ المُلْك ليَزْدَجِرد؛ غير أنّ ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال والحلم، وكانت العظماء والوزراء يدبّرون ملكه لحداثة سنّه، وكان أشدُّهم نباهة فى وزرائه وأذكاهم رئيس الحوَل. وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليه أعداؤه من كلّ وجْه، وتطرّفوا بلاده وأخربوا منها، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه. وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه.
وكان عمره كلّه إلى أن قتل ثمانيًا وعشرين سنة.

* * *

وقد بقى من أخبار يزْدَجِرد هذا وولده أخبار سأذكرها إن شاء الله بعد فى مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم، وما آل إليه أمره وأمر ولده.

فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض، إلى وقت ١/١٠٨٦ هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم – على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود، وتزعم أنه فى التوراة الصورة[1] مثبت من أعمار الأنبياء والملوك – أربعة آلاف سنة وسِتّمائة

(١) الصورة، بدل من التوراة؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة.

سنة واثنتان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى ممّا تزعم أنه فى توراة اليونانية ، فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس ، فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنتان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يومًا ؛ على أنه داخل فى ذلك مدّة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يومًا ؛ وعلى أنّ حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جَيُومرت ، وجَيُومرت هو آدم أبو البشر، الذى إليه نسبة كلّ منتسب من الإنس، على ما قد بيّنت فى كتابى هذا .

* * *

وأمّا علماء الإسلام فقد ذكرت قبلُ ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض مَنْ لم يمض ذكره منهم الآن ؛ فإنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون؛ والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن بشّار ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا همّام ، عن قتادة ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلّهم على شريعة من الحق . ١٠٦٩/١

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمىّ ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مائة سنة .

وروى عن عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن أبى عَوانة ، عن عاصم الأحول، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمّد وعيسى عليهما السلام ستّمائة سنة .

وروى عن فُضَيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبِّئت أن كعبًا قال : إن قوله : ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾[1] ليس بهارون أخي موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر[2] ؛ وإلاّ فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت[3] .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى[4] بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبيّ خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنا بِثَالِثٍ ﴾[5] ، والذي عُزِّز به شمعون ، وكان من الحواريّين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعًا وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين[6] رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوّته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيٌّ الآن .

١٠٧٠/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنّه سمع وهبًا يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهريّ ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرميّ ، قال : حدثنا عبد الله بن بُسْر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لتدركنّ قرنًا » ، فعاش مائة سنة .

* * *

(١) سورة مريم ٢٨ .
(٢) ط : « خير » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاق) .
(٤) ح : « وبين عيسى » .
(٥) سورة يس ١٤ .
(٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام فى ذلك، وفى ذلك من قولهم تفاوت شديد ، وذلك أن الواقدىّ ، حكَى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله، ينبغى أن يكون جميع سنِى الدنيا إلى مولد نبينا صلّى الله عليه وسلّم أربعة آلاف سنة وستمائة سنة ، وعلى قول ابن عبّاس الذى رواه هشام بن محمد، عن أبيه، عن أبى صالح ، عنه، ينبغى أن يكون إلى مولد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة . ١٠٧١/١

وأمّا وهب بن منبّه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأنّ ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وجميع مدّة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستمائة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبّه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ، فكأنّ الباقىَ من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذى نحن فيه، مائتا سنة وخمس عشرة سنة .

وهذا القول الذى قاله وهب بن منبّه موافق لما رواه أبو صالح، عن ابن عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا صلّى الله عليه وسلّم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أنّ عنده من مَهْبِط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، ألفى سنة ومائتى سنة وستًّا وخمسين سنة ، ومن الطّوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر خمسمائة سنة وخمسًا وستّين سنة ، ومن خروج موسى ببنى إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس — وذلك لأربع سنين من مُلْك سليمان بن داود — ستّمائة سنة وستًّا وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى مُلْك الإسكندر سبعمائة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام ثلثمائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمّد صلّى الله عليه وسلّم خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة ١٠٧٢/١

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدّث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبيّ، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستّمائة سنة .

وحدّث الهيثم بن عديّ عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطّوفان ألفا سنة ومائتا سنة وستّ وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بنى إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصّر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصّر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وستّ وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ستّ ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

ذكر نسب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكر بعض أَخبار آبائه وأَجداده

١٠٧٣/١

اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم محمّد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطّلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغرَ ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف — وهو أبو طالب — بنو عبد المطّلب لأمّ واحدة، وأمّهم جميعًا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدّثنا بذلك ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدِّثت عن هشام بن محمّد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، وأبو طالب — واسمه عبد مناف — والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرّة، وأمَيمة، ولَدُ عبد المطلب إخوة؛ أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة.

وكان عبد المطّلب — فيما حدّثني يونس بن عبد الأعلى — قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نَذَرت أن تنحر ابنها عند الكعبة فى أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتيَ عن نَذْرها، فجاءت عبدَ الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمَر فى النذر إلاّ الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحرُ ابنى؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبدَ الله بن عبّاس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر ديْن] [1]، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم — وقد كان عبد المطلب بن هاشم نَذرَ إن توافَى له عشرة رهط، أن ينحَر أحدهم، فلما توافَى له عشرة، أقْرع بينهم. أيُّهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطّلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطّلب: اللهمّ هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

١٠٧٤/١

(١) تكلة من ح.

القُرعة على المائة من الإبل – فقال ابن عبّاس للمرأة: فأرى أن تنحرى مائة من الإبل مكان ابنك. فبلغ الحديث مرْوان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفُتْيا؛ إنه لا نذر فى معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله، وتصدّقى واعملى ما استطعت من الخير؛ فأمّا أن تنحرى ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسُرّ الناس بذلك، وأعجبهم قولُ مرْوان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم[1] يزالوا يفتون بألاّ نَذْرَ فى معصية الله.

* * *

وأمّا ابن إسحاق، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصّة؛ هى أشيع[2] مما فى هذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب؛ وذلك ما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبدُ المطلب بن هاشم – فيما يذكرون[3] والله أعلم – قد نَذَر حين لقِىَ من قريش فى حفر زمزم ما لَقِىَ: لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه؛ لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما توافَى له[4] بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذْره الذى نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كلّ رجل منكم قِدْحا، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتونى به. ففعلوا، ثم أتوْه، فدخل على هُبَل فى جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظمَ أصنام قريش بمكّة، وكانت على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعةُ أقْدح[5]، كلّ قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل[6]، إذا اختلفوا فى العَقْل مَن يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله][7]، وقِدْح فيه: «نعَمْ» للأمر إذا أرادوه

١/١٠٧٥

(١) م: «فما زالوا».
(٢) كذا فى م، وفى ح: «أبلغ».
(٣) ابن هشام: «يزعمون».
(٤) ساقطة من ابن هشام.
(٥) ابن هشام: «قداح سبعة»، والقدح، بالكسر: السهم قبل أن يراش وينصل، وجمعه قداح وأقدح.
(٦) العقل هنا: الدية
(٧) تكملة من سيرة ابن هشام.

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْح : «نعم» عملوا به ، وقدْح فيه« لا » ، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدْح فيه « منكم » ، وقِدْح فيه « مُلْصَق » ، وقِدْح فيه « من غيركم » ، وقِدْح فيه « المياه » إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنكِحوا مَنْكَحًا ، أو يدفنوا ميّتًا ، أوْ شكُّوا فى نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجَزور ، فأعطوْها صاحب القِداح الذى يضربها[1] ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرِج الحقّ فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه « منكم » كان وسيطًا[2] وإن خرج عليه « من غيركم » كان حليفًا ، وإن خرج عليه « ملصَق » كان على منزلته منهم ، لا نسب له ولا حِلْف . وإن خرج فى شىء سوى هذا مما يعملون به « نعَمْ » عملوا به ، وإن خرج « لا » أخّروه عامَهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح — فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بَنِيّ هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذى نَذَر ، فأعطى كلّ رجل منهم قِدْحه الذى فيه اسمه — وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحبّ ولد عبد المطّلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشْوَى[3] ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلمّا أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضربَ بها ، قام عبد المطّلب عند هُبَل فى جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ[4] عبد المطلب بيده ، وأخذ الشَّفْرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة — وهما وَثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحها — ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

١٠٧٦/١

---

(١) سيرة ابن هشام : « يضرب بها » .

(٢) الوسيط : خالص النسب .

(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : « فأخذه » .

فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ؛ لئن فعلتَ هذا ، لا يزال الرجل [1] يأتى بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا ! فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكان عبد الله ابن أخت القوم — : والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه ؛ فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل وانطلِقْ به إلى الحجاز ، فإنّ به عرّافة لها تابع ، فسلْها ، ثم أنت على رأس أمرك ؛ إن أمرَتْك أن تذبحه ذبحتَه ، وإن أمرتْك بأمر لك وله فيه فرج قَبِلْتَه . ١٠٧٧/١

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها — فيما يزعمون — بخيبر ، فركبوا إليها حتى جاءوها ، فسألوها ، وقَصّ عليها عبد المطّلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذرَه فيه . فقالت لهم : ارجعوا عنّى اليوم حتى يأتيَنى تابعى فأسأله . فرجعوا عنها ، فلمّا خرجوا من عندها ، قام عبد المطّلب يدعو الله . ثم غدوْا عليها ، فقالت : نعم ، قد جاءنى الخبر ، كم الدِّيةُ فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل — وكانت كذلك — قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقربوا عَشْراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا فى الإبل [2] حتى يرضى ربّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها ، فقد رضيَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قدموا مكّة ، فلما أجمعوا لذلك من الأمر قام عبد المطّلب يدعو الله ، ثم قرّبوا عبد الله وعشراً من الإبل — وعبد المطّلب فى جوف الكعبة عند هُبَل يدعو الله — فخرج القِدْح [3] على عبد الله، فزادوا عشراً، فكانت الإبل عشرين ، وقام عبد المطّلب فى مكانه ذلك يدعو الله، ثم ضربوا فخرج السّهم على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فكانت ثلاثينْ ، ثم لم يزالوا يضربون بالقِداح ويخرج القِدْح على عبد الله ، فكلّما خرَج عليه زادوا من الإبل عشراً ؛ حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت الإبل مائة ، وعبد المطّلب

---

(١) ح : « لا يزال رجل منا » .
(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « من الإبل » .
(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فخرجت القداح » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطّلب . فزعموا أن عبد المطّلب قال : لا والله حتّى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله . وقام عبد المطلب يدعو فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطّلب قائم يدعو ، ثم عادوا الثالثة فضربوا[1] ، فخرج القِدْح على الإبل فنُحِرت ، ثم تُرِكتْ لا يُصدُّ عنها إنسان ولا سَبُع[2] . ١٠٧٨/١

ثم انصرف عبدُ المطّلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ — فيما يزعمون — على امرأة من بنى أسد [بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر][3] ، يقال لها : أمّ قِتَال[4] بنت نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهى عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى ، قالت : لك عندى مثل الإبل التى نحِرتْ عنك ، وقَعْ علىَّ الآن ، قال : إنّ معى أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زهرة — ووهب يومئذ سيّد بنى زُهرة سنًّا وشرفًا — فزوّجه آمنة بنت وهب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا ، وهى لبرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ ، وبرّة لأم حبيب بنت أسد ابن عبد العزّى بن قصيّ ، وأم حبيب بنت أسد لبرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب بن لؤيّ . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقَع عليها ، فحملت بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . ثم خرج من عندها ، حتّى أتى المرأة التى عرضت عليه ما عرَضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ١٠٧٩/١

---

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بنى إسماعيل[١] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدّث أنّ عبد الله إنما دخلَ على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل فى طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأتْ عليه لمَا رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها[٢] ، فتوضّأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمَد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمَّد صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مرّ بامرأته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررتَ بى وبين عينيك غُرّة ، فدعوتَنى فأبيت ، ودخلتَ على آمنة فذهبت بها . فزعموا أنّ امرأته تلك كانت تحدّث أنّه مرّ بها وبين عينيه مثل غُرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بى ، فأبى علىّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ؛ فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

حدّثنى على بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنا محمد بن عُمارة القرشىّ ، قال : حدّثنا الزنجىّ بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوّجه ، مرّ به على كاهنة من خَثْعم ، يقال لها فاطمة بنت مُرّ ، متهوّدة[٤] من أهل تَبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت فى وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع علىّ الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

١/١٠٨٠ أمّا الحرامُ فالممات دُونَهْ والحِلّ لا حِلّ فأستبينَهْ

* فكيف بالأمر الذى تبغينَهْ[٤] *

---

(١) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣ – ١٠٥ .

(٢) كذا فى ح وسيرة ابن هشام ، وفى ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ !

(٤) م : « متهورة » . . .

(٤) الرجز فى السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

* يَحْمِى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ *

ثم قال : أنا مع أبى ولا أقدر أن أفارقه ، فمضى به ، فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثًا ثم انصرف . فمرّ بالخثعميّة فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هلْ لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إنى والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنّى رأيتُ فى وجهك نوراً فأردتُ أن يكون فىّ ، وأبى الله إلاّ أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوّجنى أبى آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثًا ؛ فأنشأت فاطمة بنت مُرّ تقول[1] :

إنّى رأيْتُ مخيلَةً لمعَتْ فتلألأتْ بحَنَاتِم القَطْرِ[2]
فلَمَأْتُها نوراً يُضىء له ما حَوْلَهُ كإضَاءةِ البَدْرِ[3]
فرَجوتُها فَخْراً أبوءُ به ما كلُّ قادِح زَندِهِ يُورِى[4]
لِلهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ثَوْبَيْكَ مَااسْتَلَبَتْ وما تَدْرِى![5]

وقالت أيضًا :

بَنِى هاشمٍ قد غَادَرَتْ مِنْ أخيكمُ أمينةُ إذ لِلباهِ تَعتَرِكانِ ١٠٨١/١
كما غَادَرَ المِصْباحُ عند خُمودهِ[6] فَتائِلَ قد مِيثت له بِدِهانِ[7]
وما كلُّ مَا يَحْوِى الفَتَى مِن تِلادِهِ لِعَزْمٍ ولا مَا فاتهُ لِتَوانِ
فأجْمِلْ إذَا طَالَبْتَ أمْراً فإنه سَيَكفيكَهُ جَدَّانِ يعتَلِجان

---

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .
(٢) الحناتم : جمع حنتم ؛ وهو السحاب .
(٣) لمأتها : أبصرتها ؛ والبيت فى اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ ، وفى السهيلى : « يضىء به » .
(٤) السهيلى :

* ورأيتُه شرفاً أبوء به *

(٥) رواية السهيلى :

لله ما زهريّة سَلَبَتْ منك الذى استلبت وما تَدْرِى!

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .
(٧) كذا فى أنساب الأشراف ، وفى ط : « ميهت » .

سَيَكْفِيكَهُ إمَّا يدٌ مُقْفَعِلَّةٌ وإمَّا يدٌ مَبْسُوطَةٌ ببنانِ
ولَمَّا حَوَتْ منه أمينَةُ ما حَوَتْ حَوَتْ منْهُ فَخْرًا ما لِذٰلِكَ ثانِ[1]

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد بن عمر قال : حدّثنا معمر وغيره ، عن الزهرىّ ، أن عبد الله بن عبدالمطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أنْ تزَوَّجيه! فتزوّجته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة فى ميرة يحمل لهم تمراً ، فمات بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنَه الحارث فى طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .

قال الواقدىّ : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا فى نكاح عبدالله بن عبدالمطلب ما حدّثنا به عبد الله بن جعفر الزهرىّ ، عن أم بكر بنت المسوّر ، أنّ عبد المطّلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوّجا فى مجلس واحد ، فتزوّج عبد المطّلب هالةَ بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوّج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة .

١٠٨٢/١ قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدىّ : والثّبَت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشأم فى عير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى تُوُفِّى ، ودفن فى دار النابغة — وقيل التابعة — فى الدّار الصغرى إذا دخلتَ الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا فى هذا اختلاف .

ابن عبد المطّلب

وعبد المطّلب اسمه شيبة ، سُمّى بذلك ؛ لأنه فيما حدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان فى رأسه شيبة .

وقيل له عبد المطّلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَص فى تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشأم ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل — فيما حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمَة، عن ابن إسحاق . وفيما حدِّثت عن هشام ابن محمّد عن أبيه. وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر ، ودخل حديث بعضهم فى بعض ، وبعضهم يزيد على بعض — على عمرو بن زيد بن لبِيد الخزرجيّ، فرأى ابنته سلْمى بنت عمرو — وأمّا ابن حُميد فقال فى حديثه عن سلمَة، عن ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو — ابن لبيد بن حرام بن خداش بن جندب بن عدىّ بن النجار فأعجبته ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحه إياها ، وشَرَط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ فى أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قَبْل أن يبنىَ بها ، ثم انصرف راجعًا من الشأم ، فبنى بها فى أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكّة وحملها معه ، فلما أثقلتْ ردّها إلى أهلهـا ، ومضى إلى الشأم فمات بها بغزّة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى سنين . ثم إن رجلاً من بنى الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خسَق[1] قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثىّ : مَنْ أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثىّ مكة، قال للمطّلب وهو جالس فى الحِجْر : يا أبا الحارث ، تعلّم أنّى وجدت غلمانًا ينتضلون بيثرب، وفيهم غلام إذا خسَق قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطّلب : والله لا أرجع إلى أهلى حتى آتىَ به ، فقال له الحارثىّ : هذه ناقتى بالفِناء فاركبها ، فجلس المطّلب عليها ، فورد يثرب عِشاء ، حتى أتى بنى عدىّ بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كُرة بين ظهرىْ مجلس ، فعرف ابنَ أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنتَ تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلَم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعْه ، وحلْنا بينك وبينه . فدعاه، فقال : يابن أخى ، أنا عمّك ، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك — وأناخ

١/١٠٨٣

---

(١) خسق : أصاب ونفذ .

راحلته — فما كذّب أن جلس على عَجُز الناقة، فانطلق به ، ولم تعلمْ به أمّهُ حتى كان الليلُ، فقامت تدعو بحَرَبها على ابنها ، فأخبِرت أن عمّه ذهب به ، وقدِم به المطّلب ضحوة ، والناس فى مجالسهم ، فجعلوا يقولون : من هذا وراءك ؟ فيقول : عبد لى ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لى ، ثم خرج المطّلب حتى أتى الحزْوَرة ، فاشترى حُلة فألبَسها شيبة ، ثم خرج به حين كان العَشىّ إلى مجلس بنى عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف فى سِكَك مكّة فى تلك الحُلّة ، فيقال : هذا عبد المطّلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطّلب :

١٠٨٤/١

عرَفْتُ شَيْبةَ والنَّجّارُ قد جعلَتْ ... أبناؤُها حَوْلَه بالنَّبلِ تَنْتَضِلُ

وقد حدّثنى هذا الحديث علىّ بن حرب الموصلىّ ، قال : حدّثنى أبو معن عيسى — من ولد كعب بن مالك — عن محمد بن أبى بكر الأنصارىّ ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوّج هاشم بن عبد مناف امرأةً من بنى عدىّ بن النجّار ، ذات شرف ، تشرُط على من خطبها المقامَ بدار قومها ، فتزوّجت بهاشم ، فولدت له شيبة الحمد ، فرُبِّىَ فى أخواله مكرّمًا ، فبينا هو يُناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خَصْله[1] ، فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمّه المطّلب بن عبد مناف : قد مررت بدار بنى قيْلة ، فرأيت فتًى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتيانهم ، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغى تركُ مثله فى الغربة . فرحل المطّلب حتّى ورد المدينة ، فأراده على الرِّحلة ، فقال : ذاك إلى الوالدة ، فلم يزل بها حتى أذِنَتْ له ، وأقبل به قد أرْدفه ، فإذا لَقِيَه اللاقى وقال : مَنْ هذا يا مطّلب ؟ قال : عبد لى ، فسمىَ عبد المطلب . فلما قدم مكة وَقَفَه على ملك أبيه ، وسلّمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف فى رُكْح[2] له ، فاغتصبه إياه ، فمشى عبد المطّلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النّصرة على عمّه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمّك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب فى كتابه :

١٠٨٥/١

أبلغْ بَنى النَّجّارِ إنْ جِئْتَهُمْ ... أنِّىَ منهُمْ وابْنهُمْ والْخَمِيسْ

---

(١) أصاب خصله ، أى غلب ، من قولهم : أحرز خصله وأصاب خصله ؛ إذا غلب .

(٢) الركح : ناحية البيت .

رَأَيْتُهُمْ قَوْماً إذا جِئْتُهُمْ هَوُوا لقائى وأحَبُّوا حَسِيسْ
فإنَّ عَمِّى نَوْفَلاً قد أبَى إلَّا التى يُغْضِى عَلَيْهَا الخَسِيسْ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس[1] النَّجارىّ فى ثمانين راكبًا ، حتى أتى الأبطَح ، وبلغ عبد المطّلب ، فخرج يتلقّاه ، فقال : المنزل يا خال ! فقال : أما حتّى ألقى نوفلاً فلا . قال : تركته جالسًا فى الحِجْر فى مشايخ قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استلّ سيفَه ، ثم قال : وربّ هذه البنيّة؛ لتردّن على ابن أختنا رُكْحه أو لأملأنّ منك السيف ، قال : فإنّى وربّ هذه البنيّة أردُّ رُكحه . فأشهد عليه مَنْ حضر ، ثم قال : المنزل يابن أختى . فأقام عنده ثلاثًا واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تأبَّى مَازِنٌ وبَنو عَـــدِىٍّ ودِينارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْمِى
وسادَةُ مَالِك حتَّى تنَاهَى ونَـكَّبَ بَعدُ نَوْفَلُ عن حَرِيمى
بِهِمْ رَدَّ الإلهُ علَىَّ رُكْحِى وكَانوا فى التَّنَسُّبِ دونَ قَوْمِى[2]

وقال فى ذلك سَمُرة بن عُمير ، أبو عمرو الكنانىّ[3] :

لَعَمْرِى لأخْوَالُ لِشَيْبةَ قَصْرةً مِنَ أعْمَامِهِ دِنْيَا أبَرُّ وأوْصَلُ
أجَابُوا على بُعْدٍ دُعَاءَ ابْنِ أُخْتِهِمْ ولَمْ يَثْنِهِمْ إذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللهُ خَيْرًا عُصبَةً خَزْرَجِيَّةً تَوَاصَوْا على بِرٍّ، وذو البِرِّ أفْضَلُ ١٠٨٦/١

قال : فلمّا رأى ذلك نوفل ، حالَف بنى عبد شمس كلّها على بنى هاشم.
قال محمّد بن أبى بكر : فحدّثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال : يابن أبى بكر ، هذا شىء تَروِيه الأنصار تقرّبًا إلينا ؛ إذ صيّر الله الدولة فينا ! عبد المطلب كان أعزّ فى قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النّجار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا فى التناصر » .
(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الرانى ، مع اختلاف فى الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطّلب . قال : وكان متكئًا فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبدالمطّلب ! قلت : محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبى بكر .

وقد حُدِّثت هذا الحديث فى أمرِ عبد المطلب وعَمّه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدّثنا زياد بن عِلاقة التغلبىّ — وكان قد أدرك الجاهليّة — قال : كان سبب بدء الحِلْف الذى كان بين بنى هاشم وخُزاعة الذى افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسببه مكة ، وقال : لتنصبّ[1] هذه السحابة بنصر بنى كعب ؛ أنّ نوفل بن عبدمناف — وكان آخر من بقى من بنى عبد مناف — ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له — وهى الساحات — وكانت أمّ عبدالمطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتنصّفَ عبد المطّلب عَمّه ، فلم ينصِفْه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١

يا طُولَ لَيْلِى لأَحْزانِى وأَشْغالِى ... هَلْ مِن رَسولٍ إلى النَّجَّارِ أَخْوَالِى !

يُنْبِى عَدِيًّا ودِينَارًا ومَازِنَها ... ومالِكًا عِصْمَةَ الجِيرَانِ عن حالِى

قد كُنْتُ فيكُمْ ولا أَخْشَى ظُلامةَ ذِى ... ظُلْمٍ عزيزًا مَنيعاً ناعِمَ البَالِ

حتَّى ارْتحَلْتُ إلى قَوْمِى وَأَزعجَنِى ... عن ذَاكَ مُطَّلِبٌ عَمِّى بِتَرْحَالِ

وكُنْتُ مَا كَان حَيًّا نَاعِماً جَذِلاً ... أَمْشِى العِرَضْنَةَ سَحَّاباً لأَذْيالِى

فغَابَ مُطَّلِبٌ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... وقام نَوْفَلُ كَىْ يَعدُو على مَالِى

أَأَنْ رَأَى رَجُلاً غَابَتْ عُمومَتُهُ ... وغَابَ أَخْوَالُهُ عنه بِلا والِ

أَنْحَى عليه ولَمْ يَحفَظْ له رَحِماً ... ما أَمْنَعَ المَرْءَ بَيْنَ العَمِّ والخَالِ[2] !

فاَسْتَنْفِروا وَامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أُخْتِكُمُ ... لاَ تَخْذُلُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِخُذَّالِ

ما مِثْلُكُمْ فى بَنى قَحْطانَ قاطِبةً ... حىٌّ لِجارٍ وَإِنْعام وَإِفْضَالِ

(١) ح : « لقد تنصلت » .

(٢) ح : « ما أنعم » .

أنتم لِيانٌ لِمَنْ لانَتْ عَريكتهُ ... سِلْمٌ لكم وسِمامُ الأَبْلَخِ الغالِى[١]

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بِفناء الكعبة ، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنْعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نَعِم صباحُك أيها الرجل! أنصِف ابنَ أختِنا من ظُلامته. قال : أفعلُ بالحبّ لكم والكرامة ؛ فردّ عليه الأركاح وأنصفه . ١٠٨٨/١

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطّلب إلى الحلْف ، فدعا عبد المطّلب بسر[٢] بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من رجالات خُزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابًا .

وكان إلى عبد المطّلب بعد مهلك عمّه المطّلب بن عبد مناف ما كان إلى مَنْ قبله من بنى عبدمناف من أمر السِّقاية والرِّفادة ، وشرُفَ فى قومه ، وعَظُم فيهم خطره ، فلم يكن يُعدَل به منهم أحد ، وهو الذى كشف عن زمزم ، بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفونًا ؛ وذلك غزالان من ذهب ، كانت جُرْهم دفنتهما - فيما ذكر - حين أخرِجت من مكة ، وأسيافٌ قلْعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِّيته - فيما قيل - الكعبة . وكانت كُنْية عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِّى بذلك لأنّ الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبة .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أوّلُ مَنْ هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخُزاعىّ - وقال ابن الكلبى : إنما قاله ابن الزِّبَعْرَى[٣] :

---

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهْوَ الَّذِى سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ ... رِحَلَ الشِّتَاء وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمْرُو الذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورِجالُ مَكّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[١]

ذُكِر أنّ قومه من قريش، كانت أصابتهم لَزْبة وقَحْط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكّة ، فأمر به فخبز له ونحر جَزُوراً، ثم اتّخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز .

وذُكِر أنّ هاشمًا هو أوّلُ مَنْ سنّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف .

وحُدّثت عن هشام بن محمد، عن أبيه ، قال : كان هاشم، وعبد شمس — وهو أكبر ولد عبد مناف ، والمطّلب — وكان أصغرهم — أمّهم عاتكة بنت مرّة السُّلَميّة ؛ ونوفل — وأمّه واقدة — بنى عبد مناف ، فسادوا بعد أبيهم جميعًا ، وكان يقال لهم المجبِّرون ، قال : ولهم يقال :

يأيُّها ألرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ أَلَّا نزلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ ![٢]

فكانوا أوّل من أخذ لقريش العِصَم[٣] ، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشأم الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشىّ الأكبر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطّلب حبلا من ملوك حميَر ، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن، فجبَّر الله بهم قريشًا ، فسمُّوا المجبّرين .

وقيل : إنّ عبد شمس وهاشمًا توأمان ، وإنّ أحدهما ولد قبل صاحبه ، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحِّيت عنها فسال من ذلك دم ، فتُطيِّر من ذلك ، فقيل : تكون بينهما دماء . ووَلِى هاشم بعد أبيه عبد مناف السِّقاية والرّفادة .

١٠٩٠/١ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد، قال : أخبرنا هشام ابن

---

(١) المسنتون : الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة .

(٢) من أبيات فى أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ .

(٣) العصم (بكسر ففتح) . الحبال ، ويراد بها العهود .

محمّد، قال : حدّثني معروف بن الخرَّبوذ المكّي ، قال : حدّثني رجل من آل عديّ بن الخيار بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيّ فى ذلك — يعنى فى إطعام هاشم قومه الثّريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ ما ضَاقَ عنهُ وأَعْيَا أنْ يقومَ بهِ ابْنُ بِيضِ
أَتَاهُمْ بالغَرائِرِ مُتْأَقاتٍ مِن أرْضِ الشَّأْمِ بالبُرِّ النَّفِيضِ
فأَوْسَعَ أهْلَ مَكَّةَ من هَشِيمٍ وشابَ الْخُبْزَ باللَّحمِ الغَرِيضِ
فظَلَّ القَوْمُ بيْنَ مُكَلَّلاتٍ منَ الشِّيزَى وحَائِرُهَا يفِيضُ

قال : فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف — وكان ذا مال — فتكلّف أن يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمِت به ناس من قريش فغضِب ، ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة ، فكرِه هاشم ذلك لِسنّه وقَدره ، ولم تدَعْه قريش وأحفظوه ، قال : فإنى أنافرك على خمسين ناقة سود الحدَق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضِيَ بذلك أميّة ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعيّ ، فنفَّرَ هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أميّة إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة .

١٠٩١/١ حدّثنى الحارث قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ابن محمّد ، قال : أخبرنى رجل من بنى كنانة ، يقال له ابن أبى صالح ، ورجل من أهل الرّقة مولى لبنى أسد ، وكان عالمًا ، قالا : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أميّة إلى النجاشيّ الحبشيّ ، فأبى أن ينفّر[1] بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عديّ ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطولُ منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقلّ منك لامة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل منك صفَداً ، وأطول منك مذوداً[2] . فنفّره عليه . فقال حرب : إنّ

---

(١) ينفر بينهما ؛ أى أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .
(٢) ر : « مدداً » .

منْ انتكاث الزمان أن جعلناك حكَمًا ! فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزّة من أرض الشأم ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبِر بأجياد، ثم مات نوفل بسَلْمان من طريق العراق، ثم مات المطّلب بردْمان من أرض اليمن، وكانت الرِّفادة والسِّقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصىّ يقول ـ فيما زعموا ـ : ولد لى أربعة، فسمّيت اثنين بصنمىّ، وواحداً بدارى ، وواحداً بنفسى ؛ وهم عبد مناف وعبد العُزّى ابنا قصىّ ـ وعبد العزّى والد أسد ـ وعبد الدار بن قصىّ، وعبد قصىّ بن قصىّ ـ دَرَج ولده ـ وبرّة بنت قصىّ؛ أمهم جميعًا حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة .

١٠٩٢/١ وحُدّثت عن هشام بن محمد، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة، وكانت أمّه حُبَّى دفعته إلى مناف ـ وكان أعظم أصنام مكة ـ تديُّنًا بذلك ، فغلب عليه عبد مناف، وهو كما قيل له :

كانَتْ قُرَيشٌ بيضَةً فتفلَّقَتْ فالمُحُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنَافِ[1]

ابن قصىّ

وقصىّ اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصىّ ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمّ قصىّ فاطمة بنت سعد بن سيَل ـ واسم سيَل خيْر ـ بن حمالة بن عوف بن غَنْم بن عامر الجادر، بن عمرو بن جُعْثمة بن يشكر، من أزدشنوءة حلفاء فى بنى الدّيل ، فولدت لكلاب زُهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كبير ابن عُذْرة بن سعد بن زيد، أحد قُضاعة، فتزوّج ـ فيما حدّثنا ابن حميد،

---

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعى ، أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو فى اللسان (مح) والسهيلى ١ : ٩٤ ، وابن أبى الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعينى ٤ : ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبعرى .
والمحّ: صفرة البيض .

قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه — فاطمةَ أمّ زهرة وقصيّ — وزهرة رجل قد بلغ ، وقصيّ فطيم أو قريب من ذلك — فاحتملها إلى بلاده من أرض بنى عُذْرة ، من أشراف الشأم ، فاحتملتْ معها قُصَيًّا لصغره، وتخلّف زُهرة فى قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سيَل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة، فكان أخاه لأمّه، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى؛ وهم حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهمة بن ربيعة . وشبّ زيد فى حِجْر ربيعة، فسمّى زيدٌ قُصيًّا لبعد داره عن دار قومه، ولم يبرح زهرة مكّة ، فبينا قصيّ بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمى — فيما يزعمون — إلاّ إلى ربيعة بن حرام ، إذْ كان بينه وبين رجل من قُضاعة شيء — وقد بلغ قصيّ ، وكان رجلاً شابًّا — فأنّبه القضاعيّ بالغربة وقال له : ألاَ تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منّا ! فرجع قصيّ إلى أمّه ، وقد وجَد فى نفسه مما قال له القضاعيّ، فسألها عمّا قال له ذلك الرجل، فقالت له : أنت والله يا بنيّ أكرم منه نفسًا ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشيّ ، وقومُك بمكّة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصيٌّ الخروج إلى قومه واللحوق بهم ، وكره الغربة بأرض قُضاعة، فقالت له أمّه : يا بنيّ لا تعجل بالخروج حتّى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج فى حاجّ العرب ، فإنى أخشى عليك أن يُصيبك بعضُ البأس ، فأقام قصيّ حتّى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاجّ قضاعة ، فخرج فيهم حتّى قدِم مكّة ، فلما فرغ من الحجّ أقام بها، وكان رجلاً جليدًا نسيبًا، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشيّة الخزاعيّ ابنته حُبَّى بنتَ حُلَيْل ، فعرف حُلَيل النسب ورغب فيه ، فزوّجه — وحُلَيل يومئذ فيما يزعمون — يلِى الكعبة وأمر مكّة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى خبره : فأقام قصيّ معه — يعنى مع حُلَيْل — وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى، وعبدا بنى قصى . فلما انتشر ولدُه، وكثر مالُه، وعظم شرفُه هلك حُلَيْل بن حُبْشيّة ، فرأى قُصَيّ أنه أوْلَى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة وبنى بكر ، وأنّ قريشًا

١٠٩٣/١

١٠٩٤/١

قَرْعة[١] إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلّم رجالا من قريش وبنى كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام — وهو ببلاد قومه — يدعوه إلى نُصرته، والقيام معه، فقام رِزاح بن ربيعة فى قُضاعة، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك[٢].

وقال هشام فى خبره: قَدِم قصىّ على أخيه زُهرة وقومه، فلم يلبث أن ساد، وكانت خُزاعة بمكّة أكثر من بنى النضر، فاستنجد قصىّ أخاه رِزاحًا، وله ثلاثة إخوة من أبيه، من امرأة أخرى، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قُضاعة، ومع قصىٍّ قومه بنو النَّضر، فنفوْا خزاعة، فتزوّج قصىّ حُبَّىَ بنت حُلَيل بن حبشيّة من خُزاعة، فولدت له أولاده الأربعة، وكان حُليل آخرَ مَنْ وَلِىَ البيت، فلما ثَقُل جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبَّى، فقالت: قد علمت أنّى لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال: فإنّى أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به، فجعله إلى أبى غُبْشان — وهو سليم بن عمرو بن بوىّ بن مِلْكان بن أفصى — فاشترى قصىّ ولاية البيت منه بزِقّ خمر وبعوْد[٣]. فلمّا رأت ذلك خُزاعة كثُروا على قصىّ، فاستنصر أخاه، فقاتل خُزاعة، فبلغنا — والله أعلم — أن خزاعة أخذتها العدَسَة، حتى كادت تُفْنيهم، فلمّا رأت ذلك جلَتْ عن مكّة، فمنهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فولِىَ قصىّ البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش، فأنزلهم أبطح مكة. وكان بعضهم فى الشِّعاب ورءوس جبال مكة، فقسّم منازلهم بينهم، فسمى مُجمِّعًا، وله يقول مطرود — وقيل: إنّ قائله حُذافة ابن غانم:

١/١٠٩٥

أبوكُمْ قُصَىٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَعَ اللّٰهُ القَبَائِلَ مِن فِهْرِ

---

(١) فرعة الجبل: أعلاه، يريد أن قريشاً فى الذروة من ولد إسماعيل، وفى ابن هشام: «قرعة»، والقرعة: نخبة النىء وخياره. (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤، مع اختلاف فى الرواية. (٣) العود: المسن من الإبل، وفى اليعقوبى: «وقعود».

وملَّكه قومه عليهم .

وأمّا ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحًا أجاب قصيًّا إلى ما دعاه إليه من نُصرته، وخرج إلى مكّة مع إخوته الثلاثة، ومَنْ تبعه لذلك من قُضاعة فى حاجّ العرب، وهم مجمعون لنصر قصىّ، والقيام معه، قال: وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيًّا، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال: أنتَ أوْلَى بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خُزاعة، فعند ذلك طلب قصىّ ما طلب[١].

فلمّا اجتمع الناس بمكّة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا مِنًى، وقصىّ مُجمِعٌ لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قريش وبنى كنانة ومَنْ معه من قُضاعة، ولم يبق إلاّ أن ينفروا للصدَر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرَفة، وتجيزُهم إذا نَفَروا من مِنًى؛ إذا كان يوم النَّفْر أتَوْا لرمى الجمار - ورجل من صوفة يرمى للناس؛ لا يرمون حتى يرمى - فكان ذوو الحاجات المُعَجِّلون يأتونه، فيقولون له: قم فارم حتى نرمىَ معك، فيقول: لا والله حتى تَميل الشمس، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك؛ ويقولون: ويلك قم فارم! فيأبىَ عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناسُ معه. ١٠٩٦/١

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد[٢].

فإذا فرغوا من رَمْى الجمار، وأرادوا النَّفْر من مِنًى، أخذت صوفة بناحيتَى العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا: أجيزى صوفة، فلم يُجِزْ أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نَفَرت صوفة ومضت خُلِّىَ سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلمّا كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دِيْن فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخزاعة وولايتهم، أتاهم قصىّ بن

---

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف فى الرواية .

كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العَقَبة، فقالوا: نحن أوْلى بهذا منكم ، فناكروه فناكرهم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغَلَبهم قصىّ على ما كان بأيديهم من ذلك ، وحال بينهم وبينه .

قال : وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصىّ بن كلاب ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحُول بينهم وبين الكعبة وأمْر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم[1] وأجمع لحربهم ، وثبت معه أخوه رِزاح بن ربيعة بمَنْ معه من قومه من قُضاعة ، وخرجت لهم خُزاعة وبنو بكر وتهيئوا لحربهم ، والتقوْا فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ حتى كَثُرت القتلى من الفريقين جميعًا ، وفشت فيهم الجِراحة . ثم إنهم تداعوْا إلى الصلح ، إلى أن يُحَكِّموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه ، ليقضىَ بينهم ، فحكَّموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقضى بينَهم بأنّ قُصَيًّا أوْلَى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة ، وأن كلّ دم أصابه قصىّ من خُزاعة وبنى بكر موضوع يشدَخه[2] تحت قدميه ، وأنّ ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنى كنانة وقضاعة ففيه الدِّية مؤدّاة ، وأن يُخَلَّى بين قصىّ ابن كلاب وبين الكعبة ومكّة ؛ فسمِّى يعمر بن عوف يومئذ الشَّدّاخ ؛ لما شَدَخ من الدماء ووضع منها . فولِى قصىّ البيت وأمرَ مكة وجَمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه ، فكان قصىٌّ أول ولد كعب ابن لؤى أصاب ملكًا أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والسِّقاية والرِّفادة والنَّدْوة واللواء ، فحاز شرف مكة كلَّه ، وقطع مكّة أرباعًا بين قومه ، فأنزل كلّ قوم من قريش منازلهم من مكّة التى أصبحوا عليها[3] .

١٠٩٧/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ويزعُم الناس أن قريشًا هابت قَطْع شجر الحرَم فى منازلهم ، فقطعها قصىّ بيده ، وأعانوه ، فسمّته العرب مُجَمِّعًا لما جمّع من أمرها ، وتيمّنت بأمره ، فما تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلاّ فى دار قصىّ بن كلاب ، وما يتشاورون

---

(١) ر : « ناداهم » .
(٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٨٧ .

فى أمر ينزل بهم إلاّ فى داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلاّ فى داره، يعقدها لهم بعضُ ولده، وما تدّرع [١] جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلاّ فى داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرعه، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمرُه فى قومه من قريش فى حياته وبعد موته كالدّين المتّبع، لا يعمل بغيره تيمُّنًا بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصىّ لنفسه دار النّدْوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها [٢] . ١٠٩٨/١

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمَة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدّث أنه سمع رجلا يحدّث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديثَ قُصىّ بن كِلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خُزاعة وبنى بكر من مكّة، وولايته البيت وأمر مكّة؛ فلم يردّد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصىّ بمكة على شرفه ومنزلته فى قومه لا ينازَع فى شىء من أمر مكّة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب فى شأن حَجّهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه دَيْنًا فى نفسه، لا ينبغى له تغييرُه، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتّى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شِجْنة وراثةً، وكانت عَدْوان على ما كانت عليه، وكانت النّسأة من بنى مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرّة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتّى قام الإسلام، فهدَم الله به ذلك كلّه. وابتنى قصىّ داراً بمكة، وهى دار النّدوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورَها، فلما كَبِر قصىّ ورَقّ [عظمه] [٣]— وكان عبد الدار بِكْره هو، كان أكبر ولده، وكان — فيما يزعمون — ضعيفًا، وكان عبد مناف قد شَرُف فى زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصى وعبد بن قصى، فقال قصىّ لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنّك بالقوم، وإن كانوا قد شَرفُوا عليك؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتّى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلاّ أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكّة ماء إلاّ من سقايتك، ولا يأكل أحد من ١٠٩٩/١

(١) أدرعت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعامًا إلاّ من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلاّ فى دارك . فأعطاه داره، دار النّدوة التى لا تقضى قريش أمرًا إلاّ فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والنّدْوة والسقاية والرِّفادة — وكانت الرِّفادة خَرْجًا تخرجه قريش فى كلّ موسم من أموالها إلى قصىّ بن كلاب ، فيصنع به طعامًا للحاجّ يأكله مَنْ لم تكن له سعة ولا زاد ممّن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصيًّا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرَهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته الحرام ، وإن الحاجّ ضِيف الله وزوّار بيته ، وهم أحقّ الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرابًا وطعامًا أيام هذا الحج ، حتى يَصْدُروا عنكم . ففعلوا فكانوا يُخْرِجون لذلك كلّ عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعامًا للناس أيام مِنًى ، فجرى ذلك من أمره على قومه فى الجاهليّة ، حتّى قام الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا ؛ فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كلّ عام بِمنًى حتى ينقضىَ الحجّ[1] .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمَة ، قال : حدّثنى من أمر قصىّ ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابنُ إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب ؛ قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار ، يقال له نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصىّ ما كان بيده من أمر قومه كلّه ، وكان قصىّ لا يخالَف ولا يُرَدّ عليه شىء صَنَعه . ١١٠٠/١
ثم إن قصيًّا هلك ، فأقام أمره فى قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذُكِر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما تَيْم ويقَظَة ، أمّهما — فيما قال هشام بن الكلبى — أسماء بنت عدىّ بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمّهما هند بنت حارثة البارقيّة . قال : ويقال : بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٨٩ .

ابن مُرَّة

وأم مرّة وَحْشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأمّه عديّ وهُصَيْص . وقيل إنّ أمّ هؤلاء الثلاثة مخشيّة . وقيل: إن أمّ مرّة وهصيص مخشيّة بنت شيبان بن محارب بن فِهْر ، وأمّ عديّ رَقاش بنت رُكْبَة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيْلان .

ابن كعب

وأم كعب ماويّة — فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبيّ — وماويّة بنت كعب ابن القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمّه : أحدهما يقال له عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انتمى ولده إلى غَطَفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمّه الباردة بنت عوف بن غَنْم بن عبد الله بن غَطَفان . ١/١١٠١

ذُكر أن الباردة لما مات لؤيّ بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها، فتزوّجها سعد بن ذُبْيان بن بَغيض ، فتبنّى عوفًا ، وفيه يقول — فيما ذكر — فزارةُ بن ذُبْيان :

عَرِّجْ عَلَيَّ ابْنَ لُؤَيٍّ جَمَلَكْ ... يتركُكَ الْقَوْمُ وَلَا مَنْزِلَ لَكْ

ولكعب أخوان آخران أيضًا من أبيه من غير أمّه ، أحدهما خزيمة ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمّه ، وهي عائذة بنت الخِمْس بن قُحافة ؛ من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بُنانة ، وبنانة أمّهم ؛ فأهل البادية منهم اليوم — فيما ذكر — في بني أسعد[1] بن همّام ، في بني شيبان بن ثعلبة ؛ وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

(١) ر : «أسد» .

ابن لؤيّ

وأم لؤيّ – فيما قال هشام – عاتكة بنت يَخْلُد بن النضر بن كنانة، وهى أولىَ (١) العواتك اللائى ولدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش، وله أخوان من أبيه وأمّه، يقال لأحدهما: تيْم، وهو الذى كان يقال له تيْم الأدْرم – والدَّرَم نقصان فى الذّقن؛ قيل إنه كان ناقص اللّحى – وقيس، قيل: لم يبق من قيْس أخى لؤيّ أحد، وإنّ آخر مَنْ كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسريّ، فبقىَ ميراثه، لا يدرى مَنْ يستحقّه. وقد قيل: إن أمّ لؤيّ وإخوته سلْمَى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيّ بن حارثة ابن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء، من خُزاعة. ١١٠٢/١

ابن غالب

وأمّ غالب ليلَى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مدركة. وإخوته من أبيه وأمّه: الحارث، ومُحارب، وأسد، وعوف، وجَوْن؛ وذئب؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح.

ابن فهر

وفهر – فيما حُدّثت عن هشام بن محمد أنه قال: هو جمّاع قريش، قال: وأمّه جَندَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهميّ.

وقال ابن إسحاق – فيما حدّثنا ابن حميد – قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق: أمّه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهميّ.

وكان أبو عُبيدة معمر بن المثنّى يقول – فيما ذكر عنه – أمّه سلمى بنت أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقيل: إنّ أمّه جميلة بنت عَدْوان من بارق، من الأزْد.

وكان فِهْر فى زمانه رئيسَ الناس بمكة – فيما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق – فى حربهم حسّان بن عبد كلال بن مثوب

(١) كذا فى م، وفى ط: «أول».

ذى حَرَث الحميرىّ . وكان حسّان – فيما قيل – أقبل من اليمن مع حِمْير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكّة إلى اليمن ، ليجعل حجّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتّى نَزَل بنخلة ، فأغار على سَرْح النّاس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكّة ، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجُذام ومَن كان معهم من أفنْاء مُضَر ، خرجوا إليه ، ورئيس النّاس يومئذ فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير ، وأسِر حسّان بن عبد كلال ملك حِمْيَر ، أسَره الحارث بن فِهْر ، وقُتِل فى المعركة – فيمن قتل من الناس – ابن ابنه قيس بن غالب بن فهر ، وكان حسّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتدَى منهم نفسه ، فخَرج به ، فمات بين مكّة واليمن . ١١٠٣/١

ابن مالك

وأمّه عِكْرِشَة بنت عَدْوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيْلان ، فى قول هشام .

وأمّا ابن إسحاق فإنه قال : أمّه عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وقيل : إنّ عِكْرِشة لقبُ عاتكة بنت عَدْوان ، واسمها عاتكة .

وقيل إن أمّه هند بنت فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان . وكان لمالك أخَوان ، يقال لأحدهما : يخلُد ، فدخلت يخلُد فى بنى عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له : الصّلت ، لم يبق من ذريّته أحد .

وقيل : سُمّيت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلُد بن الحارث بن يخلُد بن النّضر بن كنانة ؛ وبه سمّيت قريش قريشاً ، لأن عِير بنى النّضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عِير قريش ، قالوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النّضر فى أسفارهم ، وصاحبَ ميرتهم ، وكان له ابن يسمّى بدراً ، احتفر بدراً ، قالوا : فبه سمّيت البئر التى تدعى بدراً ، بدراً .

وقال ابن الكلبىّ : إنّما قريش جمّاع نسب ، ليس بأب ولا أمّ ولا حاضن ولا حاضنة .

١ / ١١٠٤ وقال آخرون : إنما سمّى بنو النّضر بن كنانة قريشًا ؛ لأن النّضر بن كنانة خرج يومًا على نادى قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النَّضْر ، كأنه جملٌ قَرِيش[1] .

وقيل : إنّما سمّيت قريش قريشًا بدابّة تكون فى البحر تأكل دوابّ البحر ، تدعَى القِرْش ، فشُبِّه بنو النّضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دوابّ البحر قوّة .

وقيل : إنّ النضر بن كنانة كان يقرّش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ، والتَّقْرِيش — فيما زعموا — التفتيش . وكان بنوه يقرّشون أهلَ الموسم عن الحاجة فيسدّونها بما يبلغهم — واستشهدوا لقولهم : إن التقريش هو التفتيش ، بقول الشاعر[2] :

أيُّها النَّاطِقُ المُقَرِّشُ عَنَّا ... عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لهنَّ انْتِهاء !

وقيل : إنّ النّضر بن كنانة كان اسمه قريشًا . وقيل : بل لم تزل بنو النّضر ابن كنانة يدعوْن بنى النَّضْر حتى جمّعهم قصىّ بن كلاب ، فقيل لهم : قريش ؛ من أجل أن التجمّع هو التقرُّش ، فقالت العرب : تقرّش بنو النّضر ، أى قد تجمّعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن سعيد بن محمد ابن جُبَير بن مُطْعِم ؛ أنّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جُبَير : متَى

---

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، المعلقة ٢٦٤ — بشرح التبريزى ، وروايته :

* أيُّهَا الشَّامِتُ المبلِّغ عنّا *

سمّيت قريش قريشًا ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرَم من تفرُّقها ، فذلك التجمّع التقرُّش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قصيًّا كان يقال له القرشىّ ، ولم تسمّ قريش قبله .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصىّ الحرم وغَلب عليه، فعل أفعالاً جميلة[1]، فقيل له : القرشىّ ، فهو أوّل مَنْ سُمّىَ به . ١١٠٥/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى أبو بكر بن أبى سبْرة ، عن أبى بكر بن عبيد الله بن أبى جَهْم ، قال : النّضر بن كنانة كان يسمى القرشىّ .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصىّ أحدث وقودَ النار بالمزدَلِفة ، حيث وقف بها حتى يراها مَنْ دفع من عرفة ، فلم تزل تُوقَد تلك النار تلك الليلة فى الجاهليّة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرنى كثير بن عبد الله المزنىّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار تُوقد على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبى بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهى توقد إلى اليوم .

ابن النّضر

واسم النّضْر قيس، وأمّه بَرّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة . وإخوتهُ لأبيه وأمّه نُضَيْر ومالك ومِلْكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغَنْم ومَخرمة وجَرْوَل وغزوان وحُدَال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمّه فُكَيْهة — وقيل ١١٠٦/١

---

(١) ح : « حميدة » .

فَكْهة— وهي الذَّفراء بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وأخو عبد مناة لأمّه عليّ بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عديّ بن عمرو بن مازن الغسانيّ ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوّج هنداً بنت بكر بن وائل ، فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأمّه عليّ بن مسعود، فولدت له ، فحضن عليّ بني أخيه، فنُسبوا إليه ، فقيل لبني عبد مناة: بنو عليّ ، وإياهم عنَى الشاعر بقوله :

لله دَرُّ بني عَلِـ ـيٍّ أيِّمٍ منهم وناكِحْ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدَمُوا عَلِيًّا يومَ بَدْرٍ صَدْمَةً دانَتْ عليٌّ بعْدَها لِنزَارِ [1]

ثم وثب مالك بن كنانة على عليّ بن مسعود، فقتله، فوداه أسد بن خزيمة.

ابن كنانة

وأمّ كنانة عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان. وقد قيل: إن أمّه هند بنت عمرو بن قيس ، وإخوتُه من أبيه أسَد وأسدَة ، يقال إنه أبو جذام والهُون، وأمهم بَرّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة ، وهي أم النَّضْر بن كنانة؛ خلَف عليها بعد أبيه .

ابن خُزيمة

١١٠٧/١ وأمّه سلْمى بنت سليم بن الحافِ بن قضاعة ، وأخوه لأبيه وأمّه هُذيل، وأخوهما لأمّهما تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة .

وقد قيل : إن أمّ خزيمة وهذيل سَلْمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأمه خِنْدِف ، وهي ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ، وأمُّها ضَرِيَّة بنت ربيعة بن نزار . قيل: بها سمّي حِمَى ضَرِيَّة ،

(١) ديوانه ٣٤ .

وإخوة مدركة لأبيه وأمّه عامر — وهو طابخة — وعمير — وهو قَمَعة — ويقال: إنه أبو خزاعة .

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق أنه قال: أمّ بنى إلياس خِنْدف ، وهى امرأة من أهل اليمن ، فغلبَت على نسب بنيها ، فقيل : بنو خِنْدف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمرًا . قال : وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يَرْعيانها، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصّيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدّثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مُدْركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدّثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس فى نُجعة له[1] ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمّى مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمّى طابخة، وانقمع عُمَير فى الخباء فلم يخرج فسمى قمَعة، وخرجت أمّهم تمشى فقال لها : إلياس أين تخنْدِفين ؟ فسميت خِندف — والخَنْدفة ضرب من المشى — قال : وقال قُصَىّ بن كلاب :

* أمّهَتى خِندِف و إلياس أبى *

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه : ١١٠٨/١

* إنكَ قد أدرَكْتَ مَا طَلَبْتَا *

ولعامر :

* وأنتَ قد أنضَجْتَ ما طَبَخْتَا *

ولعمَير :

* وأنتَ قد أسَأتَ وانْقمعْتَا *

---

(١) ه : « لهم » .

ابن إلياس

وأمّه الرّباب بنت حَيْدَة بن معدّ، وأخوه لأبيه وأمّه النّاس[1]، وهو عَيْلان، وسمى عَيْلان – فيما ذكر – لأنه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبنّ عليك العَيْلة يا عيلان، فلزمه هذا الاسم.

وقيل: بل سُمِّىَ عَيْلان بفرَس كانت له تدعى عَيْلان.

وقيل: سُمِّىَ بذلك؛ لأنه ولد فى جبل يسمى عَيْلان.

وقيل: سُمِّىَ بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلان.

ابن مضر

وأمّه سَودة بنت عكّ، وأخوه لأبيه وأمّه إياد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّهما، وهما ربيعة وأنْمار؛ أمّهما جدالة بنت وعْلان بن جوْشم ابن جُلْهُمة بن عمرو، من جُرْهم.

وذكر بعضهم أن نزار بن مَعَدّ لما حضرتْه الوفاة أوصى بنيه، وقسّم ماله بينهم، فقال: يابنىّ، هذه القبّة – وهى قبّة من أدَم حمراء – وما أشبهها من مالى لمضر، فسمِّىَ مضر الحمراء. وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالى لربيعة، فخلّف خيلادُهْما، فسمِّى الفَرْس. وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإياد – وكانت شمطاء – فأخذ البُلْق والنَّقَد من غنمه. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه[2]، فأخذ أنمار ما أصابه. فإن أشكل عليكم فى ذلك شىء واختلفتم فى القِسْمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهمىّ. فاختلفوا فى القِسمة، فتوجّهوا إلى الأفْعى، فبينما هم يسيرون فى مسيرهم إذ رأى مُضَر كلأً قد رُعِىَ، فقال: إنّ البعير الذى رَعى هذا الكلأَ لأعور، وقال ربيعة: هو أزور، قال إياد: هو أبتر، وقال أنمار: هو شَرُود؛ فلم يسيروا إلاّ قليلاً حتى لقيَهم رجل تُوضِع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: هو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: هو أزْور؟ قال: نعم، قال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: هو شَرود؟ قال: نعم، قال: هذه صفة بَعِيرى،

١٠٩/١

(١) الأصول: «الياس». (٢) ح: «عليه».

دلّونى عليه ، فحلفوا له : ما رأوه . فلزمهم وقال : كيف أصدّقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ! فساروا جميعًا حتّى قدموا نجران ، فنزلوا بالأفعى الجرهمىّ ، فنادى صاحبُ البعير : هؤلاء أصحاب بعيرى ، وَصَفُوا لى صفته ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمىّ : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر : رأيته يرعى جانبًا ويدع جانبًا فعرفت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره . وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، ولو كان ذيّالا لمَصع[1] به . وقال : أنمار : عرفت أنه شرود ؛ لأنه يرعى المكان الملتفّ نبته ، ثم يجوزه إلى مكان آخر أرقّ منه نبتًا وأخبث[2] . فقال الجرهمىّ : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : مَنْ هم ؟ فأخبروه ، فرحّب بهم فقال : أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى ! فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل ، وشربوا وشرب ، فقال مُضَر : لم أر كاليوم خمراً أجود ، لولا أنها نبتت على قبْر ، وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحمًا أطيب لولا أنه رُبِىّ بلبن كلب ، وقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسْرَى لولا أنه لغير أبيه الذى يدعَى له . وقال أنمار : لم أر كاليوم قطّ كلامًا أنفع فى حاجتنا [من كلامنا][3] .

١١١٠/١

وسمع الجرهمىّ الكلام فتعجّب لقولهم ، وأتى أمّه فسألها فأخبرته أنّها كانت تحت ملك لا يولد له ، فكرهت أن يذهبَ الملْك فأمكنتْ رجلا من نفسها كان نزل بها ، فوطئها فحملت به ، وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال : من حَبَلة[4] غرستُها على قبر أبيك ، وسأل الراعىَ عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتُها لبن كلبة ، ولم يكن وَلَد فى الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر ؟ قال : لأنه أصابنى عليها عطش شديد . وقيل لربيعة : بم عرفت ؟ فذكر كلامًا .

فأتاهم الجرهمىّ ، فقال : صفوا لى صفتكم[5] ، فقصّوا عليه ما أوصاهم

---

(١) يقال : مصعت الناقة بذنبها ؛ أى حركته وضربت به .

(٢) م : « وأخف » . (٣) تكملة من مجمع الأمثال ١ : ١٦ .

(٤) الحبلة : شجرة الكرم .

(٥) ر : « قصتكم » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبّة الحمراء والدنانير والإبل — وهى حُمْر — لمضر ، وقضى بالخباء الأسود وبالخيل الدُّهم لربيعة ، وقضى بالخادم — وكانت شمطاء — وبالخيل البُلْق[١] لإياد ، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنَى أبا ربيعة ، أمّه مُعَانة بنت جَوْشم بن جُلْهُمة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمّه . قنَص ، وقناصة ، وسنام[٢] ، وحيْدَان ، وحيدة ، وحيادة[٣] ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، وعُبيد الرِّماح ، والعُرف ، وعوف ، وشكّ ، وقضاعة ؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدّة دَرَجوا[٤] .

ابن معدّ

وأمّ مَعَدّ — فيما زعم هشام — مَهْدَد بنت اللَّهَمّ — ويقال : اللَّهْم — ابن جَلْحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسْم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان[٥] بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدّثنا الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : حدّثنى محمد بن عبد الرحمن العجلانىّ : وإخوته من أبيه وأمّه الدّيث — وقيل : إن الدّيث هو عكّ . وقيل : إنّ عكا هو ابن الديث ابن عدنان — وعَدَن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عَدَن ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا ، وأبيَن — وزعم بعضهم أنه ١١١٢/١ صاحب أبيَن وأنّها إليه تنسب ، وأنّ أهلها كانوا ولده فدرجوا — وأدّ بن عدنانَ درَج ، والضحاك ، والعىّ ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ .

---

(١) ح ، ر : « والماشية البلق » ، م : « والخيل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « جيادة » .

(٤) درجوا : انقرضوا .

(٥) ح : « بقشان » .

وقال بعض النّسابة : كان علكّ انطلق إلى سمرَان من أرض اليمن، وترك أخاه معدًّا ، وذلك أنّ أهل حَضور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَم الحَضورىّ ، بعث الله عليهم بختنصّر عذابًا ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معدًّا ، فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم، وتعطّفَتْ عليهم اليمن بولادة جُرْهم إيّاهم ، واستشهدوا فى ذلك قول الشاعر :

تَرَكْنا الدِّيثَ إخْوَتَنَا وعَكًّا إلى سَمْرَانَ فانطَلَقُوا سِراعا

وكانوا مِنْ بنى عَدْنانَ حتّى أضاعوا الأمْرَ بَيْنَهُمُ ، فضاعا

ابن عدنان

ولعدنان أخَوان لأبيه؛ يدعى أحدهما نَبْتًا والآخر منهما عَمْراً . فنسَبُ نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم لا يختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان، وأنه على ما بيّنت من نسبه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدّثنى ابن لهيعة عن أبى الأسود وغيره، عن نسبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصىّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد[1] . ١١١٣/١
ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثنى يحيى بن المقداد الزَّمْعىّ ، عن عمّه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمعة ، عن عمّته أم سلَمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يَرَى بن أعراق الثّرَى» . ، قالت أمّ سلمة : فزند هو الهَمَيْسَع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

(١) ح : «أدّ» .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدّثني ـمد بن عبد الرحمن العجلانيّ ، عن موسى بن يعقوب الزمعيّ ، عن عمّته ، عن جدّتها ابنة المقداد بن الأسود البهرانيّ ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معدّ بن عدنان بن أدد بن يرى بن أعراق الثّرى» .

وقال ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان ـ فيما يزعم بعض النّساب ـ بن أدد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح[1] ابن يَعرب بن يَشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتمى قصيّ بن كلاب إلى قيذر فى شعر .

قال : ويقول بعض النّساب : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ،

قال : وذلك أنه علْم قديم أخذ من أهل الكتاب الأوّل .

وأما الكلبيّ محمد بن السائب فإنه ـ فيما حدّثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام ـ قال : أخبرني مخبرٌ عن أبي ولم أسمعه منه ؛ أنه كان ينسب معدّ بن عدنان بن أدد بن الهميْسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبيّ بن العوام بن ناشد بن حزا بن بَلْداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخى بن عبقى بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر ابن يثربى بن يحزن بن يلحن بن أرعوى بن عيفى بن ديشان بن عيصر بن أقناد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمّى بن مزّى بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما . ١١١٥/١

حدّثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا هشام بن

---

(١) ر : « بيرح » .

١١١٦/١ محمّد ، قال : وكان رجل من أهل تـَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بنى إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمًا ، فذكر أن بروخ بن ناريًا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه فى كتبه ، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب ، مثبـَت فى أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبَل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدنى هشام ، عن أبيه شعرَ قصيّ :

فلسْتُ لحاضِنٍ إنْ لَمْ تَأَثَّلْ[1] ... بها أولادُ قَيذَرَ وَالنَّبِيتُ

قال : أراد نبْت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلىّ ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميْسع بن أسحب[2] بن نبت بن قيذار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب[3] بن ثعلبة بن عتر[4] بن بريح بن محلّم[5] بن العوّام بن المحتمل[6] بن رائمة[7] بن العيقان بن علة[8] بن الشحدود[9] بن الظريب[10] بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل ١١١٧/١ ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود[11] بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أتامة[12] بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معدمر بن صيفى بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

---

(١) ح ، ر : لحاضر ، م : « لحاصن » .
(٢) ح : « يشجب » .
(٣) ح ، م : « شاحب » .
(٤) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .
(٥) م : « ملجم » .
(٦) ح المجمل : م : « المجتمل » .
(٧) ح : « زائدة » م : ذائمة .
(٨) م : « عكة » .
(٩) ح : « الشحدور » .
(١٠) ح : « الطريب » ، ر : « الضريب » .
(١١) كذا فى ر ، وفى ح : « عبور » ، وفى م : « عبوث » .
(١٢) كذا فى م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميسع بن نبت بن سلمان — وهو سلامان— ابن حمل بن نبت بن قيذربن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوّم بن ناحور بن ميشرح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن أسحب[١] ابن سعد بن بريح بن نضير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت[٢] بن قيدر بن إسماعيل .

وأخبرنى بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهلُ الكتاب ، فوجد العدد متّفقًا ، واللفظ مختلفًا ، وأملى ذلك علىّ فكتبته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع — وهميسع هو سلمان وهو أمين— ابن هميتع — وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان — وهو منجر ، وهو نبيت ؛ سمّى بذلك — فيما زعم— لأنه كان منجر العرب ؛ لأن الناس عاشوا فى زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَب بن عتّاب الرياحىّ :

١١١٩/١ تُنَاشِدُنى طىٌّ وَطىٌّ بَعِيدة   وتُذْكِرُنِى بالودّ أَزْمَان ينبت[٣]

قال : نبيت بن عوص — وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبيّة — ابن بورا — وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سَنّ العتيرة للعرب — ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبيّة للعرب— ابن يعمانا — وهو قموال ، وهو بريح الناصب ، وكان فى عصر سليمان بن داود النبى صلى الله عليه وسلم — ابن كسدانا — وهو محلّم ذو العين — ابن حرانا — وهو العوّام — ابن

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .
(٣) كذا فى ر ، و فى ط : « بالوذ أزمان ينبت » .

بلداسا — وهو المحتمل — ابن بدلانا— وهو يدلاف ، وهو رائمة —ابن طهبا — وهو طالب ، وهو العيقان—ابن جهمى — وهو جاحم ، وهو علة — ابن محشى — وهو تاحش ، وهو الشحلود — ابن معجالى — وهو ماخى ، وهو الظريب خاطم النار— ١١٢٠/١ ابن عقارا — وهو عاقى ، وهو عبقر أبو الجنّ ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر— ابن عاقارى — وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمى جامع الشمل لأنه أمّن فى ملكه كلّ خائف ، وردّ كلّ طريد ، واستصلح الناس— — ابن سداعى — وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمّى بذلك لأنه حين ملك أقام بكلّ بلدة من بلدان العرب دار ضيافة — ابن اداعى — وهو عبيد وهو يزن الطعّان ، وهو أوّل من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه — ابن همادى وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرسًا له ، وإليه تنسب الأعوجيّة من الخيل — ابن بشمانى — وهو بشين وهو المطعم فى المَحْل — ابن بثْرانى — وهو بثْرم ، وهو الطمح— ابن بحرانى[1]— وهو يحزن ، وهو القسور— ابن بلحانى ، وهو يلحس ، وهو العنود[2] — ابن رعوانى — وهو رعوى ، وهو الدعدع — ابن ١١٢١/١ عاقارى — وهو عاقر— ابن داسان ، وهو الزائد — ابن عاضار — وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفى ملكه تفرق بنو القاذور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بنى جاوان — ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية — ابن قنادى — وهو قنار ، وهو إيّامة[3] بن ثامار ، وهو بهامى ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم فى زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دَوْس لأمرين : أمّا أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفى ملكه أهلِكت جرهم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوْا فى الحرم ، فقتلهم دَوْس ، وأتبع الذرّ آثار من بقى منهم ، فولج فى أسماعهم فأفناهم — ابن مقصر — وهو مقاصرى ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير— ابن سمى — وهو سما ، وهو المجشر ، وكان — فيما زعم — أعدلَ ملك ولى وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أميّة بن أبى الصلت لهرقل ملك الروم :

---

(١) كذا فى ح . (٢) كذا فى ح .

(٣) كذا فى ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالمجَشِّرِ إذْ قالَتْ رَعِيَّتُهُ ... كَانَ المجَشِّرُ أوْفانا بِما حَمَلاَ

ابن مزرا — ويقال مرهر — ابن صنفا[1] ، وهو السمر ، وهو الصفىّ ، هو أجود ملك رُئى على وجه الأرض ، وله يقول أميّة بن أبى الصلت :

إنَّ الصَّفِيَّ بْن النَّبيتِ مُمَلَّكًا ... أعْلَى وأجْوَدُ من هِرَقْلَ وقَيْصَرا

ابن جعثم — وهو عرام ، وهو النّبيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل «قيذر» صاحب ملك ، كان أوّل من ملك من ولد إسماعيل — ابن إسماعيل صادق الوعد ، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح — وهو آزر — ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا ابن بالغ — وتفسير «بالغ» القاسم بالسريانية ، لأنه الذى قسم الأرضين بين ولد آدم ، وبالغ ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن لمك بن متُّوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبىّ صلى الله عليه وسلّم — ابن يرد — وهو يارد الذى عملت الأصنام فى زمانه — ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش ابن شيث — وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصىّ أبيه بعد مَقتل هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتقّ اسمه من اسمه . ١١٢٣/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمّهاته فيما بينه وبين آدم ، ومما[2] كان من الأخبار والأحداث فى كلّ زمان من ذلك بعض ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختَصر ، فى كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحُدّثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ؛ وإنما حرم الحنث ، منذ ولد أبونا شثّ ؛ وهو بالسريانية «شيث» .

* * *

ونعود الآن إلى :

---

(١) كذا فى ح . (٢) ح ، ر : «وما» .

ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأسبابه

فتوفّى عبد المطلب بعد الفيل بثمانىَ سنين ؛ كذلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر : وكان عبدالمطّلب يوصى برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَمّه أبا طالب ، وذلك أنّ أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانا لأمّ ، فكان أبو طالب هو الذى يلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج فى ركب من قريش إلى الشّام تاجراً ، فلمّا تهيّأ للرحيل وأجمع السير ضَبّ[1] به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنّ به معى ، ولا يفارقنى ولا أفارقه ١١٢٤/١ أبداً ، أوكما قال . فخرج به معه ، فلمّا نزل الركب بُصْرى من أرض الشأم ، وبها راهب يقال له بَحيرَى فى صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النّصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة مذ قطّ راهب[2] ، إليه يصير علمهم عن كتاب — فيما يزعمون — يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببُحَيْرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى صومعته ، عليه غمامة تُظلّه من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشّجرة ، وتهصّرت[3] أغصان الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى استظلّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدُها عنده من صفته . فلما فرغ القوم من الطّعام وتفرّقوا ، سأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن أشياء فى حاله ؛ فى يقَظته وفى نومه ، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُخبِرُه فيجدُها بَحيرَى موافقةً لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتَم النبوّة بين كتِفَيْه ، ثم قال بَحيرى لعمّه أبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى ، فقال له بَحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام

---

(١) كذا فى ح ، وضب به : تعلق ، وفى ط والسيرة : « صب به » ، أى مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن اللحيانى فى مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا فى السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفى ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلَى به ، قال : صدقتَ ، ارجع به إلى بلدك ، واحذَرْ عليه يهود ؛ فوالله لئنْ رأوْه وعرفوا منه ما عرفْتُ، ليبغُنُنَّه شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمُّهُ سريعًا حتى أقدمه مكَّة[1] . ١/١١٢٥

وقال هشام بن محمَّد : خرج أبو طالب برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بُصْرَى من أرْضِ الشأم ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثني العباس بن محمَّد ، قال: حدّثنا أبو نوح ، قال : حدّثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشأم، وخرج معه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أشْيَاخٍ من قُريش ، فلما أشرفُوا على الرّاهب هَبطُوا فحلُّوا رحالَهم ، فخرج إليهم الراهب — وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل[2] يتخلّلُهُم حتى جاء فأخَذَ بيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : هذا سيّدُ العالمين، هذا رسولُ ربّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُريش: ماعَلّمَك[3] ؟ قال : إنّكم حين أشرفتم من العَقَبة لم تبق شَجرَة ولاحَجَر إلاّ خَرّ ساجداً ؛ ولا يسجدون إلا لنبيّ، وإني أعرِفه بخاتَم[4] النبوّة، أسفَلَ من غُضْروفِ كتفه مثل التّفاحة .

ثم رجع فصَنَع لهم طعامًا ، فلما أتاهم به كان هو في رِعْيَة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمامة تُظلُّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيْء الشجرة ، فلما جلس مالَ فيْء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَيْء الشجرة مال[5] عليه ؛ قال : فبينا هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألاّ يذهبوا به إلى الرّوم؛ فإنّ الرّوم إن رأوْه عرفوه بالصّفة فقتلوه ؛ فالتفتَ فإذا هو بسبعة نفَرٍ قد أقبلوا من الرُّوم ؛ ١/١١٢٦

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) ح : « وهو » .
(٣) ط : « ما علمك ؟ » .
(٤) ح : « خاتم النبوة » .
(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أنّ هذا النبيّ خارج فى هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس، وإنا اختُرنا خيرةً ، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خلّفتم خلفكم أحداً هو خيرٌ منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيَه ، هل يستطيع أحد من الناس ردّه! قالوا :لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه، قال : فأتاهم ، فقال : أنشدكم الله ، أيّكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزلْ يناشده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب ، عن أبيه محمّد بن علىّ ، عن جدّه علىّ بن أبى طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : ما هممتُ بشىء مما كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرّتين ، كلّ ذلك يحول الله بينى وبين ما أُريد من ذلك. ثمّ ما هممتُ بسوء حتى أكرمنى الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّى قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرتَ لى غنمى حتى أدخلَ مكّة ، فأسمرَ بها كما يسمُر الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دور مكّة ، سمعت عزفًا بالدّفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظر إليهم ، فضرب الله على أذنى فنمتُ فما أيقظنى إلاّ مسّ الشمس ؛ قال : فجئت صاحبى ، فقال : ما فعلت؟ قُلت : ما صنعت شيئًا ، ثم أخبرتُه الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئت مكّة مثلَ ما سمعت حين دخلتُ مكّة تلك الليلة؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذنى ؛ فوالله ما أيقظنى إلاّ مسّ[1] الشمس؛ فرجعت إلى صاحبى فأخبرتُه الخبر. ثم ما هممتُ بعدها بسوء حتى أكرمنى الله عزّ وجلّ برسالته .

---

(١) ر : « حر الشمس » .

ذكر تزويج النبيّ
صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ رضى الله عنها

قال هشام بن محمّد: نكَح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجةَ؛ وهو ابنُ خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنةُ أربعين سنة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصَىّ امرأة تاجرةً، ذات شرف ومال، تستْتجِرُ[1] الرجال فى مالها، وتضاربُهم إيّاه بشىء تجعله لهم منه، وكانت قريشٌ قوماً تجاراً؛ فلما بلَغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما بلَغها من صِدْق حَديثه، وعِظَم أمانته، وكَرَم أخلاقه؛ بعثتْ إليه، فعرضت عليه أن يخرُج فى مالها إلى الشأم تاجراً، وتعطيَه أفضلَ ما كانت تُعْطِى غيرَه من التّجّار؛ مع غلامٍ لها يقال له مَيْسَرة. فقبله منها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فخرج فى مالها ذلك؛ وخرَج معه غلامها مَيْسَرة؛ حتى قَدِما الشأم، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظِلّ شجرة قريباً من صَوْمعة راهب من الرّهبان[2]، فأطْلَع الراهب رأسه إلى مَيْسَرة فقال: مَنْ هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجلٌ من قريشٍ، من أهل الحَرم، فقال له الراهب: ما نَزَل تحت هذه الشجرةَ قطّ إلاّ نبىّ[3]، ثم باع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سِلْعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترىَ، ثم أقبل قافلا إلى مكة؛ ومعه مَيْسرة. فكان ميسَرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجِرة واشتدّ الحرّ يرَى ملَكيْن يُظلّلانِه من الشّمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدِمَ مكة على خديجة بمالِها، باعت ماجاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك. وحَدّثها ميسرة عن

١١٢٨/١

(١) ر، و ابن هشام: «تستأجر».

(٢) هو نسطورا؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره، كذا قاله السهيلى.

(٣) قال السهيلى: «يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك».

قول الرّاهب ، وعمّا كان يرَى من إظلال الملَكيْن إيّاه — وكانت خديجة امرأةً حازمة لبيبة شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرامته — فلما أخبرها ميسرة بما أخبرَها ، بعثتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت له — فيما يزعمون — : يابن عمّ ، إنّى قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتِك[١] فى قومك ، وأمانتك وحسن خُلقك وصدق حديثك . ثم عرَضت عليه نفسَها ، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسبًا ، وأعظمهنّ[٢] شرفًا ، وأكثرهُنّ مالاً ؛ كلُّ قومِها كانَ حريصًا على ذلك منها لو يقدرُ عليها[٣] .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ذكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمّه ؛ حتّى دخل على خُويلد بن أسد[٤] ، فخطبها إليه فتزوّجها ، فولَدتْ له ولده كلّهم إلاّ إبراهيم : زينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم — وبه كان يكْنى صلى الله عليه وسلّم — والطّاهر والطّيب . فأمّا القاسم والطّاهر والطّيب ؛ فهلكوا فى الجاهلية ، وأما بناته فكلّهنّ أدركْن الإسلام فأسلمنَ ، وهاجرْنَ معه صلى الله عليه وسلّم[٥] . ١١٢٩/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا معمَر وغيره ، عن ابن شِهاب الزّهرىّ — وقد قال ذلك غيرهُ من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرتْ رسول الله صلى الله

---

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) فى الأصول : « وأعظمهم » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر » .

(٤) قال السهيلىّ : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ — ١٢٣ .

عليه وسلّم ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُبَاشة بتِهامة ؛ وكان الذى زَوّجها إياه خُوَيلد، وكانالتى مشت[١] فى ذلك مولاةٌ مولّدة من مولّدات مكّة.

قال الحارث : قال محمّد بن سعد : قال الواقدىّ : فكلٌّ هذا غلطٌ .

قال الواقدىّ: ويقولون أيضًا إنّ خديجة أرسلتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلّم تدعوه إلى نفسها - تَعْنى التزويج - وكانت امرأةً ذاتَ شرف ، وكان كلّ قريش حريصًا على نِكاحها - قد بذلوا الأموال[٢] لو طمعوا بذلك ، فدعتْ أباها فسقته خمراً حتى ثَمِل ، ونحرَتْ بقرة وخلّقته بخَلوق، وألبسته حُلةً حِبَرةً ، ثم أرسلتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوّجه[٣] ، فلمّا صحا قال: ما هذا العَقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتَنى محمّد بن عبد الله، قال: ما فعلتُ أنّى أفعل هذا وقد خطبكِ أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدىّ: وهذا غلطٌ ، والثّبَت عندنا المحفوظ[٤] من حديث محمّد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمّد بن جُبَير بن مطعِم . ومن حديث ابن أبى الزّناد ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحُصَين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس ؛ ١١٣٠/١ أن عمّها عمرو بن أسَد زوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ أباها مات قبل الفِجار[٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية - فيما ذكر - فجعله مسجداً يصلّى فيه الناس ، وبناه على الّذى هو عليه اليوم لم يغيّر. وأمّا الحجر الذى على باب البيت عَنْ يَسار منْ يدخل البيت فإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحته يستتر به من الرّمْى إذا جاءه من دار أبى لَهَب ، ودار عدِىّ ابن حمراء الثّقفىّ خَلْفَ دارِ ابن علْقَمة ، والحجَر ذراعٌ وشبر فى ذراع .

---

(١) م : « الذى مشى » .
(٢) ح : « لها المال » .
(٣) ر : « فزوجها » .
(٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .
(٥) الخبر فى طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأَخبار عن الكائن من أَمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أَن ينبَّأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأَحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ سببَ تزويج النبىّ صلى الله عليه وسلّم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلّى الله عليه وسلّم إيّاها . وبَعْدَ السنة التى نكحها فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هَدَمَتْ قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتها — وذلك فى قول ابن إسحاق — فى سنة خَمسٍ وثلاثين من مولِد رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وكان سبب هَدْمِهِمْ إياها فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، أنّ الكعبة كانت رَضْمة[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقيفها ؛ وذلك أنّ نفراً من قريش وغيرهم سَرقوا كنز الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

* * *

وكان أمرُ غَزالَى الكعبة — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه — أنّ الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليلَه عليه السلام وابنَه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] ، فلم يكن له ولاةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ أن ينزل ابنهُ إسماعيل البيت ، لمـّا أراد الله من كرامة مَنْ أكرمه بنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم ، فكان إبراهيم خليلُ الرحمن وابنه إسماعيلَ يليَان البيت بعد عَهْدِ نوح ، ومكّة يومئذ بلاقع ؛ ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرْهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من ١١٣١/١

(١) فى ابن هشام : « رضما » ؛ والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهم ؛ فقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وصاهَرَنا مَنْ أكْرَمُ النَّاسِ وَالدًا فأبْناؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الأصاهِر

فولِيَ البيتَ بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبْت ؛ وأمُّه الجرهميّة ؛ ثم مات نَبْت ، ولم يكثُر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهم على ولاية البيت ؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض :

وكُنَّا وُلَاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ ،والخيرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَلِىَ من جُرْهُم البيتَ مُضاض ، ثم وليتْه بعده بنُوه كابراً بعد كابر[1] ؛ حتى بغتْ جُرهُم بمكّة ، واستحلّوا حرمتها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكّة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فزعموا أنّ أُسافا بَغَى بنائلة فى جَوْف الكعبة ، فمُسخا حَجَرين ، وكانت مكّة فى الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغْىَ فيها ، ولايستحِلُّ حرمتها مَلِكٌ إلاّ هلك مكانه ١/١١٣٢ فكانت تسمى النَّاسّة ،وتُسَمَّى بكّة ،تَبُكّ أعناق البغايا إذا بَغَوْا فيها ؛ والجبابرة .

قال : ولمّا لم تتناهَ جُرْهم عن بَغْيها ، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فانخزع[2] بنو حارثة بن عمرو ، فأوْطنوا[3] تهامة — فسمّيت[4] خُزاعة ، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملْكان بنو أفْصَى بن حارثة ، فبعث الله على جُرْهم الرّعَاف والنّمل ، فأفناهم. فاجتمعت خُزاعة ليجلُوا مَنْ بَقِيَ ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمّه فُهَيرة بنت عامر بن الحارث ابن مُضاض ، فاقتتلوا. فلمّا أحسّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالَيِ الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

---

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) انخزعوا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمَّ إِنَّ جُرْهُمًا عِبَادُكْ   النَّاسُ طُرْفٌ وَهُمُ تِلَادُكْ

* بِهِمْ قَدِيمًا عَمَرَتْ بِلَادُكْ *

فلم تُقْبَل توبتُه، فألقى غزالَى الكعبة وحجر الرّكن فى زمزم ، ثم دفنها وخرج مَنْ بقى من جُرْهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتِيٌّ فذهب بهم ، فذلك قول أمية بن أبى الصّلت :

وَجُرْهُمٌ دَمَّنُوا تِهَامَةَ فى الـــدّهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضَمُ[(١)]

١١٣٣/١ ووَلِىَ البيت عمرو بن ربيعة . وقال بنو قصّى : بل وَلِيَه عمرو بن الحارث الغُبْشَانِىّ[(٢)] ، وهو يقول :

ونَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمٍ   لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلحِدِ

وقال :

وادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ   نَحْنُ وُلَاتُهُ فَلَا نَغُشُّهُ

وقال عامر بن الحارث :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحجُونِ إلى الصَّفَا   أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أهْلَهَا فأبادَنَا   صُرُوفُ اللَّيالِى والْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

وقال :

يأيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ   أنْ تُصبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَاتَسِيرونَا[(٣)]

كُنَّا أُناسًا كما كُنْتُمْ فغيَّرَنا   دَهْرٌ ، فأنْتُمْ كما كُنَّا تَكُونُونَا

حُثُّوا المَطِىَّ وأرْخُوا من أزِمَّتِهَا   قَبْلَ المماتِ وَقَضوا ما تُقَضُّونا

١١٣٤/١ يقول : اعملوا لآخرتكم ، وافرُغوا من حوائجكم فى الدنيا ؛ فولِيَتْ خُزاعة البيتَ ؛ غير أنه كان فى قبائل مُضر ثلاث خِلال : الإجازة بالحجّ للناس من

---

(١) معجم ما استعجم ١٦٦ .

(٢) فى الأصول : « الغسانى » ؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩ .

(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغَوْث بن مُرّ — وهو صُوفة — فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجيزى صُوفة . والثانية الإفاضة من جَمْع غداة النَّحر إلى مِنًى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عَدْوان ؛ فكان آخر مَنْ ولِىَ ذلك منهم أبو سَيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش[1] ابن زيد ، والثالثة النَّسِىءُ للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القَلَمَّس ، وهو حُذَيْفة بن فُقَيْم بن عدىّ من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبى ثمامة ، وهو جُنادة بن عوف بن أميّة بن قَلَع بن حُذَيْفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسىء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرّقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَتْ دارُنا تِهامَةَ فى الدَّهـ ... ـرِ وفِيها بنو مَعَدٍّ حُلُولا

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حفر عبدُ المطلب زمزم ، وَجَدَ الغَزَالين ، غَزَالَىِ الكعبة اللذيْن كانت جُرْهم دفنتْهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرهما ما قد ذكرت فى موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذى وجد عنده الكنز دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يدَه من بينهم ، وكان ممن اتّهم فى ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب[2] ابن عُزَيْر بن قيس بن سُوَيْد التميمىّ — وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه — وأبو لَهَب بن عبد المطّلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى بنى مُلَيْح ، فلمّا اتّهمتْهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقُطِع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

١١٣٥/١

(١) ح : « واشر » ، ر : « واسر » ، والمثبت يوافق ما فى الاشتقاق ٢٦٨

(٢) كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أنّ قريشًا حين استيقنُوا بأنّ ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كُهّان العرب، فسَجَعَتْ عليه من كهانتها بألاّ يدخل مكة عشْر سنين، بما استحلّ من حُرمة الكعبة، فزعموا أنّهم أخرجوه من مكّة، فكان فيما حَوْلَها عشر سنين؛ وكان البحر قد رَمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خَشَبها فأعدُّوه لسَقْفِها؛ وكان بمكّة رجل قبطيٌّ نجّارٌ، فتهيّأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم، فتُشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنُو منها أحدٌ إلا احزألّتْ وكشّت[1] وفتحتْ فاها؛ فبينا هى يومًا تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجُو أن يكون الله عزّ وجلّ قد رَضِيَ ما أردْنا. عندنا عامل رفيقٌ، وعندنا خشبٌ، وقد كفانا الله [أمر][2] الحيّة. وذلك بعد الفِجار بخمس عشرة سنَة، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامَئِذ ابن خمس وثلاثين سنة. ١١٣٦/١

فلمّا أجمعوا أمرهم فى هَدْمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حَجَرًا، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موْضعه، فقال: يا معشرَ قريش، لا تُدخلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلا طيّبًا، ولا تُدْخِلوا فيها مَهْر بَغِيّ، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحد من النّاس.

قال: والنّاسُ يَنحَلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة[3]؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبى نَجِيح المكىّ، أنه حدّث عن عبد الله بن صفْوان بن أميّة بن

(١) احزألت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكلة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف[1] ، أنه رأى ابنًا لجعْدَة بن هُبَيْرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنٌ لجَعْدة ابن هُبَيرة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جَدّ هذا – يعنى أبا وهب الذى أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يَده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشَر قريش ، لا تُدْخِلوا فى بنيانها من كَسْبكم إلاّ طيّبًا ، لا تُدْخِلوا فيها مَهْر بغىّ ، ولا بيع ربًا ولا مظلِمة أحد .

وأبو وهب خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفًا[2] .

١١٣٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : ثم إنّ قُرَيشًا تجزّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان ما بين الرّكن الأسود والرّكْن اليمانىّ لبنى مخزوم وتيْم وقبائلَ من قريش، ضُمّوا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم[3] ، وكان شقُّ الحِجْر – وهو الحطِيم – لبنى عبد الدّار بن قصىّ ولبنى أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ ، وبنى عدىّ بن كعب .

* * *

ثم إنّ النّاس هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

---

(١) بعده فى ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها: وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِى وَهْبٍ أَنَخْتُ مَطِيَّتِى ... غَدَتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلُهَا غيرَ خائبِ
بِأَبْيَضَ مِنْ فَرْعَىْ لُؤىّ بن غالِبٍ ... إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُها فى الذّوائبِ
أَبِىٌّ لِأَخْذِ الضَّيْم يرتاح لِلنَّدَى ... تَوَسَّطَ جَدّاهُ فُرُوعَ الأطايبِ
عَظِيمُ رَمَادِ القِدْرِ يملَأ جِفَانَه ... مِنَ الخُبْزِ يَعْلُوهُنّ مِثْلُ السّبائبِ

(٣) فى ابن هشام : « لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب ين لؤى » .

أبدؤُكم فى هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ،وهو يقول : اللهمّ لم تُرَعْ[١] ، اللهمّ لا نريد إلا الخير . ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربّص النّاس به تلك اللّيلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيبَ لم نهدمْ منها شيئًا ؛ ورددْناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شىء ٌ فقد رضِيَ الله ما صنعنا هَدَمْنا[٢] .

فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله ، فهدم والنّاس معه ؛ حتّى انتهى الهَدْم إلى الأساس ، فأفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كأنّها أسِنّة[٣] آخذٌ بعضها ببعض[٤] .

١١٣٨/١ حدّثنا ابن حميد ، قال : حَدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض مَنْ يروِى الحديث ، أنّ رجلا من قريش ممّنْ كان يهدمها ، أدخل عتَلَةً بين حجريْن منها ، ليقلع بها أحَدها ، فلما تحرّك الحجَر انتقضت[٥] مكة بأسْرِها ، فانتهوْا عند ذلك إلى الأساس[٤] .

قال : ثم إنّ القبائل جمَعت الحجارة لبنائها ، جعلت كلّ قبيلة تجمع على حِدَتها ، ثم بنوْا حتّى إذا بلغ البنيان مَوْضِع الرّكن اختصموا فيه ؛ كلُّ قبيلةٍ تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتّى تحاوزوا[٦] وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرَّبت بنُو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم

---

(١) قال السهيلى : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإظهار اللين والبر فى القول ؛ ولا روع فى هذا الموطن فينفى ؛ ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزغ ، وهو جلى لا يشكل » .

(٢) فى ابن هشام : «فقد رضى الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : «أسنمة» . قال السهيلى : «وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا فى الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١.

(٥) فى ابن هشام : « تنقضت » ، أى اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أى انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفى إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ، أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدىّ بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديَهم فى ذلك الدم فى الجَفْنة ؛ فسُمُّوا لَعَقَة الدم بذلك ؛ فمكثت قريش أربع ليالٍ — أو خمس ليال — على ذلك. ثمّ إنّهم اجتمعوا فى المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرّواة أنّ أبا أميّة ابن المغيرة كان عامئذ أسنّ[1] قريش كلّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضِى بينَكم فيه ؛ فكان أوّلَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأوْه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضينا به ؛ هذا محمّد . فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هلُمّ لى ثوبًا[2] ، فأُتِىَ به . فأخذ الرّكن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثّوب ، ثمّ ارفعوه جميعًا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمِّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحى الأمين[3] . ١١٣٩/١

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَار عشرون سنة .

* * *

واختلف السَّلَف فى سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين نُبّئَ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبّئَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد ما بنتْ قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمّت له من مولده أربعون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد بن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرة الضّبَعىّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة .

---

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلى بثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدّثنا عمرو بن على وابن المثنّى ، قالا : حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنَس بن مالك ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدثنى أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين .

حدّثنى ابنُ عبد الرحيم البرْقىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبى سلَمة ، عن الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، قال : حدّثنى أنس بن مالك ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بُعث على رأس أربعين . ١١٤٠/١

حدثنى أبو شُرَحْبيل الحِمْصىّ ، قال : حدّثنى أبو اليمان ، قال : حدّثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، عن أنَس بن مالك ، قال : أنزل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد ، قال : حدّثنا عَمْرو بن دينار ، عن عُروة بن الزُّبَير ، قال : بُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن أربعين .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا الحجاج ، عن حمّاد ، قال : أخبَرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لفاطمة : إنّه كان يُعْرَض علىّ القرآن كلّ عام مرّة ؛ وإنه قد عُرِض علىّ العامَ مرتين ، وإنه قد خُيِّلَ إلىّ أن أجَلى قد حضر ؛ وأنّ أوّلَ أهلى لحاقًا[1] بى أنت ؛ وإنه لم يُبعث نبىّ إلاّ بُعث الذى بعده بنصفِ من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثتُ لعشرين »[2] .

---

(١) ح : « لحوقا » .

(٢) فى ط ، وفى المقاصد الحسنة ٣٦٢ : « ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبى قبله » ، ونقله برواية أخرى فى ص٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثنى عبيد بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا روْح بن عبادة ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة، عن ابن عباس ، قال : بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، فكَثَ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

١١٤١/١ حدّثنا أبو كُريب، قال : حدّثنا أبو أسامة ومحمّد بن ميمون الزّعفرانىّ ، عن هشام بن حسّان ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس، قال: بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فكَث بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : بل نُبِّئَ حين نُبّئ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشام ، عن عِكْرمة، عن ابن عبّاس ، قال : أنزِل على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحىُ،وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهّاب، قال :حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً – يعنى ابن المسيَّب – يقول : أنزِل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحى ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذكر اليوم الذى نُبِّئَ فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الشهر الذى نُبِّئَ فيه وما جاء فى ذلك

قال أبو جعفر : صَحّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بما حدّثنا به ابن المثنّى، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر، قال : حدّثنا شُعبة ، عن غَيْلان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ ، عن أبى قَتادة الأنصارىّ ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم سئل عن صوم الاثنين، فقال : ذلك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم بعثتُ — أو أنزل علىّ فيه .

حدّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدّثنا الحسن بن موسى الأشيب، قال : حدّثنا أبو هلال ، قال : حَدّثنا غَيْلان بن جرير المَعْوَلِىّ قال : حدّثنا عبد الله بن معبد الزِّمّانىّ، عن أبى قَتَادة، عن عمر رحمه الله أنه قال للنبىّ صلى الله عليه وسلّم :يا نبىّ الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلدتُ فيه ، ويوم أنزلت علىّ فيه النبوّة . ١١٤٢/١

حدّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهِيعة، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصَّنْعانىّ، عن ابن عباس، قال : ولد النبىّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، واستنبِئَ يوم الاثنين[1] .

قال أبو جعفر : وهذا ممّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

* * *

واختلفوا فى أىّ الأثانين كان ذلك ؟ فقال بعضُهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلّم لثمانِىَ عشرة خَلَتْ من رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حَدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسَن بن دينار ، عن أيّوب ، عن أبى قُلابة عبد الله بن زيد

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٣ .

الحَرَمى ، أنه كان يقول — فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزِل الفرقان على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لثمانىَ عشرة ليلةً خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلَتْ منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى مَنْ لا يُتّهم[1] ، عن سَعيد بن أبى عَروبة، عن قَتادة ابن دِعامة السدُوسىّ، عن أبى الجلْد ، قال: نزَل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلَتْ من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل نزل لسبعَ عشرة خلَتْ من شهر رمضان ؛ واستشهدوا[2] لتحقيق ذلك بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[3] ؛ وذلكُ ملتقَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر ؛ وأنّ التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمشركين ببدْر كان صبيحة سبع عشرة من رمضان . ١/١١٤٣

* * *

قال أبو جعفر : وكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم من قبل أن يظهرَ له[4] جبريل عليه السّلام برسالة الله عزّ وجلّ إليه — فيما ذكر عنه — يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان مِنْ ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن المَلَكَيْن اللذيْن أتياه فشقّا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغِلّ والدَّنَس؛ وهو عند أمّه من

(١) ح : « أتهم » .
(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .
(٣) سورة الأنفال ٤١ .
(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حَلِيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ فى طريق لا يمرّ – فيما ذكر – عنه بشجرٍ ولا حَجَر فيه إلاّ سلّم عليه .

حدّثنى الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد، قال: أخبرَنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن بَرّة بنت أبى تجراة ، قالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كَرامته وابتداءه[1] بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى لا يرى بيتًا ، ويفضِى إلى الشِّعَاب وبطون الأوْدية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلاّ قالت: السّلام عليك يا رسولَ الله ، فكان يلتفِتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[2] .

قال أبو جعفر : وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حَدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حَدّثنى علىّ بن عيسى الحكمىّ ، عن أبيه ، ١/١١٤٤ عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نُفَيل يقول : أنا أنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل ، ثم من بنى عبد المطّلب ولا أرانى أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدّقه ، وأشهد أنه نبىّ ، فإن طالت بك مدّة فرأيته ، فأقرئه مِنّى السلام ، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلُمّ ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيْه حمرة ، وخاتم النبوّة بين كتفيْه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُه ومبعثه ، ثم يخرِجه قومه منها ، ويكرَهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهرَ أمرُه ؛ فإيّاك أن تُخدَعَ عنه ، فإنّى طُفْتُ البلادَ كُلّها أطلب[3] دين إبراهيم ، فكلّ مَنْ أسأل من اليهود والنّصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتّه لك ؛ ويقولون : لم يبق نبىٌّ غيره[4] .

---

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا فى ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفى ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١، ١٦٢ .

قال عامر : فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السّلام، فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم؛ وترحّم[١] عليه ، وقال : قد رأيتُه فى الجنّة يسحبُ ذيولا .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق عمّنْ لا يُتّهم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أنه حدّث أنّ عمر بن الخطّاب بينا هو جالسٌ فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل[٢] المسجد ، يريد عمر — يعنى ابن الخطّاب — فلمّا نظر إليه عمر قال : إنّ الرجلَ لعلَى شِرْكِه بعد ، ما فارقه — أو لقد كان

١/١١٤٥ كاهنًا فى الجاهلية — فسلّم عليه الرجل ، ثمّ جلس فقال له عمر : هل أسلمتَ ؟ فقال : نعم، فقال: هلْ كنت كاهنًا فى الجاهلية ؟ فقال الرجل[٣]: سبحان الله ! لقد استقبلتَنى[٣] بأمرما أراك قلتَه لأحد من رعيّتك منذ ولّيت ! فقال عمر : اللهم غَفْرًا ؛ قد كنّا فى الجاهلية على شَرٍّ من ذلك، نعبدُ الأصنام ، ونعتنق الأوثان حتّى أكرَمنا الله بالإسلام . فقال : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد كنت كاهنًا فى الجاهليّة . قال : فأخبِرْنا ما أعجبُ ما جاءك به صاحبك . قال: جاءنى قبل الإسلام بشهر — أو سنة— فقال لى: « ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها ، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها[٤]!» . قال : فقال عمر عند ذلك يحدّث الناس : والله إنى لعندَ وثنٍ من أوثان الجاهلية فى نفرٍ من قريش ؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلاً فنحن نَنْظرُ قَسْمَه ليقسِم لنا منه ، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قَطّ أنفذَ منه ؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه[٥] ، يقول : يا آل ذريح ؛

---

(١) كذا فى ر ، م ، وفى ط : « رحم عليه » . (٢) ابن هشام : « داخلاً » .

(٣ — ٣) ابن هشام : « سبحان الله يا أمير المؤمنين ، لقد خلت فىّ ، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد » .

(٤) قال ابن هشام: هذا الكلام سجع وليس بشعر . والإبلاس : الذلة . والإياس: اليأس . والقلاص من الإبل : الفتية . والأحلاس : جمع حلس ، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير .

(٥) كذا فى ابن هشام ، قال السهيلى : « أو شيعه ، اى دونَه بقليل ، وشيع كل شىء ما هو تبع له » . وفى ط : « أو سنة » ، والأجود ما أثبته عن ابن هشام .

أمْرٌ نجيح ، ورَجُلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله[١] .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا عليّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفّان، مثله .

حدّثنا الحارث، قال: حدّثنا محمّد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر قال : حَدّثني محمد بن عبد الله، عن الزهريّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم، عن أبيه، قال: كُنّا جلوساً عند صَنم ببُوانة قبل أن يبعثَ رسولُ الله صلى الله ١/١١٤٦ عليه وسلّم بشهر ؛ نحرنا جَزُوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جَوْف واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحى ، ونرمى بالشُّهُب لنبيّ بمكة اسمه أحمد، مهاجَره إلى يثْرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم[٢] .

حدّثنى أحمد بن سنان القطان الواسطىّ ، قال: حدّثنا أبو معاوية قال : حدّثنا الأعمش ، عن أبى ظَبْيان، عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً من بنى عامر أتَى النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فقال: أرنى الخاتَم الذى بين كتفيك؛ فإن يَكُ بك[٣] طِبٌّ داويتُك؛ فإنى أطبّ العرب ، قال : أتحبّ أن أريَكَ آية ؟ قال : نعم ؛ ادعُ ذاك العِذْق ، قال : فنظر إلى عِذْق فى نخلة ، فدعاه فجعلَ ينقُز[٤] ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجِعْ ، فرجع ، فقال العامرىّ : يا بنى عامر ، ما رأيتُ كاليوم أسحر !

* * *

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلّى الله عليه وسلّم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ — ١٤٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .
(٣) الطبّ ها هنا : السحر .
(٤) النقز : الوثب .

ذكر الخبر عمّا كان من أمر نبيّ الله صلىّ الله عليه وسلّم عند ابتداء الله تعالى ذكره إيّاه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السّلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ بعضَ الأخبار الواردة عن أوّل وقت مجيء جبريل نبينا محمّداً صلى الله عليه وسلّم بالوحْي من الله ، وكم كان سنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه ، وظهوره له بتنزيل ربّه . ١١٤٠

فحدّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء ، قال : حدّثنا وهب ابن جرير ، قال : حدّثنا أبي ، قال : سمعتُ النُّعمان بن راشد ، يحدّث عن الزّهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة أنها قالت : كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من الوَحْي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثلَ فَلَق الصُّبْح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان بغار بحراء يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزوّد لمثلها ؛ حتى فجأه الحقّ ، فأتاه ، فقال : يا محمّد ، أنتَ رسول الله ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : فجثوْتُ لركبتي وأنا قائم ، ثمّ زحفتُ[1] ترجفُ بوادِرِي[2] ، ثمّ دخلت على خديجة ، فقلت : زمّلوني ، زمّلوني ! حتى ذهب عني الرَّوْع ، ثم أتاني فقال : يا محمّد ، أنت رسولُ الله . قال : فلقد هممت أن أطرَح نفسي من حَالِقٍ من جبل ، فتبدّى لي حين هممت بذلك ، فقال : يا محمّد ، أنا جبريل ، وأنتَ رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : فأخذني فغتّني ثلاث مرات ، حتى بلغ منّي الجهد ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[3] ، فقرأتُ . فأتيتُ خديجة . فقلت : لقد أشفقتُ على نفسي ، فأخبرتها خبري ، فقالت : أبشِرْ ، فوالله لا يُخزيكَ الله أبداً ؛ ووالله إنّك لتَصِلُ

(١) ر والتفسير : « رجعت » .
(٢) ر والتفسير : « فؤادي » .
(٣) سورة العلق ١ .

الرَّحِم ، وتصدقُ الحديث ، وتؤدّى الأمانة ، وتحمِلُ الكَلَّ وتَقْرِى الضَّيف ، وتُعين على نوائب الحقّ . ثم انطلقتْ بى إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألنى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموسُ الذى أنزِل على موسى بن عمران ، ليتنى فيها جَذَعٌ ! ليتنى أكون حيًّا حينَ يخرجُك قومُك ! قلت : أمُخْرِجِيَّ هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجئْ رجُلٌ قطُّ بما جئتَ به إلاّ عُودِىَ ، ولئن أدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزّراً[1] . ١١٤٨/١

ثم كان أول ما نزل علىّ من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾[1] .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهْب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدّثنى عُرْوة ، أنّ عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يَقُلْ : « ثم كان أوّل ما أنزل علىّ من القرآن » . إلى آخره .

حدّثنا محمّد بن عبد الملك بن أبى الشّوارب ، قال : حدّثنا عبدالواحد بن زياد ، قال : حدّثنا سليمان الشّيبانىّ ، قال : حدّثنا عبدالله بن شدّاد ، قال : أتى جبريلُ محمّداً صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمّد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه[2] ، ثمّ قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضمّه ، ثم قال : يا محمّد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حتّى بلغ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ، ما أرانى إلا قد عُرِض[3] لى ، قالت : كَلاّ والله ما كان ربُّك يفعل ذلك بك ؛ ما أتيتَ فاحشةً قطّ . قال : فأتتْ

---

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « ففمه » ، وما أثبته من التفسير .

(٣) عرض لى ، أى أصابنى مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/ خديجةُ ورقةَ بنَ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنتِ صادقة ، إنّ زوجَك لنبيّ ، وليلقينّ من أمّتهِ شدّة ، ولئن أدركتُه لأومننّ به .

قال : ثم أبطأ عليه جبريل، فقالت له خديجة : ما أرَى ربّك إلاّ قد قَلاك، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿والضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1] .

حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سَلمة، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني وهب بن كَيْسان مولى آل الزّبير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبير ، وهو يقول لعُبيد بن عمير بن قَتَادة الليثيّ : حدِّثنا يا عُبَيْد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاء جبريل عليه السّلام؟ فقال عُبيد — وأنا حاضر يحدّث عبدالله بن الزُّبير ومَنْ عنده من النّاس —: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ فى حراء من كلّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّثُ[2] بهقريش فى الجاهلية — والتحنث: التبرّر — وقال أبو طالب :

* وَرَاقٍ لِيَرْقى فى حِرَاء ونَازِلِ *[3]

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يجاورُ ذلك الشهر من كلّ سنة ، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قَضَى رسول الله صلى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك، كان أوّل ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخُل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله عزّ وجلّ فيه ما أراد من كرامته، من السّنة التى بعثه فيها ؛ وذلك فى شهر رمضان، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم إلى حِرَاء —

١١٥٠/١ كما كان يخرج لجواره — معه أهله؛ حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) . (٢) ح : « تتحنث » .

(٣) صدره فى ابن هشام :

* وثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثبيرًا مَكَانَهُ *

عليه وسلّم ، فجاءنى وأنا نائم بنَمَط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ ؟ فغتّنى[1] ، حتّى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلىّ بمثل ما صنع بى ؛ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته، قال: ثم انتهى، ثم انصرفَ عنّى وهببْتُ من نومى ؛ وكأنّما كتب فى قلبى كتابًا .

قال : ولم يكن من خلْق الله أحدٌ أبغضَ إلىّ من شاعر أو مجنون ؛ كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إنّ الأبْعَدَ – يعنى نفسه – لشاعر أو مجنون ، لاتحدّث بها عنّى قريش أبداً ! لأعمدنّ إلى حالِقٍ من الجبل فلأطرحنّ نفسى منه فلأقتلنّها فلأستريحنّ .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت فى وسطَ من الجبل ؛ سمعت صوتًا من السّماء يقول : يا محمّد، أنتَ رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السّماء ؛ فإذا جِبْرئيلُ فى صورة رجل صافٍّ قدميه فى أفق السماء ، يقول : يا محمّد، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظرُ إليه، وشغلنى ذلك عمّا أردت ؛ فما أتقدّم وما أتأخّر ؛ وجعلت أصرفُ وجهى عنه فى آفاق السّماء فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلتُ واقفًا ما أتقدّم أمامى ، ولا أرجع ورائى ؛ حتّى بعثتْ خديجة رسلَها فى طلبى ؛ حتى بلغوا مكّة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى . ثم انصرف عنى وانصرفت راجعًا إلى أهلى ؛ حتّى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذِها مُضيفًا[2] فقالت : يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلى فى طلبك ، حتّى بلغوا مكة ورجعوا إلىّ . قال : قلت لها: إنّ الأبْعَدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

١١٥١/١

---

(١) قال ابن الأثير : « الغت والغط سواء ؛ كأنه أراد : عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس فى الماء قهرا » .

(٢) مضيفاً ، أى ملتصقاً بها مائلا إليها ؛ أضفت إلى الرجل؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنعَ ذلك بك مع ما أعلم منكَ من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عمّ ! لعلّك رأيت شيئًا ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثمّ حدّثتُها بالذى رأيت ؛ فقالت : أبشرْ يابن عمّ واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتْ إلى ورقة بن نوفل بن أسد — وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهلِ التوراة والإنجيل — فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ! والذى نفس ورَقَة بيده ، لئن كنتِ صدقتِني يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس[١] الأكبر — يعنى بالنّاموس جبْرئيل عليه السّلام الذى كان يأتى موسى — وإنه لنبيّ هذه الأمّة ، فقولى له فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعضَ ما هو فيه من الهمّ ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيَه ورقة بن نوفل ، وهو يطوفُ بالبيت ، فقال : يابن أخى ، أخبرْنى بما رأيت أو سمعتَ ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده ، إنك لنبيّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك النّاموس الأكبر الذى جاء إلى موسى ، ولتُكذبنّهْ ولتؤذينّهْ ، ولَتُخرجنّهْ ، ولتقاتلنّهْ ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنّ الله نصراً يعلمُه . ثم أدنى رأسَه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله[٢] .

١/١١٥٢

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتًا ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهمّ . فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبى حكيم مولى آل الزّبير ، أنه حدّث عن

---

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل فى خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذى جاء بالوحى بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ — ١٥٦ .

خديجة أنّها قالتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبّته فيما أكرمه الله به من نبوّته : يابن عمّ ، أتستطيع أن تخبرَني بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرنى به، فجاءه جِبْرئيل عليه السّلام كما كان يأتيه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءنى ، فقالت : نعم ، فقم يابنَ عمّ ، فاجلس على فخذِى اليُسرى ، فقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعُد على فخذى اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ، فقالت: هل تراه ؟ قال : نعم؛ قالت: فتحوّل فاجلس فى حجرى ، فتحوّلَ فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسَّرت ، فألقت خِمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلّم جالسٌ فى حِجْرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يابن عمّ ، اثبُت وأبشر؛ فوالله إنه لَملَكٌ وما هو بشيطان[1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمّى فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة، إلاّ أنّى قد سمعتها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بينها وبين درْعها، فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لَملَك، وما هو بشيطان[1] . ١١٥٣/١

حدثنا ابنُ المثنّى، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدّثنا علىّ بن المبارك ، عن يحيى — يعنى ابن أبى كثير — قال : سألتُ أبا سلمة : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾! فقال أبو سلمَة : سألتُ جابرَ بن عبد الله : أىّ القرآن أنزِل أوّل ؟ فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾، فقال : لا أخبرك إلاّ ما حدّثنا النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : جاورتُ فى حِراء، فلما قضيتُ جِوارى، هبطتُ فاستبطنت الوادى،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٧ .

فنوديتُ ، فنظرتُ عن يمينى وعن شمالى ، وخلْفى وقُدّامى ، فلم أرَ شيئًا ، فنظرتُ فوقَ رأسى ، فإذا هو جالسٌ علَى عرشٍ بين السّماء والأرض ، فخشِيتُ منه ـ قال ابن المثنّى : هكذا قال عثمان بن عمر ، وإنما هو «فجُئِثت منه»[١] ـ فلقيتُ خديجة ، فقلت : دَثِّرُونى ، فدَثّرونى ، وصبُّوا علىّ ماءً ، وأنزل علىّ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن علىّ بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كَثير ، قال : سألتُ أبا سلَمة عن أوّلِ ما نزل من القرآن ، قال : نزلت : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أوّل ، قال : قلت : إنّهم يقولُون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحدّثك إلا ما حدّثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم ، قال : جاورتُ بحراء ، فلمّا قضيت جوارى ، هبطت فسمعت صوتًا ، فنظرت عن يمينى فلم أرَ شيئًا وعن شمالى فلم أرَ شيئًا ، ونظرت أمامى فلم أرَ شيئًا ، ونظرت خلْفى فلم أرَ شيئًا ، فرفعت رأسى ، فرأيت شيئًا ، فأتيت خديجة ، فقلت : دَثّرونى ، وصبُّوا علىّ ماءً ، قال : فدثّرُونى وصبُّوا علىَّ ماء بارداً ، فنزلت : ﴿ يَأَيُّهَا المدَّثِّرُ ﴾[٢] .

١/١١٥٤

وحُدّثت عن هشام بن محمّد ، قال : أتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أوّل ما أتاه ليلةَ السَّبْت ، وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله عزّ وجلّ يوم الاثنين ، فعلّمه الوضوء ، وعلّمه الصلاة ، وعلّمه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، يوم أوحى إليه ، أربعون سنة .

حدّثنى أحمد بن محمد بن حبيب الطّوسى ، قال : حدّثنا أبو داود الطّيالسىّ ، قال : أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القُرشىّ ، قال : أخبرنى عمر بن

(١) جئثت منه ، أى خفت وفزعت ، وانظر اللسان .
(٢) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدِّث عن أبي ذرّ الغفاريّ قال : قلتُ: يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبيّ أوّل ما علمت، حتى علمت ذلك واستيْقنت ؟ قال : يا أبا ذرّ ، أتاني ملَكان وأنا ببعض بطْحاء مكة، فوقع أحدُهما في الأرض والآخر بين السّماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنْه برجُل ، فوُزِنْت برجل فرجحتُه ، ثم قال : زِنْه بعشرة ، فوزنني بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنني بمائة فرجحتهم[1] ، ثم قال: زنه بألف، فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون[2] عليّ من كِفّة الميزان، قال : فقال أحدهُما للآخر : لو وزنتَه بأمّته رَجَحها . ثم قال أحدهُما لصاحبه: شُقّ بطنَه، فشقّ بطني، ثم قال أحدهما : أخرج قلبَه — أو قال : شقّ قلبَه — فشقّ قلبي ، فأخرج منه مغْمزَ الشيطان وعلَقَ الدّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسِلْ بطنه غَسْل الإناء ، واغسلْ قلبه غسْل الإناء — أو اغسِلْ قلبه غسل المُلاءة — ثم دعا بالسَّكِينة ، كأنّها وجه هِرّة بيضاء فأدخِلَتْ قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنَه ، فخاطا بطنِي، وجعلا الخاتم بين كتِفيّ ، فما هو إلا أن ولّيا عنّي فكأنّما أعاين الأمرَ معاينة .

١١٥٥/١

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، قال : حدّثنا ابن ثَوْر ، عن معمَر ، عن الزّهريّ ، قال : فَتَر الوحيُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزن حزنًا شديداً ، جعل يغدو إلى رءوس شواهق الجبال ليتردّى منها ، فكلّما أوْفى بذرْوَة جبَل تبدّى له جبْرئيل، فيقول : إنك نبيّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشُهُ ، وترجع إليه نفسُه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدّث عن ذلك ، قال : فبينا أنا أمشي يومًا ، إذ رأيتُ الملَك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرسيّ بين السّماء والأرض ، فجُئِثتُ منه رعبًا ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زمّلوني ، فزمّلناه — أي دثّرناه — فأنزل الله عزّ وجلّ :

---

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، قال الزّهرىّ : فكان أوّل شيء أنزل عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] .

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : أخبرَنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَنى أبو سلمة بن عبد الرّحمن ، أنّ جابر بنَ عبد الله الأنصارىّ ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهويحدّث عن فتْرة الوحى : بينا أنا أمشِى سمعتُ صوتًا من السّماء، فرفعت رأسى ، فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسىّ بين السّماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجُئثت منه فرَقًا ، وجئت فقلت : زمّلونى ، زمّلونى! فدثّرونى ، فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحى[1] .

١١٥٦/١

* * *

قال أبو جعفر : فلما أمرَ الله عزّ وجلّ نبيه محمّداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومِه عقابَ الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربّهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذى خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، وذلك – فيما زعم ابن إسحاق – النبوّة .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ، أى ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوّة فحدّث ؛ اذكرها وادعُ إليها . قال : فجعلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوّة سرًّا إلى مَنْ يطمئنّ إليه من

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أوّل مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلْق الله — فيما ذكر — زوجته خديجة رحمها الله[1] .

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال: قال الواقديّ: أصحابُنا مجمِعون على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر : ثم كانَ أوّل شيء فرَضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلْع الأنداد الصلاةُ — فيما ذكر .

١١٥٧/١ حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمّد بن إسحاق، قال: وحدّثني بعضُ أهلِ العلم أنّ الصّلاة حين افترِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أتاه جَبْرَئيل وهو بأعلَى[2] مكة، فهمزَ له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضّأ جبرئيل عليه السلام، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليريَه كيف الطَّهور للصلاة، ثم توضّأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضّأ، ثم قام جبرئيل عليه السلام، فصلّى به وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاته. ثم انصرف جبرئيل عليه السّلام، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة، فتوضّأ لها يُريها كيفَ الطَّهور للصّلاة؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام، فتوضأتْ كما توضّأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام، فصلتْ بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا هارون بن المغيرة وَحكّام بن سَلْم،

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبى هاشم الواسطىّ ، عن ميمون بن سياه ، عن أنس بن مالك، قال : لما كان حينُ نبِّئَ النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، وكان ينام حولَ الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأتاه ملكان: جبرئيل وميكائيل، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمِرْنا بسيّدهم ، ثم ذهبا ثم جاءا من القِبْلة ، وهم ثلاثة ، فألفَوْه وهو نائم ، فقلبُوه لظهره، وشقُّوا بطنه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان فى بطنه من شكّ أو شِرْكٍ أو جاهليّة أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، مُلِئَ إيمانًا وحِكْمة ، فملئ بطنه وجوفه إيمانًا وحكمة ، ثم عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ فقال : جَبْرئيل؛ فقالوا : مَنْ معك؟ فقال : محمّد، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحبًا ، فدعَوْا له فى دعائهم، فلمّا دخل ؛ فإذا هو برجل جَسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوْا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا فى السّموات كلّها كما قال وقيل له فى السّماء الدّنيا، فلما دخلَ ، إذا برجُليْن ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جَبْرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السّماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فُضّل بالحسُنْ على النّاس ، كما فُضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتِىَ به السّماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ :﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[1] ، ثم أتِىَ به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتِىَ به السّماء السّادسة ، فإذا هو برجل فقال : من هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السّماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضًا من اللبن ، وأحلَى من العسل ، بجنبتيه قِباب الدرّ ، فقال : ما هذا ياجبرئيل ؟ فقال : هذا الكَوْثَرُ الذى

١١٥٨/١

(١) سورة مريم ٥٧ .

أعطاك ربُّك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفَرُ ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وهى سدرة نَبْق أعظمُها أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربُّك عزّ وجلّ : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[1] ، فجعل يتغشّى السدْرَةَ من دُنُوّه[2] ربها تبارك وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهّمه وعلّمه وفرض عليه خمسين صلاة، فمرّ على موسى ، فقال : ما فَرَض على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسَلْه التخفيف لأمّتك ، فإنّ أمّتك أضعفُ الأمم قوّة، وأقلّها عمراً؛ وذكَر ما لقى من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال :ارجع إلى ربّك فسله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسلْه التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غيرَ عاصيك ؛ وقذف فى قلبه ألّا يرجع ، فقال الله عزّ وجلّ : « لا يبدّل كلامى ، ولا يردّ قضائى وفرضى » ، وخفّف عن أمتى الصلاة لعشْر . قال أنس: وما وجدت ريحًا قطّ ولا ريحَ عَروس قطّ، أطيب ريحًا من جِلْدِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ ألزقت جلدى بجلده وشمِمْتُه .

١/١١٥٩

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف السَّلَف فيمن اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمن به وصدّقه على ما جاء به[3] من عندِ الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلّى معه .

فقال بعضهم :كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام .

(١) سورة النجم ٩ .
(٢) ح : « نور » .
(٣) ح : « جاءه » .

* ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة[١] ، عن أبي بَلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أوّل مَنْ صلّى عليٌّ .

١١٦٠/١

حدّثنا زكريّاء بن يحيى الضّرير ، قال: حدّثنا عبد الحميد بن بحر ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمّد بن عَقِيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال :حدّثنا محمّد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرْقم ، قال : أوّل مَنْ أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليٌّ بن أبي طالب . قال : فذكرتهُ للنَّخَعِيّ ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أوّلُ مَنْ أسلم .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا وكيع ، عن شُعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي حَمْزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليٌّ بن أبي طالب عليه السّلام .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت زيد بن أرقم ، يقول : أوّلُ رجل صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم عليٌّ عليه السّلام .

حدّثنا أحمد بن الحسن التّرمذيّ، قال: حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال: أخبرنا العَلاء[٢] ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبّاد بن عبد الله ، قال: سمعتُ عليًّا يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصِّدّيق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب[٣] مُفْتَرٍ، صلّيت مع رسول الله قبْلَ النّاس بسبع سنين .

---

(١) ر : « سعيد » .
(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .
(٣) ر : « كذاب » .

حدّثنى محمّد بن عبيد المحاربى ّ[1] ، قال : حدّثنا سعيد بن خُثَيم ، عن أسد بن عَبْدة البجَلىّ ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئتُ فى الجاهلية إلى مكّة ، فنزلت على العبّاس بن عبد المطلب . قال : فلمّا طلعت الشمس وحَلَّقت فى السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ ، فرمى ببصره إلى السّماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبثْ حتّى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبَثْ حتّى جاءت امرأة ، فقامت خَلْفهما ، فركع الشابُّ ، فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشابّ فرفع الغلام والمرأة ، فخرّ الشابّ ساجداً فسجدا معه ، فقلت : يا عبّاس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدرى مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمّد بن عبد الله بن عبدالمطّلب ، ابن أخى . أتدرى مَنْ هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علىُّ بن أبى طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخى . أتدرى مَنْ هذه المرأة الّتى خلْفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجة بنت خُويلد ، زوجة ابن أخى ، وهذا حدّثنى أنّ ربّك ربّ السماء ، أمرهم بهذا الذى تراهم عليه ، وايْمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدّين غير هؤلاء الثلاثة .

١١٦١/١

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا محمّد ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يحيى بن أبى الأشعث الكِنْدىّ ، من أهل الكوفة ، قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العبَّاس ، فبينا نحن عنده إذ خرجَ رجلٌ يصلّى ، فقام تُجاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلى ، وخرج غلام فقام يصلّى معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدّين ؟ إنّ هذا الدّينَ ما أدرى ما هو ؟ قال : هذا محمّد بن عبد الله ، يزعُم أنّ الله أرسله به ، وأنّ كُنوز كسرى وقيصر ستفتَح عليه ، وهذه امرأتُه خديجة بنت خُوَيلد آمنت به ، وهذا الغلام ابنُ عَمّه علىّ بن أبى طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتَنى كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعًا !

١١٦٢/١

(١) ر : « النجارى » .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمةَ بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، قال سلَمة : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبى الأشعث — قال أبو جعفر : وهو فى موضع آخر من كتابى عن يحيى بن الأشعث — عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندىّ — وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندىّ لأمّه ، وكان ابن عمه — عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العبّاس ابن عبد المطلب لى صديقًا ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشترى العِطْرَ فيبيعه أيّام الموسم ؛ فبينا أنا عند العبّاس بن عبد المطلب بِمنًى ، فأتاه رجل مجتمع ، فتوضّأ فأسبغَ الوضوء ، ثم قام يصلّى ، فخرجت امرأةٌ فتوضّأت وقامت تصلّى ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضّأ ، ثم قام إلى جَنْبه يصلّى ، فقلت : وَيحك يا عبّاس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أنّ الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىّ بن أبى طالب قد تابَعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتْه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ورسخ الإسلام فى قلبه : يا ليتنى كُنتُ رابعًا ! ١١٦٢/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، قال : حدّثنا محمّد بن المنكدِر[1] وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وأبو حازم المدنى[2] ، والكلبىّ ، قالوا : علىّ أوّل مَنْ أسلم . قال الكلبىّ : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أوّل ذَكَرٍ آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله ، علىّ بن أبى طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان ممّا أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب عليه السّلام ، أنه كان فى حِجْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

---

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المرى » .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد بن جبْر أبى الحجّاج، قال : كان مِنْ نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، وما صنعَ الله له وأراده به من الخير ، أنّ قريشًا أصابتْهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عمّه — وكان من أيْسَرِ بنى هاشم : يا عبّاس؛ إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب النّاس ما ترى من هذه الأزْمة ، فانطلِقْ بنا فلنخفّف عنه من عياله؛ آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ من بنيه رجلاً، فنكفهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتّى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عقَيلاً ١١٦٤/١ فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم عليًّا فضمّه إليه، وأخذ العبّاس جعفراً فضمّه إليه، فلم يزل علىّ بن أبى طالب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى بعثه الله نبيًّا ، فاتّبعه علىّ فآمن به وصدّقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتّى أسلم واستغنى عنه[1] .

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: فحدّثنى محمّد بن إسحاق، قال : وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شِعاب مكّة، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مستخفيًا من عمّه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصّلَوات فيها ؛ فإذا أمسيا رَجَعا ، فمكثا كذلك ما شاء الله أنْ يمكثا . ثمّ إنّ أبا طالب عثَر عليهما يومًا وهُمَا يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يابن أخى، ما هذا الدّين الذى أراك تدين به ؟ قال : أىْ عمّ ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال — بعثنى الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهُدَى ، وأحقُّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعاننى عليه — أو كما قال. فقال أبو طالب : يابن أخى ؛ إنى لا أستطيع أن أفارقَ دينى ودينَ آبائى وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يُخلَص إليك[1] بشىء تكرهه ما حييت[2] .

---

(١) ر : « لا يخلص إليك شىء » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعليّ بن أبي طالب : أيْ بُنَيّ ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبَهْ ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوكَ [١] إلاّ إلى خَيْر ، فالزمْه[٢] .

١١٦٥/١

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : أسلَم عليٌّ وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقديّ : واجتمع أصحابنا على أنّ عليًّا أسلم بعد ما تنبّأ رسولالله صلّى الله عليه وسلّم بسنة ، فأقام بمكّة اثنتى عشرة سنة .

* * *

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه .

ذكر من قال ذلك :

حدّثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مَغْراء ، عن مُجَالِد ، عن الشعبيّ ، قال : قلت لابن عبّاس : مَنْ أوّل الناس إسلامًا ؟ فقال : أما سمعت قول حسّان بن ثابت :

إذا تذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فَاذْكُرْ أخاكَ أبا بَكْرٍ بما فَعَلَا[٢]
خيْرَ البَرِيَّةِ أتْقاها وأعْدَلَهَا ... بَعْدَ النَّبِيِّ وأوْفاها بما حَمَلا
الثانِيَ التَّالِيَ المَحْمُودَ مَشْهَدُهُ ... وأَوَّلَ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا

---

(١) ح ، ر : « يدعو » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .
(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازيّ ، قال : حدّثنا الهَيْثَم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه[١] . ١١٦٦/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدّثنا الهيثم ابن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس نحوه .

حدّثنا بَحر[٢] بن نصر الخولانيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن وَهْب ، قال : أخبرَني معاوية بن صالح ، قال : حدّثني أبو يحيى وضَمْرة بن حبيب وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهليّ ، قال: حدّثني عمرو بن عبسة[٣] قال : أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو نازل بعُكاظ ، قلت: يا رسولَ الله ، مَنْ تبِعك على هذا الأمر ؟ قال : اتّبعني عليه رجلان ؛ حرٌّ وعبد : أبو بكر وبلال ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتُني إذ ذاك رُبْع الإسلام .

حدثني ابنُ عبد الرحيم البَرْقيّ ، قال : حدّثنا عمرو بن أبي سَلمة ، قال : حدّثنا صدَقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذرّ وابن عبَسة كلاهما يقول: لقد رأيتُني رُبْع الإسلام ، ولم يُسْلِم قبْلي[٤] إلا النبيّ وأبو بكر وبلال ، كلاهما لا يدري[٥] متى أسلم الآخر .

حدّثنا ابنُ حَميد، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : أوّل مَنْ أسلم أبو بكر .

حدّثنا أبو كُرَيب، قال : حدّثنا وكيع ، قال : حدّثنا شُعبة، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال إبراهيم النَّخعيّ : أبو بكر أوّل مَنْ أسلم .

* * *

---

(١) ح : « بنحوه » .

(٢) م : « يحيى » .

(٣) في الأصول : « عنبسة » .

(٤) م : « قبل » .

(٥) م : « لا ندري » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبى بكر جماعة .

١١٦٧/١ * ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا كنانة بن جبَلة ، عن إبراهيم بن طَهْمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قَتادة ، عن سالم بن أبى الجَعْد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبى : أكان أبُو بكر أوّلكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكنْ كان أفضَلنا إسلامًا .

* * *

وقال آخرون : كان أوّلُ مَنْ آمن واتبع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الرجال زيد بن حارثة مولاه .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، قال : سألت الزُّهرىّ : مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرّجال زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد ابن عمر ، قال : حدّثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد — يعنى ابن عمر — قال : حدّثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبى أنَس مثلــه .

وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا عبدُ الملك ابن مسلَمة ، قال : حدثنا ابن لَهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عُروة ، قال : أوّلُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه : ثم أسلَم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فكان

أوّل ذَكَرٍ[1] أسلم، وصلّى بعد علىّ بن أبى طالب ، ثم أسلم أبو بكر بن ١١٦٨/١
أبى قُحافة الصدّيق ، فلما أسلم أظهر إسلامَه[2] ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ
وإلى رسوله . قال: وكان أبو بكر رجلاً مألفًا لقومه، محببًا سهلاً ، وكان
أنسَب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير أو شرّ ،
وكان رجلاً تاجراً ذا خلُق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير
واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام
مَنْ وثِق به من قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه — فيما بلغنى —
عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن
أبى وقّاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين
استجابوا له ، فأسلموا وصلَّوْا ، فكان هؤلاء الثمانية ، النّفر[3] الذين سبقوا إلى
الإسلام، فصلَّوْا وصدّقُوا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآمنوا بما جاء به من
عند الله ؛ ثم تتابع الناسُ فى الدخول فى الإسلام ؛ الرجال منهم والنساء ؛
حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكّة وتحدّث به الناس[4] .

وقال الواقدىّ فى ذلك ما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ،
عنه : اجتمعَ أصحابُنا على أنّ أوّلَ أهل القبلة استجابَ لرسولِ الله صلى الله
عليه وسلّم خديجة بنت خُوَيلد ، ثم اختلف عندنا فى ثلاثة نَفر : فى أبى بكر
وعلىّ ، وزيد بن حارثة ، أيّهم أسلم أوّل .

قال : وقال الواقدىّ : أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامسًا ،
وأسلم أبو ذرّ ، قالوا : رابعًا أو خامسًا ، وأسلم عمرو بن عَبَسة السّلمىّ ،
فيقال: رابعًا أو خامسًا . قال : فإنما اختلف عندنا فى هؤلاء النفر أيّهم أسلم ١١٦٩/١
أوّل ؛ وفى ذلك روايات كثيرة . قال: فيُختلف فى الثلاثة المتقدمين ، وفى
هؤلاء الذين كتبنا بعدهم .

---

(١) ر : « من » .
(٢) ح ، م : « الإسلام » .
(٣) كذا فى ح وفى ط : « نفر » ، وفى ابن هشام : « النفر الثمانية » .
(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنى مُصعب بن ثابت ، قال : حدّثنا أبوُ الأسود محمّد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نَوْفل ، قال : كان إسلام الزُّبير بعد أبى بكر ، كان رابعًا أو خامسًا .

وأمّا ابن إسحاق، فإنّه ذكر أنّ خالد بن سعيدبن العاص وامرأته أمَينَة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خُزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتُهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السّابقين إلى الإسلام[١] .

* * *

ثم إنّ الله عزّوجلّ أمر نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدَع بما جاءه منه ، وأن ينادِىَ الناسَ بأمره ، ويدعوَ إليه ، فقال له : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢]، وكان قبل ذلك — فى السّنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أُمر بإظهار الدّعاء إلى الله — مستسرًّا مخفيًا أمره صلّى الله عليه وسلّم، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣] ، قال: وكان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلَّوْا ذهبوا إلى الشِّعاب ، فاستخفَوْا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبى وقّاص فى نَفَر من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى شِعْب من شِعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلُّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتّى قاتلوهم ، فاقتتلوا ، فضرب سعد بن أبى وقّاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْىِ جملٍ فشجّه ، فكان أوّلَ دم أهَريق[٤] فى الإسلام[٥] . ١١٧٠/١

فحدّثنا أبو كُرَيب وأبو السائب ، قالا : حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

---

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .
(٢) سورة الحجر ٩٤ .
(٣) سورة الشعراء ٢١٤ — ٢١٦ .
(٤) ح : « هريق » .
(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩

صعِد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم الصَّفَا ، فقال : ياصَبَاحاه ! فاجتمعتْ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إنْ أخبرتكم أنّ العدوّ[١] مصبّحكم أو ممسِّيكم ، أما كنتم تصدّقوننى ! قالوا : بَلَى ؛ قال : فإنى نذير لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ألهذا دعوتنا — أو جمعتنا ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ ﴾[٢] إلى آخر السورة .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : لما نزلتْ هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٣] ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم حتى صعِد الصّفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذى يهتِف ؟ قالوا : محمّد ، فقــال : يا بنى فلان ، يا بنى عبد المطّلب ، يا بنى عبد مناف! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتُكم أنّ خيلاً تخرج بسفْح هذا الجَبَل ، أكنتم مصَدّقِىَّ ؟ قالوا : ما جرّبنا عليك كذبًا ، قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يدىْ عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ما جمعتنا إلاّ لهذا! ثم قام، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

١١٧١/١ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فقال لى : يا علىّ ، إنّ الله أمرَنِى أن أنذِر عشيرتى الأقربين ،

---

(١) ح : « العذاب » .
(٢) سورة المسد (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعًا، وعرفت أنّى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليه حتّى جاءنى جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلاَّ تَفْعل ما تؤمر به يُعذّبْك ربُّك ، فاصنعْ لنا صاعًا من طعام ، واجعل عليه رَحْلَ شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لبن ؛ ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أكلّمهم [١]، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتُهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطّعام الذى صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعتُه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلّمَ حِذْيةً [٢] من اللحم ، فشقّها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحى الصَّحْفة . ثمّ قال : خذُوا بسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجة وما أرى إلاّ موضع [٣] أيديهم ، وايمُ الله الذى نَفْسُ علىّ بيده ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكلُ ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتّى روُوا منه جميعًا ، وايمُ الله إن كان الرجلُ الواحد منهم ليَشرب مثْله ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أن يكلّمهم بدرَهُ أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهَدّما [٤] سحركم صاحبُكم ! فتفرّق القوم ولم يكلّمْهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : الغد يا علىّ ؛ إنّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلىّ .

١١٧٢/١

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعانى بالطعام فقرّبته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى مالهم بشىء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا حتّى رَوُوا منه جميعًا ، ثم تكلّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إنى والله ما أعلمُ شابًّا فى العرب جاء قومَه

---

(١) م : « أعلمهم » .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طولا .

(٣) ابن الأثير : « مواضع » .

(٤) لهدّ : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبته من التفسير والنهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٢ .

بأفضل مما قد جئتكم به؛ إنى قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوَكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيّى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القومُ عنها جميعًا ، وقلت : وإنى لأحدثُهم سنًّا ، وأرمصهم[1] عينًا ، وأعظمهم بطنًا ، وأحمشهم ساقًا[2] ؛ أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرَك عليه . فأخذ برقبتى ، ثم قال : إن هذا أخى ووصيّ وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع [3] . ١١٧٣/١

حدّثنى زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا عفان بن مسلم ، قال : حدّثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبى صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أنّ رجلاً قال لعلىّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بمَ ورثت ابنَ عمّك دون عَمّك؟ فقال علىّ : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرأبَّ الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جَمَع رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو دعا رسول الله — بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفرْقَ[4] ، قال : فصنع لهم مُدًّا من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطّعام كما هو ؛ كأنه لم يمسّ . قال : ثم دعا بغُمَر[5] فشربوا حتى رَوُوا وبقىَ الشراب كأنه لم يمسّ ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إنى بُعثتُ إليكم بخاصّة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأيّكم يبايعنى علىَ أن يكون أخى وصاحبى ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحدٌ ، فقمت إليه — وكنت أصْغَرَ القوم — قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كلّ ذلك أقوم إليه ، فيقول لى : اجلس ، حتى كان

---

(١) الرمص فى العين كالغمص ، وهو قذى تلفظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حمش الساقين : دقيقها .

(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق ، بكسر الفاء ، و بعضهم يقول بالفتح : مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القدح الصغير ، وفى ر : « بعس » .

فى الثالثة ، فضرب بيده على يدى ، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمّى دون عمّى .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بنى عبد المطّلب ، يابنى عبد مناف ، يا بنى قصىّ — قال : ثم فخَذَ[1] قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مرّ[2] على آخرهم — إنى أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه[3] .

١/١١٧٤

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا جارية بن أبى عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يصدَع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادِىَ الناس بأمره ، وأن يدعوَهم إلى[4] الله ، فكان يدعو مِن أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين ، مستخفيًا ، إلى أن أمِر بالظهور للدعاء[5] .

قال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عنه : فصدع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادَى قومَه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردّوا عليه بعض الردّ — فيما بلغنى — حتى[6] ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلاّ مَنْ عصم الله منهم[7] بالإسلام ؛ وهم قليل مستخفُون ، وحَدِب عليه أبو طالب عَمّه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم : دعاهم فخذا فخذا ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفى ر : « عد » .
(٢) ح : « أتى » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .
(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .
(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .
(٦) م : « عن » .
(٧) زاد فى ح : « عن ذلك » .

على أمرِ الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لايُعتبهم[١] مِنْ شيء [يكرهونه مما][٢] أنكروه عليه من فراقهم وعيْب آلهتهم ، ورأوْا أنّ أبا طالب قد حَدِبَ عليه ، وقام دونه فلم يُسلِمْه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبى طالب : عُتْبة ابن ربيعة ، وشيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج – أو مَنْ مشى إليه منهم – فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أخيك قد سبّ آلهتَنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامَنا ، وضلّل آباءنا ؛ فإمّا أن تكفّه عنّا ، وإما أنْ تُخَلّىَ بيننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكَه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقًا ، وردّهم ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ما هو عليه ؛ يظهِر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شرِىَ[٣] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، وتذامروا فيه ، وحَضّ بعضُهم بعضًا عليه . ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًّا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شَتْم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو ننازله وإيّاك فى ذلك ؛ حتى يهلِك أحدُ الفريقين – أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم له ؛ ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذْلانِه[٤].

١١٧٥/١

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفَضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّىّ : أنّ ناسًا من قريش اجتمعوا[٥] ، فيهم أبو جهل

١١٧٦/١

---

(١) م : « يغنيهم » ، ولا يعتبهم ، أى لا يرضيهم .

(٢) من ح .

(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث؛ فى نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبى طالب فنكلمه[١] فيه؛ فلينصفنا منه، فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذى يعبد؛ فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شىء فتعيرنا العرب؛ يقولون: تركوه؛ حتى إذا مات عمه تناولوه.

قال: فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبى طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك[٢] وسرواتهم، يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه، قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه.

قال: فبعث إليه أبو طالب، فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يابن أخى؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم، وقد سألوك[٣] النصف، أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك. قال: أى عم، أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ قال: وإلام تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم. قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هى وأبيك؟ لنعطينكها[٤] وعشرا[٥] أمثالها. قال: تقول: لا إله إلا الله، قال: فنفروا [وتفرقوا][٦] وقالوا: سلنا غير هذه. فقال: لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها! قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابى، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذى يأمرك بهذا، ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٧].

١١٧٧/١

(١) ر والتفسير: «فلنكلمه».
(٢) ر: «قريش»، وسروات القوم: سادتهم.
(٣) م: «سألوا».
(٤) ر: «لنعطيكها»، م: «نعطيكها».
(٥) ح: «وعشرا معها».
(٦) من ح وابن الأثير.
(٧) سورة ص: ٦، ٧.

وأقبل على عَمّه فقال له عَمّه : يابن أخى ، ما شططتَ عليهم ، فأقبل على عمّه فدعاه ، فقال : قل كلمةً أشهدُ لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب ، يقولون[١] : جزع من الموت لأعطيتُكها ؛ ولكن على ملّةِ الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٢].

حدثنا أبو كُرَيب وابن وَكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا عبّاد ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : لما مَرِض أبو طالب ، دخل عليه رَهْطٌ من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنّ ابنَ أخيك يشتِم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قَدْر مجلس رجل ، قال : فخشِىَ أبو جهل إنْ جلس إلى جنب أبى طالب أن يكون أرقّ[٣] له عليه ، فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قُرْبَ عَمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابنَ أخى ! ما بالُ قومك يشكُونَك ؛ يزعمون أنك تشتمُ آلهتَهم وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القولِ ، وتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعمّ ، ١١٧٨/١ إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدّى إليهم بها العجم الجِزْية . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمةً واحدة : نعم وأبيك عشرًا . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأىّ كلمةٍ هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فزعين ينفضُون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .
(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر فى التفسير ٢٣ : ٨١ (بولاق) .
(٣) ح : « أرأف » .

إلى قوله : ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾[١] . لفظ الحديث لأبى كريب[٢] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يعقوب ابن عُتْبَة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث أنّ قُريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : يابن أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ، فأبقِ علىّ وعلى نفسك ولا تُحمِّلْنى من الأمر مالاأطيق ! فظن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدَا لعمه فيه بَدَاء[٣] ، وأنه خاذلُه ومُسلِمُه ، وأنه قد ضعُف عن نُصرته والقيامِ معه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمّاه ، لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته.[٤] ثم استعبَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ، فلمّا ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أخى ، فأقبل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : اذهب يابنَ أخى ، فقل ما أحببتَ فوالله لا أسلِمُك لشىء أبداً .

١/١١٧٩

قال : ثم إنّ قريشًا لما عرفتْ أنّ أبا طالب أبَى خذلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعداوتهم ، مشوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

---

(١) سورة ص ٥ — ٨ .

(٢) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٧٩ (بولاق) .

(٣) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيلى : «خص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المحوّة ؛ اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ؛ فقتلَ الرجل فى صفين مع معاوية ».

ابن الوليد أنْهَدُ[١] فتىً فى قريش وأشعَرُه وأجمله ، فخذه فلك عقلُه ونُصْرته ، واتَّخذْه ولداً ؛ فهو لك ، وأسلِمْ لنا ابنَ أخيك – هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامَهم – فنقتله ؛ فإنما رَجلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئسَ ما تسومُوننى ! أتُعطوننى ابنَكم أغذُوه لكم ، وأعطِيكُم ابنى تقتلُونه ! هذا والله مالا يكون أبدا[٢] . فقال المُطْعِم ابن عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص[٣] ممَّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تَقْبل منهم شيئًا ، فقال أبو طالب للمطعِم : والله ما أنصفونِى ؛ ولكنَّك قد أجمعتَ خِذلانى ومظاهرةَ القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقِب[٤] الأمر عند ذلك ، وحَمِيت الحرب ، وتنابذ القوم ، وبادَى بعضهم بعضًا .

قال : ثم إنّ قُريشًا تذَامروا على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلمُوا معه . فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ علىَ مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويَفْتِنونهم عن دينهم ، ومنَع اللهُ رسولَه منهم بعمّه أبى طالب، وقد قام أبو طالب حينَ رأى قريشًا تصنع ما تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منْع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا[٥] معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدَّفْع عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلاّ ما كان من

١١٨٠/١

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهد ؛ للذى يتقدم الخيل . قال السهيلى : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفى رواية أخرى عن السهيلى أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمه ! لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبداً وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلى : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل فى الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أبى لَهَب ؛ فلما رأى أبو طالب مِنْ قومه ما سرَّه من جِدّهم معه ؛ وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهُم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ ومكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم[١] .

* * *

حدّثنا على بن نصر بن على الجهضمىّ ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث — قال على بن نصر : حدّثنا عبدُ الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبدُ الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنّه — يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — لمّا دعا قومه لمّا بعثه[٢] الله من الهُدى والنور الذى أنزل عليه ، لم يبعُدوا منه أوّل ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ؛ حتى ذكر طواغيتَهم . وقدِم ناس من الطائف من قُريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدُّوا عليه ، وكرهوا ما قال [لهم][٣] ، وأغرَوْا به مَنْ أطاعهم ، فانصفق[٤] عنه عامّةُ الناس ، فتركوه إلاّ من حفظه الله منهم ؛ وهم قليل ؛ فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث . ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتِنوا مَنْ تبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على مَن اتَّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل الإسلام ؛ فافتتن مَن افتتن ، وعَصَم الله منهم مَنْ شاء ؛ فلمّا فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يخرجُوا إلى أرض الحبَشة — وكان بالحبشة مَلِكٌ صالح يقال له النجاشىّ ، لا يُظلَم أحدٌ بأرضه ، وكان يثنى[٥] عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة مَتْجَراً لقريش يتّجرون فيها ، يجدون فيها رَفاغاً[٦] من الرزق ، وأمنًا ومتجراً حسنًا —

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .
(٢) م : « بما بعثه الله » .
(٣) من ح .
(٤) انصفقوا عنه : انصرفوا .
(٥) يثنى عليه ، أى يشيع عنه .
(٦) كذا فى الطبرى ، وفى اللسان : « ترفغ الرجل : توسع ، وإنه لفى رفاغة ورفاغية من العيش » .

فأمرهم بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فذهب إليها عامّتهم لما قهروا بمكّة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبْرح ، فمكث بذلك سنوات ؛ يشتدّون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم .

* * *

قال أبو جعفر : فاختُلف فى عددِ مَنْ خَرَج إلى أرض الحبَشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهى الهجْرة الأولى .

فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأرْبَعَ نسوة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا يونس بن محمد الظَّفَرِىّ ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عُبيد الله بن العباس الهُذلىّ ، عن الحارث بن الفُضَيْل ؛ قالا : خرج الذين هاجروا الهجرَة الأولى متسلّلين سرًّا ، وكانوا أحدَ عشرَ رجلا وأربعَ نسوة ، حتى انتهوْا إلى الشُّعَيْبة ؛ منهم الراكب والماشى ، ووفّق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتّجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مَخْرَجُهُم فى رجب[1] فى السنة الخامسة ، من حين نبِّئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاءوا البحر ؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً . ١١٨٢/١

قالوا : وقدمنا أرضَ الحبشة ، فجاورْنا بها خير جارٍ ؛ أمِنّا على ديننا ، وعبَدْنا الله ، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه[2] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدّثنى يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدّثنى

---

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤

عبد الحميد[١] ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عُتْبَة بن ربيعة معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل ابن عمرو ، والزّبير بن العوام بن خُوَيلد بن أسد ، ومُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وعبد الرّحمن بن عوْف بن عبد عوْف ابن الحارث بن زُهرة ، وأبو سَلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلَمة بنت أبي أميّة بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظْعون الجُمَحيّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزِيّ ؛ من عَنْز بن وائل — ليس من عَنَزَة — حليف بني عديّ بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبي حَثْمةَ ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة[٢] . ١/١١٨٣

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين — سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها — اثنين وثمانين رجلا ؛ إن كان عمّار بن ياسر فيهم ؛ وهو يشكّ فيه !

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو[٣] فيه من العافية بمكانه من الله وعمّه[٤] أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعَهم ممّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبَشة ! فإنّ بها ملِكاً

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .
(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤
(٣) م : « وما هم » .
(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلَم أحدٌ عنده ، وهى أرضِ صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرضِ الحبَشة مخافة الفِتْنة ؛ وفِراراً إلى الله عزّ وجلّ بدينهم ؛ فكانت أوّل هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أوّلَ مَنْ خرج من المسلمين من بنى أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف عثمانُ بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقيّة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عَبْد شمس أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤىّ ؛ ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصّى الزبير بن العوام . ١١٨٤/١

فعدّ النفَر الذين ذكرهم الواقدىّ ؛ غيرَ أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزىّ بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطِب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لؤىّ . قال : ويقال : هو أوّلُ مَنْ قدِمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العَشَرة أوّل مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فيما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه لا أهلَ معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلا ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومَنْ كان منهم معه أهله وولده ؛ ومَنْ ولد له بأرض الحبَشة ، ومَنْ كان منهم لا أهلَ معه[1] .

* * *

قال أبو جعفر : ولما خرج مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرضِ الحبَشة مهاجراً إليها ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ١١٨٥/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٤ .

مقيمٌ بمكة ، يدعُو إلى الله سرًّا وجهراً ، قد منَعه الله بعمّه أبي طالب وبمَن استجاب لنُصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنّهم لا سبيلَ لهم إليه ، رموْه بالسحْر والكَهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا منه أن يسمع قوله فيتّبعه ؛ فكان أشدّ مابلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه عُرْوة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلتُ له : ما أكثر [(١)] ما رأيتَ قريشًا أصابت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانت تُظْهِر من عداوته ! قال : قد حضرتُهم وقد اجتمع أشرافُهم يومًا فى الحِجْر ، فذكروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صبرنا عليه من هذا الرجل قَطّ ! سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ! لقد صبرْنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينا هُمْ كذلك إذْ طلَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفًا بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزُوه [(٢)] ببعض القول . قال : فعرفتُ ذلك فى وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثمّ مضَى ، فلمّا مرّ بهم الثانية غمزُوه مثلها ؛ فعرَفت ذلك فى وجهه ، ثم مضَى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أتسمعون يا معشرَ قريش ! أما والذى نفسُ محمدٍ بيده ، لقد جئتكم بالذّبح [(٣)] ! قال : فأخذت القومَ كلمته ؛ حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إنّ أشدّهم فيه وصاةً [(٤)] قبل ذلك ليرفؤه [(٥)] بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنتَ جهُولاً [(٦)] !

١١٨٦/١

---

(١) م : « ما أكبر » .
(٢) غمزوه : طعنوا فيه .
(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .
(٤) الوصاة : الوصية .
(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفق به ، وفى ر : « ليلقاه » .
(٦) ر : « ما كنت جهولا قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا فى الحِجْر ، وأنا معهم ، فقال بعضهُم لبعض : ذكرتم ما بلَغ منكم، وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبيناهم كذلك إذْ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثْبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم آخذاً بجُمْع ردائه . قال : وقام أبو بكر الصدّيق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربّى الله ! ثم انصرفوا عنه . فإنّ ذلك أشدّ ما رأيتُ قريشًا بلغت منه قطّ[١] .

حدّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا بشر بن بكر ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن ، قال : قلتُ لعبد الله بن عمرو : حدّثنى بأشدّ شىء رأيتَ المشركين صنَعُوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عُقْبة بن أبى مُعَيْط ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه فى عنُقه ، وخنَقَه خنقًا شديداً ، فقام أبو بكر مِنْ خلْفه ، فوضع يده على منْكبه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[٢]

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدّثنى رجل من أسلم كان واعيةً ، أنّ أبا جهل ابن هشام مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصَّفا ، فآذاه وشتَمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيْب لدينه والتضعيف له ، فلم يُكلّمْه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ومولاةٌ لعبدالله بن جُدْعان التّيمىّ فى مسكن لها فوق الصَّفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمَد إلى نادى[٣]

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : «إلى ناد من قريش» ، والنادى : مجلس القوم .

قُريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبثْ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشّحًا قوسَه ، راجعًا من قنَص[١] له – وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعلَ ذلك لم يمرّ على ناد من قريش إلاّ وقف وسلم وتحدّث معهم ، وكان أعزّ قريش وأشدّها شكيمة – فلمّا مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عُمارة ، لو رأيتَ ما لقِيَ ابنُ أخيك محمد آنفًا قبل أن تأتيَ من أبي الحكم بن هشام ! وجدَه ها هنا جالسًا فسبّه وآذاه ، وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد .

قال : فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعًا – لا يقف على أحد كما كان يصنع – يريد الطواف بالكعبة ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيَه أن يقع به ، فلمّا دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم ، فأقبلَ نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربَه بها ضربة فشجّه بها شجّةً منكَرة ، وقال : أتشتِمُهُ وأنا على دينه أقول ما يقول ! فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت ! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصُروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإني والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبًّا قبيحًا . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما كانوا ينالون منه[٢] .

١١٨٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يحيى بن عُروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّل من جهَر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة عبد الله بن مسعود ، قال : اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريشٌ بهذا القرآن يجهرُ لها به قطّ ، فمَنْ رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

---

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنّا نخشاهم عليك،إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعونى ، فإنّ الله سيمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضّحى ، وقريش فى أنديتها،حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ـ رافعًا بها صوته ـ ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ،قال: ثم استقبلها يقرأ فيها،قال: وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبْد ! ثم قالوا : إنه ليتلُو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلُغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَن علىّ منهم الآن[1]! لئن شئتم لأغادينّهم غداً بمثلها ، قالوا: لا ، حسبك،فقد أسمعتَهم مايكرهون[2] ١١٨٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبَشة القرارُ بأرض النّجاشىّ واطمأنّوا ، تآمرت قريشٌ فيما بينها فى الكَيْد بمن ضَوَى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومىّ إلى النّجاشىّ ، مع هدايا كثيرة أهدوْها إليه وإلى بطارقته ، وأمروهما أن يسألا النجاشىّ تسليم مَن قِبَله وبأرضه من المسلمين إليهم. فشخَص عمرو وعبد الله إليه فى ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومُهما ، فلم يصلا إلى ما أمّل قومهما من النجاشىّ ، فرجعا مقبوحَيْن ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم ـ وكان رجلا جَلْداً جليداً منيعًا ، وكان قد أسلَم قبل ذلك حمزةُ ابن عبد المطّلب، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنفسهم قوّةً، وجعل الإسلام يفشُو[3] فى القبائل،وحَمَى النجاشىّ مَنْ ضَوَى[4] إلى بلده منهم ـ اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتابًا

---

(١) ح : « اليوم » .
(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١
(٣) ح : « يقوى ويفشو » .
(٤) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألاَّ يُنكِحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة فى جوف الكعبة ، توكيداً بذلك الأمر على أنفسهم ،

١١٩٠/١ فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شِعْبِه[١] ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهَرهم عليه[٢] ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتيْن أو ثلاثاً ؛ حتى جهِدُوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شىء إلا سرًّا ، مستخفيًا به مَن[٣] أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقِىَ حكيم بنَ حزام بن خُويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عَمَّته خديجة بنت خويلد ، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشِّعب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطّعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرحُ أنت وطعامك حتى أفضحك[٤] بمكّة ! فجاء أبو البخترىّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمِل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البخترىّ : طعامٌ لعمّته عنده بعَثَتْ إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها ! خلِّ سبيلَ الرّجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البَخْترىّ لَحْىَ بعير[٥] ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطئًا شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلُغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمَتوا بهمْ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلّ ذلك ، يدعو قومَه سرًّا وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحى عليه من الله متتابِعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد[٦] مَنْ ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله

١١٩١/١ صلى الله عليه وسلّم علَى مَنْ خالفه[٧] .

---

(١) الشعب : الطريق فى الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ممن » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخترى إلى لحى جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أنّ أشرافَ قومِه اجتمعوا له يومًا – فيما حدّثنى محمد بن موسى الحرَشىّ ، قال : حدّثنا أبو خلَف عبد الله بن عيسى ، قال : حدّثنا داود ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ؛ أنّ قريشًا وعدُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكّة ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقِبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمّد ، وكُفّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعلَ فإنا نَعْرِضُ عليك خَصْلة واحدةً فهى لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هى ؟ قالوا : تعبُد آلهتنا سنةً ؛ اللات والعُزّى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظرَ ما يأتى من عند ربى ! فجاء الوحى من اللوح المحفوظ : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَاأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ إلى قوله : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

حدّثنى يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا ابن عُلَيّةَ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى سعيد بن ميناء ، مولى أبى البخترىّ ، قال : لقِىَ الوليدُ بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلمّ فلْنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشرَكك فى أمرنا كلّه ؛ فإن كان الذى جئت به خيراً مما فى أيدينا ، كنّا قد شرَكناك فيه ، وأخذنا بحظّنا منه ؛ وإن كان الذى بأيدينا خيراً مما فى يدك ، كنت قد شرَكتنا فى أمرنا ، وأخذت بحظّك منه . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ؛ حتى انقضت السورة[2] . ١١٩٢/١

فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حريصًا على صلاح قومه ، محبًّا مقاربتَهم بما وجد إليه السبيل، قد ذُكِر أنه تمنّى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره فى ذلك ما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال :

---

(١) سورة الزمر ٦٤ – ٦٦ ، والخبر فى التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .
(٢) الخبر فى التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدنىّ[١] ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلِّىَ قومه عنه ، وشقّ عليه ما يرَى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله ، تمنّى فى نفسه أن يأتيَه من الله ما يقاربُ[٢] بينه وبين قومه، وكان يسرُّه مع حبّه قومَه ، وحرصِه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدّث بذلك نفسَه ، وتمنّاه وأحبّه، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى ۝ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾[٣]، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدّث به نفسه ، ويتمنىّ أن يأتىَ به قومه : « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لتُرتجى » ؛ فلما سمعتْ ذلك قريش فرحوا ، وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له — والمؤمنون مصدّقون نبيَّهم فيما جاءهم به عن ربّهم ، ولا يتّهمونه على خطإ ولا وهم ولا زلل — فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجدَ فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيّهم ، تصديقًا لما جاء به ، واتّباعًا لأمره ، وسجد مَنْ فى المسجد من المشركين من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلاّ الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخًا كبيراً ، فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرّق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسنِ[٤] الذكر ، قد زعم فيما يتلُو: «أنها الغرانيقُ العُلا ، وأنّ شفاعتهُنّ تُرتضى » وبلغت السجدة مَن بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل: أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ماذا

١١٩٣/١

---

(١) ر : « المرى » .
(٢) ر : « يقرب » .
(٣) سورة النجم ١ — ٢٠
(٤) ر : « فأحسن » .

صنعتَ ! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزّ وجلّ ، وقلت مالم يقل لك ! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديداً ، وخاف من الله خوفًا كثيراً[١] ، فأنزل الله عزّ وجلّ — وكان به رحيماً — يعزّيه ويخفّض عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبيّ ولا رسول تمنّى كما تمنّى ، ولا أحبّ كما أحبّ إلاّ والشيطان قد ألقى فى أمْنيّته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ[٢] الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أى فإنما أنت كبعض الأنبياء والرّسل ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣] ، فأذهب الله عزّ وجلّ عن نبيّه الحزن ، وآمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرانيقُ العلا وأنّ شفاعتهن ترتضى » ، بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أى عَوْجاء ، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ — إلى قوله — ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[٤] ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عندَه !

١١٩٤/١

فلمّا جاء من الله ما نسخ[٥] ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيّه[٥] ، قالت قريش : ندِم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانِكَ الحرْفَان اللّذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا فى فم كلّ مشرك ، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه[٦] ، وشدّةً على مَنْ أسلم واتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

---

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .
(٢) م : « فينسخ » .
(٣) سورة الحج ٥٢ .
(٤) سورة النجم ٢١ — ٢٦
(٥ — ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .
(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النَّفر من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا[١] من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكّة حين سجدُوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوْا من مكّة ، بلَغهم أنّ الذى كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخلِ منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيًا ، فكان ممّنْ قَدِم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى ، عثمان بن عفان ابن أبى العاص بن أمية ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة أخَر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلا . ١١٩٥/١

حدّثنى القاسم بن الحسن ، قال : حدّثنا الحسين بن داود ، قال : حدّثنى حَجّاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القرظِىّ ومحمد بن قيس ، قالا : جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ناد من أنديةِ قريش ، كثير أهله ، فتمنّى يومئذ ألاّ يأتيَه من الله شىء فينفرُوا عنه ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ألقَى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرانيق[٢] العلا * وإن شفاعتهن لترجى[٣] » ، فتكلّم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلَّها ، فسجد فى آخر السّورة ، وسجد القوم معه جميعًا ، ورفع الوليدُ بن المغيرة ترابًا إلى جبهته ، فسجد عليه — وكان شيخًا كبيرًا لا يقدر على السُّجود — فرضُوا بما تكلّم به ، وقالوا : قد عرفنا أنّ الله يحيى ويميت ؛ وهو الذى يخلُق ويرزق ؛ ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيبًا فنحن معك . قالا : فلما أمْسَى

---

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرانقة » .

(٣) ر : « ترتضى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغَ الكلمتين اللتيْن ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[1] ؛ فما زالَ مغموماً مهموماً ، حتى نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ – إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]. ١١٩٦/١

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبَشة من المهاجرين أنّ أهلَ مكّة قد أسلمُوا كلّهم ، فرجعوا إلى عشائرهم، وقالوا : هم أحبُّ إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسُوا حينَ نسخ الله ما ألقَى الشيطان، ثم قام – فيما حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، فى نقضِ الصحيفة التى كانت قريش كتبت بينها على بنى هاشم وبنى المطّلب – نفرٌ من قريش . وكان أحسنُهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامرىّ ، من عامر بن لؤىّ – وكان ابنَ أخى نضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمّه – وإنه مشىَ إلى زُهَير ابنَ أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم–وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطلب – فقال : يا زهير ، أرضيتَ أن تأكلَ الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكِح النساء ، وأخوالُك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكِحون ولا ينكَح إليهم ! أما إنّى أحلِفُ بالله لو كانوا أخوال أبى الحكَم ابن هشام ثم دعوتَه إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنّما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معى رجلٌ آخر لقمت فى نقضها حتّى أنقضها . قال : قد وجدتَ رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغِنَا ثالثًا ، فذهب إلى المُطعِم بن عدىّ ابن نوفل بن عبد مناف، فقال له : يا مطعِم ، أقَدْ رَضيت أن يهلِك بَطْنان ١١٩٧/١

---

(١) سورة الإسراء ٧٣ – ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر فى التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنّهم إليها منكم سراعاً[١] . قال: ويحك! فماذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : مَنْ هو؟ قال : أنا، قال : ابغنا ثالثاً[٢] ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أميّة، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبى البخترىّ بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمطعِم بن عدىّ ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية والمطعِم بن عدىّ وأنا معك . قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلّب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتَهم وحقّهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال: نعم، ثم سمّى له القومَ. فاتّعدوا له خَطْمَ الحجون الذى[٣] بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرَهم، وتعاهدوا على القيام فى الصّحيفة حتى ينقضُوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوّلكم يتكلّم ، فلما أصبحوا غدوْا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أميّة ، عليه حلّة له ؛ فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهلَ مكّة ؛ أنأكل الطّعام، ونشرب الشّراب ، ونلبس الثّياب ، وبنو هاشم هَلْكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، قال أبو جهل – وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ ، والله لا تشقّ! قال زمعة ابن الأسود : أنتَ والله أكذبُ ، ما رضينا كتابها حين كتبت؛ قال أبو البخترىّ: صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقِرُّ به ! قال المطعِم بن عدىّ : صدَقْتما وكَذَبَ مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضى بليلٍ ، وتُشوورَ فيه بغيرِ هذا المكان – وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد – وقام المطعِم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرَضَةَ قد أكلتْها ؛

١/١١٩٨

(١) ط : « سريعاً » ، وما أثبته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : «ابغنى كذا ، بهمزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمزة القطع ، أى أعنى على الطلب » .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلاّ ما كان من «باسمك اللهمّ» ، وهى فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش — فيما بلغنى — التى كتبُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بنى هاشم وبنى المطّلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصىّ ، فشَلّتْ يدُه[1] .

وأقام بقيّتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعثَ فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ عمرَو بن أميّة الضَّمْرىّ ، فحملهم فى سفينتين ، فقدِم بهم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو بخيبر بعد الحديبية . وكان جميع من قَدِم فى السفينتين ستةَ عَشَر رجلا .

* * *

ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قُريش بمكّة يدعوهم إلى الله سرًّا وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كان بعضهم — فيما ذكر — يطرح عليه رَحِم الشّاة وهو يصلّى ، ويطرحها فى بُرْمته إذا نُصبت له[2] ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم — فيما بلغنى — حجراً يستتر به منهم إذا صلّى . ١١٩٩/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : حدّثنى عمر بن عبد الله بن عُرْوة بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمى به فى داره على العُود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف ، أىّ جوار هذا ! ثم يُلْقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد — وذلك فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظُمت المصيبة على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : «به» .

وصلُوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلُونَ إليه في حياته منه ؛ حتى نَثَرَ بعضُهم على رأسه التراب[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثني هِشام بن عُروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السّفيه التّرابَ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والتّراب على رأسه ، فقامت[٢] إليه إحدى بناته تغسل عنه التّراب ؛ وهى تبكى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّة لا تبكى ؛ فإنّ الله مانعٌ أباكِ ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالتْ منّى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب[١]

* * *

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطّائف يلتمس من ثقيف النّصر والمنَعة[٣] له من قومه ؛ وذُكِر أنّه خرج إليهم وحده ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ١٢٠٠/١ قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عَمَد إلى نفرٍ من ثَقيف — همْ يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، فجلس إليهم — فدعاهم إلى الله وكلّمهم بما جاء لهم[٤] من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرُط[٥] ثياب الكعبة إن كان الله أرسلَك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : «قامت» ، وما أثبته من ابن هشام .

(٣) ر : «الفضل والمعونة» .

(٤) ح : «جاء إليه» .

(٥) يمرطها : أى ينزعها ويرمى بها .

أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنتَ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلامَ ؛ ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لى أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خيرِ ثقيف ؛ وقد قال لهم - فيما ذكر لى - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علىّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلُغَ قومه عنه ، فيُذئرهم[1] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروْا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط[2] لعتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيفٍ مَنْ كان يتّبعه ، فعمد إلى ظلِّ حَبَلةٍ[3] من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقىَ من سفهاء ثقيف . وقد لقىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - تلك المرأة من بنى جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا[4] من أحمائك ! فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيما ذكر لى : اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتى ، وقلّة حيلتى ، وهوانى على النّاس ؛ يا أرحمَ الرّاحمين ، أنتَ ربُّ المستضعَفين ، وأنتَ ربِّى ؛ إلى مَنْ تكلنى ! إلى بعيد يتجهّمنى ، أو إلى عدوّ ملّكْتَهُ أمرى ؛ إنْ لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ! ولكنّ عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظّلُمات ، وصلَح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبُك ، أو يحلّ علىّ سخطُك ، لك العُتبى[5] حتى ترضَى ، لا حول ولا قوة إلاّ بك .

١/١٢٠١

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبة وشَيْبة ما لقى ، تحرّكت له رحِمهما ،

---

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذئرهم » ؛ يعنى يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِى عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَئِرُوا لِقَتْلَى عَامِرٍ وتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعَوا له غلامًا لهما نصرانيًّا ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطفًا[١] من هذا العنَب وضْعه فى ذلك الطّبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرّجل ، فقل له يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : «بسم الله» ، ثم أكل ، فنظَر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِنْ أهل أىّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانىّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينَوى[٢]

١٢٠٢/١ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمِنْ قرية الرّجل الصّالح يونس بن متّى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبىّ ، فأكبّ[٣] عدّاس علَى[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسَه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه[٥] : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرّجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيّدى ما فى [هذه][٦] الأرض خيرٌ من هذا الرجل ! لقد خبّرنى بأمر لا يعلمه[٧] إلاّ نبىٌّ ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنّك عن دينك ، فإنّ دينَك خيرٌ من دينه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطّائف راجعًا إلى مكّة حين يئس من خبرِ ثقيف ، حتّى إذا كان بنخلة ، قام من جَوْف الليل يصلّى ، فمرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمّد بن إسحاق : وهم — فيما ذكر لى — سبعة نفر من جنّ أهل

---

(١) القطف : اسم للعنقود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .
(٢) نينوى : قال أبو ذر الخشنى : «ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها» .
(٣) ر : «فانكبّ» .
(٤) م : «على رأس» .
(٥) ح : «للآخر» .
(٦) من م .
(٧) م : «بما لا يعلمه» .

نَصيبين اليمن ، فاستَمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولّوْا إلى قومهم مُنْذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا ، فقصَّ الله عزّ وجلّ خبَرهم عليه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] . وقال : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إلى آخر القصّة من خبرهم فى هذه السورة[2] .

قال محمّد: وتسمية النَّفر من الجنّ الذين استمعوا[3] الوحى—فيما بلغنى— حسّا ، ومسّا ، وشاصر ، وناصر ، وابنا الأرد ، وأينين ، والأحقم . ١٢٠٣/١

* * *

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، وقومُه أشدّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه ، إلاّ قليلا مستضعفين ممّن آمن به .

وذكر بعضُهم أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطّائف مريداً مكة مرّ به بعضُ أهل مكّة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنت مبلّغ عنّى رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : ائتَ الأخْنَس ابن شَرِيق ، فقل له : يقول لك محمّد : هل أنت مجيرى حتى أبلّغَ رسالة ربّى ؟ قال: فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخْنَسُ : إنّ الحليف لا يُجير على الصريح . قال: فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره، قال: تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت سُهَيْلَ بن عمرو ، فقل له: إنّ محمّداً يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلِّغ رسالات ربّى ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال: فقال : إنّ بنى عامر بن لؤىّ لا تجير على بنى كعب. قال : فرجع إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : ائت المطعِم بن عدىّ ، فقل له : إنّ محمداً يقول لك: هل أنت مجيرى حتى أبلِّغ رسالات ربى[4] ؟ قال : نعم ، فلْيدخل ، قال : فرجع الرّجل إليه، فأخبره، وأصبح المطعِم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ — ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٠ — ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدىّ قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد، فلمّا رآه أبو جهل ، قال : أمُجيرٌ أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرْنا مَنْ أجرَت ، فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وأقام بها ، فدخل يومًا المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيّكم يا بنى عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة: وما تنكِرُ أن يكونَ منّا نبىّ أو ملِك ! فأخبِر بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقال: أمّا أنتَ يا عُتْبة بن ربيعة فوالله ما حميتَ لله ولا لرسوله ؛ ولكنْ حميتَ لأنفِك ، وأما أنتَ يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتى عليك غير كبير[1] من الدّهر حتّى تضحك قليلا وتبكى كثيراً . وأمّا أنتم يا معشر الملإ من قريش ؛ فوالله لا يأتى عليكم غير كبير[2] من الدّهر حتّى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون . ١٢٠٤/١

* * *

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعرضُ نفسَه فى المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته][3] ويخبرهم أنه نبىّ مرسل ، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعُوه حتّى يبين عن الله ما بعثه به. حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عبّاد يُحَدِّثُ أبى ، قال: إنىّ لَغلامٌ شابٌّ مع أبى بمنًى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بنى فلان ، إنّى رسولُ الله إليكم ؛ يأمُرُكم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأنْ تخلعوا ما تَعْبدون[4] من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى

(١) ر : «كثير» .
(٢) ح : «كثير» .
(٣) من ر .
(٤) م : «ما يعبد» .

وتصدّقونى وتمنعونى ؛ حتى أبين عن الله ما بعثنى به .

قال : وخلفه رجل أحول وضىء ، له غديرتان[١] ، عليه حلّة عدنيّة ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بنى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .　　١٢٠٥/١

قال : فقلت لأبى : يا أبت مَن هذا الرجل الذى يتّبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزّى أبو لهب بن عبد المطّلب[٢] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كندة فى منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مليح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه[٢] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن حصين ، أنّه أتى كلبًا فى منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ؛ حتى إنّه ليقول لهم : يا بنى عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم[٣] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمّد بن إسحاق : حدّثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض

---

(١) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسَه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم[١]

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، أنه أتى بنى عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعَرَض عليهم نفسَه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْحَرَةَ بن فراس[٢] : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ ١٢٠٦/١ به العرب . ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعناك[٣] على أمرك[٤] ، ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك ؛ أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعُه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَفُ[٥] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتَ كان الأمرُ لغيرنا! لا حاجةَ لنا بأمرك . فأبَوْا عليه، فلما صَدَر النّاس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركتْه السنّ ؛ حتى لا يقدر على أن يوافىَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدّثوه[٦] بما يكون فى ذلك الموسم ؛ فلمّا قدِمُوا عليه ذلك العام ، سألهم عمّا كان فى موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطّلب ؛ يزعم أنه نبىّ ؛ ويدعو[٧] إلى أن نمنعه[٨] ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذناباها[٩] من مطلب ! والذى نفسُ فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلى[١٠] قطّ ! وإنّها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) فى ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « بايعناك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعناك وآمنا بك » .

(٥) كذا فى ابن هشام ؛ أى تصير هدفاً يرمى ، وفى ط : « أفنهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابى الطائر ؛ إذ أفلت من الحبالة .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعُو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرِض عليهم نفسَه وما جاء به من الله من الهدى والرّحمة ، لا يسمع بقادم يقدّم من العرب ؛ له اسمٌ وشرفٌ إلاّ تصدّى له فدّعاه إلى الله ، وعَرّض عليه ما عنده[١] . ١٢٠٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة الظّفَريّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدِم سُوَيد بن صامت – أخو[٢] بني عمرو بن عوف – مكة حاجًّا أو معتمراً ، قال : وكان سُوَيد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، بجلَدِه وشِعْرِه ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذّى يقول :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُوصَدِيقاً وَلَوْ تَرَى ... مَقَالَتَهُ بالْغَيْبِ ساءَك ما يَفْرِى[٣]

مَقَالَتُهُ كالشَّحْمِ ما كان شاهدًا ... وبالغَيْبِ مأثورٌ على ثغرةِ النَّحْرِ[٤]

يَسُرُّك باديهِ وتحتَ أديمِـــهِ ... نَميمَةُ غِشٍّ تَبْتَرِى عَقَبَ الظَّهرِ[٥]

تُبينُ لك العَيْنانِ ما هُوَ كاتِمٌ ... ولا جِنٌّ بالْبَغْضَاء والنَّظَرِ الشَّزْرِ

فَرِشْنِي بخَيرٍ طالمـا قَدْ بَرَيْتَـنِي ... وخَيْرُ المَوالى مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى[٦] ١٢٠٨/١

مع أشعار له كثيرة يقولها[٧] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفرى : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضعفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لاتَحْسَبَنِّي يابْنَ زُغْبِ بنِ مَالكٍ ... كَمنْ كُنْت تُرْدِي بالغُيُوب وتَخْتِلُ

تحوّلْت قِرْنًا إذْ صُرِعْتَ بِعِزّةٍ ... كَذلِكَ إنّ الحازِمَ المُتحوِّلُ

قال : فتصدّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدَعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلّ الذى معك مثلُ الذى معى ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلّة[1] لقمان – يعنى حكمة لقمان – فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنّ هذا لكلام[2] حَسَنٌ ، معى أفضلُ من هذا ؛ قرآن أنزله الله علىّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعُد منه ، وقال : إنّ هذا لقولٌ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدِم المدينة ، فلم يلبَثْ أن قَتَلَتْه الخزرج ؛ فإنْ كان قومه لَيقولونَ : قد قُتِل وهو مُسْلِمٌ ، وكان قتلُه قبل بُعاث[3] .

* * *

حدّثنا ابنُ حُمَيد، قال : حدّثنا سلمَة، عن محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى الُحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ؛ أخو بنِى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَبِيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لمّا قدم أبو الَحيْسَر أنسُ بن رافع مكّة، ومعه فتيةٌ من بنىعبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ ؛ يلتمسون الحلْف من قُرَيْش على قومهم من الخزْرج، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنِى إلى العِبَاد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئًا ، وأنزل علىّ الكتابَ . ثم ذكر لهم[4] الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعاذ – وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السهيلى : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عنقاء بن سرور – فيما ذكروا – وابنهالذى ذكر فى القرآن هو ثاران– فيما ذكر الزجاج وغيره. وقيل فى اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلامًا حدثًا : أى قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم[١] له . قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنةً من البطحاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج .

قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرنى مَنْ حضره من قومى عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يُهلّل الله ويكبّره ، ويحمده ويسبّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكّون أن قد مات مسلمًا ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع[٢] .

* * *

قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه وإعزاز نبيّه ، وإنجازَ موعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقِيَ فيه النفر من الأنصار ، فعرَضَ نفسَه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع فى كلّ موسم ؛ فبينا هو عند العقَبَة إذ لقِىَ رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمّد بن إسحاق: فحدّثنى عاصم ابن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمِنْ موالى يهودَ : قالوا: نعم ، قال: أفلا تجلسون حتى أكلّمكم ؟ قالوا: بلَى ،قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان ممّا صنَع الله لهم به فى الإسلام ، أنّ يهودَ كانوا معهم ١٢١٠/١

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا أهلَ شرك ، أصحابَ أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم[١] ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً الآن مبعوثٌ قد أظلّ زمانه ، نتّبعه ونقتلكم معه قَتْلَ عاد وإرَم . فلما كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النّفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : تعلّمُنّ والله إنّه للنبيّ الذى تُوعِدكم[٢] به يهود ، فلا يَسْبُقُنّكُم[٣] إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركْنا قومنا ، ولا قوم بينَهم من العداوة والشرّ ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمَعَهُم بك ، وسنقدَم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرضُ عليهم الذى أجبْناك إليه من هذا الدين ؛ فإنْ يجمعهم الله عليه ، فلا رجلَ أعزّ منك. ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم — فيما ذُكِر لى — ستّة نَفَر من الخزرج : منهم من بنى النّجار — وهم تَيْم الله — ثم من بنى مالك بن النّجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعَدُ بن زرارة بن عُدَس بن عُبَيْد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف بن الحارث ابن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النّجار ؛ وهو ابن عفراء[٤]

١٢١١/١ ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان ابن عمرو بن عامر بن زُرَيق[٥] .

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

---

(١) عزوهم : غلبوهم ، وفى ابن هشام : « غزوهم » .

(٢) ابن هشام : « توعّدكم » .

(٣) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(٤) قال ابن هشام : «وعفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار» .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبة بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة ، عُقْبَة ابن عامر بن نابى بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلِمة ، جابرُ بنُ عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عُبيد[1] .

* * *

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذكروا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوْهم إلى الإسلام ؛ حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دارٌ من دُور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عَشَر رجلا ، فلقُوه بالعَقَبة ، وهى العَقَبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعه النساء ؛ وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النّجار أسعد بن زُرارة ابن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النَّجار ؛ وهما ابنا عَفْراء .

١٢١٢/١

ومن بنى زُرَيق بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيق ، وذكوان[2] بن عبد قيس بن خلْدة بن مخلّد بن عامر بن زُرَيق .

ومن بنى عَوْف بن الخزْرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف — وهم القواقل —[3] عبادة بن الصامت بن قيس بن أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن عَوْف ابن الخزرج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصْرم ابن عمرو بن عَمّارة ، من بنى غُضَيْنة[4] من بَلِىّ ، حليف لهم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصارى » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت » .

(٤) فى ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عبّاس بن عُبادة ابن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم بن عَوْف .

ومن بنى سَلِمة ، ثم مِن بنى حَرَام ، عُقْبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سلِمة .

١٢١٣/١

ومن بنى سَوَاد ، قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلِمة .

وشهدها من الأَوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الأشْهل : أبو الهيثم بن التَّيِّهان[١] ؛ اسمه مالك ، حليف لهم .

ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيم بن ساعدة بن صَلْعجة[٢] ، حليف لهم[٣]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنىّ ، عن أبى عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحىّ ، عن عُبادة بن الصّامت ، قال : كنت فيمَنْ حضرَ العَقَبة الأولى ؛ وكُنّا اثنى عشر رجلا ، فبايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفْتَرَض الحرب ؛ على ألاّ نشرك بالله شيئًا ، ولا نسرِق ولا نزنِىَ ، ولا نقتلَ أولادنا ، ولا نأْتِىَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيَه فى معروف ؛ فإنْ وَفيْتُم فلكم الجنّة ، وإن غشِيتم شيئًا من ذلك فأخذتم بحدّه فى الدنيا ؛ فهو كفارة[٤] له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمْركم إلى الله ؛ إن شاء عذّبكم ، وإن شاء غفر لكم[٥] .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ أنّ ابن شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبى إدريس الخولانى ، عن عُبادة بن

---

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .

(٢) ح : « صعلجة » .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الكفارة » .

(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر فى ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فلمّا انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قُصَيّ ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدّين ؛ فكان يسمّى مُصعب بالمدينة : المقرئ ، وكان مَنْزَلُه[1] على أسعد بن زرارة بن عُدس أبى أمامة[2] . ١٢١٤/١

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقيب ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمّد ابن عمرو بن حزم ، أنّ أسْعدَ بن زرارة خرج بمُصْعَب بن عمير ؛ يريد به دارَ بنى عبْد الأشهل ، ودار بنى ظَفَر ؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النّعمان ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطًا من حوائط بنى ظَفَر[3] ، على بئر يقال لها بئر مَرَق ؛ فجلسا فى الحائط ، واجتمع إليهما رجالٌ ممّن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَير يومئذ سيّدا قومهما من بنى عبد الأشْهل ؛ وكلاهما مُشرِك على دين قومه ، فلمّا سمعا به ، قال سعد ابن مُعاد لأسَيْد بن حُضَير : لا أبا لك ! انطلق إلى هذيْن الرجلين اللذيْن قد أتيا دارنا[4] ، ليسفّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهما أن يأتيَا دارنا[4] ، فإنه لولا أنّ أسعد بن زرارة منّى حيث قد علمت ، كفيتُك ذلك ؛ هو ابن خالتى ، ولا أجد عليه مقدّما . فأخذ أسَيْد بن حُضير حَرْبَتَه . ثم أقبل إليهما ؛

---

(١) قال السهيلى : « منزل ، بفتح الزاى ، وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب ، من منزل فلان على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح الزاى » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : «واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس»

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسْعَد بن زُرارة قال لمُصْعَب : هذا سيِّد قومه قدجاءك، فاصدق الله فيه . قال مُصعَب : إنْ يجلسْ أكلِّمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا، تسفِّهان ضعفاءنا ! اعتزلانا[١] إن كانت لكما فى أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أوَ تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعَب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم، فى إشراقه وتسهّله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدِّين ؟ قالا له: تغتسل ، فتطهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحقّ، ثم تصلّى ركعتين .

١٢١٥/١

قال : فقام فاغتسلَ ، وطهّر ثوبيْه، وشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إنّ ورائى رجلاً؛ إن اتّبعكما لم يتخلّف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربتَه ، وانصرف إلى سعد وقومه؛ وهم جلُوس فى ناديهم ؛ فلمّا نظر إليه سعد بن مُعاذ مقبلا ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسَيْد بن حُضَير بغيْر الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف على النّادى ، قال له سعد: ما فعلت؟ قال : كلّمت الرجليْن، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسْعَد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِروك[٢] ، قال : فقام سعد مُغضَبًا مبادرًا تخوّفًا للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرْبةَ من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيْت شيئًا ؛ ثم خرج إليهما؛ فلمّا رآهما سعد مطمئنّين ، عرف أنّ أسَيْداً إنما أراد أن يسمعَ منهما ، فوقف عليهما متشتّما، ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بينى وبينَك من القرابة ما رمْتَ هذا

١٢١٦/١

---

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

مِنّى . تغشانا[١] فى دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أى مُصعب ! جاءك والله سيِّد مَن وراءه منْ قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أوَ تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلتَه ، وإنْ كرهتَه عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركز الحربة ، فجلس فعرَض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ فى إشراقه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتمُ أسلمتم ودخلتم فى هذا الدّين ؟ قالا : تغتسِل فتطهّر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلِّى ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهِد شهادة الحقّ ، وركع ركعتيْن ، ثم أخذ حربته فأقبل عامِداً إلى نادى قومه ، ومعه أسَيد بن حُضير ؛ فلمّا رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سَعْد إليكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ؛ فلمّا وقف عليهم ، قال : يا بنى عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا ، وأيمنُنا نقيبةً ، قال : فإنّ كلامَ رجالِكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى فى دار عبْدِ الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعُو النّاس إلى الإسلام حتى لم تبقَ دار من دُور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١ إلاّ ما كان من دار بنى أميّة بن زيد وخَطْمَة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوْس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيْس بن الأسْلَت ؛ وهو صَيْفىّ ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك[٢] حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بَدْر وأحُد والخندق .

---

(١) ح : « تغشانى » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنّ مُصعب بن عُمير ، رجع إلى مكّة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموْسِم مع حُجّاج قومهم من أهلِ الشرك ؛ حتى قدموا مكّة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقَبة من أوسط أيام التّشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامتِه ، والنّصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله[١] ، وإذلال الشرْك وأهله[٢] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني مَعْبَد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القيْن ، أخو بني سَلِمة ، أنّ أخاه عبد الله بن كَعْب — وكان من أعلم الأنصار — حدّثه أنّ أباه كعب ابن مالك حدّثه — وكان كعب ممّن شهد العقبَة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجّاج قومنا ، وقد صلّينا وفقِهنا ، ومعنا البَراءُ ابن مَعْرُور ، سيّدُنا وكبيرنا . فلمّا وُجّهنا[٣] لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : والله يا هؤلاء ، إنيّ قد رأيتُ رأيًا ، والله ما أدرى أتُوافقوننِي عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك؟ قال : قد رأيتُ ألاّ أدعَ هذه البنيَّة منّى بظهْر — يعني الكعبة — وأنْ أصلّىَ[٤] إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبيّنا أنه يصلى إلاّ إلى الشّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنّى لمُصلٍّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل ، قال : فكنّا إذا حضرت الصّلاة صلّينا إلى الشأم ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

١/١٢١٨

قال : وقد عِبْنا عليه ما صَنع ، وأبىَ إلاّ الإقامة على ذلك ؛ فلما قدِمْنَا مكّة قال لي : يابنَ أخِي ، انطلقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عمّا صنعتُ في سفرى هذا ، فإنّى والله لقدْ وقَع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيّاى فيه .

قال : فخرجْنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنّا لا نعرفه ،

---

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ — ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نرَهُ قبل ذلك — فلقينا رجُلاً من أهلِ مكّة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العبّاس ابن عبد المطّلب عمّه؟ قلنا: نعم — قال: وقد كنا نعرف العبّاس، كان لا يزال يقدَمُ علينا تاجراً — قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرّجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العبّاس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العبّاس؛ فسلّمنا؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس: هل تعرفُ هذينِ الرّجُلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البَرَاء بن معرور سيّد قومه؛ وهذا كعب بن مالك — قال: فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم — قال: فقال له البَرَاء بن معرور: يا نبيّ الله؛ إني خرجتُ في سفري هذا؛ وقد هداني الله للإسلام، فرأيت ألاّ أجعل هذه البنيّة منّي بظهْر، فصلّيت إليها؛ وقد خالفني أصحابي في ذلك؛ حتّى وقع في نفسي من ذلك شيء؛ فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنتَ على قِبْلَةٍ لو صبرت عليها! فرجع البَرَاء إلى قِبْلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصلّى معنا إلى الشأم. قال: وأهلُه يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتّى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم. ١٢١٩/١

قال: ثم خرجْنا إلى الحجّ، وواعَدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العقَبَة من أوسط أيام التّشريق.

قال: فلما فرغنا من الحجّ؛ وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أبو جابر، أخبرناه[١]، وكنّا نكتُم مَنْ معنا من المشركين من قومنا أمرَنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنّك سيّد من سادتنا، وشريفٌ من أشرافنا، وإنّا نرغبُ بك عمّا أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً. ثم دعَوْناه إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّانا العقَبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقَبة — وكان نقيباً — فبتْنا تلك اللّيلة مع قومنا في رِحالنا حتّى إذا مضى ثُلث الليل، خرجْنا من رِحالنا لميعاد رسول

---

(١) ابن هشام: أخذناه معنا.

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلُّل القَطا ؛ حتى اجتمعنا فى الشِّعب عند العقَبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم[1] امرأتان من نسائهم : نُسيبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بنى مازن بن النّجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدىّ ، إحدى نساء بنى سَلِمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشِّعب ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا ومعه عَمُّه العبّاس بن عبدالمطّلب ١/١٢٢٠ وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضُرَ أمرَ ابن أخيه ، ويتوثَّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشرَ الخزرج — وكانت العربُ إنما يسمُّون هذا الحىّ من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجها وأوسها — إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومه ومَنَعَة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاعَ إليكم واللّحُوق بكم ؛ فإن كنتم تروْن أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه ؛ ومانعوه ممّن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم[2] من ذلك ؛ وإن كنتم تروْن أنّكم مُسلِموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدَعُوه ، فإنّه فى عزّ ومَنَعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّمْ يا رسولَ الله ؛ وخذ لنفسك وربّك ما أحببتَ .

قال : فتكلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسلام ، ثمّ قال : أبايعُكم علَىَ أن تمنعونى ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البَرَاء بن معرور بيده ، ثم قال : والذى بعثَك بالحقّ ، لنمنعنّك مما نمنَع منه أُزُرَنا[3] ، فبايعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلْقة[4] ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

---

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نسائنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزرنا ؛ أى نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول — والبرّاء يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم — أبو الهيثم بن التَّيِّهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّ بيننا وبين النّاس حبالاً وإنّا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عَسِيتَ إن نحنُ فعلْنا ذلك ، ثم أظهرَك الله ، أن ترجعَ إلى قومك ، وتَدَعَنا ! قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : بل الدَّم الدّم ، الهدْم الهدْم[1]! أنتم منّى وأنا منكم ؛ أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم . ١٢٢١/١

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلىّ منكم اثنَىْ عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا اثنى عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس[2] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق : فحدّثنى عبدُالله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتمْ على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة ، أنّ القومَ لمّا اجتمعوا لبيعةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصارىّ ، ثم أخو بنى سالم بن عوف : يا معشرَ الخزرج ، هلْ تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنّكم تبايعونه على حرْب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترونْ أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافُكم قتلا أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خِزْىُ[3] الدّنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

---

(١) قال ابن قتيبة : «كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣، ٢٧٥

(٣) ر : « خزى فى الدنيا » .

تروْن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهْكة[١] الأموال ، وقتْل الأشراف فخذوه، فهو والله خيرُ الدّنيا والآخرة . قالوا : فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفّينا ؟ قال : الجنّة ، قالوا : ابسُط يدَك ، فبسطَ يده فبايعوه . ١/١٢٢٢

وأما عاصم بن عمر بن قَتادة ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلاّ ليشدّ العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبى بكر ، فقال : والله ما قال العبّاس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أىّ ذلك كان ؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يديه[٢] ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم ابن التيّهان[٣] .

قال ابن حُميد ، قال : سلمة ، قال محمّد : وأما معبَد بن كعب بن مالك فحدّثنى — قال أبو جعفر : وحدّثنى سعيد بن يحيى بن سعيد — قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدّثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعْب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أوّل مَنْ ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع القوم؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشّيطان من رأس العقَبة بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهلَ الجباجب[٤] هل لكم فى مُذمّم والصُّباة[٥] معه ، قد اجتمعوا على حربكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو الله ؟ هذا أزَبّ العقبة ، هذا ابن أزْيب[٦] ؛ اسمع عدوّ الله ؛ أما والله لأفرُغَنّ ١/١٢٢٣

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفى م : « تهلكة الأموال » .
(٢) ح : « يده » .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧
(٤) قال ابن هشام : « الجباجب : المنازل » .
(٥) المذمم : المذموم غاية الذم . والصباة : جمع صابئ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذا أسلم زمن النبى عليه السلام : « صابئ » .
(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأزب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: ارفضّوا[١] إلى رحالكم. فقال له العبّاس ابن عبادة بن نضلة: والّذى بعثَك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غدا على أهل مِنىً بأسيافنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمَر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال : فرَجعنا إلى مضاجعنا ، فنِمْنا عليها ؛ حتى أصبحنا ؛ فلمّا أصبحنا غدَتْ علينا جِلّةُ قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا : يا معشرَ الخزرج ؛ إنّا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنّه والله ما من حىٍّ من العرب أبغض إلينا أن تنشَبَ الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شىء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظُر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومىّ ، وعليه نعلان جديدان[٢] .

قال : فقلت كلمة كأنّى أريد أن أشرِك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتّخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلَىْ هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليْه ؛ ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتنتعلنّهما . قال : يقول أبو جابر : مَهْ أحفظت[٣] والله الفتى ! فاردُدْ عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردّهما ؛ فأل والله صالح ؛ والله لئن صدق الفأل لأسلُبنّه . ١٢٢٤/١

فهذا حديث كعب بن مالك عن العَقَبة وما حضر منها[٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غيرْ ابن إسحاق : كان مَقدمُ مَنْ قدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار فى ذى الحجّة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكّة بقيّة ذى الحجة من تلك السنّة ، والمحرّم

---

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلى : « النعل مؤنثة ؛ ولكن لا يقال : جديدة فى الفصيح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد ؛ لأنها فى معنى جديدة ، أى مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجِراً إلى المدينة فى شهر ربيع الأول ؛ وقدِمها يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ منه .

وحدّثنى علىّ بن نصر بن على، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ بن نصر : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ؛ أنّه قال : لمّا رجع من أرض الحبشة من رَجع منها ممّن كان هاجر[١] إليها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهلَ الإسلام يزدادون ويكثُرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ؛ فطفِق أهلُ المدينة يأتونَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ، فلمّا رأت ذلك قريش تذامرت على أنْ يفتنوهم ، ويشتدّوا عليهم[٢] ، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت فتنتيْن : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة، حين أمرهم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوْا من يأتيهم من أهل المدينة .

١٢٢٥/١ ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيبًا ، رءوس الّذين أسلموا ، فوافوْه بالحجّ فبايعوه بالعقَبة ، وأعطوْه عهودهم[٣] ؛ علَى أنّا منك وأنت منّا ، وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجئتنا[٤] ، فإنّا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة ؛ وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[٥] .

---

(١) م : « مهاجرا » .
(٢) م : « عليه » .
(٣) م : « عهدهم » .
(٤) م : « وجئتنا » .
(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمَة، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، أنّهم أتوْا عبد الله بن أبيّ بن سَلُول — يعني قريشًا — فقالوا مثل ما ذكر كعْب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إنّ هذا لأمْرٌ جسيم ؛ ما كان قومى ليتفوّتوا [1] علىَّ بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرّق النّاس مِنْ مِنىً ، فتنطّس [2] القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بالحاجر [3] ، والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيبًا ؛ فأمّا المنذر فأعجز القوم ، وأمّا سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه بِنِسْع [4] رَحْله ، ثمّ أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة ، يضربونه ويجبِذونه بجُمّته [5] — وكان ذا شَعَر كثير — فقال سعد: فوالله إنّى لفى أيديهم ؛ إذ طلع علَىَّ نفر من قريش ؛ فيهم رجُلٌ أبيض وَضِيءٌ شَعْشاع [6] حلو من الرّجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيْر فعند هذا ، فلمّا دنا منّى رفع يديه فلطمنى [7] لطمةً شديدة . قال : قلت فى نفسى : والله ما عندهم بعد هذا [8] خير . قال : فوالله إنّى لفى أيديهم يسحبوننى ؛ إذ أوى [9] إلىّ رجل منهم ممّن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهدٌ [10] ! قال : قلتُ : بلَى والله ، لقد كنت أجِيرُ [11] لجبير بن مطعِم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف تِجَارَهُ ،

١٢٢٦/١

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أى فاته به .
(٢) كذا فى ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أى أكثروا البحث عنه ، وفى ط : « تبطن » .
(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .
(٤) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .
(٥) فى ابن هشام : « يجذبونه » . والجمة : مجمع الشعر .
(٦) قال ابن هشام : « الشعشاع : الطويل الحسن » .
(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمنى لكمة » .
(٨) ح : « بعدها » .
(٩) ر : « أمى إلى » .
(١٠) م : « عقد » .
(١١) م : « أجيز » .
(١٢) التجار : جمع تاجر.

وأمنعهم ممّن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللحارث بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحَك ! فاهتِف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إنّ رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنّه ليَهتف بكما ، ويذكُر أنّ بينه وبينكما جوارا ، قالا : ومَنْ هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا : صَدَقَ والله إن كان ليَجير تجارنا[1] ، ويمنعهم أن يظلَموا ببلده . قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سُهَيْل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى[2] .

١ / ١٢٢٧

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدِموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشِّرْك ؛ منهم عمرو بن الجَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غَنْم بن سلِمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقَبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى فتيان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلّم مَنْ بايع من الأوس والخزرج فى العقَبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عزّ وجلّ فى القتال بشروط غير الشروط فى العقَبة الأولى ، وأمّا الأولى فإنّما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيْعة العقبة الثانية على حَرْب الأحمر والأسود على ما قد ذكرتُ قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدّثنا ابن حُميد — قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت — وكان أحد النقباء — قال : بايعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على بيعة الحرب ؛ وكان عُبادة من الاثنى عشر الّذين بايعوا فى العقَبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلمّا أذِن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلّم فى

---

(١) كذا فى ابن هشام وط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [١] ، وبايعه الأنصار علىّ ما وصفتُ من بيعتِهم ، أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه ممّن هو معه بمكّة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللّحوق بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : إنّ الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا وداراً تأمنون فيها فخرجوا أرْسالاً ، وأقام رسولُ الله صلّى الله ١٢٢٨/١ عليه وسلّم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش ، ثم من بنى مخزوم ، أبو سلمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعة أصحاب العقَبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم بسنة ، وكان قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة من أرض الحبشة ، فلما آذتْه قريش ، وبلغه إسلامُ مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أوّل مَنْ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبى سلمَة ، عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدىّ بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عَبيد بن عَوِيج بن عدىّ بن كعب . ثم عبد الله ابن جَحْش بن رِئَاب ، وأبو أحمد بن جَحْش — وكان رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يُؤذَن له فى الهجرة . ولم يتخلّف معه بمكّة أحد المهاجرين إلا أُخِذ فحبس أو فُتِن إلاّ علىّ بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجلْ ، لعلّ الله أن يجعل لك صاحبًا ، فطمع أبو بكر أن يكونه [٢] ، فلما رأتْ قُرَيش أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٢٢٩/١

---

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير[١] بلدهم ، ورأوْا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعَة ، فحذروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إليهم ، وعرفوا أنّه قد أجمع أن يلحَقَ بهم لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النّدوة ؛ وهى دار قُصَىّ بن كِلاب ، التى كانت قريش لا تقضِى أمراً[٢] إلاّ فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين خافوه[٣] !

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح ، عن مجاهد بن جَبْر أبى الحجاج ، عن ابن عبّاس ، قال : وحدّثنى الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عبّاس قال : لمّا اجتمعوا لذلك واتّعدُوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم غَدَوْا فى اليوم الذى اتّعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزَّحْمَة ؛ فاعترضَهُم إبليس فى هيئة شيخ جليل ، عليه بتٌّ[٤] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوْه واقفًا على بابها ، قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ من أهل نَجْد ، سمع بالذى اتّعدتم له ، فحضر معكم ليسْمَعَ ما تقولون ، وعسى ألاّ يعدِمَكُم منه رأى ونُصحٌ ، قالوا : أجَلْ ، فادخُلْ ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش كلّهم ، من كلّ قبيلة ؛ من بنى عبد شمس شَيْبة وعُتْبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بنى نَوْفل ابن عبد مناف طُعَيْمَة بن عدىّ وجبير بن مُطْعِم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ النَّضْر بن الحارث بن كلَدَة . ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى أبو البخترىّ بن هشام وزَمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حِزام . ومن بنى مخزوم أبو جهل بن هِشام ، ومن بنى سهم نُبيه

١٢٣٠/١

---

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنَبِّه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَح أميّة بن خلَف؛ ومَنْ كان معهم[1] وغيرهم ممن لا يُعدُّ من قريش .

فقال بعضُهم لبعض : إنّ هذا الرجلَ قد كان أمْره ما قد كان وما قد رأيتم ؛ وإنّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتّبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيًا؛ قال : فتشاروا. ثم قال قائلٌ منهم : احبِسُوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابًا ، ثمّ تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زُهَيْراً ، والنّابغة ومَنْ مضى منهم ؛ من هذا الموت حتّى يصيبَه منه ما أصابهم .

قال : فقال الشيخُ النجدىّ: لاوالله ، ما هذا لكم برأى؛ والله لو حبستمُوه- كما تقولون - لخرج أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتمُوه دونَه إلى أصحابه؛ فلأوشكوا أن يثبُوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتّى يغلبوكم على أمركم هذا ؛ ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

١٢٣١/١ ثم تشاوروا ، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنَنفيَه من بلدنا؛ فإذا خرج عنّا فوالله ما نبالى أين ذهبَ ، ولا حيث وقع ، إذا[2] غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرَنا ، وألفتُنا كما كانت .

قال الشيخ النجدىّ : والله ما هذا لكم برأى ؛ ألم تروْا حسنَ حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتى به ! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلّ على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم[3] بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . أديروا فيه رأيًا غير هذا !

قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إنّ لى فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعدُ ! قالوا : وما هو يا أبا الحكَم ؟ قال: أرى أن تأخذوا من كلّ قبيلة

---

(١) كذا فى ابن هشام، وفى ط : « منهم »
(٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « غاب عنا أذاه » .
(٣) ح : « على قلوبهم » .

فتًى شابًّا جلْداً ، نسيبًا وسيطًا فينا ، ثم نعطِى كلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ثم يعمِدُون إليه ، ثم يضربونه بها ضرْبة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ؛ فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل كلّها ؛ فلم يقدر بنُو عبد مناف على حرْب قومهم جميعًا ، ورضُوا منّا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : فقال[١] الشيخ النجدىّ : القول ما قال الرجُل ، هذا الرأى لا رأْىَ لكم غيره .

فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمِعون له ، فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنتَ تبيت عليه !

١٢٣٢/١ قال : فلمّا كان العَتَمةُ من اللّيل ، اجتمعوا على بابه فترصّدوه متى ينام ، فيثبون عليه . فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نمْ على فراشى ، واتّشحَ[٢] ببرْدى الحضرمىّ الأخضر ؛ فنمْ فإنه لا يخلُص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرده ذلك إذا نام[٣] .

قال أبو جعفر : زاد بعضُهم فى هذه القصّة فى هذا الموضع : وقال له : إنْ أتاك ابن أبى قُحافة ، فأخبرْه أنّى توجّهت إلى ثوْر ، فَمُرْهُ فليلْحَق بى ، وأرسل إلىّ بطعام ، واستأجرْ لى دليلاً يدلّنى على طريق المدينة ؛ واشتر لى راحلةً . ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، وأعمى الله أبصارَ الذين كانوا يرصُدونه[٤] عنه ، وخرج عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن زياد ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ ، قال : اجتمعوا له . وفيهم أبو جهل بن هِشام ، فقال وهم على بابه : إنّ محمّداً

---

(١) ط : « يقول » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٢) ابن هشام « وتسجّ » .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١
(٤) ح : « يترصدونه » .

يزعُم أنكم إن تابعتمُوه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم بعد موتكم فجعِلت لكم جنان كجنان الأردنّ ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ؛ فجعِلت لكم نار تحرَقون فيها .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فأخذ حفنة من تراب ، ثم قال : نعم ، أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يروْنه[١] ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم؛ وهو يتلو هذه الآيات من يس : ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلّم من هؤلاء الآيات ، فلم يبقَ منهم رجل إلاّ وقد وضع على رأسه ترابـًا ؛ ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب . ١٢٣٣/١

فأتاهم آتٍ ممّن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمّدا ، قال : خيّبكم الله ! قد والله خرَج عليكم محمد ، ثم ما ترك[٢] منكم رجلا إلاّ وقد وضع على رأسه ترابـًا ، وانطلق لحاجته ؛ أفما ترونَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطّلعون[٣] ، فيروْن عليـًّا على الفراش[٤] متسجّيـًا[٥] ببُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فيقولون: والله إنّ هذا لمحمّد نائم، عليه بُردُه؛ فلم يبرحُوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليّ عن[٦] الفراش ، فقالوا : والله لقد صدَقنَا الذى كان حدّثنا ، فكان ممّا نزل[٧] من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا[٨] له :

---

(١) ح : « يرون له أثراً » .
(٢) ح : « لم يترك » .
(٣) ر : « يتطلعون » .
(٤) ح : « فى الفراش » .
(٥) ر : « متشحاً » .
(٦) و : « من الفراش » .
(٧) ح : « أنزل الله » .
(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾،(١) وقول الله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾(٢)

وقد زعم بعضُهم أنّ أبا بكْر أتى عليًّا فسأله عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحقَ بالغار من ثوْر، وقال: إن كان لك فيه حاجةٌ فالحقْه، فخرج أبو بكر مسرعًا(٣)، فلحق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الطّريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرْسَ أبي بكر في ظلْمة اللّيل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشيَ، فانقطع قِبَالُ نعله ففلق إبهامَه حَجَرٌ فكثر دمها، وأسرع السعيَ، فخاف أبو بكر أن يشقّ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فرفع صوته، وتكلّم، فعرفه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجْل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستنّ دمًا؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصّبح؛ فدخلاه. وأصبح الرّهط الذين كانوا يرصُدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدّار، وقام عليّ عليه السّلام عن فراشه، فلما دنوْا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، أو رَقيبًا كنتُ عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجّى الله رسولَه من مكرهم وأنزل عليه في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾.

١٢٣٤/١

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

أمِنَ المنُون وريبها تتوجّع   والدّهرُ ليسَ بمعتبٍ من يَجْزَعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢

(٣) ح: «يمشي مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذِنَ الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدّثنا علىّ بن نصر الجهضمىّ ، قال : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبد الوارث بن عبدالصّمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا أبان العطّار ، قال : حدّثنا هشام بن عُرْوة ، عن عُرْوة ، قال : لَمّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقَبْل[1] أن يخرج – يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقبل أن تنزل هذه الآية التى أمِرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمرَه بالخروج معَ مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظِرْنى ، فإنّى لا أدرى ؛ لعلّى يُؤذن لى بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلمّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذى يرجو من ربّه أن يأذَن له بالخروج ، حبَسهما وعلَفهما ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتّى أسمنهما ، فلما حبس عليه خروج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فمكث بذلك[2] .

١ / ١٢٣٥

فأخبرتنى عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا فى بيتهم ، وليس عند أبى بكر إلاّ ابنتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظّهيرة – وكان لا يخطئه يومًا أن يأتى بيتَ أبى بكر أوّل النهار وآخرَه – فلما رأى أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبىّ الله إلاّ أمرٌ حدث ؟ فلمّا دخلَ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبى بكر : أخرِج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عَيْن ، إنّما هما ابنتاى ، قال : إنّ الله قد أذِن لى بالخروج إلى المدينة ، فقال أبوبكر: يا رسولَ الله ، الصّحابة ، الصّحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر: خذ إحدى الرّاحلتين – وهما الرّاحلتان اللتان كان يُعلِفهما أبوبكر، يُعِدّهما للخروج ، إذا

١ / ١٢٣٦

---

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثا كذلك » .

أذِنَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم – فأعطاه إحدى الرّاحلتين ، فقال : خذها يا رسول الله[١] فارتحِلْها ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم . قد أخذتُها بالثمن ، وكان عامر بن فُهَيرة مُولّداً[٢] من مُوَلّدى الأزْدِ ، كان للطُّفَيْل ابن عبد الله بن سَخْبَرَة[٣] ، وهو أبو الحارث بن الطُّفَيل ، وكان أخا عائشة بنت أبى بكر وعبد الرحمن بن أبى بكر لأمّهما ، فأسلم عامر بن فُهيرة ، وهو مملوك لهم ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان حَسَنَ الإسلام ، فلمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، كان لأبى بكر مَنِيحةٌ[٤] من غَنَمٍ تروحُ على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً فى الغنم إلى ثوْر ، فكان عامر بن فهَيْرة يروح بتلك الغَنَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثَوْر ، وهو الغار الذى سمّاه الله فى القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بنى عبد بن عدىّ ، حليفًا لقريش من بنى سَهْم ، ثم آل العاص بن وائل ؛ وذلك العَدَوىّ يومئذ مشركٌ ، ولكنّهما استأجراه ، وهو هاد بالطّريق . وفى الليالى[٥] التى مكثا[٦] بالغار كان[٧] يأتيهما عبدُ الله بن أبى بكر حين يُمسى بكلّ خبر[٨] بمكّة ، ثم يصبح بمكّة ويريح عامر الغنم كلّ ليلة ، فيحلُبان ، ثم يسرح بُكرَةً فيصبح[٩] فى رُعْيانِ النّاس ، ولا يُفْطَن له ؛ حتى إذا هدأت عنهما الأصوات ، وأتاهما أنْ قد سُكِت عنهما ، جاءهما صاحبهما ببعيريهما[١٠] ، فانطلقا وانطُلِق معهما بعامر بن فُهَيْرةَ يخدمُهما ويعينهما ، يُردفه أبو بكر ويُعقبه علَى رَحْله ، ليس معهما أحدٌ إلاّ عامر بن فُهَيْرة ،

---

(١) ح : بأبى أنت يا رسول الله » .
(٢) ح : « مولوداً » .
(٣) ضبطه صاحب التقريب بفتح فسكون .
(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفى الفائق : « منحة » .
(٥) ح : « فى الليالى » .
(٦) ح : « مكثها » .
(٧) م : « وكان » .
(٨) ح ، ر : « خير » .
(٩) ح : « فأصبح » .
(١٠) ح ، هـ : « ببعيرهما » .

١٢٣٧/١ وأخو بنى عدىّ يهديهما الطّريق ، فأجاز بهما فى أسفل مكة[١] ، ثم مضى بهما حتى حاذَى بهما الساحل ، أسفلَ من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطّريق بعد ما جاوز قُدَيْداً ، ثم سلك الخَرّار[٢] ، ثم أجاز على ثَنيَّة المَرَة[٣] ، ثم أخذ على طريق يقال لها[٤] المدْلجة بين طريق عَمْق وطريق الرَّوْحاء، حتى توافَيَا[٥] طريق العَرْج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن يمين رَكُوبة ؛ حتى يَطْلع على بطن رِئم ، ثم جاء حتى قدِم المدينة على بنى عمرو بن عوف قبل القائلة . فحُدّثت أنه لم يبقَ فيهم إلاّ يومين — وتزعم بنو عمرو بن عوف أنْ قد أقام فيهم أفضلَ من ذلك — فاقتاد راحلتَه فاتّبعَتْه حتى دخل فى دُور بنى النجّار ، فأراهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِرْبداً كان بين ظهرىْ دورهم .

وقد حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمىّ ، قال : حدّثنى عُروة بن الزّبير ، عن عائشة زوْج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفَىِ النهار أن يأتىَ بيت أبى بكر إمّا بُكْرةً ، وإمّا عشيّة ؛ حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالخروج من مكّة من بين ظهرانىْ قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجِرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها .
١٢٣٨/١ قالت : فلمّا رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه السّاعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلمّا دخل تأخّر أبو بكر عن سريره فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلاّ أنا وأختى

---

(١) م : « إلى أسفل مكة » .
(٢) م : « الحرار » .
(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفى ح : « المرأة » .
(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .
(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبته من ح .

أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أخرِجْ عنّى مَنْ عندك[١] ، قال : يا نبىّ الله ، إنّما هما ابنتاىَ ، وماذاك فداك أبى وأمّى ! قال : إنّ الله عزّ وجلّ قد أذن لى بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحبة يا رسول الله ، قال : الصّحبة .

قالت : فوالله ما شعرتُ قطّ قبل ذلك اليوم أنّ أحداً يبكى من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . ثم قال : يا نبىّ الله ، إنّ هاتيْنِ راحلتاىَ[٢] ، كنت أعددتُهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقد - رجلاً من بنى الدِّيل بن بكْر ، وكانت أمّه امرأةً من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا - يدلّهما على الطّريق ، ودفعا إليه راحلتيْهما ، فكانتا[٣] عنده يرعاهما[٤] لميعادهما ، ولم يعلم - فيما بلغنى - بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلّم أحدٌ حين خرج إلاّ علىٌّ بن أبى طالب وأبو بكر الصدّيق ، وآل أبى بكر ؛ فأمّا علىّ بن أبى طالب فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه ، وأمَرَه أن يتخلّف بعده بمكّة حتى يؤدّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده للنّاس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم وليس بمكة أحدٌ عنده شىء يخشىَ عليه إلاّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلمّا أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم للخروج أتى أبا بكر بن أبى قُحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عَمَدا إلى غار بثَوْر جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أنْ يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخَبَر ، وأمَر عامرَ بن فُهَيرة مولاه أن يرعَى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماءُ بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام[٥] إذا أمستْ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

١٢٣٩/١

(١) ح : « عندى » .
(٢) ح : « راحلتان » .
(٣) ح ، م : « فكانت » .
(٤) م : « يراعيهما » .
(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثًا ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدُوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش ومعهم ، ويستمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فُهَيرة مولَى أبى بكر يرعَى فى رُعْيان أهلِ مكّة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما إلى مكّة اتّبع عامر بن فهيرة أثرَه بالغنم ، حتى يُعفِّيَ عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهُما الذى استأجرا ببعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١ أسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصاما[1] . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة[2] ، فإذا ليس فيها عِصامٌ فحلّت نِطاقها[3] ، فجعلَتْه لها عِصامًا ، ثم علّقتها به — فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النّطاقين ؛ لذلك — فلما قرَّبَ أبو بكر الرّاحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرّب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فداك أبى وأمّى ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّى لا أركب بعيراً ليس لى ، قال : فهو لك يا رسولَ الله بأبى أنت وأمّى ! قال : لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فُهَيرة مولاهُ خلْفَه يخدمُهما بالطريق[4] .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثت عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوكِ يا ابنة أبى بكر ؟ قلتُ : لا أدرِى والله أين أبى ! قالت : فرفع أبو جهل يدَه —

---

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافر .

(٣) قال ابن هشام : «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ — ٤

وكان فاحشًا خبيثًا — فلطَم خدّى لطمة طرح منها قُرْطِى . قالت : ثم انصرفوا ومكثنا ثلاثَ ليال ، لا ندرى أين توجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ حتى أقبلَ رجل من الجنِ ، من أسفل مكّة يغنّى بأبيات من الشّعر غناء العرب والنّاس يتّبعونه ؛ يسمعون صَوْتَه وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ[1]

١/١٢٤١ هُمَا نَزَلاها بالهُدَى وَاغْتَدَوْا بِهِ فَأفلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

لِيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِم ومَقْعَدُها لِلْمُؤْمِنِينَ بمَرْصَدِ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما[2] .

قال أبو جعفر : حدّثنى أحمد بن المقدام العجلىّ ، قال : حدّثنا هشام ابن محمّد بن السّائب الكلبىّ ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن أبى عبْس بن محمّد بن أبى عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعتْ قريش قائلاً يقول فى الليل على أبى قُبَيْس :

فإنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ بمَكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخَالِفِ

١/١٢٤٢ فلمّا أصبحوا قال أبو سفيان : مَنِ السَّعْدان ؟ سَعْدُ بكر ، سَعْدُ تميم ، سعد هُذَيْم ! فلمّا كان فى الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أيا سَعْدُ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أنْتَ نَاصِرًا ويا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِيْنَ الْغَطَارِفِ

أجيبا إلى دَاعِى الْهُدَى وتَمَنَّيَا عَلَى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فَإنَّ ثَوَابَ اللهِ للطَّالِبِ الْهُدَى جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ ذاتُ رَفَارِفِ

---

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٥

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة .

* * *

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قُباءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لِثْنتَىْ عشْرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضُّحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزّبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدّثنى رجال قومى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قالوا : لما سمِعْنَا بمخرج رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكّفنا قدومه[1] ، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهِر حَرَّتنا ، ننتظرُ[2] رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فوالله ما نَبْرَح حتى تغلبَنا الشمس على الظلال[3] ؛ فإذا لم نجد ظِلاً دخلنا بيوتنا . وذلك ١٢٤٣/١ فى أيام حارّة ؛ حتى إذا كان فى اليوم الذى قَدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظِلٌّ دخلنا بيوتنا . وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا[4] كُنّا ننتظر قدومَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[5] هذا جَدّكُم قد جاء .

قال : فخرجنا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر فى مثل سِنّه وأكثرُنا مَنْ لم يكن رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس[6] ، وما نعرفه من أبى بكر ؛ حتى زال

---

(١) توكفنا قدومه : انتظرناه .

(٢) ر : « فننظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنما » .

(٥) بنو قيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٦) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما يذكرون — على كُلْثوم بن هِدْم، أخي بني عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بني عُبيد ، ويقال: بل نزل على سعد بن خَيْثَمة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هدم: إنّما كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا خرج من منزل كُلثوم بن هِدْم ، جلس للناس فى بيت سَعْد بن خيثمة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب ، فالله أعلم أىّ ذلك كان ، كلاّ قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبى قُحافة على خُبَيْب بن أساف ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزلهُ على خارجة بن زيد بن أبى زُهَير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام علىّ بن أبى طالب رضىَ الله عنه بمكّة ثلاث ليالٍ وأيّامها ؛ حتّى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم الودائعَ التى كانت عنده إلى النّاس ؛ حتّى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فنزل معه على كُلْثوم ابن هِدْم، فكان علىّ يقول: وإنّما كانت إقامته بقُبَاء على امرأة لا زوْجَ لها مسلمة، ليلةً أو ليلتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقُباء على امرأة لا زوْج لها مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها فى جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه ، قال : فاستربْتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابَك كلّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئًا ، ما أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سَهْل بن حُنَيْف بن واهب ، قد عرف أنّى امرأة لا أحدَ لى ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسّرها ، ثم[1] جاءنى بها ، وقال : احتطبى بهذا . فكان علىّ بن

---

(١) ر : « حتى » .

أبى طالب يأثر ذلك مِن أمر سهل بن حُنَيف حين هلك عنده بالعراق[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى هذا الحديث علىّ بن هند بن سعد بن سهل بن حُنَيف ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

١٢٤٥/١ فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقُباء فى بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين ، ويوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء ، ويوم الخميس؛ وأسَّس مسجدهم؛ ثم أخرجه الله عزّ وجلّ من بين أظهرهم يوم الجمعة ؛ وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنّه مكث فيهم أكثرَ من ذلك . والله أعلم .

ويقول بعضهم : إنّ مقامه بقُباء كان بضعة عشر يومًا .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف السَّلفُ من أهلِ العلم فى مدّة مقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة بعد[٢] ما استنبئ ، فقال بعضهم : كانت مدّة مقامه بها إلى أن هاجر إلى المدينة عشر سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حدّثنا يحيى بن محمّد بن قيس المدنىّ — يقال له أبو زُكَيْر — قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بُعِثَ على رأس أربعين ،فأقام بمكّة عشراً .

حدّثنى الحسين بن نصر الآمُلىّ ، قال : حدّثنا عبيد[٣] الله بن موسى ، عن شَيْبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلَمَة بن عبد الرحمن ؛ قال : أخبرتْنى عائشة وابنُ عبّاس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عبد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل[1] عليه القرآن .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلّم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكّة عشراً . ١/١٢٤٦

حدّثني أحمد بن ثابت الرّازيّ ، قال : حدّثنا أحمد ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، عن هِشام ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكّة عشراً .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا عمرو بن عثمان الحمصيّ ، قال : حدّثنا أبي ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على رأس عَشْرٍ من مُخْرَجه .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبِئ بمكّة ثلاث عشرة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد – يعني ابن سلمة – ، عن أبي جَمْرة ، عن ابن عبّاس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحَى إليه .

حدّثني محمّد بن خلف ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، قال : حدّثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعيّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة[2] ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة .

---

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدّثنى محمّد بن معمَر ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا زكرياء ابن إسحاق ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : مكث رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ثلاث عشرة سنة .

حدّثنى عبيد[1] بن محمد الورّاق ، قال : حدّثنا رَوْح ، قال : حدّثنا هشام ، قال : حدّثنا عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : بُعِث النبىّ صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر[2] بالهجرة . ١٢٤٧/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد وافق قولُ مَنْ قال : بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة قول أبى قيس صِرْمة بن أبى أنَس ، أخى بنى عدىّ بن النّجار ، فى قصيدته الّتى يقول فيها ، وهو يصف كرامة الله إيّاهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبىّ الله صلى الله عليه وسلّم ، عليهم :

ثوَى فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يذَكِّرُ لو يَلْقى صَدِيقاً مواتِيَا[3]!

ويَعرِضُ فى أهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِى ، ولَمْ يَرَ داعيا

فلمّا أتانا أظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فأصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبةَ رَاضِيًا

وألْفَى صَدِيقاً واطْمَأنّتْ به النّوَى ... وكان له عَوْناً مِنَ اللهِ باديا

يَقُصُّ لنا ما قال نُوحٌ لقَوْمِهِ ... وما قال مُوسَى إذْ أجابَ المُنادِيا

وأصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النّاس واحدا ... قريباً ، ولا يَخْشَى من النّاسِ نائيا ١٢٤٨/١

بَذَلْنا له الأَمْوالَ منْ جُلِّ مَالنا ... وأنفُسنا عند الوَغَى والتّآسيا[4]

(١) ر : « عبيد الله » .
(٢) ح ، م : « أمره » .
(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .
(٤) بعده فى الاستيعاب :

نُعادِى الّذى عادَى من النّاس كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وإنْ كَانَ الحبِيب المواتِيَا

ونعلَمُ أن ٱللهَ لا شئ غيره ونعلَمُ أنَّ ٱللهَ أفْضَلُ هاديا

فأخبر أبو القيس فى قصيدته هذه أن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه قريش كان بعد ما استنبئ وصَدَع بالوحى من الله بضع عشرة حجّـــة .

* * *

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمّد بن عمر ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد بهذا البيت من قول أبى قيس صِرمة بن أبى أنس ، غير أنه أنشد ذلك :

ثَوَى فى قُرَيشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا[1]!

* * *

١/١٢٤٩ قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبىّ أنّ إسرافيل قُرن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحَى إليه ثلاث سنين .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر الواقدىّ ، قال : حدّثنا الثورىّ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبىّ — قال : وحدّثنا إملاءً من لفظه منصورٌ عن الأشعث ، عن الشعبىّ — قال : قُرن إسرافيل بنبوّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسّه ، ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريلُ عليه السلام . قال الواقدىّ: فذكرتُ ذلك لمحمّد بن صالح بن دينار ، فقال: والله يابن أخى لقد سمعت عبدَالله بن أبى بكر بن حَزْم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يحدّثان[2] فى

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقىّ يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعًا وقالا : ما سمعنا ولا علمنا إلاّ أنّ جبريل هو الذى قُرن به ، وكان يأتيه بالوحى من يوم نُبِّئ إلى أن توفّى صلى الله عليه وسلم[1] .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عدىّ ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلتْ عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشىء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكّة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فلعلّ الذين قالوا : كان مقامُه بمكّة بعد الوحى عشراً عدّوا مقامَه بها من حين أتاه جبريل بالوحْىِ من الله عزّ وجلّ ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا: كان مُقامه ثلاث عشرة سنة من أوّل الوقت الذى استنبئ فيه ؛ وكان إسرافيل المقرون به وهى السنون الثلاث التى لم يكن أُمِرَ فيها بإظهار الدعوة . ١/١٢٥٠

وقد روى عن قَتادة غيرُ القولين اللّذين ذكرت ؛ وذلك ما حدّثت عن رَوح بن عبادة ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانىَ سنين بمكّة وعشراً بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشراً بمكّة وعشراً بالمدينة .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩١ .

ذكر الوقت الذى عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدّثنى زكرياء بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن ابن جُرَيج ، عن أبى سلمة ، عن ابن شهاب ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة — وقدمها فى شهر ربيع الأول — أمر بالتأريخ.

* * *

قال أبو جعفر : فذكر أنّهم كانوا يؤرّخون بالشهْر والشهرين من مَقْدَمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إنّ أول مَنْ أمر بالتأريخ فى الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نعيم ، قال : حدّثنا حبّان ابن علىّ العنَزِىّ ، عن مُجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كتب أبو موسى الأشعرىّ إلى عمر : إنّه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر النّاس للمشورة ، فقال بعضُهم : أرِّخْ لمبعثِ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . وقال بعضهم : لمهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال عمر : لا بل نؤرّخ لمهاجَر رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، فإنّ مهاجَرَه فرَق بين الحقّ والباطل . ١/١٢٥١

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قُتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا خالد بن حيّان أبو يزيد الخرّاز ، عن فُرات بن سَلْمان ، عن ميمون بن مهْران ، قال : رفِعَ إلى عمر صَكٌّ مَحلّه فى شعبان ، فقال عمر : أىّ شعبان؟ الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسولِ الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للنّاس شيئًا يعرفونه ، فقال : بعضُهم: اكتبُوا على تأريخ الرّوم ، فقيل : إنهم يكتبُون من عَهْد ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرْس ؛ فقيل : إنّ الفرْس كلّما قام ملك طرح مَنْ كان قبله ؛ فاجتمع[1] رأيُهُم على أن ينظروا : كَمْ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتِب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدِّثت عن أميّة بن خالد وأبى داود الطّيالسىّ ، عن قرّة بن خالد السَّدوسىّ ، عن محمّد بن سيرين ، قال: قام رجلٌ إلى عمرَ بن الخطاب فقال: أرّخوا ، فقال عُمر : ما «أرّخوا» ؟ قال : شىء تفعله الأعاجم ، يكتبون فى شَهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حَسَنٌ ، فأرّخوا . فقالوا : من أىّ السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا[2] على الهجرة . ثم قالوا : فأىّ الشهور نبدأ ؟ فقالوا: رمضان ، ثم قالوا : المحرّم ، فهو منصرَف الناس من حَجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا[3] على المحرّم . ١/١٢٥٢

حدّثنى محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنى سعيد بن أبى مريم . وحدّثنى عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا أبى ، قالا جميعًا : حدّثنا عبد العزيز بن أبى حازم ، قال : حدّثنى أبو حازم ، عن سَهْل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدّد ، ما عدُّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدُّوا إلاّ من مقدَمه المدينة .

حدّثنى محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا سعيد بن أبى مريم ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدّثنى محمّد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال: كان التأريخ فى السّنة التى قدِم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها وُلد عبدُ الله بن الزّبير .

---

(١) م : « فأجمع » .
(٢) م : « اجتمعوا » .
(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبي عبّاد ؛ قال : حدّثنا محمد بن مسلم الطائفيّ ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عبّاس ، قال : كان التأريخ في السنَةِ التي قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدّثني محمّد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدّثنا نوح بن قيس الطّاحيّ ، عن عثمان بن مِحْصن ، أنّ ابنُ عباس كان يقول في : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، قال : الفجر هو المحرّم ، فجْر السنة .

حدّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدّثنا أبو نُعَيْم الفضل بن دُكَين ، قال : حدّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عُبيد بن عمير ، قال : إنّ المحرّم شهرُ الله عزّ وجلّ ، وهو رأس السّنة ، فيه يكسَى البيت ، ويؤرّخ[1] التأريخ ، ويضرب فيه الورِق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عزّ وجلّ عليهم . ١٢٥٣/١

حدّثني أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال : حدّثنا أحمد[2] ، قال : حدّثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدّثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أنّ أوّل مَنْ أرّخ الكتُب يعلى بن أميّة ، وهو باليمن ، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قدِم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأنّ النّاس أرّخوا لأوّل السّنة ؛ وإنما أرّخ النّاس لمقدَم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وقال عليّ بن مجاهد ، عن محمّد بن إسحاق ، عن الزهريّ . وعن محمّد ابن صالح ، عن الشعبيّ ، قالا[3] : أرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السّلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرّخ بنو إسماعيل من بُنيان البيت ؛ حتى[4] تفرّقت ، فكان كلّما خرج قوم من تِهامة أرّخوا

---

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » . (٢) هو أحمد بن حنبل .
(٣) ح : « قال » .
(٤) ر : « حين » .

بمخرجهم[١] ، ومَنْ بقى بتِهَامة من بنى إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد وَنَهْد وجُهَينة ، بنى زيد، من تِهامة؛ حتى مات كعب بن لؤىّ، فأرّخوا من موت كعب بن لؤىّ إلى الفيل ؛ فكان التأريخ من الفيل ، حتى أرّخ عمر ابنُ الخطّاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانىَ عشرة .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال: حدّثنا نعيم بن حمّاد ، قال :حدّثنا الدراوردىّ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : جمع عمرُ بن الخطّاب النّاس، فسألهم ، فقال : من أىّ يوم نكتب ؟ فقال علىّ عليه السّلام : من يوم هاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وترك أرض[٢] الشِّرْك ، ففعله عمر رضى الله عنه .

١/١١٥٤

قال أبو جعفر : وهذا الذى رَوَاه علىّ بن مجاهد ، عمّن رواه عنه فى تأريخ بنى إسماعيل غيرُ بعيد من الحق؛ وذلك أنّهم لم يكونوا يؤرّخون على أمر معروف يعمل به عامّتهم، وإنّما كان المؤرّخ منهم يؤرّخ بزمان قُحْمة[٣] كانت فى ناحية من نواحى بلادهم ، ولِزَبْة أصابتهم ؛ أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم ؛ يدلّ على ذلك اختلافُ شعرائهم فى تأريخاتهم ؛ ولو كان لهم تأريخ على أمرٍ معروف ، وأصلٍ معمول عليه ، لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبُع الفَزارىّ :

هأنَذَا آمُلُ الْخُلُودَ وقَدْ أدْرَكَ عَقْلِى ومَوْلَدِى حُجُرَا
أبا امْرِئْ الْقَيْسِ هَلْ سمِعْتَ بِهِ هَيْهاتَ هَيْهاتَ طالَ ذَا عُمُرا !

فأرّخ عمْرَهُ بحجْر بن عمرو أبى امرئ القيس .

وقال نابغة بنى جَعْدة :

---

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّى فَإِنِّى ... مِنَ الشُّبَّانِ أَزْمَانَ الْخُنَانِ[1]

فجعل النّابغة تأريخَه ما أرّخ بزمان علّة كانت فيهم عامّة .

وقال آخر :

وَمَا هِىَ إِلَّا فِى إِزَارٍ وعِلْقَةٍ ... مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ على حَىِّ خَثْعَمَا[2]

١٢٥٥/١ فكلّ واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم فى هذه الأبيات ، أرّخَ على قرْب زمان بعضهم من بعض ، وقرْب وقت ما أرّخ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أرّخ بـهِ الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدّوْنه ؛ ولكنّ الأمر فى ذلك كان عندهم إنْ شاء الله على ما ذكرت ؛ فأمّا قريش من بين العرب ؛ فإنّ آخر ما حصلْتُ من تأريخها قبل هجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم من مكّة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيـل ؛ وذلك عام وُلد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفِجار عشرون سنة ، وبين الفِجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبىّ صلى الله عليه وسلّم خمس سنين .

* * *

قال أبو جعفر : وبُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرن بنبوّته — كما قال الشعبىُّ — ثلاث سنين : إسرافيلُ ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرن بنبوّته جبريلُ عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمرَه بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرَها ، ودعا إلى الله مقيمًا بمكّة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة فى شهر ربيع الأوّل من سنة أربع عشرة من حين استنبئَ ، وكان خروجه من مكّة إليها يوم الاثنين ، وقدومه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضىّ اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

---

(١) فى اللسان : « وزمن الخنان زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت فى اللسان (علق) من غير نسبة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعانيّ ، عن ابن عبّاس ، قال : ولِد النبيّ صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين ، واستُنبئ يوم الاثنين ، ورفع الحجَر يوم الاثنين، وخرج مهاجراً من مكّة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبِض يوم الاثنين. ١٢٥٦/١

حدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزهريّ، قال : قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة يوم الاثنين ، لاثنتى عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول .

* * *

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمرُ فى تأريخ المسلمين كالذى وصفت ، فإنّه وإن كان من الهجرة، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدَم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة بشهرين وأيام ؛ هى اثنا عشر ؛ وذلك أنّ أوّل السّنة المحرّم ، وكان قدومُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة، بعد مُضِيّ ما ذكرت من السنة، ولم يؤرّخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة فى أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضَى ذكرُنا وقْتَ مقدَم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، وموضعه الذى نزل فيه حين قدمها ، وعلى مَنْ كان نزوله ، وقَدْر مُكْثه فى الموضع الذى نزله[1] ، وخبر ارتحاله عنه . ونذكر الآن ما لم نذكُر قبلُ ممّا كان من الأمور المذكورة فى بقيّة سنة قدومه ؛ وهى السَّنة الأولى من الهجرة.

فمن ذلك تجميعُه صلّى الله عليه وسلّم بأصحابه الجمُعة ، فى اليوم الذى ارتحل فيه من قُبَاء ؛ وذلك أنّ ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً[2] المدينة ، فأدركتْه الصّلاة ، صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، ببطن واد لهم — قد اتُّخذ[3] اليوم فى ذلك الموضع مسجداً — فيما بلغنى — وكانت هذه الجمعة ، أوّلَ جمعة جمّعها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ، فخطب فى هذه الجمعة ؛ وهى أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل .

١٢٥٧/١

* * *

خطبة رسول الله

صلَّى الله عليه وسلَّم فى أوّل جمعة جَمَّعها بالمدينة

حدّثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرَنا ابنُ وهْب ، قال : حدّثنى سعيد بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أوّل جمعة صلاّها بالمدينة فى بنى سالم بن عوف :

الحمد لله ، أحمَده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى مَنْ يكفره ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمّداً عبدُه ورسوله ؛ أرسله بالهُدى والنور والموعظة ، على فَتْرَة من الرسل ، وقلّة من

(١) ر : « نزل » . (٢) ح : « عامداً إلى المدينة » .
(٣) ح : « اتخذوا » .

العلم، وضلالة من النَّاس، وانقطاع من الزمان، وُدنُوٍّ من الساعة، وقُرْبٍ من الأجَل؛ منْ يُطع الله ورَسُولَه فقَد رَشَد، ومن يعْصهما فقد غوَى وفرّط؛ وضَلّ ضَلالا بَعيداً. وأوصيكُم بتقوى الله، فإنه خيرُ ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ؛ أن يَحُضَّه على الآخرة، وأن يأمرَه بتقوى الله، فاحذروا ما حذّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً؛ وإنّ تقوى الله لمن عَمِلَ به على وَجل[1] ومخافة من ربّه، عَوْنُ صدْقٍ على ما تَبْغُون من أمر الآخرة. ومَن يصلِح الذى بينه وبين الله من أمره فى السرّ والعلانية، لاينوى بذلك إلاّ وجهَ الله يكن له ذكراً[2] فى عاجل أمره، وذُخْراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كانَ من سوَى ذلك يَوَدُّ لَوْأنّ بيْنها وَبينهُ أمَداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسَه، والله رءوف بالعباد. والذى صدّق قوله، وأنجز[3] وَعْدَه، لا خُلفَ لذلك، فإنَّه يقول عزّ وجلّ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَىَّ ومَا أنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[4]. فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرّ والعلانية، فإنَّه مَنْ يتَّقِ الله يُكفِّرْ عَنْهُ سيِّئاته، ويُعْظِم له أجْرًا، ومَنْ يتَّق الله فقد فاز فَوْزاً عظيمًا. وإنّ تقوى الله يُوَقِّى مقته، ويوقّى عقوبته، ويوقّى سَخَطه، وإنّ تقوى الله يُبيِّض الوجوه، ويرْضى الربَّ، ويرفع الدّرجة. ١٢٥٨/١

خذوا بحظِّكم، ولا تفرِّطوا فى جَنْب الله؛ قد علَّمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيلَه، ليعلَم الَّذين صدقوا ويعلَم الكاذبين. فأحْسِنوا كما أحْسَنَ الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وسمّاكمُ المسلمين، ليهْلِكَ مَنْ هلكَ عن بيِّنة، ويحيا من حَىَّ عنْ بيِّنة، ولا قوّة إلا بالله. فأكثِرُوا ذكْرَ الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه مَنْ يصلح ما بينه وبين الله يَكْفه الله مابينه وبين النَّاس، ذلك بأنّ الله يقضى على النَّاس ولا يقضُون عليه، ويملِكُ من النَّاس ولا يملكون[5]

---

(١) ح: «رجاء». (٢) ح: «ذخراً وذكراً».

(٣) ح، م: «ونجز». (٤) سورة ق ٢٩.

(٥) ر: «ما لا يملكون».

منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوّةَ إلاّ بالله العظيم ! .

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ركِب ناقتَه ، وأرخَى لها الزّمام ، فجعلَت لا تَمُرُّ بدار من دُور الأنصار إلاّ دعاه أهلُها إلى النزول عندهم ، وقالوا له : هلُمّ يا رسولَ الله! إلى العَدَد والعُدّة والمنَعة ؛ فيقول لهم صلّى الله عليه وسلّم : خلُّوا زِمامها فإنّها مأمورة ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده[1] ؛ وهو يومئذ مِرْبَد[2] لغلاميْن يتيمين من بنى النّجار فى حِجْر مُعاذ بن عَفْراء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النَّجار . فلما بركَتْ لم ينزل عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم وثبَتْ فسارتْ غيرَ بعيد، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم واضعٌ لها زمامها لا يَثْنيها به ؛ ثم التفتت خلْفها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكها أوّل مرة ، فبركت فيه ووضعت جِرانَها ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه فى بيته ، فدعَتْه الأنصار إلى لنزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: المرءُ مع رحله . فنزل على أبى أيوّب خالد بن زيد بن كليب ، فى بنى غَنْم بن النجّار[3] . ١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسألَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن المِرْبَد لمن هو ؟ فأخبره مُعاذ بن عفراء ، وقال : هو ليتيميْن لى ، سأرضيهما . فأمر به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُبْنَى مسجداً ، ونزل على أبى أيّوب ، حتى بنى مسجدَه ومساكنه . وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم اشترى موضعَ مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا فى ذلك ، ما حدّثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدّثنا

---

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حمّاد بن سلَمة ، عن أبي التيّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجدِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لبني النَّجار ، وكان فيه نخل وحَرْث وقبورٌ من قبور الجاهليّة ، فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ثامنُوني[١] به ، فقالوا : لا نبتغي[٢] به ثمنًا إلاّ ما عندالله . فأمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّخْل فقطِع ، وبالحرْث فأفسد، وبالقبور فنبِشتْ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك يصلّي في مرابضِ الغنم ، وحيث أدركته الصلاة . ١/١٢٦٠

قال أبو جعفر : وتولَّى بناء مسجِده صلّى الله عليه وسلّم هو بنفسه وأصحابه[٣] من المهاجرين والأنصار .

وفي هذه السَّنة بُني مسجد قُباء .

* * *

وكان أوّلَ من تُوفّيَ بعد مقدمه المدينة من المسلمين — فيما ذكر — صاحب مَنْزِله كُلْثوم بن الهِدْم ، لم يلبَث بعد مقدَمه إلا يسيراً حتى مات .

ثم توفّيَ بعده أسعدُ بن زُرارة في سنَة مقدَمه ، أبو أمامة . وكانت وفاته قبل أن يَفرُغَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بناء مسجده ، بالذّبْحَة[٤] والشَّهْقَة[٥] . فحدّثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبدالرحمن ؛ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : بئس[٦] الميّتُ أبو أمامة ليَهودَ ومنافقي العرب! يقولون : لو كان محمّد نبيًّا لم يَمُتْ صاحبُه ؛ ولا أملِكُ لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئًا[٧] .

---

(١) ثامنوني به ؛ أي اجعلوا لها ثمناً .
(٢) و : « لا نبغي » .
(٣-٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .
(٤) الذبحة : وجع في الحلق يخنق فيقتل .
(٥) الشهقة : الصيحة .
(٦) ر : « لبئس » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩

وقد حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى ، قال : حدّثنا يزيد بن زُرَيع ، عن معمَر ، عن الزهرى ، عن أنَس ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشَّوْكَة[1] .

قال ابنُ حُميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصارىّ أنه لما مات[2] أبو أمامة أسعد بن زرارة ، اجتمعتْ ١٢٦١/١ بنو النَّجار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان أبو أمامة نقيبَهم — فقالوا : يا رسولَ الله ؛ إنّ هذا الرّجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعلْ منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمْ أخوالِى وأنا منكم ؛ وأنا نقيبكم .

قال : وكَرِه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يَخُصّ بها بعضَهم دون بعض ؛ فكان من فَضْل[3] بنى النجار الذى تَعدّ[4] على قومهم ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان نقيبَهم[5] .

وفى هذه السنة مات أبو أحَيْحَة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السَّهْمىّ فيها بمكّة .

* * *

وفيها بنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدَمِه المدينة بثمانيَة أشهر ؛ فى ذى القَعدة فى قول بعضهم ، وفى قول بعضٍ : بعد مقدَمِه المدينة بسبعة أشهر ، فى شوّال ، وكان تزوّجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهى ابنة ستّ سنين ، وقد قيل : تزوّجها وهى ابنةُ سبع .

---

(١) الشوكة : حمرة تظهر فى الوجه وغيره من الجسد . والخبر فى نهاية ابن الأثير ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بنى النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذى يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩

حدّثنا عبدُ الحميد بن بَيَان السكريّ ، قال : أخبرَنا محمّد بن يزيد، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضّحاك ، عن رجل من قُرَيش، عن عبد الرحمن بن محمّد ، أنّ عبد الله بن صفوان وآخر معه أتيا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعتَ حديث حَفْصَة ؟ قال لها : نعم يا أمّ المؤمنين ، قال لها عبدُ الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت: خِلالٌ فيَّ تسع لم تكن في أحَد من النِّساء إلاّ ما آتى الله مَرْيَمَ بنت عِمْران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحبي ، قال لها : وما هنّ[1] ؟ قالت : نزل المَلَكُ بصورتي ، وتزوّجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهدِيتُ إليه لتسع سنين ، وتزوّجني بكراً لم يشركْهُ فيّ أحَدٌ من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنتُ مِنْ أحبِّ الناس إليه[2] ، ونزل فيَّ آيةٌ من القرآن كادت الأمّةُ أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحَدٌ من نسائه غيري ، وقُبض في بَيْتي لم يلِه أحدٌ غير المَلَك وأنا . ١٢٦٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في شوّال، وبَنَى بها حين بنى بها في شَوّال .

* ذكر الرّواية بذلك :

حدثنا ابنُ بشّار ،قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال: حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن عبد الله بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت: تزوّجني رسُول الله صلّى الله عليه وسلّم في شوّال، وبنَى بي في شوّال. وكانت عائشة تستحبُّ أن يُبْنَى بالنساء[3] في شوّال .

---

(١) كذا في ر ، وفي ط : « هو ».
(٢) زاد بعدها ر : « وابنة أحب الناس إليه » .
(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بنسائها » .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عُرْوة ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : تزوَّجنى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى شوّال ، وبنى بى فى شوّال ، فأىُّ نساء رسول الله كانت أحْظَى عنده منّى ! وكانت عائشة تستحبّ أن يُدْخَلَ بالنساء[1] فى شوّال .

١٢٦٣/١

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بَنَى بها فى شوّال يوم الأربعاء ، فى منزل أبى بكر بالسُّنْح .

وفى هذه السنة بعثَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بناتِه وزوجتِه سَوْدَةَ بنت زَمْعَة ، زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، فحملاهنّ[1] من مكّة إلى المدينة .

ولما رجع – فيما ذكر – عبد الله بن أرَيْقِط إلى مكّة أخبر عبد الله بن أبى بكر بمكان أبيه أبى بكر ، فخَرَجَ عبدُ الله بعيال أبيه إليه ، وصَحِبَهم طلْحَة بن عبيد الله ، معهم[2] أمّ رُومان ، وهى أمّ عائشة ؛ وعبد الله بن أبى بكر حتى[3] قدموا المدينة .

وفى هذه السنة زِيدَ فى صلاة الحَضَر – فيما قيل – ركعتان ، وكانت صلاة الحَضَر والسفَر ركْعتين ؛ وذلك بعد مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ بشهر ، فى ربيع الآخر ، لمُضىّ اثنتىْ عشرة ليلة منه[4] ، زعم الواقدىّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

* * *

وفيها – فى قول بعضهم – وُلِد عبد الله بن الزُّبير . وفى قول الواقدىّ : وُلِدَ فى السَّنَة الثانية من مقْدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة فى شوال .

---

(١) كذا فى ر وفى ط : « بنسائها » .
(٢) ر : « معه » .
(٣) م : « حين » .
(٤) ر : « مضت منه » .

حدّثني الحارثُ ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عُمَر الواقديّ : وُلِد ابنُ الزّبير بعد الهجرة بعشرين شهرًا بالمدينة . ١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أوّلَ مولودٍ ولد من المهاجرين فى دار الهِجْرة ، فكبَّر — فيما ذُكر — أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين وُلِد ؛ وذلك أنّ المسلمين كانوا قد تحدّثوا أنّ اليهود يذكرون أنّهم قد سَحَروهم فلا يُولَد لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سرورًا منهم بتكذيب الله اليهود فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماءَ بنت أبى بكر ، هاجرتْ إلى المدينة وهى حاملٌ به .

وقيل أيضًا : إنّ النّعمان بن بَشير وُلِد فى هذه السنة ؛ وإنّه أوّل مولود وُلِد للأنصار بعد هجْرة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إليهم ؛ وأنكر ذلك الواقدىّ أيضًا .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا الواقدىّ ، قال : حدّثنا محمّد بن يحيى بن سهل بن أبى حثْمَة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانَ أوّل مولود من الأنصار[1] النعمان بن بشير ؛ ولد بعد الهجْرَة بأربعة عشر شهرًا ، فتوفّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثمانى سنين ، أو[2] أكثر قليلا .

قال : وولد النُّعمان قبل بدْر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُصْعَب بن ثابت ، عن أبى الأسود ، قال : ذُكِر النّعمان بن بشير عند ابن الزبير[3] ، فقال : هو أسنُّ منّى بستّة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبير على رأس عشرين شهرًا من مهاجَر

(١) ر : « ولد للأنصار » .
(٢) م : « وأكثر » .
(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وولِد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً فى ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ المُختارَ بن أبى عُبَيْد الثَّقفىّ وزياد ابن سُمَيَّة فيها وُلدا .

* * *

قال : وزعم الواقدىّ أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد فى هذه السَّنة فى شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجَره ، لحمزة بن عبد المطَّلب لواءً أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، ليعترض[1] لِعَيرات[2] قريش ، وأنّ حمزة لقىَ أبا جهل [بن هشام][3] فى ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمْرو الجُهنىّ فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الَّذى يحمل لواءَ حمزة أبو مَرْثَد .

١١٦٥/١

وأنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عقد أيضًا فى هذه السَّنة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجَره فى شوّال ، لعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف لواء أبيض، وأمَرَه بالمسير[4] إلى بطْن رَابِغ ، وأنّ لواءه كان مع مِسْطَح بن أُثَاثَة ، فبلغ ثنيَّة المرَة — وهى بناحية الجُحْفة — فى ستّين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصارىّ ؛ وأنَّهم التقوْا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرّمْى دون المسايَفة[5] .

قال : وقد اختلفوا فى أمير السريَّة ؛ فقال بعضُهم : كان أبو سفيان بن حَرْب ، وقال بعضهم : كان مُكرَز بن حفص .

قال الواقدىّ : ورأيت الثَّبتَ على أبى سفيان بن حرب ، وكان فى مائتين من المشركين .

---

(١) ر : « ليعرض » .

(٢) العيرات : جمع العير؛ وهى الإبل التى تحمل الميرة؛ لا واحد لها من لفظها، قال سيبويه : « جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسايفة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عَقَد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد بن أبى وقّاص إلى الخَرّار لواءً أبيض يحمله المقداد بن عمرو فى ذى القَعْدة . وقال : حدّثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر[1] بن سعد ، عن أبيه ، قال : خرجتُ فى عشرين رجلا على أقدامنا ــ أو قال : واحد[2] وعشرين رجلا ــ فكُنّا نكمُنُ النّهار ، ونسير الليل حتى صَبّحْنا الخَرّار صُبْحَ خامسة ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قد عهد إلىّ ألاّ أجاوز الخَرّار ، وكانت العِيرُ قد سبقتْنى قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلّهم من المهاجرين . ١٢٦٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق فى أمر كلّ هذه السرايا التى ذكرتُ عن الواقدىّ قولَه فيها غير ما قاله الواقدىّ ، وأنّ ذلك كلّه كان فى السنة الثّانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ فى شهر ربيع الأول لاثنتى عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقِىَ من شهر ربيع الأوّل وشهرَ ربيع الآخر وَجُمَادَيَيْن وَرجَب وشعبان ورمضان وشَوّالا وذَا القَعدة وذا الحجّة ــ وولى تلك الحجّة المشركون ــ والمحرّمَ . وخرج فى صفَر غازياً على رأس اثنى عشر شهراً من مقدَمه المدينة ، لِثْنَتىْ عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل ؛ حتى بلغ وَدّان ؛ يريد قريشا وبنى ضَمْرة بن بكْر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهى غزوة الأبْواء ، فوادعتْهُ[3] فيها بنو ضَمْرة ؛ وكان الّذى وادَعه منهم عليهم سيّدهم كان فى زمانه ذلك ، مَخْشِىّ بن عمرو ، رجل[4] منهم .

---

(١) ح ، م : « عاصم » .
(٢) ح : « فى واحد وعشرين » .
(٣) وادعته : سالمته وعاهدته ألا تحاربه .
(٤) ح : « ورجل » .

قال : ثمّ رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كيْدًا ، فأقام بها بقيّة صَفر وصدْرًا من شهر ربيع الأوّل[١] .

١٢٦٧/١

وبعث فى مقامه ذلك عُبَيْدةَ بن الحارث بن المطّلب فى ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بلَغ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المَرة) ، فلقِيَ بها جَمْعًا عظيمًا من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلاّ أنّ سعد بن أبى وقّاص قد رَمىَ يومئذ بسهم ؛ فكان أوّل سهم رُمِى به فى الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامِيَةٌ ، وَفرّ مِنَ المشركين إلى المسلمين المِقْداد بن عمرو البَهْرانىّ حليف بنى زُهْرة ، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر حليف بنى نوْفل بن عبد مناف — وكانا مسلمين ؛ ولكنّهما خرجا يتوصّلان[٢] بالكُفّار إلى المسلمين — وكان على ذلك الجمع[٣] عِكْرِمَة بن أبى جهل .

قال مُحَمّد : فكانت رايةُ عُبَيدة — فيما بلغنى — أول راية عقدها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام لأحد من المسلمين[٤] .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعُم أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأبْواء قبل أن يصِلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المُطّلب فى مقامه ذلك إلى سِيف البحر من ناحية العِيص فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين ؛ وهى من أرض جُهَينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السّاحل فى ثلثمائة

---

(١) فى السيرة : « قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها » ، والخبر فى السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) فى ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكّة ، فحجز بينهم مَجْدِىُّ بن عمرو الجُهَنىّ ، وكان مُوَادِعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال . ١٢٦٨/١

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بعثه وبعث عُبَيدة بن الحارث كانا معًا ، فشُبِّه ذلك على الناس .

قال : والّذى سمعنا من أهل العلم عندنا أنّ راية عُبيدة بن الحارث كانت أوّلَ راية عُقِدت فى الإسلام[١] .

قال : ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الآخر ، يريد قريشًا ، حتى إذا بلغ بُوَاط من ناحية رَضْوَى رجع ولم يَلْقَ كيْدًا ، فلبث بقيّة شهر ربيع الآخر وبعضَ جُمادى الأولى[٢] .

ثم غزا يريد قريشًا ، فسلك على نَقْب بنى دينار بن النجّار ، ثم على فَيْفَاء الخَبَار ، فنزل تحت شجرة ببطْحاء ابن أزْهَر ، يقال لها : ذات السَّاق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده . وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثافىّ البُرْمة معلوم هنالك . واستُقِىَ[٣] له من ماء به يقال له المُشَيْرِب[٤] . ثم ارتحل فترك الخلائق[٥] بيَسار ، وسلك شعْبَة يقال لها شعبة عبد الله — وذلك اسمها اليوم — ثم صبّ ليَسار ، حتى هبطَ يَلْيَل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ؛ واستُقِىَ له من بئر بالضَّبُوعة . ثم سلك الفَرْش ؛ فرش ملَل ، حتى لقىَ الطريق بصخَيرات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى ١٢٦٩/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستق » ؛ وما أثبته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشترب » .

(٥) فى ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحى المدينة » .

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيّة جُمَادى الأولى وليالىَ من جُمادى الآخرة ، ووادَع فيها بنى مُدْلج وحلفاءهم من بنى ضَمْرة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلْقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلىّ بن أبى طالبٍ عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِمْ رسولُ الله صلّى عليه وسلّم حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة بالمدينة إلاّ ليالىَ قلائل لا تَبْلغ العَشْر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرىّ على سَرْح المدينة ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى طلَبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوَان من ناحية بدْر ، وفَاتَه كرز فلم يدرِكه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيّة جُمادى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْد بن أبى وَقّاص فى ثمانية رهط[١] . ١٢٧٠

* * *

وزعم الواقدىّ أنّ فى هذه السنة — أعنى السّنة الأولى من الهجرة — جاء أبو قيس بن الأسْلَت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعرَض عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام ، فقال : ما أحسَنَ ما تدعو إليه ! أنظُرُ فى أمرى ، ثم أعود إليك . فلقيَهُ عبدُ الله بن أبىّ ، فقال له : كرهتَ والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلِم[٢] سنة ؛ فمات فى ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ ، ٥٨ .
(٢) ابن الأثير : « إلى سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — فى قولِ جميع أهل السِّيَر — فيها ، فى ربيع الأوّل بنفسه غَزْوَةَ الأبْواء — ويقال وَدَّان — وبينهما ستّة أميال هى بحذائها ؛ واستخلَف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة حين خرج إليها سعدَ بن عُبادة بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه فى هذه الغَزاة حمزة بن عبد المُطَّلب ، وكان لواؤه — فيما ذكر — أبيض .

وقال الواقدىّ: كان مُقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قَدِم المدينة.

* * *

قال الواقدىّ : ثم غزا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بُواط فى شهر ربيع الأوّل ؛ يعترض لِعيرات قريش ، ١/١٢٧٠ وفيها أميّة بن خلَف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة بعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كيداً .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبى وقّاص ، واستخلَف على المدينة سَعْد ابن مُعاذ فى غَزْوَتِه هذه .

* * *

قال[1] : ثم غزا فى ربيع الأوّل فى طلب كُرْزين بن جابر الفِهْرىّ فى المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرْح[2] المدينة ، وكان يرعى[3] بالجَمَّاءِ فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى بلغ بدْرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

---

(١) ح : « قال الواقدى» . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرجَ رسولُ الله صلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعيَرات قريش حين أبدأت[١] إلى الشَّأم فى المهاجرين — وهى غزوة ذات العُشَيرة — حتى بلغ ينْبُع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرّقّىّ ، قال : حدّثنا محمّد بن سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن محمّد بن يزيد بن خُثَيم[٢] ؛ عن محمد بن كعب القرظىّ ؛ قال : حدّثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلىّ رفيقين مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى غزوة العُشَيْرَة ، فنزلنا منزلا ، فرأينا رجالا من بنى مُدْلِج يعملون فى نخْل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشِيَنا النُّعَاسُ ، فعمَدنا إلى صَوْر[٣] من النخل ؛ فنمْنا تحته فى دقْعاء[٤] من التراب ، فما أيقَظنا[٥] إلاّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تتَرَّبْنَا فى ذلك التراب ؛ فحرّك عليًّا[٦] برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألاَ أخبِرُك بأشْقَى النَّاس؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقة ، والذى يضرِبُك [يا علىّ][٧] على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .
(٢) فى ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .
(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .
(٤) لدقعاء : التراب اللين .
(٥) فى ابن هشام : « فو الله ما أهبنا إلا رسول الله » ؛ وأهبنا : أيقظنا .
(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفى ابن هشام : « يحركنا برجله » .
(٧) من سيرة ابن هشام .

– يعني قَرْنَه – فيخضب[١] هذه منها ؛ وأخذ بلحيته[٢].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم[٣] المحاربيّ ، عن محمد ابن كعب القرظيّ ، عن محمد بن خُثَيْم – وهو أبو يزيد – عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ رفيقيْن ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدّثني به محمد بن عبيد المحاربيّ ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل[٤] بن سعد : إنّ بعضَ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسُبُّ عليّاً[٥] عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سمّاه بذلك[٦] إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العبّاس ؟ قال : دخل عليّ على فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فَيْءِ المسجد . قال : ثم دخلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلَص التّراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التّراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سمّاه به إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ووالله ما كان له اسمٌ أحبّ إليه منه ! ١/١٢٧٣

* * *

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلي : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد نائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمعجمة ومثلثة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهيل » . (٥) س : « علي » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة فى صفَر ، لليال بقين منه ، تزوّج علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام فاطمةَ رضى الله عنها ؛ حُدِّثتُ بذلك ، عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبى فَرْوة ، عن أبى جعفر .

* * *

[سريّة عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبرىّ : ولمّا رَجَع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من طلب كُرْز بن جابر الفِهرىّ إلى المدينة ، وذلك فى جُمادى الآخرة ، بعث فى رجب[1] عبدَ الله بن جَحْش معه ثمانية رهْط من المهاجرين[2] ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ؛ فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الزّهرىّ ويزيد بن رُومان ؛ عن عُرْوة بن الزبير ، بذلك .

* * *

وأما الواقدىّ فإنه زعم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عبد الله ابن جحش سَرِيّةً فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ويزيد بن رُومان ، عن عروة ، قال : وكتبَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له كتابًا — يعنى ١/١٢٧٤

(١) زاد ابن هشام : « مقفله من بدر الأولى » .

(٢) فى ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثمّ من بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، أحد بنى أسد بن خزيمة ؛ حليف لهم . ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زهرة بن كلاب سعد ابن أبى وقاص . ومن بنى عدى بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عنز بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير أحد بنى سعد بن ليث حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء » .

لعبد الله بن جَحْش — وأمره ألاّ ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيُمضى له أمرَه به ، ولا يستكرِه أحدًا من أصحابه ، فلمّا سار عبدُ الله ابن جحش يومين ، فتح الكِتاب، ونظر فيه ، فإذا فيه: « وإذا نظرتَ فى كتابى هذا ؛ فسِرْ حتى تنزل نَخْلة[١] بين مكّة والطّائف ؛ فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم ». فلمّا نظرَ عبدُ الله فى الكتاب ، قال : سمعٌ وطاعةٌ ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أمضىَ إلى نَخْلة ، فأرصد بها قريشًا حتى آتيَه منهم بخَبر ، وقد نهانى أن أستكرِهَ أحدًا منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلِقْ ، ومَنْ كره ذلك فلْيرجِع ؛ فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فمضى ومضى معه أصحابُه ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، وسلَك على الحجاز؛ حتى إذا كان بمَعْدِن فوق الفُرْع[٢] [يقال له بُحْران][٣] ، أضلّ سعد بن أبى وقاص وعُتْبة بن غَزْوان بعيرًا لهما كانا يَعْتَقبانه[٤] ، فتخلّفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخْلة ، فمرّت به عِيرٌ لقريش تحمل زَبيبًا وأدَمًا وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمىّ[٥] ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّان ، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المغيرة . فلمّا رآهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريبًا منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن — وقد كان حلَق رأسه — فلما رأوْه أمِنوا ، وقالوا : عُمّار[٦] لا بأس عليكم منهم[٧] . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك فى آخر يوم من رجب ؛ ١٢٧٥/١

---

(١) و : « بنخلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلى : هو بضمتين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أى يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمى عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندىّ » .

(٦) عمار ، أى معتمرون ، والاعتمار زيارة البيت الحرام . (٧) ح : « منه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخُلنّ الحرَم ، فليمتنعُنّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتُلنّهم فى الشهر الحرام . فتردّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجّعوا[1] عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قدَروا عليه منهم ، وأخْذِ ما معهم ؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميمىّ عمرو بنَ الحضرمىّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين ؛ حتى قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة .

قال : وقد ذكَر بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أنّ عبد الله بن جَحْش ، قال لأصحابه : إنّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا غنمتم الخمسَ — وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس — فعزل لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم خُمُس الغنيمة ، وقسّم سائرها بين أصحابه ؛ فلمّا قدِمُوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ما أمرتُكم بقتال فى الشّهر الحرام . فوقّف العير والأسيرين ؛ وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئًا . فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سُقِط فى أيدِى القوم ، وظنّوا أنّهم قد هلَكوا ، وعنَّفَهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعتُمْ ما لم تُؤْمَروا به ، وقاتلتم فى الشّهرِ الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلّ مُحمّدٌ وأصحابُهُ الشّهرَ الحرام ، فسفكوا فيه الدّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسَرُوا فيه الرّجال . فقال مَنْ يردّ ذلك عليهم من المسلمين ممّن كان بمكّة : إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان. وقالت يهود ؛ تفاءلُ[2] بذلك علَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : عمرو بن الحضرمىّ قتله واقد بن عبد الله : «عمرو» عمرت الحرب ، و«الحضرمىّ» حضرت الحرب ، و« واقد بن عبد الله » و قدت الحرب ؛ فجعل الله عزّ وجلّ ذلك عليهم لا لهم[3] .

١٢٧٦/١

فلمّا أكثر الناس فى ذلك أنزل الله عزّ وجلّ على رسولِه صلّى الله عليه

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .
(٢) و : « تفاؤلا » ؛ وفى التفسير : « تتفاءل » .
(٣) ح والتفسير : « وبهم » .

وسلّم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.... ﴾[١] الآية . فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشّفَق[٢] ، قبض رسول الله صلّى عليه وسلّم العير والأسيرين[٣].

وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبدالله والحكَم بن كيسان، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم: لا نُفْدِيكموهما؛ حتى يَقدَم صاحبانا – يعنى سعد ابن أبى وقّاص وعتْبة بن غزوان – فإنّا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبة ، ففاداهما[٤] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فأما الحكَم بن كَيْسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قتِل يوم بئر مَعُونة شهيداً[٥].

* * *

قال أبو جعفر : وخالف فى بعض هذه القصة محمدَ بن إسحاق والواقدىّ جميعًا السدىّ ؛ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدّثنا أسْباط ، عن السدّىّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ ؛ وذلك أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعَث سريّة وكانوا سبعة نفَر ؛ عليهم عبدُالله بن جحش الأسدىّ وفيهم عمّار بن ياسر ، وأبوحُذَيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبى وقّاص ، وعُتْبة بن غزوان السُّلَمىّ حليف لبنى نَوْفل ، وسُهَيْل بن بيْضاء ، وعامر بن فُهَيْرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعىّ ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتابًا وأمره ألاّ يقرَأه حتى ينزل بطن ملَل ؛ فلمّا نزل بطنَ ملَل فتح الكتاب ؛ فإذا فيه : أن سرْ حتّى تنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : مَنْ كان يريد

١٢٧٧/١

---

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشفق : الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا فى التفسير ٤ : ٣٠٢ – ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : « فأفداهما » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليَمْضِ وليُوصِ ؛ فإنى مُوصٍ وماضٍ لأمر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم . فسار وتخلّف عنه سعد بن أبى وقّاص وعُتْبة بن غزوان ، أضَلاّ راحلة لهما ، فأتيا بُحْران يطلبانِها، وسار ابنُ جَحْش إلى بطْن نخلة؛ فإذا هو بالحكَم بن كَيْسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثْمان ، وعمرو بن الحضرمىّ ؛ فاقتتلوا،فأسَرُوا الحكَم بن كَيْسان وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت[1] المغيرة ، وقُتِل عمرو بن الحضرمىّ ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أوّلَ غنيمةَ غَنِمها أصحابُ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرْن وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل مكّة أن يُفادوا الأسيرْين ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : حتّى ننظرَ ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بالأسيرْين ، ففجَر[2] عليه المشركون ، وقالوا : محَمّد يزعم أنّه يتبع طاعة الله[3] ، وهو أوّلُ مَن استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا فى رجَب ! فقال المسلمون : إنّما قتلناه فى جُمادى — وقيل فى أوّل ليلة من رجَب وآخر ليلة من جُمادى— وغَمَدَ[4] المسلمون سيوفَهم حين دخل رجب؛ فأنزل الله عز وجل يُعَيِّر أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية[5].

١٢٧٨/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان

(١) ح ، و : «وأفلت» .
(٢) و : «ففخر» .
(٣) م : «ربه» .
(٤) و : «أغمد» ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله فى الغمد .
(٥) الخبر فى التفسير ٤ : ٣٠٥ — ٣٠٦ .

انتدب[١] لهذا المسير أبا عُبيدة بن الجرّاح، ثم بدا له[٢] فيه، فندب له عبد الله بن جحش.

• ذكر الخبر بذلك:

حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى؛ حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه حدّثه رجل عن أبي السَّوّار؛ يحدّثه عن جُنْدَب بن عبدالله، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه بعث رهطًا، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح؛ فلمّا أخذ لينطلق بكى صَبابةً إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فبعث رجلا مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتابًا وأمره ألّا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا: «ولا تُكرِهنّ أحدًا من أصحابك على السّير[٣] معك». فلمّا قرأ الكتاب استرجع، ثم قال: سمعًا وطاعة لأمر الله ورسوله! فخبّرهم بالخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان ومضى بقيّتهم، فلقوا ابن الحضرميّ فقتلوه، ولم يدرُوا ذلك اليوم من[٤] رجب أو من جُمادى! فقال المشركون للمسلمين: فعلتم كذا وكذا في الشّهر الحرام! فأتوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فحدّثوه الحديث، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، الفتنة هي الشِّرْك. ١٢٧٩/١

وقال بعض الذين — أظنّه قال —: كانوا في السريّة: والله ما قتَله إلّا واحدٌ؛ فقال: إن يكن خيرًا فقد وليتَ، وإنْ يكن ذنبًا فقد عملت[٥].

* * *

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرْف الله عزّ وجلّ قِبْلَةَ المسلمين من الشّأم

---

(١) و: «ندب».
(٢) بدا له في الأمر بدوا وبداء؛ أي نشأ له فيه رأي آخر؛ ومنه قولهم: «هو ذو بدوات».
(٣) ر: «المسير».
(٤) التفسير: «ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى».
(٥) كذا في م و التفسير، وفي ط «علمت» والخبر في التفسير ٤: ٣٠٦، ٣٠٧.

إلى الكعبة ، وذلك فى السنة الثانية من مقدَم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة فى شعبان .

* * *

واختلف السَّلَف من العلماء فى الوقت الذى صُرفت[1] فيه من هذه السَّنة ؛ فقال بعضهم — وهم الجمهور الأعظم : صُرفت فى النّصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلم المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا موسى بن هارون الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن حمَّاد ، قال : حدّثنا أسْبَاط ، عن السُّدّىّ — فى خبر ذكره — عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عبَّاس — وعن مُرَّةَ الهمدانىّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : كان النَّاس يصلّون قِبَل بيت المقدس ؛ فلما قَدِم النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ على رأس ثمانية عشر شهرًا من مُهَاجَره ، كان[2] إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّى قِبَل بيت المقدس ؛ فنسختْها الكعبة ، وكان النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم يحب أن يصلِّىَ قبَل الكعبة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ ... ﴾[3] ، الآية . ١/١٢٨٠

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرِفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدَم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة .

وحُدّثت عن ابن سعد ، عن الواقدىّ مثل ذلك . وقال : صرِفت القبلة فى الظّهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

* * *

(١) ح : « صرفت القبلة فيه » .
(٢) ط : « وكان » ، وما أثبته من التفسير .
(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر فى التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنّما صُرِفت القبلة إلى الكعبة لستّة عشر شهرًا مضت من سنِي الهجرة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا المثنّى بن إبراهيم الآمُلِيّ ، قال : حدّثنا الحجّاج ، قال : حدّثنا همّام بن يحيى ، قال : سمعتُ قَتادة ، قال : كانوا يصلّون نحو بيتِ المقدِس ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّةَ قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرًا ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام [١] .

١٢٨١/١ حدّثني يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهْب ، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيتَ المقدِس ستّةَ عشر شهرًا ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما دَرَى محمّدٌ وأصحابه أين قبلتُهم حتّى هدْيناهم ! فكرِهَ ذلك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ورفع وجهَه إلى السماء ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَآءِ ... ﴾ [٢] الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السّنة فُرِض - فيما ذُكر - صومُ رمضان . وقيل : إنّه فرِض فى شعبان منها . وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين قدِم المدينة ، رأى يهود تصوم يومَ عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنّه اليوم الّذِى غرّق الله فيه آلَ فرعون ، ونَجّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمر النّاس بصومه ، فلمّا فُرِض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

---

(١) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٢) الخبر فى التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف فى الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم خطب الناس قبل [يوم][1] الفِطْر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

وفيها خرَج[2] إلى المُصلّى فصلّى بهم صلاةَ العيد ؛ وكان ذلك أوّلَ خَرْجَةٍ خرجها بالنَّاس إلى المصلّى لصلاة العيد .

وفيها — فيما ذكر — حُمِلت العَنَزة[3] له إلى المصلّى فصلّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام — كان النجاشىّ وهبها له — فكانت تحمَل بين يديه فى الأعياد . وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذّنين بالمدينة .

وفيها كانتْ وقعــة بدْر الكبرَى بين رسول الله صلّى عليه وسلّم والكفار من قُريش ؛ وذلك فى شهر رمضان منها .

* * *

١٢٨٢/١ ثم اختلفوا فى اليوم الَّذى فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : كانت وقْعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة ، عن عنْبسة ، عن أبى إسحاق ، عن عبدالرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمِسُوا ليلَة القَدْرِ فى تِسْع عشرة ليلةً من رمضان ؛ فإنها ليلةُ بَدْر .

حدّثنا محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حُجَيْر التغلبىّ ، عن الأسود

---

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى شرح مواهب القسطلانى للزرقانى (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والنون والزاى ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : عصا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشى أهداها للنبى صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر فى تسعَ عشرة من رمضان ، فإنّ صبيحتَها كانت صبيحة بدر .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا عُبيد بن محمد المحاربىّ ، قال : حدثنا ابنُ أبى الزّناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحْيِى ليلةً من شهر رمضان كما يحيِى ليلةَ تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًّا مِنْ أثَرِ السَّهَر ، فقيل له ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ فرَق فى صبيحتها بين الحقّ والباطل .

* * *

وقال آخرون : كانتْ يوم الجمعة صبيحةَ سبع عشرة من شهر رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شُعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدّث عن حُجَير ، عن الأسود وعلْقَمة ، أنّ[1] عبد الله بن مسعود ، قال : التمِسُوها فى سبع عَشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[2] ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسعَ عشرةَ ، أو إحدى وعشرين . ١٢٨٣/١

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن الزّبير بن عدىّ ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانتْ بدر صبيحة تسعَ عشرة من رمضان .

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله .

قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدىّ : فذكرتُ ذلك لمحمّد بن

---

(١) ح : «عن» . (٢) سورة الأنفال ٤١ .

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أنّ أحدًا من أهل الدّنيا شَكّ[١] فى هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان[٢] ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رُومان ؛ يقولان ذلك . قال لى محمد بن صالح : يابنَ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال فى هذا ! هذا أبينُ من ذلك[٣] ؛ ما يجهل هذا النساء فى بيوتهنّ .

قال الواقدىّ : فذكرتُه لعبد الرحمن بن أبى الزّناد ، فقال : أخبرنى أبى ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْيى ليلةَ سبعَ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن[٤] كان ليُصبِحُ وعلى[٥] وجهه أثر السّهَر ، ويقول : فرَق الله فى صَبِيحتها بين الحقّ والباطل ، وأعزّ فى صُبْحها[٦] الإسلام ، وأنزل فيها القرآن[٧] ، وأذلّ فيها أئمّة الكفر . ١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدّثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبى عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفىّ ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسنُ بن علىّ بن أبى طالب : كانت ليلة الفُرْقان يوم التقَى الجمعان ، لسبع عشْرة من رمضان .

وكان الّذى هاجَ وقْعة بدر وسائر الحروب التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلمَ وبين مشركى قريش — فيما قال عُرْوة بن الزُّبير — ما كان من قَتْل واقد بن عبد الله التميمىّ عمرَو بن الحضرمىّ .

---

(١) و : « يشك » .
(٢) و : « من شهر رمضان » .
(٣) و : « ذاك » .
(٤) ر : « وأنه » .
(٥) م : « على » .
(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .
(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبدالوارث — قال علىّ : حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عُروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبدِ الملك بن مروان : أمّا بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ فى أبى سفيان ومخرَجه ، تَسْألنى كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أنّ أبا سُفْيان بن حَرْب أقبل من الشأم فى قريب من سبعين راكبًا من قبائل قريش كلّها ، كانوا ١/١٢٨٥ تجاراً بالشأم ، فأقبلوا جميعًا معهم أموالُهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى ، وقُتِل ابن الحضرمىّ فى ناس بنَخْلَة ، وأُسِرَتْ أسارَى من قريش ؛ فيهم بعضُ بنى المغيرة ، وفيهم ابن كَيْسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جَحْش وواقد حليف بنى عدىّ بن كعب ، فى ناسٍ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضًا من الحرب ، وذلك قبلَ مخرج أبى سفيان وأصحابه إلى الشأم. ثم إنّ أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومَن معه من رُكْبان قريش[١] مقبلِين من الشأم ، فسلكوا طريق الساحل ، فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم نَدبَ أصحابه وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلّة عَدَدِهم ، فخرجوا لا يريدون إلاّ أبا سفيان والركْبَ معه ؛ لا يروْنها إلاّ غنيمة لهم ؛ لا يظنّون أن يكون كبيرُ قتال إذا لقُوهم ، وهى التى أنزل الله عزّ وجلّ فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[٢].

فلما سمعَ أبوسفيان أنّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم معترضون له[٣] ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل فى السفر . وفى م : « رؤساء قريش » .
(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٣٩٩ .
(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنّ محمداً وأصحابه معترضون لكم ، فأجيرُوا[١] تجارتَكم[٢] . فلمّا أتى قريشًا الخبرُ — وفى عِيرِ أبى سفيان ؛ من بُطون كعب ابن لُؤىّ كلّها — نَفَر لها أهلُ مكة ؛ وهى نَفْرة بنى كعب بن لُؤىّ ، ليس فيها من بنى عامر أحدٌ إلاّ من كان من بنى مالك بن حِسْل ؛ ولم يَسمع بنَفْرَة قريش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا أصحابه ؛ حتى قدِم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بدْرًا — وكان طريق ركبان قريش ؛ مَنْ أخذ منهم طريق الساحل إلى الشأم — فخفض[٣] أبو سفيان عن بدْر ، ولزِم طريقَ الساحل ، وخاف الرَّصَد[٤] على بدْر ، وسار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، حتى عرّسَ قريبًا من بدر ، وبعث النبىّ صلىّ الله عليه وسلم الزبير بن العوام فى عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا[٥] يحسبُون أنّ قريشًا خرجت لهم ، فبينا النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ إذ ورد بعض روايا[٦] قريش ماءَ بدر ، وفيمن ورد من الرّوايا غلام لبنى الحجّاج أسودُ ؛ فأخذه النّفرُ الذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعضُ أصحاب العبد نحو قريشَ ، فأقبلوا به حتى أتوْا به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى مُعَرَّسه ، فسألوه عن أبى سفيان وأصحابه ؛ لايحسبون إلاّ أنه معهم ، فطفِق العبد يحدّثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رءوسهم ، ويصدُقهم الخبر ؛ وهم أكره شىء إليهم الخبر الذى يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركْب أبا سفيان وأصحابه ، والنبىّ صلىّ الله عليه وسلم يصلّى ؛ يركع ويسجد يرى ويَسمع ما يُصنع[٧] بالعبد ، فطفِقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذّبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابَه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

---

(١) و : «فأجيزوا» .
(٢) م : «فأخبروا تجاركم» .
(٣) الخفض : السير اللين .
(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .
(٥) و : «ليس» .
(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .
(٧) م : «ما صنع» .

أذلقوه بالضرب[١] وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه[٢] — وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش — قال : نعم ، هذا[٣] أبو سفيان ،والرَّكْب حينئذ أسفل منهم[٤]؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ — حتّى بلغ — ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾[٥] ، فطفِقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلمّا رأى صنيعَهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف من صلاته وقد سمع الذى أخبرهم ، فزعموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : والذى نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صَدَقَ ، وتتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدّثنا أنّ قريشًا قد جاءت ؛ قال : فإنّه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير[٦] رِكابها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش، وقال : لا عِلْمَ لى بأبى سفيان ، فسأله : كم القوم[٧]؟ فقال : لا أدرى ؛ والله هم كثير عددهم[٨] . فزعموا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ أطعمهم[٩] أوّل مِنْ أمس ؟ فسمّى رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نَحَر لهم[١٠] ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمَنْ أطعمهم أمسِ ؟ فسمىّ رجلا ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : القومُ ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نَفْرة[١١] قريش يومئذ خمسين وتسعمائة . ١٢٨٨/١

---

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) م : « هو » .

(٤) ر : « منكم » .

(٥) سورة الأنفال ٤٢ .

(٦) و : « تجيز » .

(٧) ح : « فسأله عن القوم » .

(٨) ر : « عدد كثير » .

(٩) ر : « أطعمكم » .

(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع جزائر .

(١١) النفرة والنفر والنفير : القوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبيّ صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملأ الحياضَ، وصفّ عليها أصحابه، حتى قدِم عليه القوم. فلمّا ورد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدراً قال: هذه مصارعُهم؛ فوجدوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد سبقهم إليه ونزل عليه. فلمّا طلعوا[١] عليه زعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: هذه قريش قد جاءت بجلَبتها[٢] وفخرها؛ تحادُّك[٣] وتُكذّبُ رسولك! اللهمّ إنّى أسألك ما وعدتنى.

فلما أقبلوا استقبلهم، فحثَا فى وجوههم التّراب؛ فهزمَهم الله. وكانوا قبل أن يلقاهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه: أن ارْجعوا[٤] — والركْب الذين يأمرون قريشًا بالرجْعَة بالجُحْفة — فقالوا: والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا، فنقيم به[٥] ثلاثَ ليال، ويرانا مَن غشَينا من أهل الحجاز؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعْنا فيقاتلنا. وهم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾[٦]؛ فالتقوا همُ والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكُفْر وشفى صدورَ المسلمين منهم[٧].

حدّثنى هارون بن إسحاق، قال: حدّثنا مصعب بن المِقْدام، قال: حدّثنا إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علىّ عليه السلام، قال: لما قَدِمْنا المدينة أصبنا من ثمارها، فاجتَويْناها، وأصابنا بها وعْكٌ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخبّر عن بدر؛ فلما بلغنا أنّ المشركين قد أقبلُوا سار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بدر — وبدر بئر — فسبَقْنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجليْن، منهم رجلٌ من

١٢٨٩/١

---

(١) و: «اطلعوا».
(٢) ح، و: «بجليتها».
(٣) ر، م: «تجادل».
(٤) فى التفسير: «إنا أجزنا القوم، وأن ارجعوا».
(٥) و، والتفسير: «فيه».
(٦) سورة الأنفال ٤٧.
(٧) الخبر ورد مفرقاً فى التفسير ١٣: ٤٤٣، ٥٧٨.

قريش ، ومولًى لعُقْبة بن أبى مُعَيْط ؛ فأما القرشىّ فانفلت[١] ، وأمّا مولى عُقْبة فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربُوه ، حتى انتهوْا به إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديد بأسهم ، فجهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أن يخبرَه كم هم ، فأبى . ثمّ إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشراً كلّ يوم ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القوم ألف .

ثم إنه أصابنا من الليل طَشٌّ[٢] من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحَجَف[٣] نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو ربّه : اللّهمّ إنْ تَهلِكْ هذه العِصابة لا تُعبَد فى الأرض . فلمّا أنْ طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحَجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وحَرّض على القتال ، ثم قال : إنّ جَمْع قريش عند هذه الضِّلْعة[٤] من الجبل . فلما أن دنا القوم منّا وصافَفْناهم[٥] ؛ إذا رجلٌ من القوم على جَمل أحمر يسير فى القوم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا علىّ ، نادِ لى حمزة — وكان أقربهم إلى المشركين — : مَنْ صاحبُ الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن يكن فى القوم مَنْ يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكونَ صاحبَ الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتْبة بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنّى أرى قوماً مُسْتَميتين لا تصلون[٦] إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصِبُوها اليومَ برأسى ، وقولوا : جَبُنَ عُتْبة ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنّى لستُ بأجبنِكم .

١٢٩٠/١

---

(١) ر : « فأفلت » .
(٢) الطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ .
(٣) الحجف : ضرب من الترسة ؛ واحدتها حجفة ؛ وهى من الجلود خاصة .
(٤) الضلعة : الجانب .
(٥) صاف القوم غيرهم فى القتال مصافة ، أى وقفوا مصطفين .
(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمِعَ أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضتُه[١] ! لقد ملئت رِئتُك وجوفك رُعبًا ، فقال عتبة : إيّايَ تُعَيّر يامصَفِّر[٢] استِه ! ستَعلم اليومَ أيّنا أجْبَن !

قال : فبرز عُتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد، حميّةً ، فقالوا : مَنْ يبارز ؟ فخرج فِتْيةٌ من الأنصار ستّة ، فقال عُتبة : لا نريدُ هؤلاء ؛ ولكن يبارزُنا من بنى عَمّنا من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا علىّ قُم ، ياحمزة قم ، يا عُبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبةَ بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عُبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرْنا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعبّاس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال : يا رسولَ الله ؛ والله ما هذا أسَرنى ، ولكن أسَرَنى رجل أجْلَح[٣] من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبْلق ، ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارىّ : أنا أسرته ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد آزرك الله بملَكٍ كريم . قال علىّ : فأسِر من بنى عبد المطّلب العباس وعَقيل ونوفل بن الحارث.

حدّثنى جعفر بن محمد البزُورىّ ، قال : حدّثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق، عن حارثة ، عن علىّ ، قال : لمّا أن كان يومُ بدر ، وحضر البأس اتّقينا برسول الله ، فكان من أشدّ الناس بأسًا ، وما كان منّا أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه . ١/١٢٩١

حدّثنا عمرو بن على ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن شُعبة ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّب[٤] ، عن علىّ ، قال : سمعتُه

---

(١) ح : « لفصصته » .
(٢) مصفر استه ، قال السهيلى : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة فى الذم ، نخص منه بالذكر ما يسوء أن يذكر » .
(٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبى الرأس ، وفى ح : « أجلح الرأس » .
(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْداد بن الأسود ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا إلى شجرة يصلّى ، ويدعو حتّى الصبح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمِعَ بأبى سفيان بن حَرْب مقبلاً من الشأم فى عِيرٍ لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم؛ وفيها ثلاثون راكبًا من قريش — أو أربعون — منهم مَخرَمة بن نوفل بن أهَيْب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سُعَيْد بن سهم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن مسلم الزهرىّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عُروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلٌّ قد حدّثنى بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيما سُقتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى سفيان مقبلاً من الشأم، ندَب المسلمين إليهم، وقال: هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم، فاخرُجوا إليها ، لعلّ الله أن يُنَفِّلكموها، فانتدب الناس فَخفّ بعضهم وثقُل بعضهم؛ وذلك أنهم لم يظنّوا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يلقى حَرَبًا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقِىَ من الرُّكبان تخوُّفًا على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أنّ محمداً قد استنفَر أصحابه لك ولِعيرك . فحذِر عند ذلك ، فاستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغفارىّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتىَ قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرَض لها فى أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق : وحدّثني مَن لا أتّهم ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد ابن رُومان ، عن عُروة ، قال : وقد رأتْ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزَعتها ، فبعثتْ إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أفظعتني[٢] ، وتخوّفت أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتُمْ عليّ[٣] ما أحدّثك [به][٤] قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن[٥] انفِروا يا آل غُدَر[٦] لمصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس[٧] اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبيناهم حولَه مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث ! ثمّ مثل به بعيرهُ على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوِي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت[٨] فما بقيَ بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلت منها فِلْقة .

١٢٩٣/١

قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا رأيتِ فاكتُميها ولا تذكريها لأحد .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .

(٢) أفظعتني : اشتدت علي .

(٣) ابن هشام : « اكتم عني » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .

(٦) كذا في ط ، بضم الغين وفتح الدال . وفي اللسان : « ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، وغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا النداء في الشتم ، يقال : يا غدر ، وفي الحديث : « يا غدر ، ألست أسعى في غدرتك ! » ، ويقال في الجمع : يا لغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، ومنه حديث عاتكة : يا لغدر يالفجر ! » . وقال السهيلي : « هو بضم الغين والدال ، جمع غدور » .

(٧) في سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ بينا هم حوله ، مثل به بعيره . ومثل به : قام به » .

(٨) ارفضت : تفرقت .

ثمّ خرج العباس فلقىَ الوليد بن عتبة بن ربيعة — وكان له صديقًا — فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتْبة ، ففشا الحديث؛ حتّى تحدّثت به قريش [فى أنديتها][1] .

قال العبّاس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهْط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة ؛ فلمّا رآنى أبو جهل ، قال : ياأبا الفضْل ؛ إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا . قال: فلمّا فرغت أقبلتُ إليه حتّى جلست معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بنى عبد المطّلب ؛ متى حدّثتْ فيكم هذه النبيّة ! قال: قلتُ: وما ذاك ؟ قال: الرؤيا التى رأت عاتكة ، قال: قلت: وما رأت ؟ قال: يا بنى عبد المطّلب ، أما رضيتُم أن تتنبّأ رجالُكم ، حتّى تتنبّأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال : انفرُوا فى ثلاث ، فسنتربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شىء ؛ نكتب عليكم كتابًا أنّكم أكذبُ أهل بيتٍ فى العرب . ١٢٩٤/١

قال العباس : فوالله ما كان منّى إليه كبير إلاّ أنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكونَ رأتْ شيئًا . قال : ثم تفرّقنا ؛ فلمّا أمسيتُ لم تبقَ امرأةٌ من بنى عبد المطلب إلاّ أتتْنِى ، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غَيْرة لشىء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ؛ ما كان منّى إليه من كبيرٍ ، وايمُ الله لأتعرّضنّ له ؛ فإن عاد لأكفينَكموه[2] .

قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضَب ، أرى أن قد فاتنى منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيته؛ فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرّضه[3] ليعود لبعض ما قال فأقع به — وكان رجلا خفيفًا حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، ١٢٩٥/١

---

(١) من سيرة ابن هشام .
(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكنه » .
(٣) ح : « أتعرض له » .

حديد النظر – إذْ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلتُ في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلّ هذا فرَقاً من أن أشاتمه ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغِفاريّ ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدّع[١] بعيره ، وحوّل رحلَه ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللَّطيمة[٢]! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ ! كلاّ والله ليعلمُنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلا ، وأوعبَتْ[٣] قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ؛ إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له[٤] بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلَس بها ، فاستأجره بها على أن يجزىَ عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[٥].

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثني عبد الله بن أبي نَجيح ، أنّ أمية بن خلَف كان قد أجمع القعود، وكان شيخاً جليلا ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي مُعَيط ، وهو جالس في المسجد ١٢٩٦/١ بين ظهريْ قومه بِمجمَرة يحملها ، فيها نار ومِجْمر[٦] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استجمِر ؛ فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهّز ، فخرج مع الناس ، فلمّا فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السَّيْر ؛ ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نَخْشى أن يأتونا من خلْفنا[٧].

---

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .
(٢) اللطيمة : الإبل التي تحمل البز والطيب .
(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .
(٤) لاط له : أربى ، وفي ح والأغاني : « لط » .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧١ – ١٧٤ (طبعة الدار)
(٦) المجمر : العود يتبخر به .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسيرَ ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكْر ؛ فكاد ذلك أن يَثْنيهم ، فتبدّى لهم إبليس فى صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلجىّ — وكان من أشراف كنانة — فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيَكم كنانة بشىء تكرهونه . فخرجوا سراعًا[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى عن غير ابن إسحاق — لثلاث ليال خَلَوْن من شهر رمضان فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا من أصحابه ؛ فاختلِف فى مبلغ الزيادة على العشرة .

فقال بعضهم ، كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر[2] رجلاً .

١٢٩٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدّثنا أبو إسحاق[3] ، عن البَرَاء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحابَ بدر يوم بدر[4] كعِدّة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين جاوَزُوا النهر ؛ فسكت[5] .

حدّثنى محمد بن عُبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا أبو مالك الجَنْبىّ ، عن الحجاج ، عن الحَكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يومَ بدْر سبعة وسبعين رجلا ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا ، وكان صاحبُ رايةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعدَ بن عُبَادة[6] .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغانى ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا فى ط ، و فى م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما فى ط ، وأبو إسحاق ممن روى عن البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » . (٥) كذا فى ط .

(٦) الأغانى ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجل وأربعة عشر ، منْ شهد منهم، ومن ضُرِب بسهمه وأجره ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

* * *

وأمّا عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضْعة عشرَ رجلا .

١٢٩٨/١ ذكر من قال ذلك :

حدّثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعَب بن المقْدام ، وحدّثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزّبيريّ ، قالا : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : كنّا نتحدّث أنّ عدّة أصحاب بدر على عِدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر — ولم يَجُزْ[1] معه إلاّ مؤمن — ثلثمائة وبضعة عشر .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا سُفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء ، قال : كنّا نتحدّث أن أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمنٌ .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البرَاء ، بنحوه .

حدّثنا إسماعيل بن إسرائيل الرّمْليّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مِسْعر ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : عِدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

---

(١) م : « يكن » .

حدّثنى أحمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا أبو أحمد ، قال : حدّثنا مِسْعَر ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء ، مثله .

حدّثنا بِشْر بن معاذ ، قال : حدّثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قَتادة ، قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعِدّة أصحاب طالوت يوم لَقِىَ جالوت ، وكان أصحابُ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائةً وبضعة عشر رجلاً .

١/١٢٩٩ حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّى ، قال : خلَصَ طالوت فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ؛ عدّة أصحاب بدر .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرَنا معْمَر ، عن قَتادة ، قال : كان مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وجعل على الساقة [1] قيس بن أبى صَعْصعَةَ أخا بنى مازن بن النجار ، فى ليالٍ مضتْ من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريبًا من الصفراء ، بعث بسَبْس بن عمرو الجهنىّ ، حليف بنى ساعدة وعدىّ بن أبى الزّغْباء الجُهَنىّ حليف بنى النجار إلى بَدْر ، يتحسّسان[2] له الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وعِيره ؛ ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقد قدّمهما ؛ فلما استقبَلَ الصفْراء – وهى قرية بين جبلين – سأل عن جبليْهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسْلِح ؛ وقالوا للآخر : هذا مُخرِئ ؛ وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النار وبنو حُراق (بطنان من بنى غِفار) ، فكرههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمرورَ بينهما ، ١/١٣٠٠

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغانى : « يتجسسان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاءل[١] بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفْراء[٢] بيَسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمْنَعُوا عِيرهم ، فاستشار النبيّ صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قُريش ، فقامَ أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المِقْداد بن عمرو ، فقال : يا رسولَ الله ، امضِ لما أمرك الله ، فنحنُ معك ؛ والله لا نقول كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُون ﴾[٣] ؛ ولكن اذهب أنتَ وربّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذى بعثَك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى بَرْك الغِماد — يعنى مدينة الحبشة — لجالدْنا معك مَن دونه حتى تبلغَه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودَعَا له بخير[٤] .

* * *

حدّثنا محمد بن عبَيْد المحاربىّ ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدّثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدتُ من المِقداد مشهداً لأنْ أكونَ أنا صاحبه أحبّ إلىّ مما فى الأرض من شىء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمارّتْ وجْنتاه ؛ فأتاه المقدادُ على تلك الحال[٥] ، فقال : أبشِرْ يا رسولَ الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُون ﴾ ، ولكن والذى بعثك بالحقّ لنكوننّ مِنْ بين يديك ومِنْ خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفْتَح الله لك[٦] . ١٣٠١/١

* * *

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبنى الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أشيرُوا علىّ أيها الناس — وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنّهم حين بايعوه بالعقَبة ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ إنا برآء من ذِمامك حتّى تصلَ إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمامنا ؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونساءَنا ؛ فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتخوّف ألاّ تكون الأنصار ترى عليها نُصرته ؛ إلاّ ممن دهمَه بالمدينة من عدّوه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ من بلادهم — فلمّا قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال له سعد بن مُعاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجَلْ ، قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهُودَنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لمَا أردْتَ ؛ فوالذى بعثك بالحقّ ، إن استعرضت[1] بنا هذا البحر ١٣٠٢/١ فخضْتَه لخضْناه معك ، ما تخلّف منّا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوّنا غداً ! إنا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ؛ لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينُك ؛ فسرْ بنا على بركة الله .

فَسُرَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقول سعد ، ونشّطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبْشروا ؛ فإنّ الله قد وَعَدَنى إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنّى الآنَ أنظرُ إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر[2] ، ثم انحطّ منها على بلد يقال لها الدَّبَّة ، وترك الحَنّان بيمين ؛ — وهو كثيب عظيم كالجبل — ثم نزل قريباً من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبّان — حتى وقف على شَيْخ من العرب[3] ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

---

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) فى بعض النسخ : « الصفيراء » .
(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمرى » .

١٣٠٣/١ الشيخ : لاأخبركما حتى تخبرانى ممّن أنتما ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتَنا أخبرناك ؛ فقال : وذاك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنّه بلغنى أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدَقَنِى الذى أخبرنى فهو اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وبلغنِى أنّ قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذى حدّثنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذى به قريش — فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماءٍ »، أمِنْ ماءِ العِراق [(١)] !

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلمّا أمسى بعث علىّ ابن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، فى نَفَرٍ من أصحابه إلى ماء بَدْر يلتمسون له الخبر عليه — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى يزيد بن رومان ، عن عُروة بن الزبير — فأصابوا راويةً لقريش فيها أسْلَم ؛ غلام بنى الحجّاج ، وعَرِيض أبو يَسَار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتَوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ؛ فسألوهما ، فقالا : ١٣٠٤/١ نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيَهم من الماء ، فكره القوم خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذْلَقوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما ، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلّم ، فقال : إذَا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صَدَقَا والله ! إنّهما لقريش ؛ أخبِرانى : أين [(٢)] قريش ؟ قالا : هم وراءَ هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوَة القُصْوَى — والكثيب : العَقَنْقَل — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لهما : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ، قال : ما عِدّتهم ؟ قالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كلّ يوم ؟ قالا : يومًا تسعًا ويومًا عشراً ، قال رسول

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ فيهم من أشراف قريش ؟ قال: عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختَرِىّ بن هشام ، وحكيم بن حِزَام ، ونوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمة بن عَدِىّ بن نوفل ، والنضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو جهل ابن هشام، وأميَّة بن خلَف ونُبَيه ، ومُنبِّه ابنا الحجاج ،وسُهَيْل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ودّ . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال : هذه مكّة قد ألْقَتْ إليكم أفْلاذَ[1] كبدِها . ١٣٠٥/١

قالوا : وقد كان بَسْبَس بن عمرو وَعَدىٌّ بن أبي الزَّغْباء مَضَيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تَلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شنًّا [2] يستقيان فيه — ومجدىّ بن عمرو الجهنىّ على الماء — فسمع عدىّ وبسبس جار يتيْن من جوارى الحاضر [3] ؛ وهما تتلازمان[4] على الماء؛ والملزومة[5] تقول لصاحبتها : إنّما تأتى العيرُ غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقْضيكِ الذى لكِ . قال : مَجْدِىّ: صدقت ، ثم خلّص بينهما ؛ وسمع ذلك عدىّ وَبسْبَس ، فجلسا على بعيرَيْهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبراه بما سمعَا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدّم العيرَحَذِرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدىّ بن عمرو : هل أحْسَسْتَ أحداً ؟ قال : ما رأيتُ أحداً أنْكرُه ؛ إلاّ أنى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيا فى شَنّ لهما ؛ ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ،فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففَتَّه ؛ فإذا فيه نَوًى[6]. فقال: هذه والله علائف يثْرب! فرجع إلى أصحابه سريعًا ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحَلَ

---

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشن : الزق البالى .

(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .

(٥) الملزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : « النوى » .

١/١٣٠٦ بها(١) ، وترك بدراً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحْفة رأى جُهَيمُ بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة ابن المطّلب بن عبد مناف رؤيا ؛ فقال : إنّى رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنّى لبينَ النائم واليقظان ، إذْ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميّة بن خلف ، وفُلانٌ وفلان ؛ فعَدّدَ رجالا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش ؛ ورأيته ضرب فى لَبَّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خِباء من أخْبِيةِ العسكر . إلاّ أصابه نَضْحٌ(٢) من دمه .

قال : فبلغتْ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضًا نبىٌّ آخَرُ من بنى المطّلب ؛ سيَعلَم غداً مَن المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورجالكم وأموالَكم ؛ فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبوجهل ١/١٣٠٧ ابن هشام : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً — وكان بدرٌ مَوْسِما من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سُوقٌ كلَّ عام — فنقيم عليه ثلاثاً ، ونَنحَرُ الجُزُرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقى الخُمور ، وتَعْزِف علينا القِيَان ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخْنَسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفىّ — وكان حليفًا لبنى زُهْرةَ وهم بالجُحْفَة : يا بنى زُهرة ؛ قد نجّى الله لكم أموالَكم ، وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمة بن نوفل ؛ وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم فى أن تخرجوا فى غير ضَيْعَة ؛ لا ما يقول هذا — يعنى أبا جهل — فرجعوا ؛ فلم يَشْهدْها زهرىٌّ واحدٌ ؛ وكان فيهم مطاعًا. ولم يكن بقى من قريش بطن إلاّ نَفَرَ منهم ناس ، إلاّ بنى عدىّ بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتَيْن القبيلتَيْن أحدٌ . ومضى القوم .

---

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نفضح ، أى لطخ .

قال : وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين ١٣٠٨/١ بعض قريش مُحَاورة[١] ، فقالوا : والله لقد عرَفْنا يا بنى هاشم — وإنْ[٢] خرجتم معنا — أنّ هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن[٣] رجع .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبىّ ؛ فإنه قال فيما حُدّثتُ عنه : شَخَص طَالبُ بن أبى طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرِج كرهًا . فلم يوجَدْ فى الأسْرَى ولا فى القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ؛ وهو الذى يقول :

يَارَبِّ إمَّا يَغزُوَنَّ طَالِبْ[٤] فى مِقْنَبٍ من هٰذِهِ المَقَانِبْ[٥]

فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغَالِبْ[٦]

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى ، خلف العَقَنْقَل ، وبطن الوادى وهو يَلْيَل ، بين بدر وبين العَقَنْقَل ؛ الكثيب الذى خلفه قريش ، والقُلُب[٧] ببدر فى العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان الوادى دَهْسًا[٨] ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لبّدَ لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُبَادِرهم إلى الماء ؛ ١٣٠٩/١ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به[٩] .

---

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .
(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .
(٥) ابن هشام : « فى عصبة مخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار ثلاثمائة أو نحوها .
(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير واحد من الرواة للشعر .
(٧) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .
(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال: حُدّثتُ عن رجال من بني سلمة ؛ أنهم ذكروا أنّ الحُبَاب ابن المُنْذر بن الجمُوح ، قال : يا رسولَ الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمَنزِلٌ أنزَلكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره ، أم هو الرّأيُ والحرب والمكيدة ؟ قال : بَلْ هو الرأى والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، فإنّ هذا ليس لك بمنزِل، فانهَضْ بالناس حتى نأتِيَ أدنى ماء من القوم فننزلَه، ثم نعوِّر[٢] ما سواه من القُلُب ، ثم نبنِي عليه حَوْضًا فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرتَ بالرأى. فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فَعُوِّرَتْ ، وبنى حوضًا على القليب الذى نزل عليه فمُلِئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية[٣] . ١٣١٠/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال: قال محمد بن إسحاق: فحدّثني عبد الله بن أبى بكر ، أنّ سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نَبْنِي لَكَ عريشًا من جريد فتكون فيه ، ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقَى عَدُوّنا ؛ فإنْ أعزّنا الله وأظهرنا على عَدُوِّنا[٤] كان ذلك مما[٥] أحببْنَا ، وإن كانت الأخرَى جلستَ على ركائبك ، فلحقْتَ بمَنْ وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ الله ، ما نحن بأشدّ حُبًّا لك منهم ؛ ولو ظنّوا أنك تلْقَى حربًا ما تخلّفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه[٦] خيراً ، ودعا له بخير .

---

(١) م : « منزل » .
(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفى ابن هشام : « نغور » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤
(٤) ح : « عليه » .
(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .
(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُنى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عريشٌ ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلتْ ، فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تصوّب[١] من العَقَنْقل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا إلى الوادى — قال : اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذِّب رسولَك ؛ اللهُمَّ فنصرَك الذى وعدتَنى ؛ اللهم فأحْنِهِم[٢] الغَداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — ورأى عتبة بن ربيعة فى القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحد من القوم خيرٌ؛ فعند صاحب الجمل الأحمر ؛ إن يُطيعوه يَرشُدُوا . وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة الغِفارىّ — أو أبوه إيماء بن رَحَضة — بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له بجزائر[٣] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أمِدّكم بسلاح ورجال فَعلنا؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصلتْك الرّحم[٤]! فقد قضيت الذى عليك ؛ فلَعمرى لئن كنّا إنما نقاتل الناس؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنا نقاتل الله — كما يزعم محمد — فما لأحد بالله من طاقة .

١٣١١/١

فلمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتّى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتل يومئذ ؛ إلاّ ما كان من حَكِيم بن حزام ، فإنّه لم يُقتل[٥] ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد فى يمينه قال : لا والذى نجّانى يوم بدر[٦] !

١٣١٢/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : قال محمّد بن إسحاق :

---

(١) التصوب : الانحدار من علو .
(٢) أحنهم : أهلكهم .
(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدها جزور .
(٤) ابن هشام : « رحم » .
(٥ — ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدّثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القومُ ، بعثوا عُمَير بن وهب الجُمَحيّ ، فقالوا : احزُرْ[١] لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون[٢] ؛ ولكن أمْهلوني حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أم مَدَد ؟ قال : فضرب في الوادي ؛ حتى أبْعد فلم ير شيئًا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئًا ، ولكني قد رأيتُ -يا معشرَ قريش- الوَلايا[٣] تحمل المنايا ، نواضح[٤] يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم[٥] مَنَعَة ولا مَلْجأ إلاّ سيوفُهم ؛ والله ما أرى [أن][٦] يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيكم .

١٣١٣/١ فلمّا سمع حَكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس[٧] ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنكّ كبيرُ قريش الليلة وسيّدُها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألاّ تزال[٨] تذكر منها[٩] بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرميّ ! قال : قد فعلت ، أنتَ عليّ بذلك ؛ إنما هو حليفي فعليّ عَقْله ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابن َالحنْظَلية[١٠] ؛ فإنّي لا أخشى أن يشجُر[١١] أمرَ الناس غيرُه -

---

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية : وهي البرذعة التي تكون تحت الرحل ؛ وفي ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء ، ثم استعمل في كل بعير ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكملة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ؛ وهي أسماء بنت مخربة ، أحد بني نهشل ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام[١]

حدّثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدّثنا عثامة[٢] بن عمرو السهميّ، قال: حدّثني مُسوَّر بن عبد الملك اليَربوعيّ، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب، قال: بينَا نحن عند مروان بن الحكَم؛ إذ دخل حاجبُه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حِزام، قال: إئذنْ له، فلمّا دخل حكيم بن حِزام، قال: مرحبًا بك يا أبا خالد! ادْنُ، فحال له مرْوان عن صدْر المجلس؛ حتى كان بينه وبين الوسادة، ثمّ استقبله مرْوان، فقال: حَدّثنا حديثَ بدْر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحْفَة رجعتْ قبيلة من قبائل قريش بأسْرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بَدْراً. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوة التى ذكرها[٣] ١٣١٤/١ الله عزّ وجلّ، فجئت عُتْبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمّد إلا دَم ابن الحضرميّ؛ وهو حليفك، فتحمّل دِيَتَه وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل بِديتَه، واذهبْ إلى ابن الحنظليّة — يعنى أبا جهل — فقل له: هل لك أن ترجعَ اليوم بمَنْ معك عن ابن عمّك؟ فجئته فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابنُ الحضرميّ واقف على رأسه؛ وهو يقول: قد فَسَخْتُ عقْدى من عبد شمس، وعقْدى إلى بنى مخزوم. فقلت له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجعَ اليوم عن ابن عمك بمَنْ معك؟ قال: أما وجدَ رسولا غيرك! قلت: لا، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عُتْبة؛ لئلا يَفُوتَنى من الخبر شىء، وعتبة مُتّكىء على إيماء بن رَحَضة الغِفَارىّ؛ وقد أهْدَى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشرّ فى وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سَحْرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فَسلّ أبو جهل سيفَه، فضرب به متْنَ ١٣١٥/١ فرسه، فقال إيماء بن رَحَضة: بئس الفأل[٤] هذا! فعند ذلك قامت الحرب[٥].

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغانى ٤: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا فى و، وفى ط: «قال».

(٤) الأغانى: «المقام». (٥) الخبر فى الأغانى ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقوا محمداً وأصحابه شيئاً ؛ والله لئن أصبتُموه لا يزال رجلٌ ينظر فى وَجْه رجل يكره النَّظَر إليه ، قتل ابن عمّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلُّوا بين محمّد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا[١] منه ماتريدون . قال حكيم : فانطلقتُ أؤمُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نَشَلَ[٢] دِرْعاً له من جِرابها ؛ فهو يُهيِّئها[٣] . فقلت : يا أبا الحكم ؛ إنّ عُتْبة قد أرسلنى إليك بكذاوكذا — للذى قال — فقال : انتفخ والله سَحْرُه[٤] حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاّ والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمّد وأصحابه ، وما بعتْبة ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلةَ جَزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمىّ ، فقال له : هذا حَليفُك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرَك بعينك ، فقم فانشُد خُفْرتك[٥] ومقتَلَ أخيك . فقام عامر بن الحضرمىّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه ! فحميَت الحربُ ، وحَقِبَ[٦] أمر الناس ، واستوسقوا[٧] على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة .

١٣١٦/١

فلما بلغ عُتبةَ بن ربيعة قولُ أبى جهل : « انتفخ سَحْره » ، قال : سيعلم المُصَفِّرُ استَهُ من انتفخ سَحْره ، أنا أم هو ! ثم التمس بَيْضَة يُدْخِلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تَسَعُه من عِظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتَجَر[٨] على رأسه ببُرْد له .

---

(١) الأغانى : « ولم تعدموا » .
(٢) نثل : أخرج .
(٣) ابن هشام : « يهنئها » ؛ أى يطليها بعكر الزيت .
(٤) انتفخ سحره ؛ أى رئته ؛ يقال ذلك للجبان .
(٥) انشد خفرتك ؛ أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ؛ لأنه كان حليفاً لهم وجاراً .
(٦) حقب أمرهم : اشتد .
(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .
(٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومىّ — وكان رجلا شرِسًا سيِّىء الخلُق — فقال : أعاهد الله لأشرَبنّ من حَوْضِهم ولأهْدِمنّه أو لأمُوتنّ دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[١] قدمه بنصف ساقه ؛ وهو دونَ الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُبُ[٢] رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حَبَا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد — زَعَمَ — أن يُبِرّ يمينَه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض . ١٣١٧/١

ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبة ؛ حتى إذا فَصَل من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتْية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث — وأمهما عفراء — ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخْرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علىّ بن أبى طالب ؛ فلما قاموا ودَنوْا منهم ، قالوا : مَنْ أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علىّ : علىّ ، قالوا : نعم أكفاءٌ كِرَام ! فبارز عُبيدة بن الحارث — وكان أسنّ القوم — عُتْبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شَيْبةَ بن ربيعة ، وبارز علىٌّ الوليد بن عتبة ؛ فأمّا حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علىٌّ فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما بضربتيْن ، كلاهما أثبَت صاحبه[٣] ، وكرّ حمزة وعلىّ بأسيافهما على عُتْبة ، فذفّفا[٤] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به[٥] إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ، فمُخُّها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ! قال : ١٣١٨/١

---

(١) أطن : اطار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٤) ذففا عليه : أسرعا لقتله .

(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى، فقال عبيدة : لوكان أبو طالب حيًّا لعلم أنى أحقّ بما قال منه حيث يقول :

ونُسْلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه[١] ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائِلِ[٢]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاءٌ كرامٌ ، إنما نريد قومَنا ، ثم تزاحف الناس ؛ ودنا بعضُهم من بعض ، وقد أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه ألّا يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنفكُم القوم فانضحوهم[٣] عنكم بالنَّبْل ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ؛ كما حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحسين . وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى حَبّان بن واسع بن حَبّان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْحٌ[٥] يعدّلُ به القوم ، فمرّ بسَوَاد[٦] بن غَزِيّة ، حليف بنى عدىّ بن النجار ، وهو مُسْتَنتِل[٧] من الصفّ ، فطعَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطنه بالقِدْح ، وقال : استَوِ يا سوادَ بن غزيّة ؛ قال : يا رسولَ الله أوجعتَنى وقد بعثك الله بالحقّ ، فأقِدْنى[٨] . قال : فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : استقِدْ ، قال : فاعتنقَه وقبّل بطنه ، فقال : ما حملك

١٣١٩/١

---

(١) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمى به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغانى ٤ : ١٩٠

(٥) القدح : السهم .

(٦) كذا فى ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد فى الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستنتل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنصل » .

(٨) أقدنى : أى اقتص لى من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضَر ما ترى فلم آمن القتْل . فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمسّ جلدى جلدَك . فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصّفوفَ ، ورجع إلى العريش ، ودخلَه ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربّه ما وعده من النّصر، ويقول فيما يقول : اللهمّ إنك إن تَهْلِكْ هذه العِصابة اليوم – يعنى المسلمين – لا تُعبَد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبيّ الله، بعضَ مناشدتِك ربّك! ، فإن الله عزّ وجلّ منجزٌ لك ما وعدك[1] . ١٣٢٠/١

* * *

فحدّثنى محمد بن عبيد المحاربىّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عَمّار ، قال : حدّثنى سماك الحنفىّ ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدّثنى عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدْر ، ونظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدّتهم ، ونظر إلى أصحابه نيّفًا على ثلثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهمّ أنجزْ لى ما وعدتَنى ، اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبَد فى الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثمّ التزمه من ورائه، ثم قال : كفاك يا نبيّ الله، بأبى وأنت وأمى، مناشدتك ربّك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[2] .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا الثقفىُّ – يعنى عبد الوهاب – عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال وهو فى قبّته يومَ بدر : اللهمّ إنى أسألُك عهدَك ووعدَك ؛ اللهمّ إن شئت لم تُعْبَدْ بعْدَ اليوم !

---

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبر فى التفسير ١٣ : ٤٠٩ والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححت على ربّك — وهو فى الدّرع — فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾[1] .

* * *

١/١٣٢١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَق[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو فى العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذ بِعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النَّقع[3] . قال : وقد رُمِىَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل ؛ فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِىَ حارثة بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ بن النجار وهو يشرب من الحوْض فقتِل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النّاس فحرَّضهم ، ونفّل كلَّ امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والّذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتَلُ صابراً محتسباً مُقْبِلا غير مُدْبِر ؛ إلاّ أدخله الله الجنة . فقال عُمَيْر بن الْحمَام ، أخو بنى سلَمة ، وفى يده تَمَراتٌ يأكُلهنّ : بَخْ بَخْ[4] ، فما بينى وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقْتلَنى هؤلاء ! ثم قذف التَّمرَاتِ من يده ، وأخذ سيفَه ، فقاتل القوم حتى قُتِل[5] وهو يقول :

رَكْضًا إلَى اللهِ بغيْر زادِ ... إلاَّ التُّقَى وعَملِ المَعادِ
وَالصَّبْرِ فى اللهِ على الجهادِ ... وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غَيْرُ التُّقَى والبرّ والرَّشَادِ *

١/١٣٢٢ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنّ عوْف بن الحارث — وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر فى الأغانى ٤ : ١٩٢
(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .
(٣) النقع : التراب .
(٤) بخ ، بكسر الخاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .
(٥) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً فى الأغانى ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء – قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ[١] الربَّ من عبده ؟ قال : غَمْسُه يدَه فى العدوّ حاسِرًا . فنزع درْعًا كانت عليه ، فقذفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل[٢] .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدّثنى محمد بن مسلم الزهرىّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذرِىّ ، حليف بنى زُهرة ، قال : لما التقى النّاس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهمّ أقْطَعَنَا لِلرَّحم ، وآتانا بما لا يُعرف ؛ فأحِنْه[٣] الغداة ، فكان هو المستفتِح[٤] على نفسه .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنة من الحَصْباء ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شاهت الوُجوه ! ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : شُدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قتلَ من صناديد قريش ، وأسِر مَنْ أسِر منهم . فلما وضع القوم أيديَهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم فى العريش ، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، متوشِّحًا السيف ، فى نفر من الأنصار يحرُسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ العدوّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر لى – فى وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيةَ لمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع الناس ! ١٣٢٣/١ قال : أجلْ والله يا رسولَ الله ! كانت أوّل وقعة أوقَعها الله بالمشركين ؛ فكان الإثخَانُ فى القتل أعجَبَ إلىَّ من استبقاء الرجال[٥] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلمَة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدّثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس،

---

(١) ما يضحك ربك ، أى ما يرضيه غاية الرضا .
(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) أحنه : أهلكه .
(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : إنّى قد عرفت أنّ رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرِجُوا كرْهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمَنْ لقِيَ منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومَنْ لقِي أبا البختَرىّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومَنْ لقِيَ العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرِج مستكرَهًا .

قال : فقال أبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتَنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيتُه لألْحِمنّه[1] السيف . فبلغتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبى حُذَيفة ، يقول : أضرب وجه عمّ رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يارسولَ الله ، دعْنِي فلأضربنّ[2] عنقَه بالسيف ؛ فوالله لقد نافَقَ .

١٣٢٤/١ — قال[3] عمر : والله إنه لأوّلُ يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأبى حفص —

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمِنٍ من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفًا إلاّ أن تكفّرها عنى الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البَختَرىّ ؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو بمكّة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شىء يكرهه ؛ وكان ممّن قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطّلب ، فلقيَه المُجذَّرُ بن ذياد البَلوىّ ، حليف الأنصار من بنى عدىّ ، فقال المجذَّر بن ذياد لأبى البختَرىّ : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد نهى عن قتلك — ومع أبى البختَرىّ زميلٌ[4] له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسَد ، وجُنادة رجل من بنى لَيْث . واسم أبى البختَرىّ العاص بن هشام

(١) لألحمنه ، أى لأطعنن لحمه بالسيف ولأخالطنه . وقال ابن هشام : « ويقال : لألحمنه بالسيف » ، أى لأضربنه به فى وجهه .

(٢) و : « فلأضرب » ، وكذلك فى ابن هشام .

(٣) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذى يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد – قال : وزميلى ؟ فقال : المجذَّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلَك ؛ ما أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ بك وحدَك ، قال : لا والله إذاً ، لأموتنَّ أنا وهو جميعًا ؛ لا تحدّث عنّى نساء قريش من أهل مكة أنّى تركتُ زميلى حِرْصًا على الحياة . فقال أبو البختَرِىّ حين نازله المجذَّر ، وأبى إلاَّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أَكِيلَهْ حتَّى يموتَ أَوْ يرى سَبيلَهْ ١٣٢٥/١

فاقتتلا ، فقتله المجذَّر بن ذياد .

قال : ثم أتى المجذَّر بن ذياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والّذى بعثَك بالحقّ ، لقد جهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيَك به ؛ فأبى إلاَّ القتال ، فقاتلته فقتلتُه[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال . وحدّثنى أيضًا عبد الله بن أبى بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرّحمن بن عوْف ، قال : كان أميّة بن خلَف لى صَدِيقًا بمكّة – وكان اسمى عبد عمْرو ، فسمِّيتُ حين أسلمتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة – قال : فكان يلْقانى ونحن بمكّة ، فيقول : يا عبدَ عمرو ، أرغِبْت عن اسم سمّاكَه أبوك ؟ فأقول . نعم ، فيقول : فإنّى لا أعرف «الرحمن» ؛ فاجعل بينى وبينك شيئًا أدعوك به ؛ أما أنتَ فلا تجيبنى باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعانى : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بينى وبينك يا أبا علىّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأتحدّث معه ؛ حتى إذا كان يومُ بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علىّ بن أميّة ، آخذاً بيده ، ومعى أدراعٌ قد استلبتُها ، فأنا أحملها . فلمّا رآنى[٢] قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ، ١٣٢٦/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغانى ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فىّ ، فأنا خير لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعمْ ، هلُمَّ إذاً[١] . قال : فطرحتُ الأدراع من يدى وأخذت بيده ويد ابنه علىّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ ! أما لكم حاجة فى اللّبن![٢] قال : ثم خرجت أمشى بهما[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الواحد بن أبى عوْن ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لى أميّة بن خلف وأنا بينه و بين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : يا عبدَ الإله ، مَن الرجل منكم ، المعْلِم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطّلب ، قال : ذاك الذى فعَل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنّى لأقودهما إذْ رآه بلال معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكّة على أن يترك الإسلام فيخرجُه إلى رَمْضاء[٤] مكة إذا حميتْ ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضَع على صدره ، ثم يقول: لاتزالُ هكذا حتى تفارقَ دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ — فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لا نجوتُ إن نَجوْتَ[٥] ؛ قال : قلت : أىْ بلال ، أسيرَىّ[٦] ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمَع[٧] يابن السوداء ! قال : لانجوتُ إن نجوَا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأس الكفر أميّة ابن خلَف ، لانجوتُ إن نجا ! قال: فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا فى مثل المسكَة[٨]

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغانى ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) فى ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبا سيرى » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسميع : التشهير .

(٨) فى مثل المسكة ، أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

وأنا أذُبُّ عنه[١] ، قال : فضرب رجلٌ ابنه فوقع . قال : وصاح أميّة صيحة ما سمعت بمثلها قطّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ، ولا نجاءَ ؛ فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما[٢] بأسيافهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريَّ[٣] .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنّه حُدّث عن ابن عبّاس ، أن ابن عباس ، قال : حدّثني رجلٌ من بني غِفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يُشْرِف بنا على بدْر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقْعة على مَنْ تكون الدّبْرَة ، فننتهب مع من ينتهب . قال : فبينا نحن في الجبل ؛ إذ دنت منّا سحابة ، فسمعنا فيها حَمْحَمة الخيل ، فسمعت قائلا : يقول : أقدِمْ حَيْزُوم[٤] . قال : فأمّا ابن عمّي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ؛ وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكت[٥] . ١٣٢٨/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثني أبي إسحاق بن يَسار ، عن رجال من بني مازن بن النّجار ، عن أبي داود المازنيّ – وكان شهد بدرا – قال : إني لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذْ وقع رأسه قبل أن يصِلَ إليه سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حدّثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ ، قال : حدّثنا يحيى بن بُكير[٦] ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى الإسكندرانيّ عن العَلاء بن

---

(١) في ابن هشام بعدها : «قال : فأخلف رجل السيف » ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سله من غمده .

(٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الخشني . « قال ابن سراج : اقدم ، كلمة تزجر بها الخيل ، وحيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : جيزون » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرَمة ، عن أبى أمامة ابن سَهْل بن حُنَيف ، قال : قال لى أبى : يا بُنَىّ ، لقد رأيتُنا يوم بدر ؛ وإنّ أحَدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصلَ إليه السيف[١] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق، قال : وحدّثنى الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عتيبة ، عن مِقْسم مولى عبدالله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها فى ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمرًا ، ولم تقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدَدًا ومدَدًا لا يضربون[٢] .

١/١٣٢٩

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال: قال محمد : وحدّثنى ثور بن زيد مولى بنى الدِّيل ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبَّاس ، عن ابن عبَّاس قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قالا : كان مُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلمة يقول : لما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من عدوّه ، أمرَ بأبى جهل أن يلتَمس فى القتلى ، وقال : اللهمّ لا يعجزنّك ، قال : فكان أوّل مَنْ لقِىَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل فى مثل الحرَجة[٣] وهم يقولون : أبو الحكَمَ لا يُخْلَص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأنى ، فصَمدْت نحوه ، فلمّا أمكننى حملتُ عليه فضربته ضربة أطنَّت[٤] قدَمه بنصف ساقه؛ فوالله ما شبَّهتُها حين طاحت إلا النَّواة تَطيح[٥] من تحت مِرْضَخةِ[٦] النّوى حين يُضرب بها .

١/١٣٣٠

(١) الأغانى ٤ : ١٩٩ .
(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، ٧٠ ، والأغانى ٤ : ١٩٩ .
(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ؛ وفى الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هى شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .
(٤) أطنت قدمه : أطارتها .
(٥) تطيح : تذهب .
(٦) المرضخة : التى يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربنى ابنُه عِكْرمة على عاتقى ؛ فطرح يدى ، فتعلقت بجلْدة من جنبى ، وأجهضنى[١] القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامّة يومى، وإنى لأسحبها خلْفِى ؛ فلما آذتنى جعلت عليها رجلى ، ثم تمطّيت بها ، حتى طرحتُها .

قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك ، حتى كان فى زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبى جهل — وهو عقير[٢]— مُعَوّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته[٣] ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلتَمس فى القتلى ، وقد قال لهمْ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى : انظروا إنْ خفِىَ عليكم فى القتلى إلى أثر جُرْح بركبته ؛ فإنى ازدحمت أنا وهو يومًا على مأدُبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشفَّ منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فَجُحِشَ[٤] فى إحداهما جَحْشًا لم يزل أثرُه فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَق ، فعرفته ، فوضعت رجلى على عنقه . قال : وقد كان ضَبَثَ[٥] بى مرّة بمكة ، فآذانى ولكَزنى . ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ! قال : وبما ذا أخزانى ! أعْمَدُ من رجل قتلتموه[٦] ! أخبرنى لمن الدّبْرَة ؟ [اليوم][٧] قال : قلت : لله ولرسوله[٨] . ١٣٣١/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بنى مخزوم أنّ ابن مسعود ، كان يقول : قال لى أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعىَ الغنم مرتقًى صعبًا ! ثم احتززتُ رأسه ؛ ثم جئت به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، هذا رأس عدوّ الله

(١) أجهضنى : غلبنى واشتد على . (٢) العقير : المجروح .
(٣) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .
(٤) جحش : خدش .
(٥) ضبث ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .
(٦) يقال : أعمد من رجل قتله قومه ، أى أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! أى أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغانى . (٨) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : آللهِ الذى لا إله غيره[١]! — وكانت يمينَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلّم . قال : فحمد الله[٢] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى يزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَليب[٣] طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أميّة بن خلَف ؛ فإنه انتفخ فى دِرْعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحرّكوه ، فتزايل[٤] فأقرّوه ، وألقوا عليه ما غيّبه من التّراب والحجارة ، فلما ألقاهم فى القَليب ، وقف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعَدَكم ربكم حقّاً ! فإنى وجدتُ ما وعدنى ربى حقّاً . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتَى! قال : لقد علموا أن ما وعدتُهم حقّ ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنّما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»[٥] .

١/١٣٣٢

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدّثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يقول من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عُتْبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أميّة بن خلَف ، يا أبا جهل بن هشام — فعدّدَ مَنْ كان معهم فى القَليب : هل وجدتم ما وعدكُمْ ربّكم حقّاً ؛ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى

---

(١) قال السهيلى : « الله الذى لا إله إلا هو » ، هو بالخفض عند سيبويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوض عن الخافض عنده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزايل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢

ربِّى حقًّا! قال: المسلمون: يارسولَ الله؛ أتنادى قومًا قد جَيَّفوا[1]! فقال: ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبونى[2].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال: قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة: قال: يا أهلَ القَلِيب ، بئس عشيرة النبىّ كنتم لنبيّكم! كذّبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى النَّاس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس . ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا ؟ للمقالة التى قال . قال : ولما أمر بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلْقَوْا فى القَلِيب ، أخِذ عتبة بن ربيعة فسحِب إلى القَلِيب ، فنظر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم - فيما بلغنى - فى وجه أبى حُذيفة بن عتبة ؛ فإذا هو كئيب قد تغيّر ، فقال: يا أبا حذيفة ؛ لعلَّك دخلك مِنْ شأن أبيك شىء ! - أو كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : لا والله يا نبىّ الله ، ما شككتُ فى أبى ولا فى مصرعه ؛ ولكنِّى كنتُ أعرِف من أبى رأيًا وحِلْمًا وفضلاً ؛ فكنت أرجو أن يهديَه ذلك إلى الإسلام ؛ فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو له ، حزَنَنى ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيراً . ١٣٣٣/١

ثم إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أمر بما فى العسكر ممَّا جَمَع الناس فجُمع ؛ فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَنْ جمعه : هو لنا ؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفّل كلّ امرئ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العَدُوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلْنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يَحْرسون رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مخافة أن يخالِف إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحَقّ به منَّا ؛ لقد رأينا أن نقتلَ العدوّ إذْ ولّانا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيفوا : أى صاروا جيفاً .

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه مَنْ يمنعه ؛ ولكن خفْنا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كرّة العدوّ ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقّ به منّا[١] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
١/١٣٣٤ وحدّثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدَق ، عن مكحول ، عَنْ أبى أمامة الباهلىّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشَر أصحاب بدر نزلتَ ؛ حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسَّمه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين المسلمين عن بَوَاء — يقول على السَّوَاء — فكان فى ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثمّ بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوّينا التّراب على رقيَّة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التى كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خلَّفنى عليها مع عثمان .

قال : ثم قدم زيد بن حارثة فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غشيهُ الناس وهو يقول : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البَختَرىّ بن هشام ، وأميّة بن خلَف ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أبهْ أحقٌّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنىَّ . ثم أقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفَل الذى أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَلِ عبد الله بن كعب بن زيد
١/١٣٣٥ ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن مازن بن النَّجار . ثم أقبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم حتى إذا خرج من مضيق الصَّفْراء ، نزل على كَثيب بين المضيق وبين النازية — يقال له سَيَر — إلى سَرْحة به ، فقسَّم هنالك النَّفَل

(١) ابن هشام ٢ : ٧٤ — ٧٦ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الّذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السَّواء ، واستقى له من ماء به يقال له الأرواق .

ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالرَّوْحاء ، لقيَهُ المسلمون يُهنّئونه بما فتَح الله عليه ومَنْ معه من المسلمين ، فقال سلمة بن سلامة بن وقْش — كما حدّثنا ابن حميد ، فقال: حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، كما حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، ويزيد بن رومان : وما الذى تُهنّئون به ! فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلعًا كالبُدْن المعَقّلَة ، فنحرناها . فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا بنَ أخى ، أولئك الملأ[1]. قال : ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأسارى من المشركين وكانوا أربعة وأربعين أسيراً، وكان من القتلى مثل ذلك — وفى الأسارَى عُقْبة بن أبى مُعَيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة — حتى إذا كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفْراء ، قتِل النَّضْر بن الحارث ، قتَله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة قال: قال محمد بن إسحاق : كما حدّثنى بعضُ أهل العلْم من أهل مكة ؛ قال : ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ حتى إذا كان بعرْق الظّبْيَة ، قتل عُقْبة بن أبى مُعَيط ، فقال حين أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُقتل: فمَنْ للصبية يا محمد ! قال : النار ، قال : فقتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارىّ ، ثم أحد بنى عمرو بن عوف . ١٣٣٦/١

قال : كما حدثنى أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عِرْق الظبية حين قتل عُقبة لَقيَه أبو هند مولى فَرْوة بن عمرو البَيَاضىّ بحَميت مملوء حَيْساً[3]، وكان قد تخلّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،

---

(١) الملأ : الأشراف .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، والأغانى ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قال ابن هشام : الحميت : « الزق . والحيس : السمن يخلط بالتمر والأقط » .

وكان حجَّام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا. ثم مضَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم[١] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة ، قال : قُدِم بالأسارى حين قُدم بهم وسَوْدَة بنت زَمْعة زوج النبي صلَّى الله عليه وسلَّم عند آل عَفْرَاء فى مَنَاحتهم على عَوْف ومُعوِّذ ابنَى عفراء — قال : وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب — قال : تقول سَوْدة : والله إنى لَعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِيَ بهم ، قالت : فرُحْت إلى بيتِى ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو فى ناحية الحُجْرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبْل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيْتم بأيديكم ، ألاَّ متّم كراما! فوالله ما أنْبهنى إلاّ قولُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من البيت : يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله! قالت : قلت : يارسولَ الله ؛ والّذى بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيدَ مجموعةً يداه إلى عنقه بحبْل أن قلت ما قلت[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى نُبَيْه بن وهب ، أخو بنى عبد الدّار ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين أقبل بالأسارَى فرّقهم فى أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيرًا — قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه فى الأسارى — قال : فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسِرنى ، فقال : شُدَّ يدَيك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلّها أن تفتديَهُ منك . قال : وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدْر ؛ فكانوا إذا قدّموا غدَاءهم وعشاءهم خصُّونى بالخبز ، وأكلوا التمر لوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفَحنى بها . قال : فأستحى ، فأردّها على أحدهم فيردّها علىّ ما يمَسُّها[1] . ١٣٣٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أوّل مَنْ قدم مكة بمُصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعة بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعىّ — قال أبو جعفر : وقال الواقدىّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعى — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترىّ بن هشام ونُبَيه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلمَّا جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صَفْوان بن أمية وهو قاعد فى الحِجْر : والله إنْ يعقل هذا فَسلُوه عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالسا فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة مولى ابن عبَّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : كنت غلامًا للعبَّاس بن عبد المطَّلب ، وكان الإسلام قد دخلنَا أهل البيت ، وأسلمتْ أمّ الفضل وأسلمتُ ، وكان العبَّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفَهم ، وكان يكتم إسلامَه ، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلَّف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلَّف رجل إلاّ بعثَ مكانه رجلا ، فلمَّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا فى أنفسنا قوّة وعزًّا . ١٣٣٩/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٠ .

قال : وكنت رجلاً ضعيفًا ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتُها فى حَجْرة زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت القِداح ، وعندى أمّ الفضْل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لهب يجرّ رجليْه بشرّ ، حتى جلس على طُنُب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهرى ؛ فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قدِم . قال : فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا بنَ أخى ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ، والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخى ، أخبِرْنى ؛ كيف كان أمر الناس ؟

١٣٤٠/١ قال : لا شىء ؛ والله إن كان إلاّ أن لقِيناهم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتُلوننا ويأسرون كيف شاءوا ؛ وايمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس ؛ لقِينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض ؛ ما تليق[١] شيئًا ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعت طُنُب[٢] الحجْرة بيدى ، ثم قلت : تلك الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يدَه فضرب وجهى ضربة شديدة ، قال : فثاورتُه[٣] ، فاحتملنى ، فضرب بى الأرضَ ثم بركَ علىّ يضربنى — وكنت رجلا ضعيفًا — فقامت أمّ الفضل إلى عَمُود من عُمُد الحجرة ، فأخذته فضربته به ضربة فشجّت[٤] فى رأسه شجّة منكرة ، وقالت : تستضعفه أنْ غاب عنه سيّده! فقام مولّيا ذليلا ، فوالله ما عاش إلاّ سبع ليال حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعدَسة[٥] فقتلته ، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفنانه حتى أنتن فى بيته — وكانت قريش تتّقى العدَسة وعدْوَتها كما يتّقى الناس الطاعون — حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألاّ تستحيان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيّبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القَرْحة ، قال : فانطلقا فأنا معكما ، فما غسلوه إلا قذْفًا بالماء عليه من بعيد ، ما يمسّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى

١٣٤١/١ مكّة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروْه[٦] .

---

(١) ما تليق : ما تبقى . (٢) طنب الحجرة : طرفها .
(٣) ثاورته : وثبت إليه .
(٤) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « فلقت » .
(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن‌الفضل ، قال : قال‌محمد بن إسحاق : وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبدالله ابن عبّاس ، قال : لمّا أمسى القوم من يوم بدْر ، والأسارى محبوسون فى الوَثاق ، باتَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرًا أوّل ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضوّرَ العبّاس فى وَثاقه ، قال : فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ، فنام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى الحسنُ بن عُمارة ، عن الحكم بن‌عتيبة بن مِقْسَم ، عن ابن عبّاس ، قال : كان الذى أسر العبّاس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بنى سلمة ، وكان أبو اليَسَر رجلاً مجموعًا ، وكان العبّاس رجلاً جسيمًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى اليَسَر : كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر ؟ فقال : يا رسولَ الله ؛ لقد أعاننى عليه رجلٌ ما رأيته قبلَ ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد أعانك عليه مَلَك كريم[١] .

١٣٤٢/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى يحيى بن عبّاد ، عن أبيه عبّاد ، قال : ناحتْ قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمدًا وأصحابَه ، فيشمَت[٢] بكم ، ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتّى تستأنوا بهم[٣] ؛ لا يتأرّب[٤] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء[٥] .

---

(١) الأغانى ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغانى : « فيشمتوا » .

(٣) حتّى تستأنوا بهم : أى تؤخروا فداءهم ، وفى الأغانى : « حتّى تيأسوا » .

(٤) يتأرب : يتأبى ويتشدد . وفى السيرة واللسان– مادة أرب : « لا يأرب» . ، وأرّب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغانى ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطّلب[1] قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ، وكان يحبّ أن يبكِيَ على بنيه ، فبينا هو كذلك ، إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحِلّ النّحبُ ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلّى أبكى على أبى حكيمة — يعنى زَمْعة — فإنّ جَوْفى قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلّته. قال : فذلك حين يقول :

١٣٤٣/١

أتبْكى أنْ يَضِلّ لها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ[2]
فلا تَبْكى على بَكْرٍ ولٰكنْ ... على بَدْرٍ تقَاصَرَتِ الجدُودُ[3]
على بَدْرٍ سَراةِ بَنى هُصَيْصٍ ... ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبى الوَليدِ[4]
وبَكِّى إنْ بَكَيْتِ علَى عَقِيلٍ ... وبَكِّى حارِثًا أسَدَ الأُسُودِ[5]
وبَكِّيهمْ ولا تَسَمِى[6] جَميعاً ... فما لأبى حَكِيمَةَ منْ نَدِيدِ
ألا قد سـاد بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولَوْلا يومُ بدْرٍ لَمْ يَسُودُوا[7]

قال : وكان فى الأسارى أبو وداعة بن ضُبيْرة السَّهْمىّ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن له ابناً تاجرًا كيّساً ذا مال ، وكأنكم به قد جاءكم فى فداء أبيه ! قال : فلمّا قالت قريش : لا تعجلوا فى فداء أسرائكم لا يتأرّب[8] عليكم محمد وأصحابه ، قال المطّلب بن أبى وداعة — وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنَى — : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسُرائكم .

(١) كذا فى السيرة ؛ وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفى ط : « ابن عبد يغوث » .
(٢) حماسة أبى تمام بشرح التبريزى ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .
(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الجدود ، أى تواضعت الحظوظ .
(٤) سراة : جمع سرى ؛ وهو السيد الكريم .
(٥) بكّاه بالتضعيف ، كبكاه المخفف .
(٦) لا تسمى مخفف « لا تسأمى » .
(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .
(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرث » .

ثم انسلّ من الليل ، فقَدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعثت قريش فى فداء الأسارَى ، فقدم مِكرَزُ بن حفص ابن الأخْيف فى فداء سُهيْل بن عمرو ، وكان الذى أسَرَه مالك بن الدُّخشم ، أخو بنى سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعْلَمَ[1] من شَفَته السّفْلَى[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى محمد بن عمرو بن عطاء بن عيّاش[3] بن علقمة ، أخو بنى عامر بن لؤىّ ، أنّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسولَ الله انتزع ثنيّتَىْ سُهَيْل بن عمرو. السّفْليَيْن يَدْلَعْ[4] لسانه ، فلا يقوم عليك خَطيبا فى موطنٍ أبداً ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لا أمثِّلُ به فيمثِّل الله بى ؛ وإنْ كنت نبيًّا . ١٣٤٤/١

قال : وقد بلغنى أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعمر فى هذا الحديث : إنّه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمّه ؛ فلمّا قاولهم فيه مِكْرَز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذى لنا . قال : اجعلُوا رجلِى مكان رجْله ،وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلّوْا سبيل سُهيل ، وحبسوا مِكرزًا مكانَه عنْدهم[5] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمّد بن إسحاق ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبّاس ، افد نفسَك وابنَىْ[6] أخيك عَقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عُتْبة بن عمرو بن جَحْدم ، أخابنى الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

---

(١) الأعلم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغانى ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبته ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلع : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغانى : « ابن » .

فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّى كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنّ القوم استكرهونى ، فقال : الله أعلم بإسلامك؛ إن يكن ما تذكر حقًّا فالله يجزيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ، فافْدِ نفسَك — وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أوقيّة من ذهب — فقال العبّاس : يا رسولَ الله ، احسبها لى فى فدائى ، قال : لا ؛ ذاك شىء أعطاناه الله عزّ وجلّ منك ، قال : فإنّه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حيث خرجتَ من عند أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلتَ لها : إن أصبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولِقُثَم كذا وكذا ، ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : والّذى بعثَك بالحقّ ما علِمَ هذا أحد غيرى وغيرها ؛ وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العبّاس نفسَه وابنى[1] أخيه وحليفَه[2] .

١/١٣٤٥

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، عن محمد ، قال : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان عمرو بن أبى سفيان بن حرب — وكان لابنة عُقْبة بن أبى مُعيْط — أسيرًا فى يدىْ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من أسارى بدر ، فقيل لأبى سفيان : افْدِ عَمْرًا ، قال : أيجمع علىّ دمى ومالى ! قتلوا حَنْظَلة وأفدى عمرا ! دَعُوه فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك محبوسٌ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، خرج سعدُبن النّعمان بن أكّال ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمرًا ، ومعه مُرَيّة[3] له ؛ وكان شيخاً كبيرًا مسلما فى غنم له بالنقيع[4] ؛ فخرج من هنالك معتمراً ؛ ولا يخشى الذى صُنع به ؛ لم يظن أنه يُحْبس بمكّة ؛ إنما جاء معتمراً ؛

(١) الأغانى : « وابن أخيه » .

(٢) الأغانى ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مرية ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما فى ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع : موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عَهِد قريشا لا تعرّض لأحد حاجًّا أو معتمرًا إلاّ بخير ؛ فعدَا عليه ١/١٣٤٦ أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكّة بابنه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال أبو سفيان :

أَرَهْطَ ابْنِ أَكَّالٍ أجيبُوا دُعاءه تعاقدتمُ لاتُسْلِمُوا السَّيِّدَالكَهلا[1]

فإنَّ بَنِى عَمْرٍو لئامٌ أذِلّةٌ لئنْلم يَفُكُّوا عنأسيرِهِمُ الكَبْلاَ

قال : فمشى بنُو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا شيخَهم ؛ ففعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس[2] ختَنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زَيْنَب ، وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالا وأمانة وتجارةً ، وكان لهالَة بنت خُوَيْلد [وكانت][3] خديجة خالته ، فسألت خديجة رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يزوّجه ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يخالفها ؛ وذلك قبل أن ينزّل عليه ، فزوّجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرمَ الله عزّ وجل رسولَه بنُبُوّته آمنت به خديجة وبناته ، فصدّقنهُ وشهِدْنَ[4] أنّ ما جاء به هو الحقُّ ، ودِنّ بدينه ؛ وثبتَ أبو العاص على شِرْكه .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد زوّج عتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رُقيّة أو أمّ كُلْثوم ؛ فلما بادى قريشًا بأمر الله عزّ وجلّ وباعدوه[5] ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمّدًا من همّه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلُوه بهنّ ، فمشوْا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارقْ صاحبتَك ؛ ونحن ١/١٣٤٧

---

(١) كذا في السيرة ، و ، وفي ط : « تفاقدتم » .

(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(٣) من ابن هشام .

(٤) م : « وشهدت » .

(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزوّجك أىّ امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذاً ؛ لاأفارق صاحبتِى وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأة من قريش ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يثنِى عليه فى صهْره خيرًا — فيما بلغنى .

قال : ثم مشوْا إلى الفاسق ابن الفاسق، عُتبة بن أبى لهب، فقالوا له: طلّق ابنةَ محمد ونحن نزوّجك أىّ امرأة من قريش شئت؛ فقال : إن زوّجتمونى ابنَة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتُها . فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدوّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهوانًا له ؛ فخلفَ عليها عثمان بن عفّان بعده ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُحِلّ بمكّة ولا يحرم مغلوبًا على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أسلمت وبين أبى العاص بن الربيع ؛ إلاّ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شِرْكه ؛ حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا سارت قريش إلى بدْر سار فيهم أبو العاص بن الرّبيع ؛ فأصيب فى الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة زوْج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أُسَرائهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتْها بها على أبى العاص حين بَنَى عليها . ١/١٣٤٨

قالت : فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدّوا عليها الذى لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلَقوه ورَدّوا عليها الذى لها .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ ، ٨١ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه – أو وَعَدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يخلّيَ سبيلَ زينب إليه، أو كان فيما شَرَط عليه في إطلاقه؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فيعلم ما هو! إلاّ أنَّه لما خرج أبو العاص إلى مكَّة وخُلِّيَ سبيلُه، بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بن حارثة ورجلا من الأنصار مكانه، فقال: كونا ببطن يأجَج؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباها، حتى تأتيانى بها، فخرجا مكانهما؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعه[1]. فلما قدِم أبو العاص مكَّة أمرها باللحوق بأبيها؛ فخرجت تجهّز[2].

فحدّثنا ابنُ حُميد قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: حُدّثت عن زينب أنَّها قالت: بينا أنا أتجهَّزُ بمكَّة للّحوق بأبى، لقيتْنى هنْد بنت عُتْبة، فقالت: أى ابنة محمد[3]؛ ألم يَبْلغْنى أنَّك تريدين اللحوق بأبيك! قالت: فقلت: ما أردتُ ذلك، قالت: أى ابنةَ عمى، لا تفعلى؛ إن كانت لكِ حاجة بمتاع مما يرفُق بك فى سفرك، أو بمال تبلُغين[4] به إلى أبيك، فإنّ عندى حاجَتك فلا تضطنِى[5] منّى؛ فإنَّه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال. قالت: ووالله ما أراها قالت ذلك إلاّ لتفعل. قالت: ولكنى خفْتُها، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك، وتجهّزْت. ١/١٣٤٩

فلمّا فرغت ابنةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من جِهازها قدّم لها حمُوها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرًا فركبتْه، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارًا يقود بها، وهى فى هوْدج لها. وتحدّث بذلك رجال قريش،

---

(١) شيعه: قريب منه.

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢: ٨١.

(٣) سيرة ابن هشام: «يا بنت محمد».

(٤) سيرة ابن هشام: «تتبلغين».

(٥) لا تضطنى: لا تستحى، وأصله الهمز؛ يقال: اضطأنت المرأة: استحيت؛ فحذفت الهمزة تخفيفاً.

فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طَوًى ، فكان أوّل مَنْ سبق إليها هَبَّار بن الأسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزَّى ونافع بن عبد القيس ، والفهرىّ[1] . فروّعها هبّار بالرّمح وهى فى هودجها — وكانت المرأة حاملا ، فيما يزعمون — فلمّا رجَعَت طرحَتْ ذا بطنها ، وبرك حَمُوها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنُو منى رجُلٌ إلاّ وضعت فيه سهما ، فتكركر[2] النّاس عنه ، وأتاه أبو سفيان فى جِلَّة قريش ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنا نَبْلَكَ حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الرّجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتَنا وما دخل علينا من محمّد ، فيظنّ الناس إذا خُرِج بابنته علانيةً من بين أظهرُنا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التى كانت ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووَهَنٌ ؛ لَعَمْرِى ما لنا حاجة فى حبسها عن أبيها ، ومالنا فى ذلك من ثؤْرة[3] ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدأ الصوت ، وتحدّث النّاس أنا قد رددناها ، فسُلَّها سرًّا فألحِقْها بأبيها[4] . ففعل حتى إذا هدأ الصوتُ خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدِما بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

١٣٥٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قُبَيْل الفتح خرج تاجرًا إلى الشأم — وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها معه — فلما فرغ من تجارته — وأقبل قافلاً ؛ لقِيتْه سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربًا ، فلما قدِمت السريّة بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

---

(١) ط : « الفهرى » ؛ . وما أثبته من الروض الأنف . قال السهيلى : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .

(٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٣) الثؤرة : طلب الثأر .

(٤) م : « بأهلها » .

صلَّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته فى طلب ماله ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبْح ــ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدّثنى يزيد بن رومان ــ فكبَّر وكبَّر الناس معه ، صرخت زينب من صُفّة[1] النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلَّم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الصلاة ، أقبل على النّاس ، فقال : أيّها النَّاس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والّذى نفس محمد بيده ، ما علمت بشىء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أدناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل على ابنته ، فقال : أى بنيّة أكرمى مثواه ولا يخلُصْ إليك ، فإنك لا تَحِلّين له[2]. ١/١٣٥١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إنّ هذا الرّجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصَبْتم له مالاً ، فإن تُحسنوا تردّوا عليه الذى له ؛ فإنا نحبّ ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فَىْءُ الله الذى أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقّ به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردّوا عليه ماله حتى إنّ الرجلَ ليأتى بالحبْل[3] ، ويأتى الرجل بالشّنّة[4] والإداوة[5] ؛ حتى إنّ أحدهم ليأتى بالشِّظاظ[6] ؛ حتى ردّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئًا . ثم احتمل إلى مكّة ، فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش

---

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالى .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق ، والجمع أشظة .

ماله ممن كان أبْضَع معه ، ثم قال : يا معشرَ قريش ؛ هل بَقِى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيرًا ؛ فقد وجدناك وفيًّا كريماً ، قال : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله ؛ والله ما منعنى من الإسلام عنده إلاّ تخوُّفُ أن تظنوا أنّى إنما أردت أكلَ أموالكم ؛ فلما أدّاها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم(١) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثنى داود بن الحُصين ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بالنّكاح الأول ، ولم يُحْدِثْ شيئًا بعد ستّ سنين(١) .

* * *

١٣٥٢/١ حدّثنا ابنُ حُميد ، قال حدّثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمّد بن إسحاق ، حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : جلس عُمَير بن وهب الجُمَحىّ مع صفوان بن أميّة بعد مصاب أهل بدْر من قريش بيسير فى الحِجْر – وكان عُمير بن وهب شيطانًا من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، ويلْقَوْن منه عناء وهم بمكّة ، وكان ابنُه وهب بن عمير فى أسارَى بَدْر – فذكر أصحاب القَليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش خير بعدهم ، فقال عُمَيْر : صدقت والله ! أما والله لولا ديْن علىّ ليس له عندى قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيْعة بعدى ، لركبت إلى محمّد حتى أقتله ، فإنّ لى قِبَلهم علّةً ، ابنى أسيرٌ فى أيديهم .

فاغتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علىّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقُوا ، لا يَسعُنى شىء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتُم علىّ شأنى وشأنك : قال : أفعل .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٣ .

قال : ثمّ إنّ عميرًا أمر بسيفه فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب فى نفر من المسلمين فى المسجد يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عزّ وجلّ به ، وما أراهم فى عدُوّهم ؛ إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشّحًا السيف ، فقال : هذا الكلب عدُوّ الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشرّ ! وهو الذى حرّش[1] بيننا ، وحَزَرَنا[2] للقوم يوم بدر . ثمّ دخل عمر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا نبىّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشّحًا سيفه ، قال : فأدْخِله علىّ .

١٣٥٣/١

قال : فأقبل عُمَر حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه ، فلبّبه بها ، وقال لرجال ممّن كان معه من الأنصار : ادخُلوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسلْه يا عمر ، ادْنُ يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعِمُوا صبَاحًا — وكانت تحيّة أهل الجاهليّة بينهم — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير ؛ بالسّلام تحيّة أهلِ الجنّة، قال : أما والله يا محمد إن كنْتُ لحديث عَهد بها . قال : ما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السّيْف فى عنقك ! قال : قبّحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدُقْنى بالذى جئتَ له ، قال : ما جئت إلاّ لذلك ، فقال : بلى، قعدتَ أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش ، ثم قلت : لولا دَيْن علىّ وعيالى لخرجتُ حتى أقتُلَ محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك، على أن تقتلنى له. والله عزّ وجلّ حائلٌ بينى وبينك. فقال عمير : أشهدُ أنك رسول الله ؛ قد كنّا يا رسولَ الله نكذّبك بما كنت

١٣٥٤/١

---

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحزر : تقدير العدد تخمينه.

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ؛ وهذا أمرٌ لم يَحضره إلاّ أنا وصفوان ؛ فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الّذِى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق . ثم تشهّدَ شهادة الحقّ ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فَقِّهُوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه وعَلّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه .

قال : فَفَعَلُوا، ثم قال : يا رسول الله : إنى كنت جاهداً فى إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنّى أحبّ أن تأذن لى فأقدَم مكّة فأدعُوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله أن يهديَهم ! وإلا آذيتُهم فى دينهم كما كنتُ أوذِى أصحابك فى دينهم .

قال : فأذن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلحق بمكّة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقْعَة تأتيكم الآن فى أيام تنْسيكم وقْعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قَدِم راكبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألاّ يكلّمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عُمير مكّة أقام بها يدعوإلى الإسلام، ويؤذى مَنْ خالفهأذًى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير(١) .

* * *

فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن الأنفال بأسْرِها .حدّثنا أحمدُبن منصور ، قال : حدّثنا عاصم بن علىّ ،قال : حدّثنا عِكْرمة بن عمار ، قال: حدّثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدّثنى عبد الله بن عباس ؛ حدّثنى عُمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدر التقوْا ، فهزم الله المشركين ، فقتِل منهم سبعون رجلا ، وأسِرَ سبعون رجلا ، فلمّا كان يومئذ شاوَرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا بكر وعليًّا وعمر ، فقال أبو بكر : يا نَبِىَّ الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ؛ فإنى أرَى أن تأخذ منهم الفِدْيَة ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوّة ، وعسى الله أن يهديَهم ، ١/١٣٥٥

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

فيكونوا لنا عَضُداً . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ : لا والله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر . ولكنى أرى أن تمكّننى من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكّن حمزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكّن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هَوَادَةً للكفّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفِداء ، فلمّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو قاعِدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبِرْنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تباكيتُ لبُكائكما . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : للّذى عرض علىّ أصحابُك من الفداء . لقد عُرِض علىّ عذابُكم أدْنى من هذه الشجرة — لشجرة قريبة — وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فى الْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] ؛ ثم أحلّ لهم الغنائم .

فلمّا كان من العام القابل فى أُحُد عُوقِبُوا بما صنعوا ، فقُتِل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعِيَتَهُ وهُشِمَتِ البَيْضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرّ أصحابُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية : ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ إلى قوله : ﴿إن اللَّهَ عَلَى كلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿إذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يدْعُوكُمْ فى أُخْرَاكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿منْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾[3] .

١٣٥٦/١

(١) سورة الأنفال ٦٧
(٢) سورة آل عمران ١٦٥
(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

، حدّثنى سلم بن جُنادة ، قال : حدّثنا أبو معاوية ، قال : حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لمَّا كان يوم بدْر ، وجىء بالأسرى ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسولَ الله ، قومُك وأهلُك ، استَبْقِهم واستأنِهم ؛ لعلّ الله أن يتوبَ عليهم . وقال عُمَر : يا رسولَ الله كذّبوك وأخرجوك ، قَدِّمهم فضرِّبْ أعناقهم . وقال عبدُ الله بن رَوَاحة : يا رسول الله ، انظر وَادِيًا كثير الحطب فأدْخِلْهم فيه ، ثم أضْرِمه عليهم نارًا . قال : فقال له العبَّاس : قطعتْك رحِمك ! قال : فسكت رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يُجِبهُم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ ليلِين قلوبَ رجال فيه حتى تكون ألْيَنَ من اللّبن[1] ؛ وإنّ الله ليشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدَّ من الحجارة ؛ وإنّ مثلك يا أبا بكر مثلُ إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2]، ومثلك يا أبا بكر، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[4] ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[5] . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالَةٌ فلا يفلتنّ منهم أحدٌ إلا بفِداء أو ضرب عُنق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سُهَيْل ابن بَيْضاء ؛ فإنى سمعته يذكر الإسلام . فسكتَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ،

١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .
(٢) سورة إبراهيم ٣٦
(٣) سورة المائدة ١١٨
(٤) سورة نوح ٢٦
(٥) سورة يونس ٨٨

فما رأيتُنى فى يوم أخوف أن تقع علىّ الحجارة من السماء منّى فى ذلك اليوم ؛ حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إلاّ سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عزّ وجلّ :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الْأَرْضِ . . . ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن اسحاق : لما نزلت – يعنى هذه الآية :﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لو نزل عَذابٌ من السَّماء لم يَنْجُ منه إلاّ سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبىَّ الله ، كان الإثْخانُ فى القتل أحبَّ إلىَّ من استبقاء الرجال .

* * *

قال أبو جعفر : وكان جميعُ مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضَرَب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجْرِه ثلاثةً وثمانين رجلاً فى قول ابن إسحاق .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عنه : وجميع من شهد من الأوْس معه ومن ضَرَب له بسهمه واحدٌ وستون رجلا . وجميع مَنْ شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلا فى قول ابن إسحاق ، وجميعُ مَن استشهد من المسلمين يومئذ أربعةَ عشر رجلا ،ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار . ١٣٥٨/١

وكان المشركون – فيما زعم الواقدى – تسعمائة وخمسين مقاتلا ؛ وكانت خيلهم مائة فرس .

وردّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ جماعة استصغرهم – فيما زعم الواقدى – فمنهم فيما زعم عبدُالله بن عمر ، ورافع بن خَديج ، والبَراءُ ابن عازب ، وزيد بن ثابت، وأسَيْد بن ظُهَيْر ،وَعُمَير بن أبى وقاص ثم أجاز عميرًا بعد أن ردّه فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفَيل، إلى طريق الشأم يتحسَّسان الأخبار عن العِير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فقَدِماها يوم وقْعة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتُرْبَان ؛ وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

* * *

قال الواقدىّ : كان خروج رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة فى ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعةً وسبعين رجلا ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم عثمان بن عفان كان تخلّف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطَلْحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بَعَثهما يتحسَّسان الخبر عن العِير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عدىّ بن العجلان ؛ خلَّفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ ردّه من الرَّوْحاء إلى بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصِّمة ؛كُسِرَ بالرَّوْحاء ،وهو من بنى مالك بن النجّار ، وخَوّاتُ بن جُبَيْر ، كسر من بنى عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيراً ، والخيل فرسيْن : فرس للمِقْداد بن عمرو ، وفرس لمرثَد بن أبى مَرْثَد .

١٣٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه، عن أبى هريرة ، قال : ورئِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثر المشركين يوم بدر مُصْلِتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[1].

قال : وفى غزوة بدر انتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفَه ذا الفَقَار ،

(١) سورة القمر ٤٥ .

وكان لمُنَبِّه بن الحجّاج .

قال : وفيها غنم جَمَلَ أبي جَهْل ؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفه من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعينوا عليه أحدًا ؛ وأنّه إن دَهمَه بها عَدوٌّ نصروه . فلمَّا قتَل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قتل ببدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغي ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتال ؛ ولو لقيَنَا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظْهَرُوا نقْضَ العهد .

* * *

غزوة بنى قَيْنُقاع

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينُقاع ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احْذَرُوا من الله عزّ وجلّ مثل ما نزل بقريش من النِّقْمة ، وأسلموا ؛ فإنّكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمّد ؛ إنّك ترى أنا كقومك! لا يغرّنّك أنك لقيت قومًا لا علْم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ؛ إنا والله لئن حاربتنا لتعلمَنّ أنّا نحن الناس[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ بني قينُقاع كانوا أوّلَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر :

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، أنّ غزوة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم بنى القينُقاع كانت فى شوّال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهرىّ عن عروة : نزلَ جبريلُ على رسول الله صلى الله عليهما وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[١] ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ إنى أخاف من بنى قينُقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بهذه الآية .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمَّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصرهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خمسَ عشرةَ ليلة لا يطلُع منهم أحد . ثم نزلوا على حكْم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكُتِفوا وهو يريد قتلهم ، فكلَّمه فيهم عبد الله بن أبىّ .

* * *

١٣٦٠/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرَهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبىّ بن سَلُول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمَّد ، أحْسنْ فى موالىَّ — وكانوا حلفاء الخزرج — فأبطأ عليه النبىّ صلى الله عليه وسلَّم فقال : يا محمَّد ، أحسِنْ فى موالىّ ، فأعرض عنه النبىّ صلى الله عليه وسلَّم . قال : فأدخل يده فى جَيْب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى رأوْا فى وجهه ظلالاً[٢] — يعنى تلوّنا — ثم قال : ويحك أرسِلنى ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالىّ . أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم فى غداة واحدة ! وإنى والله لا آمنُ وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : هُمْ لك[٣] .

---

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللا » ، وهما جمع ظلة ، وهى السحابة ، استعارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمَّد بن عمر فى حديثه عن محمَّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم .ثم أمر بإجلائهم ، وغنَّمَ الله عزّ وجلّ رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال – ولم تكن لهم أرضون؛ إنَّما كانوا صاغةً – فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلّم لهم سلاحًا كثيرًا وآلة صياغتهم ؛ وكان الذى وَلِىَ إخراجَهم من المدينة بذراريِّهم عُبادة بن الصامت، فمضى بهم حتّى بلغ بهم دِباب[1] ؛ وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! ١٣٦٢/١ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان أوّل خُمسٍ خَمَسَهُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى الإسلام؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّهُ[2] والخُمُسَ وسهمه، وفَضّ[3] أربعة أخماس على أصحابه، فكان أول خُمسٍ قبَضه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وكان لِواء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم بنى قينُقاع لواءً أبيض ، مع حمزة بن عبد المطَّلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذُكِر أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ضحَّى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذى الحجة، وخرج بالنَّاس إلى المصلَّى فصلَّى بهم ، فذلك أوّلُ صلاة صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالناس بالمدينة بالمصلَّى فى عيد ، وذبح فيه بالمصلَّى بيده شاتيْن – وقيل ذبح شاة .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن الفضل، من ولد رافع بن خَدِيج ، عن أبى مُبشِّر، قال : سمعتُ جابرَ بنَ عبد الله ، يقول : لما رجعْنا من بنى قينُقاع ضحَّينا فى ذى الحجَّة صَبيحة عشر ، وكان أوّل أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس وياقوت .(٢) الصفى : سهم الرئيس من الغنيمة .

(٣) يقال : فض الشىء على القوم ؛ أى فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا فى بنى سلِمة فَعُدَّتْ فى بنى سلَمة سبع عشرة أضْحِية .

* * *

قال أبو جعفر : وأمَّا ابن إسحاق فلم يُوَقِّتْ لغزوة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم التى غزَاها بنى قَيْنُقَاع وقتًا ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السَّوِيق وخروج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة يريد غَزْوَ قريش ؛ حتى بلغ بنى سُلَيم وبَحْرَانَ ، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع[١] .

١٣٦٣/١ وأما بعضُهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بنى قينُقاع ثلاث غزوات وسريَّة أسْرَاها . وزعم أن النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما غزاهم لتسع ليالٍ خَلَوْن من صَفَر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانىَ ليالٍ بقِينَ من رمضان ، وأنه أقام بها بقيَّة رمضان . ثم غزا قَرْقَرَة الكُدْر حين بلغه اجتماع بنى سُلَيْم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غُرَّةَ شوَّال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابنُ حميد ، فحدّثنا عن سلمَة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر فى عقب شهر رمضان — أو فى أول شوّال — لم يقِمْ بالمدينة إلاّ سبع ليالٍ ؛ حتى غزا بنفسه يريد بنى سُليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيْدًا ، فأقام بها بقيَّة شوّال وذا القعدة ، وفدى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش[٢] .

وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلَّم الكُدْر كانت فى المحرّم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأنّ لواءه كان يحمله فيها علىّ بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبي طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابنَ أمّ مكتوم المَعيصِيّ على المدينة .

وقال بعضهم : لمّا رجع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، وقد ساق النَّعم والرِّعاء ولم يلق كيدًا . وكان قدومه منها — فيما ١٣٦٤/١ زعم — لعشر خَلَوْن من شوّال ، بعث غالب بن عبد الله الليثيّ يوم الأحد لعشر ليال مضيْن من شوّال إلى بني سليم وغطفان في سَريّة ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا النَّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيتْ من شوّال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقام بالمدينة إلى ذي الحجّة ، وإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم غزا يوم الأحد لسبع ليال بقِينَ من ذي الحجّة غزوة السَّويق .

* * *

غزوة السَّويق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، أقام بها بقيّة شوّال من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق في ذي الحجّة . قال : ووَلِيَ تلك الحجّة المشركون من تلك السَّنة[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رُومان ومَنْ لا أتّهم ، عن عبيد الله ابن كعب بن مالك — وكان من أعلم الأنصار — قال : كان أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكّة ، ورجع فَلّ[٢] قريش إلى مكّة من بدر ، نَذَر ألّا يمسّ رأسه ماء من جَنابة حتى يغزُوَ محمدًا . فخرج في مائتي راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .
(٢) الفلّ : القوم المنهزمون .

من قريش ، ليُبِرّ يمينه ، فسلك النَّجديَّة حتى نزل بصدور قَناة إلى جبل يقال له تَيْت ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من اللَّيل حتى أتى بنى النَّضير تحت اللَّيل ، فأتى حُيَيَّ بن أخْطَب ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلاّم بن مِشْكَم — وكان سيد النَّضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم[1] — فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبَطَنَ[2] له خبر الناس ، ثم خرج فى عقِب ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قُريش إلى المدينة ، فأتوْا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا فى أصوار[3] من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفًا له فى حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ ونَذِرَ بهم الناس ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم فى طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعًا ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه ، وقد رأوا من مزاود القوم ما قد طرحوه فى الحرث ؛ يتخفَّفون منه للنَّجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم[4] .

* * *

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهَّز خارجًا من مكة إلى المدينة أبياتًا من شعر يُحَرِّضُ قريشًا :

١٣٦٦/١

كُرُّوا على يَثْرِبٍ وجَمْعِهِمُ ... فإنَّ ما جمَّعوا لكُمْ نَفَلُ

إنْ يكُ يومُ القَليبِ كان لهُمْ ... فإنَّ ما بعـــده لكُم دُوَلُ

آلَيْتُ لا أقْرَبُ النِّساء ولا ... يَمَسُّ رأسى وجِلْدىَ الغُسُلُ

حتَّى تُبيرُوا قبائلَ الأوس والْـ ... خَزْرج ، إنَّ الفُؤادَ مُشْتَعِلُ

فأجابه كعب بن مالك :

تَلْهَفُ أُمُّ المسَـــبِّحينَ على ... جَيْش ابْن حَرْب بالْحرَّةِ الْفَشِلِ

إذ يطْرَحُونَ الرِّجال مَنْ سَنِمَ الطَّـ ... ـــير تَرَقَّى لقُنَّة الْجَبَـــلِ

(١) الكنز هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .
(٢) بطن له ، أى أعلمه سرهم .
(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بجمعٍ لو قيسَ مبرَكَهُ ما كان إلَّا كمفحَصِ الدُّئِلِ[1]

عارٍ منَ النَّصْر والثَّراء ومن أبطَال أهل البَطْحاء والأسَل

وأما الواقدىّ فزعم أنّ غزوة السّويق كانت فى ذى القَعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم فى مائتى رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصّة أبى سفيان نحوًا مما ذكره ابن إسحاق، غيرَ أنه قال : فمرّ – يعنى أبا سفيان – بالعُرَيْض، برجل معه أجير له يقال له مَعْبَد بن عمرو، فقتلهما وحرَّق أبياتًا هناك وتبنًا، ورأى أنّ يمينه قد حُلَّت ، وجاء الصريخ إلى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا فى أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقُون جُرُب الدقيق ويتخفَّفون ، وكان ذلك عامَّة زادهم ؛ فلذلك سُمِّيت غزوة السّويق . ١٣٦٧/١

وقال الواقدىّ : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلّم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

* * *

قال أبو جعفر : ومات فى هذه السنة – أعنى سنة اثنتين من الهجرة – فى ذى الحجَّة عثمان بن مظعون ، فدفنَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع ، وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .

وقيل : إنّ الحسن بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام وُلد فى هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنَّه زعم أنّ ابن أبى سَبْرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبى جعفر ، أن علىّ بن أبى طالب عليه السلام بنَى

---

(١) البيت فى اللسان (دأل) ، وروايته :

جَاءوا بجَيْشٍ لَوْ قِيسَ مُعرَسُه مَا كَانَ إلَّا كَمُعْرَس الدُّئِلِ

بفاطمة عليها السَّلام فى ذى الحجَّة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إنّ فى هذه السَّنة كتب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المَعَاقِل[1] فكان معلَّقًا بسيفه .

(١) المعاقل : جمع معقلة ، بضم القاف ؛ وهى الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذى أمَرَ]

فحدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّويق ، أقام بالمدينة بقيَّة ذى الحجَّة والمحرّم ، أو قريبًا منه، ثم غزا نجدا يريد غَطَفان ؛ وهى غزوة ذى أمَر ، فأقام بنجد صَفَرًا كلَّه أو قريبًا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدًا ، فلبث بها شهر ربيع الأوّل كلَّه إلاّ قليلا منه . ١٣٦٨/١

ثم غزا يريد قريشًا وبنى سُلَيْم، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرُع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيدا[1] .

* * *

خبر كَعب بن الأشْرَف

قال أبو جعفر : وفى هذه السَّنة سَرّى النبى صلى الله عليه وسلم سريَّة إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدىّ أن النبىّ وجَّه مَن وجَّه إليه فى شهر ربيع الأوّل من هذه السنة .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابنِ الأشرف أنَّه لمَّا أصيب أصحاب بدر ؛ وَقَدِمَ زيد بن حارثة إلى أهل السَّافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية[2] بَشيرَيْنِ ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم إلى مَن بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه وقتْل مَنْ قُتِل من المشركين ؛ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث ابن أبى بُرْدة بن أسير الظَّفَرِىّ ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أمامة بن سهل ، قال : كلٌّ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه، قال: قال كعب بن الأشرف ــ وكان رجلاً من طيئ، ثم أحد بني نبهان ، وكانت أمه من بني النضير ، فقال حين بلغه الخبر : ويلكم أحقٌّ هذا ! أترون أنَّ محمداً قتل هؤلاء الذين يسمِّي هذان الرجلان ــ يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمَّد أصاب هؤلاء القوم لَبطنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظهرها![1] .

١٣٦٩/١

فلما تيقَّن عدوُّ الله الخبر ، خرج حتَّى قدم مكَّة ، فنزل على المطَّلب بن أبي وَدَاعة بن ضُبَيْرة السَّهميّ ، وعنده عاتكة بنت أسَيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزلَتْه وأكرمتْه ؛ وجعل يحرِّض على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب القَليب الذين أصيبوا ببدر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة ، فشبَّبَ بأمِّ الفضل بنت الحارث ، فقال :

أرَاحِلٌ أنتَ لم تَحْلُل بمَنقَبةٍ وتاركٌ أنت أُمَّ الفضل بالحَرَمِ !
صفْرَاء رادعةٌ لو تُعصَرُ انْعَصرت مِنْ ذي القوارير والحنَّاء والكَتَمِ
يرْتَجُّ ما بين كَعبيْها ومِرْفقها إذا تأتَتْ قياماً ثم لم تَقُمِ
أشباهُ أمِّ حكيمٍ إذْ تُواصِلُنا والحبْلُ منها مَتينٌ غيرُ مُنْجَذِمِ
إحْدَى بَني عامرٍ جُنَّ الفُؤادُ بها ولو تَشاءُ شفَتْ كَعْباً من السَّقَمِ
فرعُ النِّساءِ وفرعُ القومِ والدُها أهلُ التَّحِلَّةِ والإيفاء بالذِّمَمِ
لم أرَ شَمساً بليْلٍ قبلها طلَعَتْ حتى تجلَّتْ لنا في ليلةِ الظُّلَمِ[2]

ثم شبَّبَ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ؛ فقال النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم كما حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بُرْدة : مَنْ لي من ابن الأشرف !

---

(١) م : « ظاهرها » .

(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ؛ وذكر موضعها أبياتاً مطلعها :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمهلكِ أهلِهِ ولِمِثل بدرٍ تستهلّ وتدمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رَسولَ الله ، ١٣٧٠/١
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك ، فرجع محمَّد بن مسلمة ،
فمكث ثلاثًا لا يأكل ولا يشرب . إلاّ ما يعلّقُ [به][1] نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركتَ الطعام والشراب ؟
قال : يا رسولَ الله ، قلت قولا لا أدرى أفِى به أم لا ! قال : إنما عليك الجَهْد ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
فى حِلّ من ذلك !

قال : فاجتمع فى قتله محمَّد بن مسلمة وسِلْكَان بن سلامة بن وَقْش —
وهو أبو نائلة أحدُ بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرّضاعة — وعَبَّادُ
ابن بشر بن وقْش ، أحد بنى عبد الأشْهَل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ ،
أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جَبْر ، أخو بنى حارثة . ثم قَدَّموا
إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سِلْكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدَّث
معه ساعة ، وتناشدا شعرًا — وكان أبو نائلة يقول الشعر — ثم قال : ويحك
يا بن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتُم علىّ ، قال :
أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرّجل بلاءً [علينا][1] عادَتْنا[2] العرب ورَمَوْنا
عن قوس واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السُّبُلُ حتى ضاع العِيَال ، وجُهِدَتِ
الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدنا وجُهِد عيالُنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
أما والله لقد كنتُ أخبرتك يا بنَ سلامة أنّ الأمْرَ سيصير إلى ما كنت أقول ،
فقال سِلْكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعامًا ونَرْهَنك ونُوثّق لك ، وتُحْسن
فى ذلك . قال : ترهنوننى أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تَفضَحَنا ! إن معى
أصحابًا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيَك بهم فتبيعهم ، وتحسن فى ١٣٧١/١
ذلك ، ونرهنك من الحَلْقَة[3] ما فيه لك وفاء — وأراد سِلْكان ألاّ ينكر
السلاح إذا جاءوا بها — فقال : إنّ فى الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سِلْكان إلى

---

(١) من ابن هشام .
(٢) م : « عادينا » .
(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبَره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلَّم(١) .

حدّثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق قال : فحدّثنى ثَوْر بن زيد الدِّيلىّ ، عن عِكْرمة مولى ابن عبّاس ، عن ابنِ عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بقيع الغَرْقَد ، ثم وجَّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللَّهمّ أعِنْهم . ثم رجع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بيته فى ليلة مُقْمِرة ، فأقبلوا حتى انتهوْا إلى حصنه ، فَهتَفَ به أبو نائلة — وكان حديثَ عهد بعُرُس — فوثب فى مِلْحَفته(٢) ؛ فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ مُحاربٌ ؛ وإنّ صاحبَ الحرب لا ينزِل فى مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو وجدنى نائمًا لما أيقظنى ، قالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِىَ الفتى لطعنة(٣) أجاب ، فنزل فتحدَّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شِعْب العجوز(٤) فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إنْ شئتم ! فخرجوا يتماشوْن ، فمشوْا ساعة . ثم إنّ أبا نائلة شام يدَه فى فَوْدِ رأسه ، ثم شمّ يدَه ، فقال : ما رأيتُ كاللَّيلة طيبَ عطرٍ قطّ . ثم مَشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنّ ثمّ مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودَىْ رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ؛ فاختلَفتْ عليه أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئًا . قال محمَّد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلاً(٥) فى سيفِى حين رأيتُ أسيافنا لا تغنى شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولَنا حِصنٌ إلاّ أوقدت عليه نار . قال : فوضعته فى ثُنْدؤته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوْس بن معاذ بجُرْح فى رأسه أو رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا.

١٣٧٢/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحفة : اللباس الذى فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التى تكون فى السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكْنا على بنى أميَّة بن زيد ، ثم على بنى قُرَيْظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا[1] فى حرّة العُرَيْض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونَزَفه الدّمُ ، فوقفْنَا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم آخر الليل وهو قائم يصلّى ، فسلَّمنَا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفَل على جُرْح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودىّ إلاّ وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنة — رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم فقتله — وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسْلِمْ ، وكان أسَنّ من محيِّصة — فلما قتله جعل حويِّصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله ! قتلته[2] ! أما والله لرُبّ شَحْم فى بطنك من ماله ! قال محيِّصة : فقلت له : والله لو أمرنى بقتلك مَنْ أمرنى بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إنْ كان لأوّل إسلام حويِّصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ! قال : نعم والله ، لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لَعَجب ! فأسلم حُوَيِّصة[3]. ١٣٧٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق . قال : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيِّصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدىّ أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم .

* * *

وزعم الواقدىّ أن فى ربيع الأول من هذه السَّنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأدْخِلَتْ عليه فى جمادى

---

(١) أسند فى الحرّة : صعدها . (٢) ابن هشام : « أقتلته ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ فى ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنْمار — ويقال لها : ذو أمَر — وقد ذكرنا قول ابن إسحاق فى ذلك قبل.

قال الواقدىّ : وفيها وُلِدَ السائب بن يزيد ابن أخت النَّمِر .

* * *

غزوة القَرْدة

١٣٧٤/١ قال الواقدىّ : وفى جُمَادى الآخرة مِنْ هذه السنة ، كانت غزوة القَرْدة وكان أميرهم — فيما ذكر — زيد بن حارثة ، قال : وهى أول سريّة خرج فيها زيد بن حارثة أميرًا .

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سريّة زيد بن حارثة الّتى بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عيرَ قريش ، فيها[1] أبو سفيان بن حرب ، على القَرْدة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت[2] طريقها التى كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العِراق ، فخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرْب ، ومعه فضّة كثيرة ؛ وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فُرَات بن حَيّان ، يدلّهم على ذلك[3] الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة ، فلقيَهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العيرَ وما فيها ، وأعجزه الرّجَال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم[4] .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فزعم أنّ سبب هذه الغزوة كان أنّ قريشاً قالت : قد عوَّر علينا محمد مَتْجَرَنَا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .
(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .
(٣) ابن هشام : « فى ذلك على الطريق » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكّة أكلنا رءوس أموالنا. قال أبو زَمْعة[1] بن الأسود: فأنا أدلّكم على رجل يسلك بكم النَّجديّة، لو سلكها مغمَّض العينين لاهتدى. قال صفوان: مَن هو؟ فحاجتنا إلى الماء قليل؛ إنَّما نحن شاتون. قال: فرات بن حيَّان؛ فدعَوْه فاستأجراه؛ فخرج بهم فى الشتاء، فسلك بهم على ذات عِرْق، ثم خرج بهم على غَمْرة، وانتهى إلى النبىّ ١٣٧٥/١ صلَّى الله عليه وسلَّم خبر العيرِ وفيها مال كثير، وآنية من فضّة حملها صَفْوان بن أميَّة؛ فخرج زيد بن حارثة، فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيانُ القوم؛ فكان الخُمُس عشرين ألفا، فأخذه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقسّم الأربعة الأخماس على السريَّة، وأُتِيَ بفرات بن حيَّان العِجْلىّ أسيرًا، فقيل: إنْ أسلمت لم يقتلْك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمَّا دعا به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أسلم، فأرسله.

* * *

مقتل أبى رافع اليهودىّ

قال أبو جعفر: وفى هذه السَّنة كان مقتل أبى رافع اليهودىّ — فيما قيل — وكان سبب قتله، أنَّه كان — فيما ذُكِر عنه — يُظاهر كعبَ بن الأشرف علَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فوجَّه إليه — فيما ذُكِر — رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عَتِيك، فحدّثنا هارون بن إسحاق الهمْدانىّ، قال: حدثنا مصعب بن المقدام، قال: حدّثنى إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق، عن البَراء، قال: بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أبى رافع اليهودىّ — وكان بأرض الحجاز — رجالا من الأنصار، وأمَّر عليهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن عتيك — وكان أبو رافع يؤذِى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويبغى عليه، وكان فى حصن له بأرض الحجاز، فلما دَنَوْا منه وقد غربت ١٣٧٦/١ الشمس، وراحَ النَّاس بسَرْحهم، قال لهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن

(١) ط: «زمعة»، وزمعة مات يوم بدر.

عَتِيك : اجلسوا مكانكم ، فإنى أنطلق وأتلطّف للبوّاب ، لعلّى أدخل ! قال : فأقبل حتّى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل النّاس ، فهتف به البوّاب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإنى أريدُ أنْ أغلق الباب . قال : فدخلت فكمَنْتُ[1] تحت آرِىّ[2] حمار ؛ فلمّا دخل النّاس أغلق الباب ثم علّق الأقاليد على وَدّ[3] . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسْمرُ عنده فى علالىّ ؛ فلما ذهب عنه أهل سَمَره ، فصعَدْتُ إليه فجعلت كلّما فتحت بابًا أغلقته علىّ مِنْ داخل . قلت : إن القوم نَذِروا بى لم يخلصوا إلىّ حتى أقتله . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو فى بيت مظلم وسْط عياله ؛ لا أدرى أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : مَنْ هذا ؟ قال : فأهوْيتُ نحو الصوت ، فأضربهُ ضربة بالسيف ، وأنا دَهِش فما أغنى شيئًا وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمّك الوْيل ! إنّ رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضبيب[4] السّيف فى بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أنى قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابًا فبابًا ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلى ، وأنا أرى أنى انتهيت إلى الأرض ، فوقعت فى ليلة مقمرة ؛ فانكسرتْ ساق ، قال : فعصّبتها بعمامتى ، ثم إنى انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلَم : أقتلته أم لا ؟ قال : فلما صاح الدّيك ، قام الناعى عليه على السُّور ، فقال : أنْعَى أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابى ، فقلت : النّجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

١٣٧٧/١

---

(١) م : « فكثت » .
(٢) الآرى : محبس الدابة .
(٣) الود : الوتد ، بلغة تميم ، وفى ابن الأثير : « وتد » .
(٤) ضبيب السيف : حده .

النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحدّثته فقال : ابسُط رجلك، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قطّ .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التى وجّهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى رافع سلاّم بن أبى الحُقيق إنّما وجهها إليه فى ذى الحجّة من سنة أربع من الهجرة ، وأنّ الذين توجّهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عَتيك ، ومسعود بن سنان، والأسود بن خُزَاعىّ ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أنَيْس .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنّه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عنه : كان سلاّم بنُ أبى الحُقَيق — وهو أبو رافع — ممّن كان حَزّبَ الأحزاب على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت الأوس قبل أحُد قتلت كعب بن الأشرف فى عَداوته رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى قتل سلاّم بن أبى الحُقيق ؛ وهو بخيبر ، فأذن لهم[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرىّ ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أنّ هذين الحيّين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاوَلان[٢] مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم تصاوُلَ الفحلْين ؛ لا تصنع الأوس شيئًا فيه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غَناء[٣] إلاّ قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ؛ فلا ينتهون حتى يُوقِعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلمّا أصابت الأوْس

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩
(٢) يتصاولان : يتفاخران .
(٣) غناء : كفاية وخير .

كعبَ بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلا علينا أبدًا . قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابنَ أبى الحُقَيق وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بنى سلمة خمسة[1] نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنَيْس ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعىّ ، وخُزاعىّ بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلَم ؛ فخرجوا ، وأمَّر عليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبدَ الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليدًا أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتّى قدموا خيبر ؛ فأتوا دار ابن أبى الحُقَيق ليلاً ؛ فلم يَدَعوا بيتًا فى الدّار إلاّ أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان فى عُلِّيَّة[2] له إليها عَجَلَة[3] روميَّة ، فأسندوا فيها حتّى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نلتمس المِيرَة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلمَّا دخلنا أغلقنا عليها وعلينا وعليه باب الحجرة ، وتخوّفنا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ؛ والله ما يدّلنا عليه فى سواد اللَّيل إلا بياضُه ؛ كأنه قُبْطِيَّة[4] مُلقاة . قال : ولما صاحتْ بنا امرأته ، جعل الرّجل منَّا يرفع عليها السَّيف ثم يذكر نهىَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذاك فرغنا منها بليل ، فلمَّا ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أنَيس بسيفه فى بطنه حتّى أنفذه وهو يقول : قَطْنِى قَطْنِى !

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فوُثِئَتْ رجله وَثْئًا شديدًا واحتملناه حتّى نأتى به مَنهرًا من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النِّيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يطلبوننا ؛ حتّى إذا

١٣٨٠/١

(١) ط : « ثمانية » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام .

(٢) العلِّية ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض ببيت أو نحوه .

(٣) قال ابن الأثير : « فى عجلة من نخل ، هو أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج ليصعد فيه إلى الغرف ونحوها » .

(٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر (بالكسر) على غير قياس .

يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه؛ وهو يقضي بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدوّ الله قد مات ! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتّى دخل فى الناس ، قال : فوجدتُه ورجال يهود عنده ، وامرأته فى يدها المصباح تنظر فى وجهه . ثم قالت تحدّثهم وتقول : أما والله لقد عرفتُ صوتَ ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظرَ فى وجهه ثم قالت : فاظ[1] وإله يهود ! قال : يقول صاحبُنا ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ؛ وكلُّنا يدّعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، فجئناه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلاّم ابن أبى الحُقَيق :

لله دَرُّ عِصَابَةٍ لاقَيْتَهُمْ ... يابنَ الْحُقَيْقِ وأنْتَ يابنَ الأشْرَفِ[2]

يسْرُونَ بالْبِيضِ الخفاف إلَيْكُمُ ... مرحاً كأُسْدٍ فى عرينٍ مُغْرِفِ[3] ١/١٣٨١

حتى أتوكُمْ فى محلِّ بِلادكُمْ ... فسقَوْكُمُ حتْفاً ببيضٍ ذُفَّفِ[4]

مُسْتَبْصرِينَ لنَصْر دين نبيِّهِمْ ... مُسْتَضْعِفِينَ لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ[5]

حدّثنى موسى بن عبد الرحمن المسْرُوقىّ وعبّاس بن عبد العظيم العَنْبَرىّ ، قالا : حدّثنا جعفر بن عون ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أنّ أباه حدّثه عن أمّه ابنة عبدالله بن أنَيس ، أنّها حدّثته عن عبد الله بن أنَيس ، أنّ

---

(١) فاظ : هلك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصابة : الجماعة من الناس .

(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السير ليلا . والبيض الخفاف : السيوف . ومرحا : نشاطاً . مغرف : أى فى غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والحلفاء والقصب .

(٤) ذفف ، أى سريعة القتل .

(٥) رواية الديوان : « مستصغرين لكل أمر » . والخبر والشعر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩-٢١١ .

الرهط الّذين بعثهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى ابن أبى الحُقَيْق ليقتلوه : عبد الله بن عَتِيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قَتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قَدِمُوا خَيْبَر ليلا . قال : فعَمَدْنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها فى فقير[١] ، ثم جئنا إلى المَشْرَبة[٢] التى فيها ابنُ أبى الحقيق ، فظهرت عليها[٣] أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا فى الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبى الحُقيق : إنّ هذا لصوت عبد الله بن عَتيك . قال ابنُ أبى الحقيق : ثكلتْك أمّك ! عبدُ الله بن عتيك بيثرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحى لى ؛ إنّ الكريم لا يردّ عن بابه هذه الساعة. فقامت ففتحت ؛ فدخلتُ أنا وعبد الله على ابن أبى الحُقَيق ، فقال عبد الله بن عَتِيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نَهْىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل النساء والوِلْدان ، فأكفّ عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبى الحُقيق . قال : فأنظر إليه فى مَشْرَبة مظلمة إلى شدّة بياضه ، فلمّا رآنى ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتّقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزتُه بالسيف وخزًا . ثم خرج إلىّ عبد الله ابن أنَيس ، فقال : أقتله؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فذفّف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عَتِيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وا بَيَاتاه وابَيَاتاه ! قال : فسقط عبدُ الله بن عَتِيك فى الدّرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبد الله بن أنَيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسِى أنى تركتها فى الدّرجة[٤] ؛ فرجعت إلى قوسى ؛ فإذا أهلُ خَيْبَر يموجُ بعضهم فى بعض ؛ ليس لهم

١٣٨٢/١

---

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلاّ مَنْ قَتَل ابن أبى الحقيق؟ مَنْ قتل ابن أبى الحُقيق ؟ قال: فجعلت لا أنظر فى وجه إنسان ، ولا ينظر فى وجهى إنسان إلاّ قلت : مَنْ قتل ابن أبى الحُقَيق؟ قال : ثم صعدت الدّرجة ؛ والناس يظهرون فيها ؛ وينزلون ؛ فأخذت قوسى من مكانها ، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابى ، فكُنَّا نكمنُ النهار ونسير الليل ؛ فإذا كمنّا بالنهار أقعدنا منّا ناطورًا[1] ينظر لنا؛ فإنْ رأى شيئًا أشار إلينا ؛ فانطلقنا حتى إذا كنّا بالبيضاء كنت — قال موسى : أنا ناطرهم ، وقال عباس : كنتُ أنا ناطورهم — فأشرت إليهم فذهبوا جمْزًا[2] وخرجت فى آثارهم ؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم ، قالوا : ما شأنك ؟ هل رأيت شيئًا ؟ قلت : لا ، إلاّ أنى قد عرفت أنْ قد بلغكم الإعياء والوَصَبُ ، فأحببت أن يحملكم الفَزَع .

١٣٨٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تزّوج النبى صلى الله عليه وسلم حَفْصَة بنت عمر فى شعبان ؛ وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حذافة السَّهْمىّ فى الجاهليّة ، فتوفِّىَ عنها .

وفيها كانت غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحُدًا ؛ وكانت فى شوّال يوم السبت لسبع ليالٍ خلوْن منه — فيما قيل — من سنة ثلاث من الهجرة .

* * *

غزوة أُحد

قال أبو جعفر : وكان الّذى هاج غزوة أحُد بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومشركى قريش وقْعة بدر وقتل مَنْ قُتل ببدْر من أشراف قريش ورؤسائهم ؛ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب

١٣٨٤/١

(١) الناطور فى الأصل : حارس الكرم والنحل .

(٢) الجمز : السير السريع .

الزُّهرىّ ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرُهم من علمائنا ؛ كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أحُد ، قالوا[١] :

لما أصيبتْ قريش — أو من قاله منهم — يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَليب ، فرجع فَلُّهم[٢] إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعِيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أميّةْ ، فى رجال من قريش ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَنْ كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشرَ قريش ، إنّ محمّدًا قد وَتَرَكم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حَرْبه ؛ لعلّنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير بأحابيشها[٣] ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة ؛ وكلّ أولئك قد استَعوْا[٤] على حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ١/١٣٨٥

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحىّ قد منّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَوم بدر . وكان فقيرًا ذا بنات[٥] ، وكان فى الأسارى ، فقال : يا رسولَ الله ، إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتَها ، فامنن علىّ صلّى الله عليك ! فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال صَفوان

---

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ — ١٤٣ ، والأغانى ١٥ : ١٧٩ — ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا ؛ أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أى يستغيث بهم ؛ وفى الأغانى : « استغووا » بالغين المعجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أميّة : يا أبا عزّة ، إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعِنّا بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إنّ محمدًا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه ، فقال : بلَى فأعنّا بنفسك، فلك الله[1] إن رجعتَ أن أغنيَك ، وإن أصبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر . فخرج أبو عزّة يسير فى تِهامة ، ويدعو بنى كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ إلى بنى مالك بن كنانة يحرّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودعا جبير بن مُطْعِم غُلامًا له يقال له وحشىّ، كان حبشيًّا يقذف بحربة له قَذْفَ الحبَشة ، قلّما يُخْطئ بها ، فقال له : اخرج مع النّاس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمى طُعَيْمة بن عدىّ فأنت عتيقٌ .

فخرجت قريش بحدّها وجَدّها وأحابيشها ، ومَن معها[2] من بنى كِنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[3] التماس الحفيظة ؛ ولئلاّ يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب – وهو قائد النّاس ، معه هند بنت عُتبة ابن ربيعة – وخرج عِكْرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أميّة بن خلف بِبَرْزَةَ – قال أبو جعفر: وقيل ببرّة – بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثّقفيّة ؛ وهى أمّ عبد الله ابن صفوان – وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهى أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بنَ أبى طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بسُلافة بنت سعد بن شهيد – وهى أمّ بنى طلحة مُسافع والجُلاس وكلاب ؛ قتلوا يومئذ وأبوهم – وخرجت خناس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بنى مالك ابن حِسْل ، مع ابنها أبى عزيز بن عمير ؛ وهى أمّ مُصْعَب بن عمير ، ١٣٨٦/١

---

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبعها » .

(٣) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهى المرأة ما دامت فى الهودج .

وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛
١/١٣٨٧ وكانت هند بنت عُتْبة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بوحشىّ أو مَرَّ بها قالت :
إيهٍ [١] أبا دَسْمَة ! اشْفِ واشْتَفِ — وكان وحشىّ يكنى أبا دَسْمة .
فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنين بجبل ببطن السَّبْخَة ، من قناة على شفير الوادى
ممَّا يلى المدينة .

فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون قد نزلوا حيث
نزلوا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم للمسلمين : إنى قد رأيت بقرًا
فأوّلتها خيرًا ، ورأيت فى ذُباب سيفى ثَلْمًا ، ورأيت أنّى أدخلت يدى
فى درع حَصِينَة فأوّلتها المدينة ؛ فإنْ رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث
نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت
قريش منزلَها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم
الجمعة . وراح رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين صلَّى الجمعة ، فأصبح بالشِّعب
من أحُد . فالتقوْا يومَ السّبت للنّصف من شوّال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبىّ
ابن سَلول مع رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، يرى رأى رسول الله صلَّى
الله عليه وسلَّم فى ذلك : ألاّ يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صلَّى الله عليه
وسلَّم يكره الخروجَ من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله
بالشهادة يوم أحُد وغيرهم مِمَّن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج
١/١٣٨٨ بنا إلى أعدائنا [٢] ، لا يروْن أنَّا جَبُنَّا عنهم وضَعُفْنا ، فقال عبدُ الله بن
أبىّ بن سَلُول : يا رسولَ الله ، أقمْ بالمدينة ولا تخرجْ إليهمْ ؛ فوالله
ما خرجنا منها إلى عَدوٍّ لنا قطّ إلاّ أصاب منَّا ، ولا دخلها [٣] علينا إلا
أصبنا منه ، فَدَعْهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا
قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النِّساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

---

(١) ابن هشام : « ويها » .
(٢) م : « أعداء الله » .
(٣) الأغانى : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلّم الذين كان من أمرهم حبُّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلبس لأمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بنى النّجار ، فصلّى عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرَهْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما السدّىّ ؛ فإنّه قال فى ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدّثنى محمّد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدّىّ ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لما سمع بنزول المشركين من قُريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا علىّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عَدوٌّ لنا قطّ أتانا فى ديارنا [١]، فكيف وأنت فينا! فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله بن أبىّ بن سلُول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلُب ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا فى الأزقّة ، فأتاه النّعمان بن مالك الأنصارىّ ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمْنى الجنة ؛ فوالّذى بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنّة ، فقال له : بِمَ ؟ قال : بأنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأنّى لا أفرُّ من الزّحف . قال : صدقَت ، فقتل يومئذ . ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا بدرعه فلبسها ، فلّما رأوْه قد لبس السّلاح ندموا وقالوا : بئس ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحى يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضعَها حتى يقاتل . فخرج

١٣٨٩/١

(١) م : « دارنا » .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحُد فى ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلمَّا خرج رجع عبد الله بن أبى بن سلول فى ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السُّلمىّ يدعوهم ، فلمّا غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعتَنا لترجعنّ معنا ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إذْ همَّتْ طائِفتَانِ منْكمْ أنْ تفشَلا ﴾[1] فهمّ بنو سَلِمة وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبىّ ، فعصمهم الله عزّ وجلّ ، وبقىَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى سبعمائة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما[2] خرج عليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإنْ شئت فاقعُد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لأمتَه أن يضعَها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله فى ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوط بين أحُد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبىّ بن سلول بثلث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصانى ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتَّبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرَّيْب ، واتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول : يا قوم أذكّرُكم الله أن تخذلوا نبيَّكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم! قالوا : لو نعلم أنَّكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوْا عليه ، وأبَوْا إلاّ الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

١٣٩٠/١

* * *

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدىّ : انخزل عبد الله بن أبىّ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخين بثلثمائة ، وبقىَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

مائتى فرس ، والظُّعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان فى المشركين سبعمائة دارع ؛ كان فى المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فَرسان : فرسٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفرس لأبى بردة بن نيار الحارثى . فأدلج[1] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من ١٣٩١/١ الشيخيْن حين طلعت الحمراء — وهما أُطمان ، كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك، سُميَّا الشيخين ؛ وهو فى طرف المدينة — قال : وعرض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المقاتِلة بالشَّيْخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردّ مَنْ رَدّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسَيد بن ظُهَير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرَابة بن أوس . قال : وهو الذى قال فيه الشَّماخ :

رأيتُ عَرَابةَ الأوسىَّ ينمِى إلى الْخَيْراتِ مُنْقطعَ القَرين[2]
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمَجْـــدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمـــين

قال : وردّ أبا سعيد الخُدْرىّ ، وأجاز سَمُرة بن جندَب ورافع بن خَدِيج ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم ، قد استصغر رافعًا ، فقام على خفَّين له فيهما رقاع ، وتطاول على أطراف أصابعه ؛ فلمّا رآه رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم أجازه .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمُرة بن جندَب تحت مُرَىّ بن سِنَان بن ثعلبة ، عمّ أبى سعيد الخُدرىّ ، فكان ربيبَه ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرة بن جندب لربيبه مُرَىّ بن سنان : يا أبتِ ،

---

(١) أدلج : سار فى آخر الليل .
(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

١٣٩٢/١ أجاز رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رافع بن خَدِيج ، وردّنى وأنا أصرع رافع بن خَدِيج، فقال : مُرَىّ بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابنى ، وأجزت رافع بن خَدِيج وابنى يصرعه ! فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم لرافع وسمُرة : تصارعا ، فصرع سمُرة رافعًا ، فأجازه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فشهدها مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبىّ صلى الله عليه وسلّم أبو حَثْمَة الحارثىّ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: قال: ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرّة بنى حارثة ، فَذَبّ فرس بذنبه[١] ، فأصاب كلاّب[٢] سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — وكان يُحبُّ الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شِمْ سيفَك، فإنى أرى السيوف ستُسَلُّ اليوم . ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : مَنْ رجُلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَب، من طريق لا يمُرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حثمة[٣] أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله، فقدّمه فنفذ به فى حَرّة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلَك به فى مال المِرْبع بن قيظىّ — وكان رجلا منافقًا ضرير البصر — فلمّا سمع حسّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن معه من المسلمين، قام يَحْثِى فى وجوههم التّراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله ؛ فإنى لا أحلُّ لك أن تدخل حائطى ؛ قال : وقد ذكر لى أنه

١٣٩٣/١ أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال: لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نهىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عنه ،

---

(١) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ؛ وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغانى : « خيثمة » .

فضربه بالقوس فى رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على وجهه ؛ حتى نزل الشِّعب من أُحُد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد ، وقال : لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرّحت قريش الظّهْر[١] والكُراع فى زروع كانت بالصَّمْغة[٢] من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حينَ نهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن القتال : أتُرْعَى زروع بنى قيْلة[٣] ولمَّا نُضارب ! وتعبَّأ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم للقتال وهو فى سبعمائة رجل ، وتعبَّأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل؛ ومعهم مائتا فرس قد جنَبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عِكْرمة بن أبى جهل، وأمَّرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو يومئذ معلِمٌ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضح[٤] عنا الخيل بالنَّبل لا يأتونا من خلْفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا نؤْتيَنَّ من قِبَلك، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين[٥] .

* * *

١٣٩٤/١ فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل . وحدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَراء ، قال : لمَّا كان يومُ أحُد ، ولقِيَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المشركين أجْلسَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجالاً بإزاء الرّماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير ، وقال لهم: لاتبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرْنا عليهم ، وإنْ رأيتموهم ظَهَرُوا علينا فلا تعينونا . فلمَّا لقِيَ القوم هزَم المشركين حتى رأيت النساء قد رَفَعن عن سوقهنّ ، وبدت

---

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .
(٢) الصمغة : موضع قرب أحد .
(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .
(٤) انضح الخيل ؛ أى ادفعهم .
(٥) ظاهر بين درعين ؛ أى لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلمّا أتوْهم صرَف الله وجوههم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمّد بن سعد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عبّاس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلوْن من شوّال ، حتّى نزل أحُدًا ، وخرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأذّن في الناس فاجتمعوا ، وأمّر الزّبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المِقداد بن الأسود الكِنديّ ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء[1] رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطّلب بالحسَّر[2] ، وبُعِث حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عِكْرمة بن أبي جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزّبير ، وقال : استقبلْ خالدَ[3] بن الوليد ؛ فكنْ بإزائه حتّى أوذنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحُنّ[4] حتى أوذنكم . وأقبل أبو سفيان يحمِل اللّات والعزّى ، فأرسلَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الزّبير أن يحمِل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومَنْ معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ — إلى قوله — ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾[5] ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وعَدَ المؤمنين أن ينصرهم[6] ؛ وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناسًا من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فرُدّوا وجهَ مَن فرّ منّا ، وكونوا حرّاسًا لنا من قِبَل ظهورنا . وأنّ رسولَ

١٣٩٥/١

(١) الأغاني : « الراية » .
(٢) الأغاني : « بالجيش » .
(٣) و : « خالدا » .
(٤) و : « لا تبرحوا » .
(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .
(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صلّى الله عليه وسلّم لمّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعِدات فى الجبل ، ورأَوُا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ فأدركوا الغنيمة[١] قبل أن يسبقونا[٢] إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فنثبُت مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنيمة ،﴿ وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحدًا من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يريد الدُّنيا وعرضَها ؛ حتى كان يومئذ .

حدّثنى محمد بن الحسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضّل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السّدّىّ ، قال : لمّا برز رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٣٩٦/١ إلى المشركين بأحُد أمر الرُّماة ، فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين ؛ وقال [لهم][٣] : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا][٣] قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتّم مكانكم . وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير أخا خوّات بن جُبير .

ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشَر أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا[٤] بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة ؛ فهل منكم أحدٌ يعجّله الله بسيفى إلى الجنة ، أو يعجّلنى بسيفه إلى النار ! فقام إليه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : والّذى نفسى بيده لا أفارقك حتى أعجّلك[٥] بسيفى إلى النار ، أو تعجّلنى بسيفك إلى الجنّة ، فضربه علىّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرَّحمَ يا بن عمّ ! فتركه ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال لعلىّ : ما منعك أن تجهِزَ عليه ؟ قال : إنّ ابنُ عمّى ناشدنى حين انكشفت

(١) الأغانى : « الغنائم » .
(٢) الأغانى : « يسبقوا » .
(٣ – ٣) من الأغانى .
(٤) الأغانى : « تعجلنا » .
(٥) الأغانى : « يعجلك الله عز وجل بسيفى إلى النار » .

عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحَمَل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلمّا رأى ذلك خالد بن الوليد — وهو على خيل المشركين — حمل فرمَتْه الرماة فانقمع[1] . فلّما نظر الرّماة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وانطلق عامتهم فلحقوا[2] بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرّماة صاح فى خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فلمّا رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادَوْا فشدّوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

١/١٣٩٧

فحدّثنى بشر بن آدم ، قال : حدّثنا عمرو بن عاصم الكِلابىّ ، قال : حدّثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزُّبير : عَرَض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم سيفا فى يده يوم أحُد ؛ فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقمت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عنّى ، ثم قال : مَنْ يأخذ هذا السّيف بحقّه ؟ قال : فقام أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشَةَ ، فقال : أنا آخذه بحقّه ؛ وما حقّه ؟ قال : حقه ألاّ تقتل به مسلما ، وألاّ تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعْلَم بعصابة ؛ قال : فقلت : لأنظرنّ اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شىء إلاّ هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة فى سفح جبل ، معهنّ دُفوف لهنّ ؛ فيهنّ امرأةٌ تقول :

نَحْنُ بنــــاتُ طارقْ إنْ تُقْبِــــلوا نُعانقْ
ونَبْسُــــطُ النَّمَارقْ أو تدْبِرُوا نُفــــارقْ
* فِراقَ غَيْرِ وامِقْ *

---

(١) انقمع : اختفى .
(٢) و : « فلحق » .

قال : فرفع السّيف ليضربَها ، ثم كفّ عنها . قال : قلت : كلّ عملك قد رأيت ، أرأيت رفعك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

* * *

١٣٩٨/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم [١] ؛ حتّى قام إليه أبو دُجَانة سماك بن خرَشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحَنِيَ ؛ فقال : أنا آخذه بحقّه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه – وكان أبو دُجَانة رجلا شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلِم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم النّاس أنه سيقاتل – فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ عصابته تلك ، فعصب [٢] بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصفّين .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانة يتبختر : إنّها لمشيْةٌ يبغِضُها الله عزّ وجلّ إلاّ فى هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوْس والخزرج ، خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا ننصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

١٣٩٩/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أبا عامر عبد [٣] عمرو بن صيفيّ بن مالك بن النعمان بن أمة [٤] ، أحد بنى ضُبيْعَة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مُباعدًا

---

(١) الأغانى : « بينهم » .
(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .
(٣) ساقطة من الأغانى .
(٤) الأغانى : « امية » .

لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، معه خمسون غلامًا من الأوْس؛ منهم عثمان ابن حُنَيْف — وبعض النّاس يقول : كانوا خمسة عشر — فكان يعِد قريشًا أنْ لو قد لقِيَ محمّدًا لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلمّا التقى الناس ، كان أوّل مَنْ لقيَهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبْدان أهل مكّة ، فنادى : يا معشرَ الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق — وكان أبو عامر يسمّى فى الجاهلية «الراهب» ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» — فلمّا سمع ردّهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شرّ . ثم قاتلهم قتالا شديدًا ، ثم راضخهم بالحجارة [١] ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بنِى عبدِ الدّار ، إنّكم وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنّما يؤتى النّاس من قبَل راياتهم ؛ إذا زالت زالوا ؛ فإما أن تكفونا لواءنا ؛ وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه . فهمّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذى أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قامت هندُ بنت عُتْبة فى النِّسوة اللّواتى معها ، وأخذن الدُّفوفَ يضربْن خلْف الرّجال ويُحرّضْنهم ، فقالت هند فيما تقول :

١٤٠٠/١

إنْ تُقبلوا نُعانقْ ... ونَفْــرش النّمارقْ
أو تدْبرُوا نُفــارقْ ... فِراقَ غيرِ وامِقْ

وتقول :

وَيْهاً بنى عَبد ٱلدّار [٢] ! ... وَيْهاً حُماةَ الأدْبار [٣] !
* ضرْباً بكلّ بتّار [٤] *

(١) الأغانى : «الحجارة» . والمراضخة : المراماة .
(٢) الأغانى : «إيهاً» .
(٣) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .
(٤) البتار : السيف القاطع .

واقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أمعن فى الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين ، فأنزل الله عزّ وجلّ نصره ، وصدقهم وعده ، فحسّوهم[1] بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : قال الزبير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خدَم هند بنت عتبة وصواحبها[2] مشمّرات هوارب ، مادون أخذِهنّ قليل كثير ؛ إذ مالت الرُّماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النّهب ، وخلّوْا ظهورنا للخيل ؛ فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخٌ : ألا إن محمداً قد قتل ! فانكفأنا[3] وانكفأ علينا القوم ؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم . ١٤٠١/١

حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ اللّواء لم يزل صريعاً حتّى أخذتهُ عَمْرَةُ بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعتهُ لقريش ، فلاثوا به[4] ، وكان اللّواء مع صؤاب ، غلامٍ لبنى أبى طلحة ، حبشىّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطعتْ يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعُنُقه حتى قُتل عليه ؛ وهو يقول : اللّهمّ هل أعذرت ! فقال حسّان بن ثابت فى قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرْتم باللِّواءِ وشرُّ فخرٍ لِوَاءٌ حينَ رُدَّ إلى صؤابِ[5]
جَعلْتمْ فخرَكُمْ فيها لعَبْدٍ منَ ألأمِ مَنْ وَطِي عَفرَ التّرابِ[6]

---

(١) حسوهم : استأصلوهم . (٢) و : « وصواحباتها » .
(٣) انكفأنا : رجعنا .
(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله . وفى الأغانى : « فلاذوا بها » . (٥) ديوانه ٦٢
(٦) ابن هشام والديوان : « من يطا عفر التراب » .

ظَنَنْتُمْ والسـفيهُ له ظُنُونٌ وما إن ذاك منْ أمْر الصَّوابِ
بأَنَّ جِـلادَنا يومَ الْتَقيْنا بمَكَّةَ بيْعُكُمْ حُمْرَ العِياب ١٤٠٢/١
أقرَّ العيْنَ أنْ عُصبَتْ يدَاهُ وما إنْ تُعصبَانِ على خضَاب(١)

حدّثنا أبو كُرَيب، قال: حدّثنا عثمان بن سعيد، قال: حدّثنا حِبّان ابن عليّ، عن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال: لما قَتَل عليّ بن أبى طالب أصحاب الألوية(٢)، أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركى قريش، فقال لعليّ: احمل عليهم، فحمل عليهم؛ ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ. قال: ثم أبصر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةً من مشركى قريش، فقال لعليّ: احمِل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم؛ وقتل شيبة بن مالك أحَد بنى عامر بن لُؤيّ، فقال جبريل: يا رسولَ الله، إنّ هذه لَلْمواساة، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: إنه منّى وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صَوْتا:

لا سيْفَ إلَّا ذو الفَقَا ر ولا فتًى إلَّا علِي

قال أبو جعفر: فلمّا أُتِيَ المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثا: ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم؛ وقد جهدته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع، وأصيبت رَبَاعيَةُ(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم السفْلى، وشُقّتْ شفته، ١٤٠٣/١

---

(١) قال ابن هشام: «آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى، وأنشدنيه له خلف الأحمر:

أقرّ العيْن أنْ عُصبتْ يَدَاها ومَا إنْ تُعْصبَان عَلَى خضَاب

فى أبيات له يعنى امرأته فى غير حديث أحد، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلى»

(٢) الأغانى: «لما قتل أصحاب الألوية».

(٣) الرباعية: السن التى بين الثنية والناب.

وكُلِم فى وجنتيه وجبهته فى أصول شعره ، وعلاه ابنُ قميئة بالسّيف على شقّه الأيمن ؛ وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقاص .

حدّثنا ابن بشار ، قال : حدّثنا ابن أبى عَدِىّ ، عن حُمَيْد ، عن أنس بن مالك ، قال : لمَّا كان يوم أحدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشُجَّ ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يُفلح قومٌ خضّبوا وجه نبيّهم بالدم. وهو يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ! فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾[1] الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيَه القوم : مَنْ رجلٌ يشرِى لنا نفسه !

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو بن يزيد بن السَّكَن ، قال: فقام زياد بن السَّكَن فى نفر خمسة من الأنصار، وبعض الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد ابن السَّكَن ، فقاتلوا دونَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا ، ثم رجلا ، يقتلون دونه؛ حتّى كان آخرهم زيادٌ — أوعمارة بن زياد بن السَّكن[2] — فقاتل حتى أثبتَتْه الجراحة ، ثم فاءَت من المسلمين فِئَةٌ[3] حتّى أجهضوهم[4] عنه، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أدنوهُ منى ،فأدنوْه منه ،فوَسَّدَه قدمه ؛ فمات وخدُّه على قَدَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترّس دون ١٤٠٤/١

---

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .
(٢) الأغانى : « زياد بن عمارة بن زياد بن السكن » .
(٣) الفئة : الجماعة .
(٤) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .
(٥) الأغانى : « من دون » .

رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبو دُجانة بنفسه يَقَعُ النَّبل فى ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه ؛ حتى كثُرت فيه النَّبل، ورَمى سعد بن أبى وقاص دونَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال سَعْدٌ : فلقد رأيتُه يناولنى ويقول : ارْمِ فِداك أبى وأمِّى ! حتى إنَّه ليُناوِلُنى السَّهم ما فيه نَصْلٌ ، فيقول : ارْمِ به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق، قال: حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رَمَى عن قوسه حتى اندقَّتْ سِيَتُهَا [١]، فأخذها قتادة بن النعمان ؛ فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النعمان ؛ حتى وقعت على وجْنَتِه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ردّها بيده ؛ فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهما .

* * *

قال أبو جعفر : وقاتَل مُصعب بن عمير دون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومعه لواؤه حتى قتل ؛ وكان الذى أصابه ابن قَمِيئة [٢] الليثىّ . وهو يظنّ أنَّه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فرجع إلى قريش ، فقال : قتلت محمدًا . فلما قتِل مُصعب بن عمير أعطى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم اللواءَ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد [٣] شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصىّ ؛ وكان أحدَ النَّفر الَّذين يحملون اللِّواء ، ثم مَرّ به سباع بن عبد العُزَّى الغُبْشانىّ — وكان يكنى بأبى نيَار — فقال له حمزة بن عبد المطَّلب : هلمَّ إلىّ يا بنَ مُقَطِّعة البُظور — وكانت أمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ ، وكانت ختَّانة بمكَّة — فلمَّا التقيا ضربه حمزة فقتله ، فقال

١/١٤٠٥

(١) سية القوس : طرفه .
(٢) الأغانى وابن هشام : « ابن قمئة » . (٣) ساقطة من رواية الأغانى.

وَحْشِيّ غُلاَمُ جبَير بن مطعِم : والله إنى لأنْظُر إلى حمزة يَهُذُّ[١] الناس بسيفه، ما يُلِيق[٢] شيئًا يمرُّ به ؛ مثل الجمل الأورق؛ إذ تقدَّمنى إليه سِباع بن عبد العزّى ، فقال له حمزة : هلُمَّ إلىّ يا بن مقطِّعة البظور ! فضربه ؛ فكأنما أخطأ رأسَه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه فوقعت فى لَبّته حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذتُ حربتى ؛ ثم تنحَّيت إلى العسكر ؛ ولم يكن لى بشىء حاجة غيره . وقد قتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخو بنى عمرو بن عوف مسافع بن طلحة وأخاه كِلاَبَ بن طلحة ؛ كلاهما يُشعِره[٣] سهماً ؛ فيأتى أمّه سُلافة فيَضَعُ رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنىَّ ، مَنْ أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلاً حين رمانى يقول : خذها وأنا ابن الأقلح ! ١/١٤٠٦ فتقول : أقلحىّ ! فنذَرَتْ لله إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخَمْرَ . وكان عاصم قد عاهد الله ألاّ يمسّ مشركًا أبدًا ولا يمسّه .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ؛ أخو بنى عدىّ بن النّجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ؛ عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلْحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوْا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتِل محمد رسول الله، قال: فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا [كراما] [٤] على ما مات عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ثم استقبل القوم ؛ فقاتل حتى قتِل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُميْد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن

(١) هذه بالسيف : قطعه .
(٢) ما يليق : ما يترك وما يبقى .
(٣) أشعره سهما : خالطه به .
(٤) من الأغانى .

النَّضر يومئذ سبعين ضربة وطعنة فما عرفه إلاّ أخته ، عرفتْه بحسن بنانه .

حدّثنا ابنُ حميد ،قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أوّل مَنْ عرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم » — كما حدثنى ابن شهاب الزهرىّ — كعب بن مالك ، أخو بنى سلِمة ، قال : عرفت عينيه تزهَران تحت المغْفر، فناديت : بأعلى صوتى : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا[1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم! فأشار إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصِتْ . فلمّا عرف المسلمون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نهضوا به ، ونهض نحو الشِّعب ، معه علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصِّمّة ، فى رهط من المسلمين[2]. فلما أسند[3] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشِّعب أدركه أبىّ بن خلف وهو يقول : أين مُحمّد ! لا نجوْتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه رجل منّا؟ قال : دعوه ، فلمّا دنا تناول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الحربة من الحارث بن الصِّمّة — قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لى : فلمّا أخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، انتفض بها انتفاضة تطايَرْنا عنه تطايُر الشّعْراء[4] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدَأدَأ[5] منها عن فرسه مرَارًا .

١٤٠٧/١

وكان أبىّ بن خلف — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد ابن اسحاق، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف — يلْقَى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة ، فيقول : يا محمّد إن عندى العَوْد ، أعلفه كلّ يوم فَرْقا[6] من ذُرة أقتلك عليه ! فيقول

---

(١) م : « هذاك » . (٢) الخبر إلى هنا فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند فى الجبل : رقى فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدأدأ : تدحرج .

(٦) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه فى عنقه[١] خَدْشًا غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمّد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إنْ بك بأس[٢] . قال : إنه قد كان بمكّة قال لى : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكّة . ١٤٠٨/١

قال : فلمّا انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى فم الشِّعب ، خرج علىّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقتَه من المِهْراس[٣] . ثم جاء به إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحًا فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ؛ وصُبّ على رأسه ؛ وهو يقول : اشتدّ غضب الله على من دَمّى وَجْهَ نَبيّه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن أبى وقّاص ، أنه كان يقول : والله ما حَرَصْت على قتل رجل قطّ ما حرَصْت على قتل عُتْبة بن أبى وقّاص ؛ وإن كان ما علمتُ لَسيِّئَ الخلق ، مبغَّضًا فى قومه ؛ ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «اشتدّ غضب الله على من دَمّى وجه رسول الله» .

حدّثنا محمد بن الحُسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، قال : أتى ابن قميئة الحارثىّ أحد بنى الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بحجَر ، فكسر أنفه ورباعيَته ، وشجّه فى وجهه ، فأثقله وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يَدْعُو الناس : إلىّ عباد الله !

---

(١) الأغانى : «حلقه» .

(٢) الأغانى : «ما بك بأس» .

(٣) المهراس : ماء بجبل أحد .

١/١٤٠٩ إلىّ عباد الله! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحد إلاّ طلحة وسهل بن حُنَيف، فحماه طلحة، فرُمى بسهم فى يده فيبِسَتْ يَدُه، وأقبل أبىّ بن خلَف الجُمحىّ؛ وقد حلف ليقتلنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم، فقال: بل أنا أقتله، فقال: يا كذّاب، أين تَفِرُّ! فحمل عليه فطعنه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى جيب الدرع؛ فجرح جرحًا خفيفًا، فوقع يخورُ خُوَارَ الثور؛ فاحتملوه، وقالوا: ليس بك جراحة، فما يجزعك؟ قال: أليس قال: «لأقتلنّك»! لوكانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتْهم! فلم يلبث إلاّ يومًا أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح.

وفشا فى النّاس أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قُتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبىّ؛ فيأخذ لنا أمَنة من أبى سفيان! يا قوم إن محمدًا قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم. قال أنسُ بن النّضر: يا قوم إن كان محمّد قد قتِل؛ فإن ربّ محمد لم يقتل. فقاتِلوا على ما قاتل عليه محمّد: اللهمّ أنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء! ثم شدّ[1] بسيفه فقاتل حتى قتل؛ وانطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يدعو النّاس حتّى انتهى إلى أصحاب الصخرة؛ فلمّا رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سهمًا فى قوسه، فأراد أن يرميَه فقال: أنا رسولُ الله؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حيًّا، وفرح رسول

١/١٤١٠ الله صلّى الله عليه وسلّم حين رأى أنّ فى أصحابه مَنْ يمتنع به؛ فلمّا اجتمعوا وفيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ذهب عنهم الحزن؛ فأقبلوا يذكرون الفتح، وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا: «إن محمدًا قد قتل، فارجعوا إلى قومكم»: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

---

(١) م: «سل سيفه».

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّاكِرِينَ ﴾[١].

فأقبل أبو سفيان حتّى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه ، وأهمّهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس لهم أن يعلُونا ؛ اللّهمّ إنْ تقتَل هذه العصابة لا تُعْبَد ! ثم نَدَب أصحابه ، فرمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُ هُبَل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ بيوم[٢] بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جُنُبًا فغسّلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبى سفيان قُتِل يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعمر : قل : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم[٣] محمّد ! أما إنّها[٤] قد كانت فيكم مُثلة ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سرّتنى ولا ساءتنى ؛ فذكر الله عزّ وجلّ إشراف أبى سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمّ الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغمّ الثانى إشراف العدوّ عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾[٥] من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان[٦]. ١٤١١/١

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الشّعب ؛ ومعه أولئك النّفر من أصحابه إذ علَتْ عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : اللّهمّ إنّه لا ينبغى لهم أن يعلُونا ؛ فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى صَخْرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدّنَ رسول

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .
(٣) م : « فيكم » .
(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفى التفسير « قالوا : نعم ، قال » .
(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .
(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ — ٣٠٨

الله صلّى الله عليه وسلّم ، وظاهَرَ بين دِرْعَيْن[1] ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتّى استوى عليها[2] .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما حدّثنا يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزُّبير ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى انتهى بعضُهم إلى المنَقّى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) ؛ حتّى بلغوا الجَلْعَبَ (جبَلا بناحية المدينة مما يلى الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فزعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة[3] . ١٤١٢/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبى عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلمّا استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود – وكان يقال له . ابن شَعوب – قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم[4] – يعنى حنظلة – لتغسلهُ الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلَتْ صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنُب حين سمع الهائعة[5] ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لذلك غسّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود فى قتله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صاحبى ونفسى بطَعْنةٍ مثل شُعاع الشَّمْسِ

---

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .
(٢) الخبر فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ .
(٤) و : « صاحبكما » .
(٥) الهائعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبرَه ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعوب شدّاد بن الأسود إيّاه على حنظلة :

ولو شئتُ نجّتْنى كُمَيتٌ طِمِرَّةٌ ... ولم أحْمل النّعْماءَ لابن شَعُوبِ [1]
فما زال مُهْرِى مَزْجَرَ الكلْب مِنْهُمُ ... لدَى غُدْوَةٍ حتى دَنتْ لِغُرُوبِ [2]
أقاتلُهُمْ وأدَّعِى يالَ غالبٍ ... وأدْفعهُمُ عَنِّى برُكْن صَليب
فبَكِّى ولا ترْعَىْ مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمِى من عَبْرَةٍ ونَحيبِ ١٤١٣/١
أباكِ وإخواناً له قد تتابعوا ... وحُقَّ لهم من عَبْرَةٍ بنصِيب
وسَلَّى الذى قد كان فى النَّفْس أنّنى ... قَتلت من النَّجار كُلَّ نَجيب
ومن هاشمٍ قرْماً نجيباً ومُصْعباً ... وكان لدَى الهيْجاء غير هَيُوب [3]
وَلو أنّنى لم أَشْفِ منهم قَرُونتِى ... لكانت شجًى فى القلب ذات نُدُوب [4]
فآبُوا وَقد أودَى الجلائبُ مِنْهُمُ ... لهم خدَبٌ من مُغْبطٍ وكئيب [5]
أصابهُمُ من لم يكن لدِمَائهِم ... كَفِياً ولا فى خُطَّةٍ بضرِيب

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذكرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ من آل هاشمٍ ... ولسْتَ لزُورٍ قُلْتَهُ بمُصيب [6]
أتعجَبُ أنْ أقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمُ ... نجيباً وقدْ سَمَّيْتَهُ بنَجيب [7]
ألَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وعُتْبَةَ وابنَهُ ... وشَيْبَةَ وَالحَجَّاجَ وأبْنَ حَبيبِ !

---

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .
(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .
(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .
(٤) القرونة : النفس ، وفى ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم ».
(٥) الجلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بنى عمه ؛ ورواية البيت فى ابن هشام :

قالُوا وَقَدْ أوْدَى الجَلابيبُ مِنْهمُ ... بِهِم خدَبٌ مِنْ معْطبٍ وكَئِيب

(٦) أبيات أبى سفيان وجواب حسان ؛ فى ديوان حسان ٦٤ — ٦٦ .
(٧) أقصده : رماه .

غدَاة دعَا العاصى عَليًّا فراعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْــــبٍ بلّه بخَضيب

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبى سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلا دِفَاعِى يابنَ حَرْبٍ ومَشْهَدِى لألْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غيْرَ مجيبِ
ولَوْلا مَكرّى المُهْرَ بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان فى قوله :

* وما زال مُهْرِى مَزْجَرَ الكلبِ منهمُ *

وظنّ أنه يعرّض به إذ فرّ يوم بدر :

وإنَّكَ لوْ عَاينْتَ ما كان مْنهُمُ لأبْتَ بقَلْبٍ مَا بقيتَ نَخِيبِ(١)
لَدَى صَحْنِ بدْرٍ أولقامَتْ نَوَائِحٌ عليك، ولم تَحْفِلْ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيتهمُ يَوماً ببَدْرٍ كمثْلِهِ عَلى سَابِحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ(٢)

١٤١٤/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة — فيما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صالح بن كيسان — والنّسوة اللّاتى معها يمثّلْنَ بالقتْلَى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، يَجدَعْنَ الآذان والأنوف(٣) ؛ حتى اتّخذَتْ هند من آذان الرجال وآنُفِهم خَدَمًا(٤) وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدها وَقِرَطَتها وَحْشِيًّا ، غلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقرتْ عن كبد حمزة

(١) النخيب : الجبان الفزع .
(٢) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شبيب ، أى شاب .
(٣) الأغانى : « الآنف » .
(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكتْها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها . ثم علتْ على صخرة مشرِفة ، فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفرُوا بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أنَّه حدّث أنّ عمر بن الخطاب قال لحسان : يا بن الفُرَيْعَة لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أشَرها ، قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسَّان : والله إنِّى لأنظر إلى الحربة تهوِى وأنا على رأس فارع — يعنى أطُمَه — فقلت : والله إنّ هذه لسلاحٌ ما هى بسلاح العرب ؛ وكأنَّها إنَّما تهوِى إلى حمزة ؛ ولا أدرى . أسمعْنى بعض قولها أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عُمَرُ بعض ما قالت ، فقال حسَّان يهجو هندًا : ١٤١٦/١

أشِرَتْ لَكَاعِ وكان عَادَتُها ... لُؤْمًا إذَا أشِرَتْ مَعَ الْكُفْرِ (١)

لَعَنَ الإلهُ وزوْجَهَا مَعَها ... هِنْدَ الهُنُود عَظِيمَةَ البَظْرِ

أخْرَجْتِ مُرْقِصَةً إلَى أُحُدٍ ... فى القَوْمِ مُقْتِبَةً عَلى بَكْرِ (٢)

بَكْرٍ ثَفَالٍ لا حَرَاكَ بِهِ ... لا عَنْ مُعاتَبَةٍ ولا زَجْرِ (٣)

وعصَاكِ إسْتُكِ تَتَّقِينَ بِها ... دُقِّى العُجَايَةَ هِنْدُ بالفِهْرِ (٤)

قَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا وَمَشْرَجُهَا ... من دَأْبِها نَصًّا على القَتْرِ (٥)

---

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كنى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لئيمة ، ورواية الأغانى : « من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبب ، وفى الديوان : « معنقة على بكر » .

(٣) الثفال : البطىء من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أى ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير . والعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١

ظَلّتْ تُدَاوِيهـا زَمِيلَتُهَا بالمـاء تَنْضَحُهُ و بالسِّـدْرِ
أَخْرَجْتِ ثائِرَةً مبـادِرةً بأَبيكِ وابْنِكِ يومَ ذی بدْرِ
و بعَمِّكِ المَسْتُوهِ فی رَدَعٍ وأخيكِ منعِفرَيْنِ فی الجَفْرِ (١)
ونسيتِ فاحشـةً أَتَيْتِ بهـا يا هِندُ ، وَيْحَكِ سُبَّةَ الدَّهْرِ! (٢)
فَرَجَعْتِ صـاغِرَةً بلا تِرَةٍ مِنّا ظَفِرْتِ بهـا ولا نَصْرِ
زَعَمَ الوَلائِدُ أنهـا وَلدَتْ وَلدًا صَغيرًا كان من عَهْرِ

قال أبو جعفر : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم — فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل .

وحدّثنا ابن وكيع ، قال : حدّثنى أبى ، عن إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء، قال : ثمّ إن أبا سفيان أشرف علينا ، فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تجيبوه؛ مرتين ، ثمّ قال : أفى القوم ابن أبى قُحافة ؟ ثلاثًا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم قال : أفِى القوم ابنُ الخطاب ؟ ثلاثًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قُتِلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ بنُ الخطّاب نفسَه أن قال : كذبتَ يا عدوّ الله ، قد أبقَى الله لك ما يخزيك ! فقال : اعلُ هُبَل ! اعلُ هُبَل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلَى وأجَلّ ! قال أبو سفيان : ألا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ! قال أبو سفيان : يومٌ

١٤١٨/١

(١) المستوه : المضروب فى استه . والردع : الدم . الديوان : « المسلوب بزته » وفى ط : « ودع » ، وما أثبته من الأغانى .

(٢) الأغانى : « سيئة الدهر » .

بيوم بدر ، والحرب سِجَال ؛ أمَا إنكم ستجدون فى القوم مُثْلاً لم آمُرْ بها ولم تسؤنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال فى حديثه : لمّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبوسفيان : هلمّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إيتهِ فانظُرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبوسفيان : أنشدُك اللهَ يا عمر ، أقتلنا محمدًا ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ؛ وإنه ليسمع كلامَك الآن ، فقال : أنت أصْدَق عندى من ابن قَميئَة[1] وأبرّ ؛ لقول ابن قميئة لهم : إنّى قتلت محمدًا . ثمّ نادى أبو سفيان ، فقال : إنّه قد كان فى قتلاكم مُثَلٌ[2] والله ما رضيت ولا سخِطت ، ولا نهيت ولا أمرْت[3] .

وقد كان الحُلَيْس بن زَبّان أخو بنى الحارث بن عبد مَناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب ، وهو يضرب فى شِدْق حمزة بزُجّ الرّمح ، وهو يقول : ذُقْ عُقَقُ ![4] فقال الحُلَيْس : يا بنى كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون لحما[5] ! فقال : اكتمها ، فإنّها كانت زَلّة ؛ فلمّا انصرف أبوسفيان ومَنْ معه نادى : إنّ موعدَكم بدر للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من أصحابه : قل نعمْ هى بيننا وبينك موعد . ١ / ١٤١٩

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : اخرُجْ فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ؛ فإنّهم يريدون مكّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينةَ ؛ فوالّذى نفسى بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأناجزَنّهم . قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا

---

(١) الأغانى : « قمئة » . (٢) الأغانى : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثلة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق عقق ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق ؛ وعقق : معدول عن عاق للمبالغة ، كغدر من غادر .

(٥) لحما ، أراد وهو قتيل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجَّهوا إلى مكّة ؛ وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم قال: أىّ ذلك كان فأخْفِه[1] حتى تأتيَنى . قال علىٌّ عليه السلام : فلما رأيتُهم قد توجّهوا[2] إلى مكَّة أقبلت أصيح ؛ ماأستطيع أن أكتم الذى أمرنى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم لما بى من الفرَح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة .

وفرغ الناس لقتلاهم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم — كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمّد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنىّ أخى بنى النَّجار ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ، قال : مَن رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ — وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسولَ الله ما فعل ؛ ١٤٢٠/١ فنظر فوجده جريحًا فى القتلى به رمَق ، قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات ، أبلغْ رسولَ الله عنّى السَّلام ، وقل له : إنّ سعدَ ابن الربيع يقول لك : جزَاك الله خير ما جُزِى نبىّ عن أمته ؛ وأبلغْ عنّى قومَك السَّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيِّكم صلّى الله عليه وسلَّم وفيكم عيْنٌ تطرف . ثم لم أبرح حتّى مات ؛ فجئت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم فأخبرتهُ خبرَه . وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطَّلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقِرَ بَطْنُه عن كبده ، ومثّلَ به ، فجُدِعَ أنفه وأذناه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلَّم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيَّة أو تكون سنَّة من بعدى لتركته حتى يكونَ فى أجواف السباع وحواصل الطَّير ؛ ولئن أنا أظهرَنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثُلنّ بثلاثين رجلا منهم ؛ فلمَّا رأى

(١) و : « فأخف » . (٢) م : « وجهوا » .

المسلمون حزْنَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وغيظه على ما فُعِل بعمّه ، قالوا : والله لئن ظهرْنا عليهم يومًا من الدهر لنَمثُلَنّ بهم مُثْلَةً لم يمثُلها أحد من العرب بأحد قطّ ! . ١ / ١٤٢١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرنى بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلَمة : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزّ وجلّ أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِين ﴾[1] ، إلى آخر السورة ، فعفا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وصبر ونهى عن المُثْلَة .

قال ابن إسحاق : وأقبلَتْ — فيما بلغنى — صفيّةُ بنتُ عبد المطّلب لتنظر إلى حمزة — وكان أخاها لأبيها وأمها — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لابنها الزّبير بن العوّام : القَها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمّهْ ، إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يأمرك أن ترجعى ، فقالت : ولِمَ ، وقد بلغنى أنه مُثِلَ بأخى وذلك فى الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلمّا جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأتَتْه فنظرتْ إليه وصلّتْ عليه ؛ واسترجعَتْ واستغفرت له ؛ ثم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم به فَدُفِن .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : فحدّثنى محمّد بن إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش — وكان لأمَيْمَةَ بنت عبد المطّلب خاله حمزة ؛ وكان قد مُثِل به كما مُثِل بحمزة ؛ إلاّ أنه ١ / ١٤٢٢

---

(١) سورة النحل ١٢٦ .

لم يُبْقَرْ عن كبده ــ أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة فى قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلاّ عن أهله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحُد وقع[1] حُسَيْل بن جابر ــ وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ــ وثابت بن وقْش بن زَعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : لاأبالك ! ماتنتظر؟ فوالله إنْ بقِى لواحد منّا من عمره إلاّ ظِمْءُ حِمَار[2] ؛ إنّما نحن هامة اليوم[3] أو غَد ؛ أفلانأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله عزّ وجلّ يرزقنا شهادة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا فى النّاس ، ولم يُعلَم بهما ؛ فأمَّا ثابت بن وقْش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر ، اليَمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ، ولا يعرفونه . فقال حُذَيفة : أبى ! قالوا : والله إنْ عرفناه . وصدقوا ، قال حُذَيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ[4] فتصدّق حُذَيفة بِديَتِه على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيرًا . ١ / ١٤٢٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رجلاً منهم كان يُدْعى حاطب بن أميّة بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جِراحة يوم أحُد : فأُتِىَ به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهلُ الدّار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبْشِرْ يا بنَ حاطب بالجنّة ،

---

(١) كذا فى م ، وفى الأغانى : « رجع » .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربتين له ؛ وليس شىء من الدواب أقصر ظمئاً من الحمار ، يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أى سنموت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطبُ شيخًا قد عسا [١] في الجاهليّة ، فَنَجَم يومئذ نفاقه، فقال: بأيّ شيء تبشّرونه، أبجنّة من حرمل[٢] ! غررتُم والله هذا الغلامَ من نفسه ، وفجعتموني به !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتيٌّ[٣] لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُزْمَان ، فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول إذا ذُكِر له: إنّه لَمِنْ أهل النار؛ فلمّا كان يوم أحُد ، قاتل قتالا شديدًا ، فقَتَل هو وحده ثمانيةً من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهمًا شجاعًا ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزمان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلاّ على أحساب قومي ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلمّا اشتدّت عليه جراحته ، أخذ سهمًا من كنانته فقطع رواهِشَه فنزفه الدم فمات؛ فأخبر بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : أشهد أنّي رسولُ الله حقًّا ! ١٤٢٤/١

وكان ممّن قُتِل يوم أحُد مُخيْريق اليهوديُّ، وكان أحدَ بني ثعلبة ابن الفِطْيَون ، لمّا كان ذلك اليوم قال: يا معشَر يهود ؛ والله لقد علمتم أنّ نصر محمد عليكم لَحَقٌّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السَّبت ، فقال : لا سبْتَ، فأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أصِبْتُ فمالي لمحمّد يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلغني : مُخَيْرِيق خيرُ يهود .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن

---

(١) عسا ، أي كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : « يريد الأرض التي دفن فيها؛ وكانت تنبت الحرمل : أي ليس له جنة إلا ذاك » .

(٣) الأتي : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتْلاهم إلى المدينة. فدفنوهم بها ، ثم نهَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعُوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى أبى إسحاق بن يَسار ، عن أشياخ من بنى سلِمة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال يومئذ حين أمَر بدفن القتْلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيَيْن فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد. قال : فلمّا احتفر معاوية القناة أخْرِجا وهما ينثنيان[1] كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم راجعًا إلى المدينة ، فلقيتْه حَمْنَةُ بنت جحش — كما ذكر لى — فنُعِيَ لها[2] أخوها عبدُ الله بن جحش ، فاسترجَعَتْ واستغفرتْ له ، ثم نعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجَعت واستغفرت له ، ثم نُعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ زَوْجَ[3] المرأة منها لبمكان ؛ لما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

١٤٢٥/١

قال : ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فذرَفتْ عينا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فبكى ثم قال : لكنّ حمزة لابواكيَ له ! فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَيْر إلى دار بنى عبد الأشهل أمَرَ نساءهم أن يتحزّمْنَ ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الواحد بن أبى عوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص ؛

(١) م : « يتثنيان » .
(٢) م : « إليها » .
(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحُد ؛ فلما نعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظرَ إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَلَلٌ (١) !

* * *

١٤٢٦/١ قال أبو جعفر : فلّما انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الى أهله ناول سيفَه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمَه يا بنيّة ؛ وناولها عليٌّ عليه السلام سيفَه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لئن كنتَ صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنَيْف ، وأبو دُجَانة سماك بن خَرَشَةَ . وزعموا أن عليّ بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفَه قال :

أفاطِمَ هَاكِ السَّيفَ غيْرَ ذَمِيمِ ... فلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بمُلِيمِ

لَعَمْرِى لقدقاتَلْتُ فى حُبِّ أحْمَدٍ ... وطاعةِ ربٍّ بالعِبادِ رحيمِ

وسَيفِى بكَفِّى كالشِّهابِ أهُزُّهُ ... أجُذّ به من عاتِقٍ وصَمِيمِ

فما زِلْتُ حتى فَضَّ رَبِّى جُمُوعَهمْ ... وحتى شَفَيْنَا نَفسَ كلِّ حليمِ

وقال أبو دُجانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالا شديدًا — وكان يقول : رأيت إنسانًا يخمِش الناس خمشًا شديدًا فصَمدْت له ، فلما حملتُ عليه بالسيف وَلْوَلَتْ ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة — وقال أبو دُجَانة :

أَنا الَّذِى عاهَدَنِى خَلِيــلِى ... ونحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيــلِ

ألاّ أقُومَ الدَّهْرَ فى الكَيُّولِ ... أضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ والرَّسولِ (٢) ١٤٢٧/١

(١) جلل ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الوقعة بأحُد ؛ فحدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني حسين بن عبد الله ، عن عِكْرِمة ، قال : كان يوم أحُد يومَ السَّبت ؛ للنّصف من شوال ؛ فلمَّا كان الغدُ من يوم أحُد — وذلك يوم الأحد لستّ عشرة ليلة خلتْ من شوّال — أذّنَ مُؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الناس بطلب العدوّ ؛ وأذّن مؤذنه : ألاّ يخرجنّ معنا أحد إلاّ مَنْ حضر يومنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبدالله بن عمرو بن حَرام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ أبي كان خلَّفني على أخواتٍ لي سبعٍ ، وقال لي : يا بُنيّ ؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رُجلَ فيهنّ ، ولستَ بالذي أوثِرك بالجهاد مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على نفسي ؛ فتخلَّف على أخَواتك . فتخلَّفت عليهنّ . فأذن له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ، فخرج معه ؛ وإنَّما خرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُرْهِبًا للعدوّ؛ وليبلّغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنُّوا به قوّة؛ وأنّ الذي أصابهم لم يوهِنهم عن عدوّهم . ١/١٤٢٨

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أنّ رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من بني عبد الأشهل كان شهد أحُدًا ، قال : شهدتُ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنا وأخ لي ، فرجعنا جَرِيحَيْن ؛ فلمَّا أذّن مؤذّنُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخروج في طلب العدوّ ، قلت لأخي وقال لي : أتفُوتنا غزوة مع رسولِ الله صلَّىالله عليه وسلَّم! والله ما لنا من دابّة نركبها ، وما منَّا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول الله صلَّىالله عليه وسلَّم — وكنت أيسر جُرْحاً منه — فكنت إذا غُلِبَ حملتُه عُقْبة[1] ومشى عُقْبة ؛ حتى

---

(١) العقبة ، بالضم : النوبة .

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، حتى انتهى إلى حمْراء الأسد ؛ وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به — فيما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم — معبَدٌ الخُزاعىّ ، وكانت خُزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَة[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صفْقتُهم[2] معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها — ومعبد يومئذ مشرك — فقال : يا محمّد ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك فى أصحابك ؛ ولوَدِدْنا أن الله كان أعفاك فيهم ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لقىَ أبا سفيان بن حَرْب ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لنَكرّن على بقيّتهم ؛ فلنَفْرُغَنّ منهم . فلمّا رأى أبو سفيان مَعْبَدا ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقًا ؛ قد اجتمع معه مَنْ كان تخلّف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىء لم أر مثلَه قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصىَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل[3] بقيّتهم ، قال : فإنّى أنهاك عن ذلك . فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتًا من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهَدُّ منَ الأصْوَاتِ رَاحِلَتِى إذسالَتِ الْأَرْضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[4]

١/ ١٤٢٩

---

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأغانى .

(٣) فى الأغانى : « لنستأصل شأفتهم » .

(٤) تهد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر . والأبابيل : الجماعات .

تَرِدى بأسْدٍ كِرَامٍ لا تَنَابِلَةٍ عند اللِّقَاء ولا خُرْقٍ مَعَازِيلِ

١٤٣٠/١ فظَلَتُ عَدْوًا أظنُّ الأرْضَ مَائلةً لمّا سَمَوْا برَئيسٍ غيرِ مخذولِ

فقلتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ من لِقائِكُمُ إذا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاء بالجِيلِ[1]!

إنِّى نَذِيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً لكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومَعْقُولِ[2]

من جَيْشِ أحْمَدَ لا وَخْشٍ قَنَابِلُه وليسَ يُوصَفُ ما أنْذَرْتُ بالقِيلِ[3]

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومَنْ معه . ومَرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولِمَ ؟ قالوا : نريد الميرَة ، قال : فهل أنتم مبلّغون عنى محمّدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمِّل لكم إبلكم هذه غدًا زبيبًا بعُكَاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيّتهم. فمرّ الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر فى وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص، وأبى عَزّة الجُمَحىّ؛ ١٤٣١/١ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلّف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أمّ مكتوم .

* * *

---

(١) تغطمطت : اضطربت . والجيل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) فى الأغانى : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المعقول العقل .

(٣) الوخش : رذالة الناس وصغارهم . والقنابل : جمع قنبلة ؛ وهى الطائفة من الناس . وفى الأغانى : « تنابلة » .

وفى هذه السنة — أعنى سنة ثلاث من الهجرة — وُلِدَ الحَسَنُ بن علىّ بن أبى طالب فى النصف من شهر رمضان .

وفيها عَلِقَتْ فاطمة بالحسيْن صلوات الله عليهما. وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلاّ خمسون ليلة .

وفيها حملت — فيما قيل — جَميلة بنتُ عبد الله بن أبىّ بعبد الله بن حنظلة بن أبى عامر فى شوّال .

ذكر الأحداث التى كانت فى سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرّجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرّجيع فى صفر. وكان من أمرها ما حدّثنى به ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمّد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أحُد رهْط من عَضَل والقارة[1] فقالوا له: يا رسولَ الله ؛ إن فينا إسلامًا وخيرًا ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفقّهوننا[2] فى الدين ، ويقرءوننا[2] القرآن ، ويعلموننا[2] شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم نفرًا ستّة من أصحابه : مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوىّ حليف حمزة بن عبد المطّلب ، وخالد بن البُكَيْر حليف بنى عدىّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أخا بنى عمرو بن عوف ، وخُبَيْبَ بن عدىّ أخا بنى جَحْجَبى بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف ، وزيدَ بن الدّثِنة أخا بنى بياضة بن عامر ، وعبدَ الله بن طارق حليفًا لبنى ظَفَر من بَلِىّ .

١ / ١٤٣٢

وأمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على القوم مرثَد بن أبى مرثَد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهَدْأة) غدرُوا بهم ، فاستصرخوا[3] عليهم هُذَيْلاً ، فلم يُرَع القومُ وهم فى رحالهم إلاّ بالرجال فى أيديهم السيوف ، قد غَشُوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا[4] القوم، فقالوا لهم : إنّا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكنّا

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمة بن مدركة » .

(٢) فى رواية الأغانى ، بحذف النون على الجزم فى جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلوهم » .

نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكّة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألاّ نقتلكم .
فأمّا مرثد وخالد بن البُكَيْر وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعًا .

وأمّا زيد بن الدّثِنة وخُبَيْب بن عَدِىّ وعبد الله بن طارق فلانُوا ورقُّوا ورغِبوا فى الحياة ، فأعطوْا بأيديهم[1] ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظَّهْران ، انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِران[2] ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموْه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبْرُه بالظَّهْران .

١٤٣٣/١

وأما خُبَيْبُ بن عدىّ وزيد بن الدّثِنة ، فقدِمُوا بهما مكّة ، فباعوهما فابتاع خبيبا حُجَيْرُ بن أبى إهاب التميمىّ حليف بنى نوفل لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل — وكان حُجير أخا الحارث بن عامر لأمّه — ليقتله بأبيه ، وأمّا زيد بن الدّثِنَة، فابتاعه صَفْوان بن أميّة ليقتله بأبيه أميّة بن خلف ، وقد كانت هُذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شُهَيْد ، وكانت قد نذرتْ حين أصاب ابنها يوم أحُد : لئن قدرَتْ على رأس عاصم لتشرَبنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبْر[3] . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يُمْسى فتذهب عنه ، فنأخذه ، فبعث الله الوادى . فاحتمل عاصما فذهب به ، وكان عاصم قد أعطَى الله عهدًا ألاّ يمسه مشركٌ أبدًا ولا يمسّ مشركًا أبدًا ، تنجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدّبْرَ منعته : عجبا ، لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألاّ يمسَّه مشرك ، ولا يمس مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته[5] .

---

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القران : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزنابير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث ؛ إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغانى ٤ : ٢٢٥ — ٢٢٧ (طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذى قصّه ، والذى قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون العمرىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو — أو عمر — بن أَسِيد ، عن أبى هُرَيرة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا با لهَدْأة ذُكِروا لحىّ من هُذَيل ، يقال لهم : بنو لِحْيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميًا ؛ فوجدوا مأكلَهم حيث أكلوا التّمر ، فقالوا : هذه نَوَى يثرب ، ثمّ اتّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصمٌ وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزلوهم ، وأعطَوْهم العهدَ ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللّهمّ أخبر نبيّك عنّا . ونزل إليهم ابن الدّثِنَة البَياضِىّ ، وخُبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قِسيِّهم ، ثمّ أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل الغَدْر ؛ والله لا أتّبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدّثِنَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيبًا إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبَيب هو الذى قَتَل الحارث بأحُد ؛ فبينما خُبَيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسَى يستحدّ[1] بها للقتل ، فما راع المرأة — ولها صبىّ يدْرُج — إلاّ بخُبيب قد أجلَس الصبىّ على فَخِذه ، والموسَى فى يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبَيب : أتخشَيْن أنّى أقتُله ! إنّ الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيرًا قطّ خيرًا من خُبيب ؛ لقد رأيته وما بمكّة من ثمرة ؛ وإن فى يده لقِطْفًا من عنب يأكله ؛ إن كانَ إلاّ رِزْقًا رزقه اللهُ خبَيبا .

١٤٣٢/١

وبعث حىّ من قريش إلى عاصم ليُؤْتَوْا من لحمه بشىء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار[2] بأحُد ؛ فبعث الله عليه دَبْرًا ، فحمَتْ لَحمه ، فلم

(١) يستحد : يحلق شعر عانته ، وفى اللسان — حدد : « وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عانته عند قتله » .

(٢) آثار : جمع ثأر على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئًا ، فلمَّا خرجوا بخُبَيب من الحرم ليقتلُوه ، قال : ذَرُونى أصَلِّ ركعتيْن ، فتركوه فصلَّى سجدتين ، فجرت سُنَّة لمن قُتل صبرًا أن يصلِّىَ ركعتين . ثم قال خُبَيب : لولا أن يقولوا جَزِعَ لزدت ، وما أبالى : ١٤٣٦/١

* عَلَى أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعى[1] *

ثم قال :

وذلِكَ فى ذاتِ الإله وإن يَشَأْ يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

اللهم أحْصِهِم[3] عددًا ، وخذهم بَدَدًا[4] .

ثم خرج به أبو سِرْوَعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛ فضربه فقتله[5] .

* * *

حدَّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدَّثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرَنى جعفر بن عمرو بن أميَّة ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعثه وحدَه عَيْنًا إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيبٍ وأنا أتخوَّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللْت خُبَيبًا ، فوقع إلى

---

(١) صدره :

* فوالله ما أرجو إذا مِتُّ مسلماً *

من أبيات ذكرها ابن هشام فى السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) فى ذات الإله ، أى فى طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو العضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً .

(٤) خذهم بدداً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين فى القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله فى الأغانى ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

١/ ١٤٣٧ الأرض ، فانتبذتُ[١] غير بعيد ، ثم التفتُّ فلم أر لخُبيب رِمّة[٢] ؛ فكأنما الأرض ابتلعته ؛ فلم تذكر لخبيب رِمَّة حتى الساعة[٣] .

* * *

قال أبو جعفر : وأما زيد بن الدَّثِنّة ؛ فإنّ صفوان بن أميَّة بعث به — فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتُلَه ، واجتمع إليه رَهطٌ من قريش ؛ فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل : أنشدُك الله يا زيد ، أتحبّ أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه ، وأنَّك فى أهلك ! قال : والله ما أحبّ أنّ محمّدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكةٌ تُؤْذيه وأنا جالس فى أهلى . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ فى النَّاس أحدًا يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمَّد محمَّدًا . ثم قتله نِسطاس[٤] .

* * *

ذكر الخبر عن عمرو بن أميَّة الضَّمرىّ
إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلّم لقتل أبى سفيان بن حرب

ولمَّا قُتِل من وجَّهَه النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى عضَل والقارَة من أهل الرَّجيع ، وبلغ خبرُهم رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث عمرو بن أميّة الضَّمْرىّ إلى مكَّة مع رجل من الأنصار ، وأمرهما بقتل أبى سفيان بن حرب ؛ فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أميّة الضَّمْرىّ ، عن أبيه ، عن جدّه — يعنى عمرو بن أميّة — قال : قال عمرو بن ١/ ١٤٣٨

(١) انتبذت : تنحيت .
(٢) ط : « أرمة » ، وما أثبته من الأغانى .
(٣) الأغانى ٤ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
(٤) الأغانى ٤ : ٢٣٠ .

أميَّة : بعثني رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد قتل خُبيب وأصحابه، وبعث معي رجلاً من الأنصار، فقال: ائتيا أبا سفيان بن حرْب فاقتلاه، قال: فخرجتُ أنا وصاحبي ومعي بعير لى، وليس مع صاحبي بعير، وبرجله علَّة. فكنت أحمله على بعيرى؛ حتى جئنا بطن يأجَج؛ فعقلْنا بعيرنا فى فِناء شِعْب، فأسندنا فيه، فقلت لصاحبى: انطلق بنا إلى دار أبى سفيان؛ فإنى محاول قتلَه. فانظر؛ فإن كانت مجاولة أو خشيت شيئًا فالحقْ ببعيرك فاركبه، والحقْ بالمدينة فأتِ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر، وخلِّ عنِّى؛ فإنى رجل عالم بالبلد، جرىء عليه، نجيب الساق. فلمَّا دخلنا مكَّة ومعى مثل خافية النَّسر –يعنى خنجره[1]– قد أعددته؛ إن عانقنى[2] إنسان قتلته به، فقال لى صاحبى: هل لك أن نبدَأ فنطوفَ بالبيت أسبوعا، ونصلّى ركعتين؟ فقلت: أنا أعلم بأهلِ مكَّة منك؛ إنهم إذا أظلموا رشُّوا أفنيتَهم، ثم جلسوا بها، وأنا أعرَف بها من الفَرَس الأبلق.

قال: فلم يزلْ بى حتَّى أتينا البيت، فطفنا به أسبوعا، وصلَّينا ركعتين، ثم خرجنا فمررنا بمجلس من مجالسهم، فعرفنى رجل منهم، فصرخ بأعلَى صوته: هذا عمرو بن أميَّة! قال: فتبادرتْنَا أهلُ مكَّة وقالوا: تالله ما جاء بعمرو خير! والَّذى يُحلَف به ما جاءها قطّ إلاّ لشرّ – وكان عمرو رجلا فاتكا متشيطنًا فى الجاهلية – قال: فقاموا فى طلبى وطلب صاحبى، فقلت له: النَّجاء! هذا والله الَّذى كنت أحذر؛ أمَّا الرجل فليس إليه سبيل، فانجُ بنفسك، فخرجنا نشتدّ حتى أصعدنا فى الجبل، فدخلنا فى غار، فبتْنا فيه ليلَتنا، وأعجزناهم، فرجعوا وقد استترتُ دونهم بأحجار حين دخلت الغار، وقلت لصاحبى: أمهِلْنى حتى يسْكُن الطلب عنَّا؛ فإنهم والله ليطلبُنَّا ليلتهم هذه ويومهم هذا[3] حتى يمسُوا. قال: فوالله إنى لفيه إذْ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمىّ، يتخيَّلُ[4] بفرس له، فلم يزل يدنُو ويتخيَّلُ بفرسه حتى قام علينا بباب الغار. قال: فقلت لصاحبى: هذا والله ابنُ مالك؛ ١٤٣٩/١

(١) و: «خنجراً». (٢) ابن الأثير: «عاقنى». (٣) و: «غداً».
(٤) يتخيل، أى يعجب بنفسه، وفى ط: «يختلى». وفى ابن الاثير: «يختل».

والله لئن رآنا ليُعلمَنّ بنا أهل مكّة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخِنْجر تحت الثَّدى ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكانى ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبى : مكانك ! قال : واتّبع أهلُ مكة الصوتَ يشتدّون ، فوجدوه وبه رَمَق ، فقالوا : ويلكَ مَنْ ضربك ! قال : عمرو بن أميّة : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنّه لم يأت لخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه؛ ومكثنا فى الغار يومين حتى سكن عنّا الطلب . ثم خرجنا إلى التّنعيم ؛ فإذا خشبةُ خُبيب ، فقال لى صاحبى: هل لك فى خُبَيب تُنزله عن خشبته؟

١/١٤٤٠ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلْنى وتنحّ عنّى . قال : وحوله حرس يحرُسونه . قال عمرو بن أميّة : فقلت للأنصارىّ : إن خشيت شيئًا فخذ الطريق إلى جَمَلك فاركبْه والحقْ برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبِرْه الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتللتُه واحتملتُه على ظهرى ؛ فوالله ما مشيتُ إلاّ نحو أربعين ذراعًا حتى نذِروا بى ، فطرحته؛ فما أنسى وجْبَتَه حين سقط ؛ فاشتدُّوا فى أثرى ، فأخذت طريق الصفراء فأعْيَوْا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبى إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتَى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبره أمرَنا ، وأقبلت أمشى ، حتى إذا أشرفْتُ على الغليل ، غليل[1] ضَجْنان ، دخلت غارًا فيه ، ومعى قوسى وأسهمى ، فبينا أنا فيه إذْ دخل علىّ رجل من بنى الدِّيل بن بكر ، أعورُ طويل يسوق غنمًا له ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر ، قال : وأنا من بنى بكر ، ثم أحد بنى الدّيل . ثم اضطجع معى فيه ، فرفع عقيرته يتغنّى ويقول :

ولسْتُ بمسْلِمٍ ما دمتُ حَيًّا ولستُ أدِينُ دِينَ المُسْلمِينَا

فقلت : سوفَ تعلم! فلم يلبث الأعرابىّ أنْ نام وغطّ ، فقمت إليه فقتلته أسوأ قِتْلة قَتَلها أحدٌ أحدًا ؛ قمت إليه فجعلت سِيَةَ قوسى فى عينه الصحيحَة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .

١/١٤٤١ قال: ثم أخرُج مثل السَّبُع ؛ وأخذت المحجّة كأنى نسر ، وكان النَّجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على رَكوبة ، ثم على النّقيع ؛ فإذا رجلان

(١) الغليل ، واحد الغلان : وهى منابت الطلح ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثَتْهما قريش يتحسَّسان من أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفتهما فقلت : استأسِرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرمى أحَدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسِر ، فاستأسَرَ ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أميَّة ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيَخة من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أميَّة ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدّوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخبرونه ، وقد شددت إبهام أسيرى بوتَر قوسِي ، فنظر النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليه فضحك حتى بدَت نواجذه ، ثم سألنى فأخبرته الخبر ، فقال لى خيراً ودعا لى بخير .

* * *

وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمّ المساكين من بنى هلال فى شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدَقها اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة – أعنى سنة أربع من الهجرة – كان من أمر السريَّة التى وجَّهها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقُتلت ببئر مَعُونة . وكان سبب توجيه النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إيَّاهم لِمَا وجَّههم له ، ما حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق، قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم بالمدينة بقيّة شوّال وذا القَعْدة وذا الحِجَّة والمحرَّم ، وولىَ تلك الحجَّة المشركون . ١٤٤٢/١

ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفَر على رأس أربعة أشهر من أحُد ، وكان من حديثهم ما حدّثنى أبى : إسحاق بن يَسار ، عن المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعِبُ

(١) النش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنَّة — وكان سيِّد بنى عامر بن صَعْصعة — على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، وأهدى له هديّة ، فأبى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يقبَلها ، وقال : يا أبا بَراء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسْلِمْ إن أردتَ أن أقبل هديّتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثّواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلِم ولم يبعُد ، وقال : يا محمَّد ، إنَّ أمرك هذا الذى تدعو إليه حَسَنٌ جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنى أخشى عليهم أهل نجْد ! فقال أبو بَراء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاس إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعْنِقَ[1] ليموت فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصِّمَّة ، وحرام بن مِلْحان أخو بنى عدىّ بن النّجار ، وعُروة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمىّ ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ، وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر ؛ فى رجال مُسَمَّيْنَ من خيار المسلمين[2] . ١/١٤٤٣

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المنذرَ بن عمرو فى سبعين راكبًا ، فساروا حتى نزلوا بئر مَعونة — وهى أرض بين أرض بنى عامر وَحرّة بنى سُليم ، كِلاَ البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب — فلمّا نزلوها بعثوا حرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطُّفَيْل ، فلمَّا أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوْا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا بَراء ؛ قد عقد لهم عقدًا وجوارًا ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُليم : عُصَيَّة ، ورِعْلا ، وذَكْوان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم ، فأحاطوا

(١) المعنق : المسرع ؛ وإنما سمى بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم فى رحالهم، فلمَّا رأوْهم أخذوا السيوف، ثم قاتلوهم حتّى قُتلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النَّجار، فإنهم تركوه وبه رمقٌ، فارتُثَّ[١] من بين القتلى، فعاش حتّى قُتِل يوم الخندق.

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أمية الضمرىّ، ورجل[٢] من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف، فلم يُنْبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطَّير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنًا، فأقبلا لينظرا إليه، فإذا القوم فى دمائهم، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة. فقال الأنصارىّ لعمرو بن أميَّة: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله صلَّى الله ١٤٤٤/١ عليه وسلَّم فنخبره الخبر، فقال الأنصارىّ: لكنِّى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرنى عنه الرجال. ثمّ قاتل القوم حتّى قُتِل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيرًا، فلما أخبرهم أنَّه من مُضَر، أطلقه عامر بن الطُّفَيل، وجَزَّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنَّها كانت على أمّه. فخرج عمرو بن أميَّة حتّى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بنى عامر حتّى نزلا معه فى ظلّ هو فيه؛ وكان مع العامريَّيْن عقدٌ من رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجوارٌ لم يعلم به عمرو بن أميَّة، وقد سألهما حين نزلا: ممَّن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر، فأمهلهما حتّى إذا ناما عَدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنَّه قد أصاب بهما ثؤرَة[٣] من بنى عامر، بما أصابوا من أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم. فلمَّا قدم عمرو بن أميَّة علَى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم أخبره الخبر، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لقد قتلتَ قتيلين لأدِينَّهما. ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: هذا عمل أبى بَراء؛ قد كنت لهذا كارهًا متخوِّفًا. فبلغ ذلك أبا بَراء فشقّ عليه إخْفَارُ عامر إيَّاه، وما أصاب رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بسببه وجواره، وكان فيمنْ أصيب عامر بن فُهَيْرة[٤].

* * *

---

(١) ارتث، أى وقع وبه جراح.

(٢) قال ابن هشام: «هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح».

(٣) الثؤرة: الثأر. (٤) سيرة ابن هشام ٢: ١٧٤، ١٧٥

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن محمَّد بن إسحاق ، عن هشام بن عُروةَ ، عن أبيه ، أنّ عامرَ بن الطُّفَيل ، كان يقول : إنّ الرجل منهم لما قتل رأيته رُفع بين السماءِ والأرض حتى رأيت السماءَ من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة[١] .

١٤٤٥/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن أحد بنى جعفر ، رجل من بنى جبّار بن سُلْمَى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبَّار فيمن حَضَرها[٢] يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممَّا دعانى إلى الإسلام أنّى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سِنان الرّمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت فى نفسى : ما فاز ! أليس قد قتلتُ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعَمْرُ الله ! فقال حسّان بن ثابت يُحرّضُ بنى أبى البَراءِ على عامر بن الطُّفَيل :

بَنِى أمّ البَنِينَ ألَمْ يَرُعكُمْ ... وأنتُمْ من ذَوَائبِ أهْلِ نجْدِ[٣]
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبى بَرَاء ... لِيُخفِرَهُ ، وما خَطَأٌ كعَمْدِ
ألا أبْلِغْ رَبيعَةَ ذا المَسَاعِى ... فما أحْدَثْتَ فى الحدَثان بَعْدِى[٤]
أبوك أبو الحُرُوبِ أبو بَرَاء ... وخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بن سَعْدِ

وقال كعب بن مالك فى ذلك أيضًا :

لقد طارَتْ شَعَاعًا كلّ وَجْهٍ ... خِفَارَةُ ما أجارَ أبُو بَرَاء

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥
(٢) أى فيمن حضر يوم بئر معونة .
(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .
(٤) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

فمثلُ مُسَهَّبٍ وبني أَبيهِ بجَنْبِ الرَّدْهِ مِنْ كَنَفَىْ سَوَاءِ[1] ١/١٤٤٦
بَنِى أُمِّ البَنِين أَمَا سَمِعْتُمْ دُعاءَ الْمُسْتَغِيثِ مَعَ المَسَاءِ!
وتَنْوِيهَ الصَّرِيخِ بَلَى ولٰكِنْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدْقُ اللِّقَاءِ
فما صَفِرَتْ عِيَابُ بَنِى كِلَابٍ ولا القُرَطاءِ من ذَمِّ الْوَفاءِ
أعامِرَ عَامِرَ السَّوْءاتِ قِدْماً فلا بالعَقْلِ فُزْت ولا السَّنَاءِ
أَأَخفَرْتَ النَّبِىَّ وكُنْتَ قِدْماً إلى السَّوْءات تَجْرِى بالعَرَاءِ!
فلَسْتَ كجارِ جَارِ أبى دُوَادٍ ولا الأَسَدِىّ جارِ أَبِى العَلَاءِ
ولٰكِنْ عارُكُمْ داءٌ قديمٌ وداءُ الغَدْرِ فاْعْلَمْ شَرُّ داءِ

فلّما بلغ ربيعةَ بن عامر أبى البَراء قولُ حسّان وقولُ كعب ، حملَ على عامر بن الطُّفَيل فطعنه ، فشطب الرُّمْحُ عن مقتله ، فخرّ عن فرسه . فقال : هذا عمل أبى بَراء ! إنْ متّ فدمى لعَمِّى ولا يُتْبَعَنّ به ؛ وإن أعش فسأرَى رأيِى فيما أُتِىَ إلىّ[2]

حدّثنى محمد بن مرزوق ، قال : حدّثنا عمرو بن يونس . عن عكرمة ، قال : حدّثنا إسحاق بن أبى طلحة ، قال : حدّثنى أنس بن مالك فى أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذين أرسلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدرى ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك الماء عامرُ بن الطُّفَيل الجعفرىّ ، فخرج أولئك النَّفر من أصحابِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الذين بُعثوا ؛ حتى أتوْا غارًا مشرفا على الماءِ قعدوا فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيُّكم يبلّغ رسالة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أهل هذا الماء ؟ فقال — أراه ابن ملْحان الأنصارى — : أنا أبلّغ رسالَة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج حتى أتى حِوَاءً منهم ، فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهلَ بئر معونة ، إنّى رسولُ رسولِ الله إليكم ، ١/١٤٤٧

(١) و : « بجنب المرو » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥

إنّى أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمِنوا بالله ورسوله . فخرج إليه من كِسْرِ البيت برمح فضرب به فى جَنْبه حتى خرج من الشّقّ الآخر ، فقال : الله أكبر ، فُزْتُ وربِّ الكعبة ! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فى الغار ، فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطُّفيل .

قال إسحاق : حدّثنى أنس بن مالك أنّ الله عزّ وجلّ أنزل فيهم قُرْآنا : « بلّغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربَّنا ، فرضِيَ عنّا ، ورضينا عنه» ، ثم نُسِخت ، فرفعت بعد ما قرأناه زمانًا ، وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ ﴾ (١)

حدّثنى العبّاس بن الوليد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنا الأوزاعىّ ، قال : حدّثنى إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارىّ عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عامر بن الطُّفَيل الكلابىّ سبعين رجلا من الأنصار . قال : فقال أميرُهم : مكانَكم حتى آتيَكم بخبر القوم! فلمّا جاءهم قال : أتؤمّنوننى حتى أخبرَكم برسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ قالوا : نعم ؛ فبينا هو عندهم ؛ إذ وخَزه رجلٌ منهم بالسِّنان . قال : فقال الرّجل : فُزْتُ وربِّ الكعبة ! فقتل ، فقال : عامر : لا أحسبه إلاّ أنّ له أصحابًا ، فاقتصّوا أثرَه حتى أتوْهم فقتلوهم ، فلم يفلِت منهم إلا رَجُلٌ واحدٌ . ١٤٤٨/١

قال أنس : فكنا نقرأ فيما نُسِخ : «بلّغوا عنّا إخوانَنا أنْ قدْ لقينا ربَّنا ، فرضىَ عنا ورضينا عنه » .

* * *

وفى هذه السنة — أعنى السنة الرابعة من الهجرة — أجلَى النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى النّضير من ديارهم .

* * *

ذكر خبر جلاء بنى النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قَتْل عمْرو بن

---

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠ ، والخبر فى التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أميّة الضَّمْرىّ الرّجُلين الذين قَتَلَهما فى منصرَفه من الوجه الذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وجّهه إليه مع أصحاب بئر معونة، وكان لهما من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جوارٌ وعهدٌ. وقيل إنّ عامرَ بن الطُّفَيل كتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم: إنك قتلت رجليْن لهما منك جوارٌ وعهدٌ؛ فابعث بِدِيَتِهما. فانطلق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى قُباء، ثم مال إلى بنى النَّضير مستعينًا بهم فى دِيَتِهما، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ وأسيْد بن حُضَير.

فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، قال: خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بنى النَّضير، يستعينهم فى دِيَةِ ذَيْنِكَ القتيلين[1] من بنى عامر اللّذَيْن قتل عمرو بن أمية الضَّمْرىّ، للجوار الذى كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عقده لهما؛ - كما حدثنى يزيد بنُ رُومان - وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر حِلْف وعقد؛ فلمّا أتاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يستعينهم فى دِيَة ذَيْنك القتيلين؛ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينُك على ما أحببت ممَّا استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضُهم ببعض، فقالوا: إنّكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه - ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جَنْب جدار[2] من بيوتهم، قاعد - فقالوا: مَن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش بن كعب أحدهم؛ فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقى عليه الصخرة - كما قال - ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه؛ فيهم أبو بكر وعمر وعلىّ؛ فأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبَرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيَكم، وخرج راجعًا إلى المدينة، فلمّا استلبْث رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أصحابُه، قاموا فى طلبه، فلقُوا رجلاً مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلا المدينة، فأقبل أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انتهوْا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يَهُود قد أرادت

١٤٤٩/١

(١) و: «الرجلين». (٢) م: «خراب».

من الغدْر به ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالتهيّؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالنّاس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصّنوا منه فى الحصون ، فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقطع النخلْ والتّحريق فيها ، فنادوْه : يا محمّد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها[1] !

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدىّ ، فإنه ذكر أن بنى النّضير لما تآمروا بما تآمروا به من إدلاء الصّخْرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سَلاّم بن مِشْكَم وخوّفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوْه ، فصعِد عمرو بن جِحاش لِيُدَحْرِجَ الصخرة ، وجاء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الخبر من السماء ، فقام كأنّه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورَيا[2] : جاءه الخبر بما هممتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهوْا إليه وهو جالس فى المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيْت ، فقال : همّت يهود بقتلى ، وأخبرَنيه الله عزّ وجلّ ، ادعُوا لِى محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة[3] ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى وقد هممتم بما هممتم به من الغدر .

١/١٤٥٠

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمّد ، ما كنا نظنّ أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيّرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ؛

---

(١) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأتى بمحمد » .

فقالوا : نتحمَّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معى من العرب وممَّن انضوى إلىّ من قومى ألفيْن ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقُريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بنى قُرَيظة فقال : لا ينقض العهدَ رجل من بنى قُرَيظة وأنا حَىٌّ ، فقال سَلاّم بن مِشْكم لحُيَىّ بن أخطب : يا حُيَىّ اقبل هذا الذى قال محمّد ؛ فإنّما شرُفْنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شَرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبْىُ الذريّة وقتل المقاتلة ، فأبى حُيَىّ ، فأرسل جُدَىّ ١٤٥١/١ ابن أخطب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنا لا نريم[1] دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكبَّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جُدَىّ إلى ابن أبىّ يستمدّه . قال : فوجدْتُه[2] جالسًا فى نفر من أصحابه ، ومنادى النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ينادى بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبىّ ، وأنا عنده ، فأخذ السِّلاح ، ثم خرج يعدُو ، قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حُيَيًّا ، فقال : هذه مكيدة من محمّد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم خمسةَ عشر يومًا ؛ حتّى صالحوه على أن يحقِنَ لهم دماءهم ، وله الأموالُ والحلْقة .

فحدّثنى محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصرهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم – يعنى بنى النَّضير – خمسةَ عشر يومًا حتَّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوْه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقِن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيّرهم إلى أذرِعات الشأم ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيرًا وسِقَاءً .

---

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبد الأعلى ، قال : حدّثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزّهرىّ ، قال : قاتلهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشأم ، على أنّ لهم ما أقلّت الإبلُ من شىء إلا الحلْقة — والحلْقة : السِّلاح .

* * *

١/١٤٥٢ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سَلُول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتوا وتمنَّعوا ؛ فإنّا لن نسلمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربَّصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرُّعْبَ . فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يُجليَهم ، ويكفّ عن دمائهم ؛ على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلاّ الحلْقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرّجل منهم يهدِم بيتَه عن نِجاف[١] بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خَيْبر ، ومنهم مَنْ سار إلى الشأم ؛ فكان أشرافهم ممن سار منهم إلى خيبر سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، وحُيَىّ بن أخطب ، فلما نزلوها دانَ لهم أهلها[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّه حدّث أنّهم استقلوا بالنِّساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير والقِيان يعزِفْن خلفهم ، وأنّ فيهم يومئذ لأمّ عمرو ، صاحبة عُرْوة بن الورد العبسىّ ؛ التى ابتاعوا منه ، وكانت ١/١٤٥٣ إحدى نساء بنى غِفار[٣] بزُهاء[٤] وفَخْر ، ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى

---

(١) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨

(٣) هى سلمى ، وقال الأصمعى : اسمها ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخلَّوا الأموالَ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصَّة يضعها حيث يشاء ، فقسَّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلاّ أنّ سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشَةَ ، ذكرا فقرًا فأعطاهما رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . ولم يسلم من بنى النَّضير إلاّ رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عمّ عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها[1] .

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذ خرج لحرب بنى النّضير — فيما قيل — ابنَ أمّ مكتوم ، وكانت رايتُه يومئذ مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

* * *

وفى هذه السنة ماتَ عبدُ الله بن عثمان بن عفَّان ، فى جمادَى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلَّى عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ونزل فى حفرته عثمان بن عفان .

وفيها ولِد الحسين بن علىّ عليه السلام ، لليالٍ خلوْن من شعبان .

* * *

[غزوة ذَات الرقاع]

واختلِف فى التى كانت بعد غزوة النبىّ صلَّى الله عليه وسلم بنى النَّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق فى ذلك ، ما حدّثنا ابن حُميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضير شهرىْ ربيع ، وبعض شهر جُمادى. ثمّ غزا نجدًا — يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان — حتى

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٨ .

١٤٥٤/١ نزل نخْلاً ، وهى غزوةُ ذات الرّقاع[١] ؛ فلقىَ بها جمعاً[٢] من غَطَفان، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهُمْ حرب ؛ وقد خاف النّاس بعضُهم بعضاً ، حتى صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين صلاةَ الخوف، ثم انصرف بالمسلمين[٣] .

وأما الواقدىّ ؛ فإنه زَعَم أنّ غزوة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ذات الرّقاع ، كانت فى المحرّم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُمّيت ذاتَ الرّقاع ؛ لأن الجبل الذى سُميت به ذات الرّقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسمّيت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى هذه الغَزْوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق، قال : حدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد — يعنى ابن عبدالرحمن — عن عُروة بن الزُّبير ، عن أبى هُريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى نجْد، حتى إذا كنّا بذات الرّقاع من نَخْل ، لقىَ جمعاً من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلاّ أن الناس قد خافُوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فَصَدَعَ أصحابَه صدعين ، فقامت طائفة مواجِهة العدوّ ، وقامت طائفة خلْف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكبّرُوا جميعاً ، ثم ركع بِمَنْ خلْفه ، وسجد بهم ، فلمّا قاموا مشوُا القهقرى إلى مصافّ أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلّى بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ركعة
١٤٥٥/١ وجلسوا ، ورجع الّذين كانوا مواجهين العدوّ[٤] ، فصلّوا الركعة الثانية ،

---

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا بها راياتهم . ويقال: ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .

(٢) ابن هشام : « جمعاً عظيماً » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) س : « مواجهى العدو » .

فجلسوا جميعًا ، فجمعهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالسلام ، فسلَّم عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرّواية فى صفة صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذه الصلاة ببطن نخْل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره[١] فى هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله فى كتابنا المسمّى « بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام » فى كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدّثنا محمد بن بشَّار ، قال : حدّثنا معاذ بن هِشَام ، قال : حدّثنى أبى ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكرىّ ، أنَّه سأل جابرَ بن عبد الله عن إقصار الصّلاة : أىّ يوم أنزل ، أو فى أىّ يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقّى[٢] عيرَ قريش آتية من الشأم ؛ حتى إذا كنّا بنخْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافنى ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعُك منِّى ؟ قال : الله يمنعنى منك ، قال : فسلّ السيفَ ثم تهدّده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخْذ السلاح . ثم نودى بالصّلاة ، فصلَّى نبىّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرُسهم ، فصلَّى بالذين يلُونَه ركعتين ، ثم تأخَّر الَّذين يلُونه على أعقابهم ، فقاموا فى مصافّ أصحابهم ، ثمّ جاء الآخرون فصلَّى بهم ركعتيْن ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلَّم ، فكانت للنبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ فى إقصار الصّلاة ، وأمِر المؤمنون بأخْذ السلاح[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ ، عن جابر بن عبد الله الأنْصارىّ ؛ أنّ رجلاً من بنى محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غَطَفان ومحارب : ألاّ أقتلُ لكم محمدًا ؟ قالوا : نعمْ ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتِكُ به ؛ فأقبلَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو جالسٌ ، وسيفُ ١٤٥٦/١

(١) كذا فى و ، وفى ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلقى » ، وما أثبته من التفسير

(٣) الخبر فى التفسير ٩ : ١٣٢

رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى حجره ، فقال : يا محمّد ، انظرُ إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ويهمّ به ، فيكبته الله عزّ وجلّ . ثم قال : يا محمّد ، أما تخافنى؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى الله منك! قال : ثم غمَد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله عزّ وجلّ :

﴿ يَأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُمْ إذْ هَمَّ قَومٌ أَنْ يَبسُطوا إلَيكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيدِيَهُمْ عَنكم ﴾[١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى صدقة بن يَسار ، عن عَقيل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارىّ ، قال : خرجنا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة ذات الرِّقاع من نخْل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلمّا انصرفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلا أتى زوجُها وكان غائبًا ، فلمّا أخبِر الخبر ، حلَف ألاّ ينتهىَ حتى يُهريق فى أصحاب محمّد دما ، فخرج يتبع أثر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجُلٌ من الأنصار ، فقالا : نحنُ يا رسولَ الله ، قال : فكونا بفم الشِّعب — وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه قد نزلوا الشِّعب ، من بطْن الوادى — فلمّا خرج الرجلان إلى فم الشِّعب ، قال الأنصارىّ للمهاجرىّ ؛ أى الليل تحبّ أن أكفيكه ؟ أوّله أو آخره ؟ قال : بل اكفنى أوّله ؛ فاضطجع المهاجرىّ فنام ، وقام الأنصارىّ يصلّى ، وأتى زوج المرأة ، فلمّا رأى شخص الرجل عرف أنه رَبيئَة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه ، فوضعه وثبت قائمًا يصلّى ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتيت[٢] .

١٤٥٧/١

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال : فوثب المهاجرىّ ، فلمّا رآهما الرجل ، عرف أنهم قد نَذِرُوا به ؛ ولمّا رأى المهاجرىّ ما بالأنصارىّ من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا ؛ أهبَبْتنى أوّل ما رَمَاك ! قال : كنتُ فى سورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها ؛ فلمّا تتابع علىّ الرمىُ ركعتُ فآذنْتُك ، وايم الله لولا أن أضيّع ثغرًا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقَطَع نفْسِى قبل أن أقطعها أو أنفِدَها [١] .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة السويق [*]

وهى غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم بَدْرًا الثانية لميعاد أبى سفيان .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قَدِمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة من غزوَة ذات الرّقاع ، أقام بها بقيّة جُمادى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبَ ، ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله ، فأقام عليه ثمانىَ ليالٍ ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سُفْيان فى أهل مكّة ، حتى نزل مَجَنَّة من ناحية مرّ الظَّهْران — وبعض الناس يقول : قد قطع عُسفان — ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنّه لا يصلِحكم إلاّ عامٌ خِصْب ترعوْن فيه الشجر ، وتشربون فيه اللّبن ؛ وإنّ عامَكم هذا عام جَدْب ؛ وإنّى راجع فارجعوا . فرجع ورجع الناس ، فسمّاهم أهل مكّة جيش السَّويق . يقولون : إنّما خرجتم تشربون السَّويق . ١٤٥٨/١

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخشِىُّ بن عمرو الضَّمْرىّ ، وهو والذى وادعه على بنى ضَمْرة فى غزوة وَدّان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بنى ضَمْرة ؛ وإن شئت مع ذلك رَدَدْنا إليك ما كان بيننا وبينك ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

* هى غير الغزوة التى عرفت بهذا الاسم أيضاً ؛ وقد مر ذكرها فى حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣ .

ثم جالدناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمَّد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ينتظر أبا سفيان ؛ فمرّ به مَعْبَدُ بن أبي معبَد الخُزاعيّ ، وقد رأى مكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وناقته تَهْوِى[1] به فقال :

١٤٥٩/١

قد نَفَرَتْ من رُفقَتَىْ محمَّدِ وعَجوَةٍ من يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ[2]
تَهْوِى على دِينِ أبيها الأتْلَدِ[3] قد جَعَلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدى
* وماءَ ضَجْنان لها ضُحَى الْغَدِ[4] *

* * *

وأما الواقديّ ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَدَبَ أصحابَه لغزوة بدْرٍ لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحُد رأس الحوْل للقتال في ذي القعدة . قال : وكان نُعَيم بن مسعود الأشْجَعيّ قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نُعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : مِنْ يثرب ، قال : وهل رأيتَ لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نُعيم ، إنّ هذا عام جَدْبٌ ، ولا يصلحنا إلاّ عامٌ ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمَّد ، فالحق بالمدينة فثَبِّطْهم وأعلمهم أنَّا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتي الخُلْف منهم أحبّ إليّ من أن يأتيَ من قبَلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في[5] يد سُهيل بن عمرو يضمنُها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن[6] هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبِّطَه ؟ فقال : نعم ، فخرج نُعَيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهَّزون ، فتدسّس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

---

(١) تهوى : تسرع .
(٢) العنجد : حب الزبيب .
(٣) الدين هنا : الدأب والعادة . والأتلد : القديم .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦.
(٥) و : « على » .
(٦) م : « تقمن » .

ألم يُجرح محمد فى نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناس ؛ حتى بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : والَّذى نفسِي بيده ، لو لم يخرج معى أحد لخرجت وحدِى . ١٤٦٠/١

ثم أنهجَ الله عزّ وجلّ للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجارات ، فأصابوا الدّرهم درهمين ؛ ولم يلقوْا عدُوّا ؛ وهى بَدْر الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية ، يجتمعون إليها فى كلّ عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة عبد الله بن رَوَاحة .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمّ سلَمة بنت أبى أميَّة فى شوّال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمَر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود ؛ وقال : إنّى لا آمن أن يبدّلوا كتابى .

ووليَ الحجَّ فى هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

فى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينبَ بنت جحش .

حُدّثت عن محمّد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن عامر الأسلمىّ عن محمّد بن يحيى بن حَبّان ، قال : جاء رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بيتَ زيد بن حارثة ، وكان زيد إنّما يقال له زيد بن محمد ، ربّما فقده رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فُضُلا[1] ؛ فأعرض عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسولَ الله ، فادخل بأبى أنت وأمّى ! فأبى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يدخل ؛ وإنّما عجلت زينب أن تلبس إذْ قيل لها : رسولُ الله[2] صلّى الله عليه وسلّم على الباب ، فوثبت عجلة ، فأعجبت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فولّى وهو يهمهم بشىء لا يكادُ يفهم ؛ إلاّ أنه أعلن : سبحان الله العظيم ! سبحان الله مُصَرّف القلوب ! قال : فجاء زيدٌ إلى منزله ، فأخبرته امرأته أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلتِ له : ادخل ! فقالت : قد عرضتُ عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعتِه[3] يقول شيئًا ؟ قالت : سمعتُه[4] يقول حين ولّى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرّف القلوب ! فخرج زيدٌ حتى أتى[5] رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ؛ بلغنى أنك جئت منزلى[6] ؛ فهلاّ دخلت بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ، لعل زينب أعجبتْك فأفارقها ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمسكْ

١٤٦١/١

(١) يقال : امرأة فضل ، أى تلبس ثوباً واحداً .
(٢) س : « هذا رسول الله » .
(٣) كذا فى م ، وفى ط : « فسمعتيه » .
(٤) و : « قد سمعته » .
(٥) س : « رأى » .
(٦) س : « إلى منزلى » .

عليك زوجَك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فيخبره ، فيقول له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أمسِكْ عليك زوجَك ؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلّت .

فبينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتحدّث مع عائشة ؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غَشْيَة، فسُرِّيَ عنه وهو يتبسّمُ ويقول[1] : مَنْ يذهب إلى زينب يبشّرها ، يقول : إنّ الله زوّجَنيها ؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَك ... ﴾[2] القصّة كلّها . ١٤٦٢/١

قالت عائشة : فأخذنى ما قَرُبَ وما بَعُدَ لما يبلغنا من جمالها ؛ وأخرى هى أعظمُ الأمور وأشرفها ، ما صنع الله لها ؛ زَوّجَها ، فقلت : تَفْخَرُ علينا بهذا .

قالت عائشة : فخرجت سَلْمَى خادم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تخبرها بذلك ، فأعطتْها أوضاحًا عليها[3] .

حدّثنى يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : كان النبىّ صلى الله عليه وسلّم قد زوّج زيد بن حارثة زينبَ بنت جحش ابنة عمّته ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومًا يريده ، وعلى الباب سِتْرٌ من شعر ؛ فرفعت الريح السّتر فانكشف وهى فى حُجْرتها حاسرة ، فوقع إعجابُها فى قلب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا وقع ذلك كُرِّهَتْ إلى الآخر ، قال : فجاء فقال : يا رسولَ الله ، إنى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال : مالك ! أرابَكَ منها شىء ! فقال : لا والله يا رسولَ الله ، ما رابنى منها شىء ، ولا رأيت إلا خيرًا . فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أمسِك عليك زوْجَك واتق الله؛ فذلك قول الله عزّ وجلّ :﴿وَإِذْ تَقُولُ

---

(١) م : « وهو يقول » .

(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ؛ وهو حلى من فضة .

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ ﴾، تخفي في نفسك إنْ فارقَها تزوجتَها[١].

* * *

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقديّ : وفيها غزَا دَوْمة الجنْدل في شهر ربيع الأول ، وكان سببُها أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بلغه أن جمعًا تجمَّعوا بها ودنوْا من أطرافه . فغزاهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ حتى بلغ دَوْمة الجندل ، ولم يلقَ كيدًا ، وخلّف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفاريّ . ١٤٦٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها وادَعَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عُيَيْنَةَ ابن حِصْن أن يرعى بتَغْلَمَيْن وما والاها .

قال محمد بن عمر — فيما حدّثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه — وذلك أن بلاد عُيَيْنَةَ أجدبت ، فوادع رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم أن يرعى بتغلميْن إلى المَرَاض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلَّى الله عليه وسلمّ أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقديّ : وفيها تُوفيتْ أم سعد بن عبادة وسعد غائبٌ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى دومة الجندل .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوةُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخندَق[٢] في شوّال ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق :

---

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ — ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ — ١٩٣ .

وكان الذى جرّ غزوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخندق — فيما قيل — ما كان من إجلاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنى النّضير عن ديارهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، مولى آل الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزبير ومَنْ لا أتّهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزُّهرىّ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كَعْب القُرَظىّ وعن غيرهم من علمائنا ؛ كلٌّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث بعض ؛ أنه كان من حديث الخندق أنّ نفرًا من اليهود منهم سلاّم بن أبى الحُقَيق النّضَرىّ[1] وحُيَىّ بن أخْطَب النّضَرىّ ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق النّضَرىّ ، وهَوْذَة بن قيس الوائلىّ ، وأبو عمّار الوائلىّ ؛ فى نفر من بنى النّضير ونَفر من بنى وائل ؛ هم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكّة ؛ فدَعَوْهم إلى حرْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقالوا : إنّا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريشُ : يا معشر يهود ؛ إنّكم أهلُ الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمّد ، أفدِينُنا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولَى بالحقّ منه . قال : فهم الذين أنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ — إلى قوله — ﴿ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ﴾[2] .

١٤٦٤/١

فلمّا قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ما قالوا ونشِطوا لما دعوْهم إليه من حرْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأجمعوا لذلك واتّعدوا له .

---

(١) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ؛ فقيل فيهم : النضرى ؛ وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه النضيرىّ ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقفى وقرشى ؛ وهو خارج عن القياس » .

(٢) سورة النساء ٥١ — ٥٥ .

ثم خرج أولئك النَّفر من يَهود حتى جاءوا غَطَفان من قيْس عَيْلان فدعوْهم إلى حَرْب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأنّ قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم . ١/١٤٦٥

فخرجت قريش وقائدُها أبو سفيان بن حرْب ، وخرجت غَطَفان وقائدها عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر فى بنى فَزارة ، والحارث بن عوْف بن أبى حارثة المرّى فى بنى مرّة ، ومسعود[1] بن رُخَيْلَة بن نُوَيْرة ابن طَريف بن سُحْمةَ بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

* * *

فلمّا سمع بهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدِّثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذى أشار علَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بالخندق سَلْمان ، وكان أوّل مشهد شهِده سلْمان مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال : يا رسولَ الله ؛ إنا كنّا بفارس إذا[2] حوصرنا خَنْدَقْنا علينا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعَمِل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ترغيبًا للمسلمين فى الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عَن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعن المسلمين فى عملهم رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون بالضَّعْف[3] من العمل ، ويتسلّلون إلى أهاليهم بغير علْم من رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ولا إذن . وجعل الرّجُل من المسلمين إذا نابتْه نائبة من الحاجة التى لا بدّ منها يذكر ذلك لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ويستأذنه فى اللحوق بحاجته[4] ؛ فيأذن له ؛ ١/١٤٦٦

(١) كذا فى ط ؛ وهو يوافق ما فى الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفى السيرة : « مسعر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورون : يستترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]. فنزلت هذه الآية فى كلّ من كان من أهل الحِسْبَة من المؤمنين والرغبة فى الخير ؛ والطاعة لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانون يتسلّلون من العمل ، ويذهبون بغير إذْن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[2] ، أى قد علم ماأنتم عليه من صدق أوكَذِب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برَجُل من المسلمين يقال له جُعَيْل ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عَمْرًا » ، فقالوا :

سَمَّاهُ مِنْ بعدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكانَ لِلْبَائِسِ يَوماً ظَهْرَا[3]

فإذا مرّوا بعمرو ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « عمرا » ، وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ظهرًا »[4] . ١٤٦٧/١

فحدّثنا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا محمد بن خالد بن عَثْمَة ، قال : حدّثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنىّ ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، قال : خطّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الخَنْدق عامَ الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير فى « سماه » للنبى صلى الله عليه وسلم . وقال : أبوذرالخشنى : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتنى ؛ أى إذا كان اليوم غدا » .

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجُم الشَّيْخَيْن [١] طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاد [٢] ثم قطّعه أربعين ذراعًا بين كلّ عشرة ، فاحتقّ [٣] المهاجرون والأنصار فى سلْمان الفارسىّ — وكان رجلاً قويًّا — فقالت الأنصار : سلْمان منّا ، وقالت المهاجرون : سلْمان منّا ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : سلْمان منّا أهلَ البيت . قال عمرو بن عوف : فكنتُ أنا وسلْمان ، وحُذَيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرّن المزنىّ ، وستة من الأنصار فى أربعين ذراعًا ، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا النَّدى [٤] ، فأخرج الله عزّ وجلّ من بطن الخندق صخرةً بيضاء [٥] مَرْوَةً فكسرت حديدَنا ، وشقّت علينا . فقلنا : يا سلْمان ، ارقَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرْه خبرَ هذه الصخرة ، ١٤٩٨/١ فإمّا أن نعدل عنها فإنّ المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها [٦] بأمره ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطّه .

فرَقِىَ سلمان حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ضاربٌ عليه قُبَّة تُرْكيَّة ؛ فقال : يا رسولَ الله ، بأبينا أنت وأمّنا ! خرجتْ صخرة بيضاء من الخندق [٧] مَرْوة ، فكسرتْ حديدَنا ، وشقّت علينا حتى ما نُحيك [٨] فيها قليلا ولا كثيرًا ؛ فمُرْنا فيها بأمرك ؛ فإنا لا نحبّ أن نجاوزَ خطّك .

---

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة آطامها وحصونها . والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم — شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبى صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق فى يدى ؛ وفى حديث ابن عباس فى قراء القرآن : متى ما تغلوا فى القرآن تحتقوا ، يعنى المراد فى القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تختصموا فيقول كل واحد منهم : الحق فى يدى » . وفى س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الثرى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصرى » .

(٥) المرو : حجارة بيض براقة تكون فيها النار ، وتقدح منها ، واحدتها مروة .

(٦) كذا فى التفسير ، وفى ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يجىء منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع سلْمان فى الخندق ، ورقِينا نحن التِّسعةَ على شقَّة[1] الخندق ، فأخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المعْول من سلْمان ، فضرب الصّخرة ضَرْبةً صدَعها ، وبرقت منها برْقة أضاء ما بين لابتَيْها[2] — يعنى لابتَى المدينة — حتَّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم . فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الثانية ، فصدَعها وبرق منها برقة أضاء منها ما بين لابتيْها ، حتَّى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ؛ فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبيرَ فتح وكبَّر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الثالثة فكسرها ، وبرقَ منها برقة أضاء ما بين لابتيْها ؛ حتى لكأنّ مصباحًا فى جوف بيت مظلم ، فكبَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكبيرَ فتح وكبَّر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقِىَ ، فقال سلْمان : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله ! لقد رأيت شيئًا ما رأيته قطّ ! فالتفت رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتُم ما يقول سلْمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمِّنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموْج ، فرأيناك تكبِّر فنكبّر ، ولا نرى شيئًا غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتى الأولى ، فبرق الذى رأيتم ، أضاءت لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريلُ أنّ أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثانية ، فبرق الّذى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور الحُمْر من أرض الرُّوم ، كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمّتى ظاهرة عليها ، ثم ضربتُ ضربتى الثالثة ، فبرق منها الّذى رأيتُم ؛ أضاءت لى منها قصور صنْعاء كأنَّها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أنّ أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النَّصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمدُ لله موعد صادق بارّ ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[3]

١٤٦٩/١

(١) س والتفسير : « شفة الخندق » . (٢) اللابة : الحرة ، والمدينة تقع بين لابتين .
(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويُمَنّيكم ويَعِدُكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصورَ الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تُفْتَح لكم؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا! وأنزل القرآن: ﴿ وإذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلَّا غُروراً ﴾[1]. /١٤٧٠

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عمّن لايتّهم، عن أبى هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار فى زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدالكم! فوالّذى نفس أبى هريرة بيده؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطِىَ محمَّد مفاتيحَها قبل ذلك.

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهلُ الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولمَّا فرغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرُف والغابة[2]، فى عشرة آلاف من أحابيشهم، ومَنْ تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطَفان ومَنْ تابعهمْ من أهل نجْدٍ؛ حتى نزلوا بذَنب نَقَمَى إلى جانب أحُد.

وخرج رسولُ الله صلَّى الله تعالى وسلَّم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع، فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره[3]، وأمر بالذرارىّ والنساء. فرفعوا[4] فى الآطام[5]. وخرج عدُوُّ الله حُيَىُّ بن أخطب؛ ١/١٤٧١

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر فى التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا فى ط، وفى ابن هشام: «زغابة». قال السهيلى: «زغابة: اسم موضع، بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فدفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسدَ القُرظىَّ صاحب عَقْد بنى قُرَيظة وعهدهم ؛ وكان قد وادَع رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ؛ فلمَّا سمع كعب بحُيىّ بن أخطب ، أغْلَقَ دونه حِصْنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَىٌّ : يا كعب ، افتح لى ، قال : ويحك يا حيَىّ ! إنك امرؤٌ مشئوم ، إنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقا . قال : ويْحك ! افتح لى أكلّمك ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقتَ دونى إلاّ على جَشيشتك[1] أن آكل معك منها ؛ فأحفَظ[2] الرجل ، ففتح له ، فقال : ويْحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وببَحْرٍ طامٍ ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها ؛ حتى أنزلتُهم بمجتَمع الأسيال من رومة ، وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحُد ؛ قد عاهدونى وعاقدونى ألاّ يبرحوا حتى يستأصِلوا محمداً ومَنْ معه . فقال له كعب بن أسَد : جئتنى والله بذلّ الدهر ! بجَهَام قد هراق ماءَه يرعِد ويُبرِق ، ليس فيه شى ! ويْحك فدعنى ومحمداً وما أنا عليه؛ فلم أرَ من محمدٍ إلا صدقًا ووفاءً ! فلم يزلْ حُيَىّ بكعب يَفْتِله فى الذّرْوة والغارب ؛ حتى سَمَح له ، علَى أن أعطاه عهداً من الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغَطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حِصْنك حتى يصيبَنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهدَه ، وبرئ ممَّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٤٧٢/١

فلما انتهى إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سعد بن مُعاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى عبد الأشهل — وهو يومئذ سيِّد الأوْس — وسعد بن عبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج — وهو يومئذ سيِّد الخزْرج — ومعهما عبدُ الله بن رَواحة أخو بلْحارث بن الخزرج ، وخوَّات بن جُبَير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انْطلِقُوا حتى تنظروا : أحقّ ما بلغنا عن

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظاً .
(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لَحْنًا نعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوْهم فوجدوهم على أخبث ما بلَغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقْد بيننا وبين محمَّد ولا عهد . فشاتَمهم سعد بن عبادة وشاتَمُوه ، وكان رجلا فيه حَدّ[١] ، فقال له سعد ابن مُعاذ : دَعْ عنك مشاتَمتهم ؛ فما بيننا وبينهم أرْبَى[٢] من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومَنْ معهما إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَل والقَارة [أى] [٣] كغدر عَضَل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أصحاب الرَّجيع ؛ خُبَيْب بن عَدِىّ وأصحابه . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الله أكبر ! أبشروا يا معشرَ المسلمين ، وعَظُمَ عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتَّى ظنّ المؤمنونَ كلّ ظنّ ، ونَجَمَ النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ ابن قُشَيْر ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمدٌ يعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ؛ وأحدنا لا يقدِرُ أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قيظىّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسولَ الله ، إن بيوتَنا لعوْرَة من العدوّ — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأذَنْ لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنَّها خارجة من المدينة .

فأقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام المشركون عليه بضعًا وعشرين ليلة ، قريبًا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حَرْب إلاّ الرّمىّ[٤] بالنَّبْل والحصار .

فلما اشتدّ البلاء على النَّاس بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمّد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وهما بمعنى الغضب .
(٢) أربى : أعظم .
(٣) من سيرة ابن هشام .
(٤) ابن هشام : « الرميا » بكسر الميم والراء المشددتين وتخفيف الباء ؛ وهى المراماة .

١٤٧٣/١

١٤٧٤/١ عُيَيْنة بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبى حارثة المرّىّ – وهما قائدا غَطَفان – فأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة ؛ على أن يرجِعَا بمَنْ معهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلاّ المراوضة فى ذلك ، ففَعَلا ، فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله؛ أمرٌ تحبُّه فنصنعه ، أم شىءٌ أمرك الله عزّ وجلّ به؛ لا بُدَّ لنا من عمل به ، أم شىءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصْنَعُ ذلك إلاّ أنى رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قوس واحدة ، وكالَبُوكم[1] من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتَهم لأمرٍ ما ساعة . فقالَ له سعْد بن معاذ : يا رسولَ الله ؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء القوْم على شرْك بالله عزّ وجلّ وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطْمعون أن يأكلوا منا تمرة إلاّ قِرًى[2] أو بيعًا، أفحين أكرمَنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نُعْطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكُم الله بيننا وبينهم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدٌ الصحيفة ؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

١٤٧٥/١ فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون وعدوّهم محاصروهم ؛ لم يكن بينهم قتال إلاّ أنّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدُودّ بن أبى قيس ، أخو بنى عامر بن لُؤىّ ، وعِكْرمة بن أبى جهل وهُبَيْرة بن أبى وهب المخزوميّان، ونوْفَل بن عبد الله، وضِرار بن الخطّاب[3] بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فِهْر ؛ قد تلبّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومرّوا على بنى كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بنى كنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالبوكم : اشتدوا عليكم .

(٢) القرى : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الفرسان ! ثم[١]أقبلوا نحو الخندق ؛ حتّى وقفوا عليه[١] ، فلمّا رأوه قالوا : والله إنّ هذه لمكيدةٌ ماكانت العرب تكيدها ؛ ثم تيمّموا مكانًا من الخندق ضيقًا ، فضربوا خيولَهم ، فاقتحمت منه ؛ فجالت بهم فى السّبَخة بين الخنْدق وَسلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب فى نَفر من المسلمين ؛ حتى أخذ عليهم الثُّغْرَةَ التى أقْحَمُوا منها خيلَهم ، وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ[٣] نحوهم . وقد كان عمرو بن عبدوُدٌ قاتل يوم بدر ؛ حتى أثبتتْه الجراحة ، فلم يشهد أحدًا ، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِمًا[٢] ليُرَى مكانُه؛ فلمّا وقف هو وخيله ، قال له علىّ : ياعمرو ؛ إنك كنتَ تعاهد الله ألاّ يَدْعُوَك رجلٌ من قريش إلى خلّتَيْن إلا أخذتَ منه إحداهما ! قال : أجَلْ ! قال له علىٌّ بن أبى طالب : فإنى أدعوك إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال: فإنى أدعوك إلى النِّزال ، قال : ولِمَ يا بن أخى.؛ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ! قال : علىّ : ولكنى والله أحبُّ أن أقتلك . قال : فحمِيَ عَمْرو عند ذلك ، فاقتحم عن فَرَسه فعَقَرَه — أو ضَرَبَ وجْهَه — ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ عليه السلام وخرجت خيلُه منهزمة ؛ حتى اقتحمت من الخَنْدق هاربة ، وقتِل مع عمرو رجلان: مُنَبّه بن عثمان بن عُبيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكّة ؛ ومن بنى مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ وكان اقتحم الخندق فتورّط فيه ، فرموْه بالحجارة ، فقال : يا معشرَ العرب ، قَتْلَة أحسن من هذه ! فنزل إليه علىّ فقتله ، فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسدَه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا حاجة لنا بجَسده ولا ثمنه ؛ فشأنكم به . فخلّى بينهم وبينه .

١/١٤٧٦

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق

(١ – ١) سيرة ابن هشام : « ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ؛ حتى وقفوا على الخندق » .
(٢) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .
(٣) تعنق : تسرع .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاريّ ، ثم أحد بني حارثة ، أنّ عائشة أمّ المؤمنين كانت في حِصْن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أمّ سَعْد بن مُعاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرَب علينا الحجاب . قالت: فمرّ سعدٌ وعليه درْعٌ مقلَّصة [١] ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ؛ وفي يده حربته يَرْقَدُ [٢] بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ لا بَأْسَ بالمَوْتِ إذا حانَ الأَجَلْ [٣]

قالت له أمّه : الحق يا بُنَيّ ، فقد والله أخَّرْتَ .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أمّ سعد ؛ والله لوَددْتُ أنّ درْعَ سعد كانت أسبغَ [٤] مما هي ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فَرُمِيَ سعد بن معاذ بسهْم ، فقطع منه الأكْحل [٥] ، رمَاه — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة — حِبّانُ بن قيس بن العرِقة أحدُ بني عامر بن لؤيّ ؛ فلمّا أصابه قال : خذْها وأنا ابن العَرِقة ؛ فقال سعدٌ : عَرّقَ الله وجهك في النّار ! اللّهمّ إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها ، فإنّه لا قومَ أحبّ إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوْا رسولك ، وكذّبوه وأخرجوه . اللهمّ وإن كنت قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمِتْني حتى تقرّ عيني من بني قُرَيظة .

حدّثنا سُفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

---

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي و : « مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلي : « هو بيت تمثل به ، يعني به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبيّ » .

(٤) أسبغ : أكمل .

(٥) الأكحل : عرق في الذراع .

خرجتُ يوم الخَنْدق أقْفو آثار الناس ؛ فوالله إنى لأمشِى إذْ سمعت وئيد[١] الأرض خلْفى – تعنِى حِسّ الأرض – فالتفتُّ فإذا أنا بسعد ؛ فجلست إلى الأرض ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوْس – شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدّثنا بذلك محمد بن عمرو – يحمل مِجَنَّه ، وعلَى سعد دِرْع من حديد قد خرجت أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فأنا أتخوّفُ على أطراف سعد ، فمرّ بى يرتجز ، ويقول :

لَبِّثْ قليلا يُدْرِكِ الْهَيْجَا حَمَلْ ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حان الأَجَلْ !

قالت : فلمّا جاوزنى قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نَفَر من المسلمين ، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له – قال محمد : والتَّسبغة المِغْفَر – لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر : إنكِ لَجَرِيئة ؛ ما جاء بكِ ؟ ما يدريكِ لعلّه يكون تحوُّز أو بلاء ! فوالله ما زال يلومنى حتّى وددت أن الأرض تنشقّ لى فأدخل فيها ، فكشف الرجل التّسبغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة ؛ فقال : إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوُّز إلاّ إلى الله عزّ وجلّ !

١٤٧٩/١ قالت : فَرُمِىَ سعد يومئذ بسهم ، رماه رجلٌ يقال له ابن العَرِقَة ؛ فقال : خذها وأنا ابنُ العَرِقَة ؛ فقال : سعْد: عرّق الله وجهك فى النار ! فأصاب الأكحَل منه فقطعه . قال محمد بن عمرو : زعموا أنّه لم ينقطع من أحد قطّ إلاّ لم يزل يبضّ دماً حتى يموت . فقال سعد : اللّهمّ لاتمتْنى حتّى تقرّ عينى فى بنى قُريظة ! وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عمن لايتّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، أنّه كان

---

(١) قال فى اللسان : « وفى حديث عائشة : خرجت أقفو آثار الناس يوم الخندق ؛ فسمعت وئيد الأرض خلفى . الوئيد : شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوى من بعد » .

يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ بالسَّهم إلا أبو أسامة الجُشَمىّ حليف بنى مخزوم ؛ فالله أعلم أىّ ذلك كان !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارع (حِصْنِ حسَّانَ بن ثابت) . قالت : وكان حسَّان معَنا فيه مع النِّساء والصبيان . قالت صفيّة : فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربَتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنَّا ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون فى نحورِ عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن[1] أتانا آت . قالت : فقلت : ياحسَّان ، إنّ هذا اليهودىّ كما ترى ، يُطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنُه أن يدلّ على عوراتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغل عنَّا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتلْه . فقال : يغفر الله لكِ يا بنت عبد المطَّلب ! والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمَّا قال ذلك لى ، ولَمْ أرَ عنده شيئا احتجزت[2] ، ثم أخذت عمودًا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمَّا فرغت منه رجعت إلى الحِصْن ، فقلت : يا حسَّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنَّه لم يمنعْنى من سلَبه إلاّ أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلَبه من حاجة يا بنت عبد المطلب[3] .

١/١٤٨٠

قال ابنُ إسحاق : وأقامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُه ؛

---

(١) و : « إذا »

(٢) احتجزت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الخشنى : « ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه شددت معجرى » .

(٣) قال السهيلى : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جبانًا شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعله كان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عزّ وجلّ من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم .

ثم إنّ نُعَيْمَ بن مسعود بن عامر بن أنَيْف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غَطَفان أتَى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّى قد أسلمت ، وإنّ قومى لم يعلموا بإسلامى ؛ فمُرْنى بما شئتَ . فقال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّما أنت فينا رجلٌ واحد ؛ فخَذّلْ عنّا إن استطعت ؛ فإنّ الحربَ خُدعة .

فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيظة — وكان لهم نديمًا فى الجاهليّة — فقال لهم : يا بنى قُرَيظة ، قد عرفتم وُدّى إيّاكم ، وخاصّة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لستَ عندنا بمتّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشًا وغَطَفان قد جاءوا لحرب محمّد ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وإنّ قريشًا وغَطَفان ليسوا كهيئتكم[1] ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطَفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ؛ فليسوا كهيئتكم ، إن رأوْا نُهْزَةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقةَ لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا ؛ حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأىٍ ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشًا ، فقال لأبى سُفيان بن حرب ومَنْ معه من رجال قريش : يا معشرَ قريش ، قد عرفتم ودّى إياكم ، وفراقى محمدًا ؛ وقد بلغنى أمرٌ رأيتُ حقًا علىّ أن أبلغكموه نصحًا لكم ، فاكتموا علىّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمْنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنّا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغَطَفان رجالا من أشرافهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثمّ نكون معك على مَنْ بقى منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا . ثم خرجَ حتى أتى غَطَفان ، فقال :

١٤٨١/١ ، ١٤٨٢/١

(١) ابن هشام : « كأنتم » .

يا معشرَ غطفان؛ أنتم أصلي وعشيرتي ، وأحبّ الناس إليّ ،ولا أراكم تتّهمونني! قالوا : صدقتَ ، قال: فاكتموا عليّ ، قالوا : نفعل،ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ؛ فلمّا كانت ليلة السَّبت فى شوّال سنة خمس ؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] [1] أرسل أبو سفيان ورءوس غَطَفَان إلى بنى قريظة عِكْرمة بن أبي جهل ، فى نفرٍ من قريش وغَطَفان ، فقالوا لهم: إنّا لسْنا بدار مقام؛ قد هلك الخفّ والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجزَ محمدًا ونفرُغ ممّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السَّبت ؛ وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثًا فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطُونا رُهُنًا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا؛ حتى نناجز محمدًا ؛ فإنّا نخشى إن ضرّستْكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال، أن تشمّروا إلى بلادكم وتتركونا والرّجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمدٍ . فلّما رجعت إليهم الرُّسل بالذى قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أنّ الذى حدّثكم نُعَيْم بن مسعود لحقّ. فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرُّسل إليهم بهذا : إنّ الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ؛ ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا ؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها ؛ وإن كان غير ذلك ١/١٤٨٣ تشمّروا [2] إلى بلادهم، وخلّوْا بينكم وبين الرجل فى بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُنًا ، فأبوْا عليهم ، وخذّل الله بينهم ؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح فى ليالٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورَهم، وتَطْرح أبنيتهم . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم،وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ؛ قال : قال فتى

---

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : «انشمروا إلى بلادهم» .

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليَمان : يا أبا عبد الله ، رأيتم رسولَ الله وصحبتموه!
قال : نعم يابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهَد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يابن أخى؛ والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالخندق ، وصلَّى هَوِيًّا[١] من الليل، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يَرجع][٢] — يشرُط له رسولُ الله أنه يرجع[٣] — أدخله الله الجنَّة ؟ فما قام رجل. ثم صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منَّا رجل ، ثم صلَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هَوِيًّا من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجُل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرُط له رسول الله الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجُلٌ من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد . فلما لم يقم أحدٌ دعانى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يكن لى بدّ من القيام حين دعانى . فقال : يا حذيفة؛ اذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثنّ شيئًا حتى تأتيَنا ؛ قال : فذهبت فدخلتُ فى القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل؛ لا تقرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشرَ قريش ، لينظر امرؤٌ جليسَه ، قال : فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشرَ قريش ، إنَّكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ، وأخلَفتْنا[٤] بنو قريظة وبلغنا عنهم الَّذى نكره ؛ ولقينا مِنْ هذه الريح ما ترْون ؛ والله ما تطمئنّ لنا قِدْرٌ ،ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناءٌ ؛ فارتحلوا فإنى مرتحل .

١٤٨٤/١

ثم قام إلى جمَله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عِقَاله إلاّ وهو قائم؛ ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ ألاّ أحْدِث[٥] شيئًا حتى آتيه، ثم شئت لقتلتُه بسهم . قال حذيفة :

---

(١) الهوى : الهزيع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .
(٤) التفسير : « واختلفت » .
(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم، وهو قائم يصلّى فى مِرْط لبعض نسائه مُرَحَّلٍ ؛ فلمّا رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح علىّ طرف المِرْط [١] ثم ركع وسجد؛ فأذْلَقْتُه . فلمّا سلّم أخبرتُه الخبر ، وسمعتْ غطفان بما فعلتْ قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم [٢].

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق قال : فلّما أصبَح نبىّ الله صلَّى الله عليه وسلّم انصرف عن الخندَق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

* * *

غَزوة بَنِي قريظة

فلما كانت الظُّهْر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمَّد بن إسحاق [٣] ، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — معتجرًا [٤] بعمامة من إستبرق، على بغْلة عليها رِحَالة [٥] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد [٦] وضعتَ السِّلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعتِ الملائكةُ السِّلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ؛ إنّ الله يأمرُك يا محمَّد بالسَّير إلى بنى قُريظة ، وأنا عامد إلى بنى قُريظة .

فأمرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مناديا ، فأذّن فى النَّاس: إنّ [٧] مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلّينّ العصر إلاّ فى بنى قُريظة [٨].

(١) المرط : كساء من صوف وخز أو كتان يؤتزر به .
(٢) الخبر فى التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (بولاق) .
(٣) أخبار غزوة بنى قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ — ٢٠٣
(٤) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لا يلق شيئاً تحت لحيته .
(٥) الرحالة : السرج .
(٦) ابن هشام والتفسير : « أوقد »
(٧) ساقطة من ابن هشام .
(٨) بعدها فى ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناس ، فسار علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لقىَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخابث[1] ! قال : لِمَ ؟ أظنّك سمعتَ لى منهم أذًى ! قال : نعم يا رسول الله . لو قد رأوْنى لم يقولوا من ذلك شيئًا . فلمّا دنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من حُصونهم ، قال : يا إخوان القِردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ! قالوا : يا أبا القاسم[2] ، ما كنتَ جهولا . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أن يصلَ إلى بنى قُرَيظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مرّ بنا دِحْيَةُ بن خليفة الكلبىّ ، على بغلة بيضاء ، عليها رِحالة عليها قطيفة دِيباج ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعِثَ إلى بنى قريظة يُزَلْزِلُ بهم حصونَهم ، ويقذِف الرّعب فى قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى قريظة ، نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم ، يقال لها بئر أنا[3] ؛ فلاحق به النّاس ، فأتاه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلّوا العصرَ ، لقول رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يصلّينّ أحدٌ العصر إلاّ فى بنى قريظة ، لشىء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوْا أن يُصلّوا ، لقول النبىّ صلى الله عليه وسلّم : حتّى تأتُوا بنى قُرَيظة ، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك فى كتابه ؛ ولا عنّفَهم به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمّد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن مَعْبَد بن كعب بن مالك الأنصارىّ .

١٤٨٦/١

* * *

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة بدل النون : من آبار بنى قريظة — ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بِشر ، قال : حدّثنا محمّد ابن عمرو ، قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سعد قُبّة في المسجد ، ووضع السّلاح — يعني عند منصرَف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق — ووضع المسلمون السّلاح ، فجاءه جبريل عليه السّلام ، فقال : أوَضعتم السلاح ! فوالله ما وضعت الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرُجْ إليهم[1] فقاتِلْهم ، فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بلأمته فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فمرّ ببني غَنْم ، فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مرّ علينا دِحْيَة الكلبيّ — وكان يشبّهُ سُنّتُه[2] ولِحيته ووجهه بجبريل عليه السلام — حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبّته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصرهم شهرًا — أو خمسًا وعشرين ليلة — فلما اشتدّ عليهم الحصار قيل لهم : انزِلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبابة بن عبد المنذر إنّه الذبح ، فقالوا : ننزل على حكم سعد بن مُعاذ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحمار بإكاف من لِيف ، فحمِل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرَأ كَلْمُه[2] حتى ما يُرى منه إلا مثل الخُرْص[3] .

١٤٨٧/١

* * *

رجَع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خمسًا وعشرين ليلة ؛ حتى جَهَدَهم الحِصَار ؛ وقذف الله في قلوبهم الرّعب — وقد كان حُيَيٌّ بن أخطب دخلَ على بني قُريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه — فلما أيقنوا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم غيرُ منصرف عنهم حتّى يناجزَهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشرَ يهود ، إنّه قد نزل بكم من الأمر ما ترَوْن[4] ، وإني عارض[5]

١٤٨٨/١

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .
(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .
(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خِلالا ثلاثا فخذوا أيّها شئتم ! قالوا : وما هنّ ؟ قال : نتابع [١] هذا الرجل ونُصَدّقه ؛ فوالله لقد كان تبيَّن لكم أنّه لَنبىّ[٢] مرسل ، وأنه للذى كنتم تجدونه فى كتابكم ، فتأمَنُوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، ولا نستبدل به غيرَه . قال : فإذ أبيتم هذه علىّ فهلمّ فلنقتل أبناءَنا ونساءَنا ، ثم نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالا مُصْلِتين السيوف ؛ ولم نترك وراءَنا ثَقَلاً يهمّنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمَّد ؛ فإن نهلِك نهلِك ولم نترك وراءنا شيئًا نخشى عليه ، وإن نظْهر فلَعمرِى لنجدنّ النساءَ والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذ أبيتم هذه علىّ فإنّ الليلة ليلة السَّبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّةً . قالوا : نُفْسِد سبتَنا ، ونُحْدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلاّ مَنْ قد علمت . فأصابه [٣] من المسخ ما لم يخفَ عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدتْه أمه ليلة واحدة من الدّهر حازمًا .

قال : ثم إنّهم بعثوا إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلَّم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ؛ أخابنى عمرو بن عوف — وكانوا[٤] حلفاء الأوس — نستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم فلما رأوْه قام إليه الرجال ، وبهشَ [٥] إليه النساءُ والصبيان يبكون فى وجهه ؛ فرَقّ لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمَّد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلْقه : إنه الذّبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى خُنْتُ الله ورسوله .

١٤٨٩/١

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابن هشام والتفسير : « نبايع » .

(٢) و : « نبى » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفى ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوبَ الله علىّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاّ يطأ بنى قريظة أبدًا . وقال : لا يرانى الله فى بلد خُنْتُ الله ورسوله فيه أبدًا . فلما بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خبرُه ، وأبطأ عليه – وكان قد استبطأه – قال : أما لو جاءنى لاستغفرت له ؛ فأمّا إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالّذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه(١) .

* * *

حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، أنّ توبة أبى لُبابة أنزِلَتْ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم : وهو فى بيت أمّ سلَمة . قالت أمّ سلمة : فسمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من السَّحَر يضحك فقلت: مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحكَ الله سنّك ! قال : تِيبَ على أبى لُبابة، فقلت : ألاَ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئتِ ؛ قال : فقامت على باب حجرتها – وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب – فقالت : يا أبا لُبابة، أبشِرْ فقد تاب الله عليك . قال : فثارَ الناس إليه ليُطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكونَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هو الذى يُطْلِقنى بيده ، فلما مرَّ عليه خارجًا إلى الصّبح أطْلَقَه(٢) .

١/١٤٩٠

قال ابن إسحاق: ثمّ إنّ ثعلبة بن سَعْيَة وأسَيْد بن سَعْية ، وأسَد ابن عُبَيْد – وهم نفر من بنى هَدْل ؛ ليسوا من بنى قُرَيظة ولا النَّضير ، نَسَبهُم فوقَ ذلك – هم بنو عمّ القوم أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها قُريظة على حكم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم – وخرج فى تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كلة فى التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعدها فى السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع، فيما حدثنى بعض أهل العلم . والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

سُعْدَى القرظىّ ، فمرّ بَحَرَس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وَعَلَيْه محمد بن مَسْلَمة الأنصارىّ تلك الليلة ؛ فلمّا رآه قال : من هذا ؟ قال : عمرو بن سعدى — وكان عمرو قد أبَى أن يدخلَ مع بنى قُريظة فى غَدْرهم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : لا أغدر بمحمّد أبداً — فقال محمّد بن مَسْلمة حين عرَفه : اللهمّ لا تحرِمْنى عثَرات الكرام . ثمّ خلّى سبيله ؛ فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة تلك الليلة . ثم ذهب فلا يُدْرَى[1] أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ! فذكِر لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه . ١/١٤٩١

قال ابن إسحاق : وبعضُ النّاس يزعم أنه كان أوثِقَ برُمّة[2] فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأصبحتْ رُمّته مُلْقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّهم مَوَالينا دون الخزْرج ، وقد فعلت فى موالِى الخزرج بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل بنى قُريظة حاصر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزْرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إيّاهم عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ، فوهبهم له . فلمّا كلّمه الأوْس قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا ترضْون يا معشرَ الأوْس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْد بن معاذ — وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى خَيْمة امرأة[3] من أسلم[4] يقال لها رُفَيْدة فى مسجده ، كانت تُداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المسلمين ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد قال لقومه حين أصابه السّهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رُفَيْدة ، حتى أعودَه من قريب — فلما

---

(١) فى ابن هشام : «فلم يدر» .
(٢) الرمة : الحبل .
(٣) س : « لامرأة » .
(٤) كذا فى ابن هشام وفى ط : « المسلمين» .

حكّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومُه ، فاحتملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أدَم — وكان رجلا جسيمًا — ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِن فى مواليك ؛ فإنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم إنّما ولاّك ذلك لتُحْسِن فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألاّ تأخذَه فى الله لومة لائم . فرجع بعضُ مَنْ كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعَى لهم رجال بنى قُريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التى سمع منه . ١٤٩٢/١

* * *

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعْدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ، قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة : فى حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخُدرىّ : فلما طلعَ — يعنى سعداً — قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيدكم — أو قال : إلى خيركم — فأنزلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : احكم فيهم ، قال : فإنّى أحكم فيهم أن تقتل مُقاتلتهم ، وأن تُسْبَى ذَرَارِيُّهم ، وأن تُقْسَمَ أموالهُم . فقال : لقد حكمْتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنّه قال فى حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ؛ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيّدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد ولاّك [أمر][1] مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ — فى النّاحية التى فيها رسولُ ١٤٩٣/١

---

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو معرض عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إجلالا له — فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، قال سعْد : فإنى أحكُم فيهم بأن تُقتَلَ الرّجال، وتُقسَم الأموال ، وتسبَى الذرارىُّ والنساء .

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنى محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص الليثىّ، قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة[1] .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ استُنْزلوا ، فحبسهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى دار ابنة الحارث ، امرأة من بنى النجّار . ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ؛ يُخرَج بهم إليه أرْسَالا ؛ وفيهم عدوّ الله حُيَىُّ بن أخطب، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم، وهم ستّمائة أو سبعمائة؛ المكثِّرُ لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد — وهم يُذْهَب بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أرَسالا[2]— : يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : فى كلّ موطن لا تعقلون: ألا تروْن الداعى[3] لا ينزع ، وأنّه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ، هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدّأبُ حتى فرغ منهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وَأُتِىَ بِحُيَىّ بن أخطب عدوّ الله وعليه حلّة لَه فقّاحِيّة[4] قد شقّقها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة، لئلا يُسْلَبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلمّا نظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : أما والله ما لمْتُ نفسى فى عداوتك؛ ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَل .

١٤٩٤/١

---

(١) الأرقعة : السموات ، واحدها رقيع .

(٢) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٣) س : « الراعى » .

(٤) حلة فقاحية : على لون الورد حين هم أن يتفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقَدَرُه ، وملحمةٌ قد كتبت [1] على بنى إسرائيل . ثم جلس فضُربت عنقه ، فقال جبل بن جَوّال الثعلبىّ :

لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكنه مَنْ يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلِ

لَجَاهَدَ حتى أَبْلَغَ النَّفْس عُذْرَهَا وقَلْقَلَ يَبْغِى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة . قالت : والله إنّها لعِنْدِى تحَدَّثُ معى ، وتضحك ظهرًا وبطنًا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقتلُ رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فُلانة ؟ قالت : أنا والله. قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أقتَل ! قلت : ولِمَ ؟ قالت : حَدَثٌ أحدثتُه. ١٤٩٥/١ قالت : فانُطلِقَ بها فضُربت عنقُها [2] . فكانت عائشة تقول : ما أنْسَى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفَتْ أنها تُقْتَل !

وكان ثابت بن قيس بن شَمَّاس — كما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهرىّ — أتى الزَّبير [3] بن باطا القُرَظىّ — وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزَّبير قد مَنّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاس فى الجاهلية . قال محمّد : مما ذكَر لى بعضُ ولد الزَّبير ، أنه كان مَنّ عليه يوم بُعاث ؛ أخذه فجزّ ناصيته ، ثم خلّى سبيله — فجاءَه [4] وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهلُ مثلى مثلَك !

---

(١) فى ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الخشنى : « هى امرأة الحسن القرظى » .

(٣) قال السهيلى : « هو الزبير ، بفتح الزاى وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أجزيَك بيدك عندى ، قال : إنّ الكريم يجزى الكريم . ثم أتى ثابت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزّبير عندى يَدٌ ؛ وله علىّ مِنّةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيَهُ بها ؛ فهبْ لى دَمَه . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد وهب لى دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهلَ له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسول الله ، أهلُه وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أعطانى امرأتك وولدك فهم لك . قال : أهلُ بيت بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابتٌ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنّ رسولَ الله قد أعطانى مالك فهو لك ، قال : أىْ ثابت ! ما فعل الذى كأنّ وَجْهَهُ مِرْآة صينيّة تتراءى فيها[1] عذارَى الحىّ ؛ كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ حُيَىّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدّمتُنا إذا شددْنا ، وحاميتُنا إذا كررنا ؛ عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان – يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة – قال : ذَهَبُوا ، قتلوا . قال : فإنّى أسألك بيدى عندك يا ثابت ، إلاّ ألحقْتَنِى بالقوم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قَبْلة دَلْو[2] نَضَح حتى ألقَى الأحِبّةَ ! فقدّمه ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : «ألقى الأحبة» قال : يلقاهم والله فى نار جهنّم خالدًا فيها مُخَلّدًا أبدًا . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزّبير بن باطا :

١٤٩٦/١

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : «فيه» .

(٢) فى ابن هشام : «فتلة» ، قال أبو ذر الخشى : «ومن رواه : «قبلة» بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة» .

وَفَتْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وأنني صَبُورٌ إذاما القومُ حَادُوا عن الصَّبرِ
وكان زَبِيرٌ أعْظَمَ النَّاس مِنَّةً عَلَيَّ فلمّا شُدَّ كُوعاهُ بالأسْرِ
أتيتُ رسولَ الله كَيْمَا أَفُــكَّهُ وكان رسولُ الله بَحْرًا لنا يَجْرِى

قال : وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أنبت منهم .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة ، أخى بنى عدىّ بن النَّجار ؛ أنّ سَلْمَى بنت قيس أمّ المنذر أخت سَليط بن قيس — وكانت إحدى خالاتِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قد صلَّتْ معه القبلتين ، وبايعَتْه[1] بيعة النساءِ — سألَتْه رفاعةَ بن شمويل[2] القرظىَّ — وكان رجلا قد بلغ ولاذَ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمىّ ! هبْ لى رفاعةَ بن شمويل ؛ فإنّه قد زعم أنه سيُصَلِّى ، ويأكل لحم الجمل؛ فوهبه لها ؛ فاستَحْيَتْه .

١٤٩٧/١

قال ابن إسحاق : ثم إنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قسَّمَ أموال بنى قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمَانَ الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخُمُس ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛ للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ممّن ليس له فرسٌ سهم ، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسًا ، وكان أوّل فَىْءٍ وقع فيه السهمان وأخرج منه الخمس ، فعلَى سُنَّتِها وما مَضى من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنَّة فى المغازى ؛ ولم يكن يُسهِم للخيل إذا كانت مع الرجل إلاّ لفرسين .

ثم بعثَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سعدَ بن زيد الأنصارىّ ،

(١) و : « وبايعت » .

(٢) ابن هشام : « سمويل » .

أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قُرَيظة إلى نجْد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحًا ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة[1] إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيظة ، فكانت عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى توفّى عنها وهى فى مِلْكِه ، وقد كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عرض عليها أن يتزوّجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركنى فى ملكك فهو أخفّ علىّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سباها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد تعصَّتْ[2] بالإسلام ، وأبَتْ إلاّ اليهوديَّة ، فعزلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ووجد فى نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينا هو مع أصحابه إذْ سمع وَقْعَ نعليْن خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيَة يبشّرنى بإسلام ريحانة ، فجاءَه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمتْ ريحانة ، فسرَّه ذلك . ١٤٩٨/١

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدّثنى ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثنى أبى ، عن علقمة ، فى خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعنى بعد أن حكم فى بنى قريظة ما حكم — فقال : اللهمّ إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذّبوا رسولك . اللهمّ إن كنتَ أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئًا فأبقنى لها ، وإن كنتَ قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك . فانفجر كَلْمُه ، فرَجَعَه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته[3] التى ضربت عليه فى المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالّذى نفس محمد بيده ؛ إنى لأعرف بكاء أبى بكر من بكاء عمر وإنى لفى حُجرتى . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4] ١٤٩٩/١

(١) كذا فى ابن هشام وشرح المواهب ، والطبرى ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفى الأصل : «جنافة» .
(٢) تعصت ، أى عصت.
(٣) س : « القبة » .
(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمَّهْ ! كيف كان يصنع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قالت : كانت عينه لا تَدْمَعُ على أحد ، ولكنَّه كان إذا اشتدّ وَجْدُه على أحد ، أو إذا وَجَد فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بنى قريظة خَلاّد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رحًى فشدختْه شدخًا شديدًا . ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم محاصِرٌ بنى قريظةَ ، فدفن فى مقبرة بنى قُريظة . ولمَّا انصرف رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزوهم — يعنى قريشًا — ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم مكَّة .

وكان فتح بنى قُريظة فى ذى القَعْدة أو فى صدر[1] ذى الحجة ، فى قول ابن إسحاق . وأما الواقدىّ فإنه قال : غزَاهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى ذى القعدة ، لليال بقِين منه ؛ وزعَم أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمر أن يُشَقّ لبنى قُريظة فى الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل علىّ والزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أنّ المرأة التى قتلها النبى صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ كانت تسمى بُنانَة ، امرأة الحَكَم القرظىّ ، كانت قتلت خلاّد بن سُوَيد ، رمتْ عليه رَحًى ، فدعا له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فضرب عنقها بخلاّد بن سويد .

١٥٠٠/١

* * *

واختلف فى وقت غزوة النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بنى المصطلق ؛ وهى الغزوة التى يقال لها غزوة المُرَيْسيع — والمريسيع اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد ،

(١) ابن هشام : « وصدر » .

قال : حدّثنا سلمة ، عنه ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غزا بنى المصطلِق من خُزَاعة ، فى شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدىّ : غزا رسول الله صلّى الله عليه وسلم المريسِيع فى شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بنى قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بنى المصطلق من خُزَاعة .

وزعم ابنُ إسحاق – فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عنه – أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انصرف بعد فراغه من بنى قُريظة ؛ وذلك فى آخر ذى القعدة أو فى صدر ذى الحجّة – فأقام بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهرى ربيع ، وولى الحجّة فى سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لِحيان، يطلب بأصحاب الرَّجيع؛ خُبَيب بن عديّ وأصحابه؛ وأظهر أنه يريد الشأم ليصيب من القوم غِرَّةً. فخرج من المدينة، فسلك على غُراب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشأم) ثم على مَخِيض، ثم على البَتراء؛ ثم صفَّق[1] ذات اليسار، ثم على يَيْن، ثم على صُخَيْرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة، فأغذَّ السير سريعًا؛ حتى نزل على غُرَان؛ وهي منازل بني لحيان — وغُرَان واد بين أمَج وعُسْفان — إلى بلد يقال له ساية، فوجدهم قد حذِرُوا وتمنَّعوا في رءوس الجبال، فلمّا نزلها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غرَّتهم ما أراد، قال: لو أنَّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكَّة أنَّا قد جئنا مكَّة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسيْن من أصحابه؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم، ثم كرَّا وراح قافلا[2].

1/1501

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني ابنُ إسحاق. — قال: والحديث في غزوة بني لحيان — عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، عن عبيد الله بن كعب.

قال ابن إسحاق: ثم قدِم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة، فلم يُقِمْ إلّا لياليَ قلائل حتى أغار عُيَيْنة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ في خيل لغطفان على لِقَاح رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة؛ وفيها رجلٌ من بني غِفَار وامرأته، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللّقاح[3].

1/1502

* * *

(1) صفق: عدل.

(2) الخبر في سيرة ابن هشام 2: 212.

(3) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

غزوة ذى قَرَد

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومَنْ لا أتَّهم ، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حَدَّثَ فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث ، أنه أوّل من نَذِرَ[1] بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشحًا قوسه ونَبْلَه ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرّواية عن سلَمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم بعد مقدَمه المدينة ، منصرفًا من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحًا ، فينبغى أن يكون ما رُوِى عن سلمة بن الأكوع كان إمَّا فى ذى الحجَّة من سنة ستّ من الهجرة ، وإمَّا فى أول سنة سبع ، وذلك أنّ انصراف رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم من مكَّة إلى المدينة عام الحديْبيَة كان فى ذى الحجَّة من سنة ستّ من الهجرة ، وبين الوقت الذى وقَّتَه ابن إسحاق لغزوة ذى قَرَد والوقت الّذِى رُوِى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدّثنا حديث سلَمة بن الأكوع الحسنُ بن يحيى ، قال : حدّثنا أبو عامر العَقَدِىّ ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عَمَّار اليمامىّ ، عن إياس بن سلَمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة — يعنى بعد صلْح الحديْبيَة — فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بظهره[2] مع رَباح غلام رسول الله ، وخرجتُ معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . ١/١٥٠٢ فلمَّا أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عُيَيْنة قد أغار على ظَهْر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رَباح ؛ خذ هذا الفرس وأبلغْه طلحة . وأخبرْ رسولَ اللهِ أنّ المشركين قد أغاروا على سَرْحِه . ثم قمت

---

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

علىأكَمة فاستقبلتالمدينة، فناديتثلاثة أصوات: يا صبَاحاه ! ثمخرجت فى آثار القوم أرميهم بالنَّبْل ، وأرتجز وأقول : «أنا[١] ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضّع » .

قال : فوالله ما زلتُ أرميهم وأعقِر بهم[٢] ، فإذا رجع إلىّ فارس منهم أتيت شجرةً وقعدت فى أصلها ، فرميتُه فعقرْت به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا فى مُتَضايَق [٣] علوْت الجبَل، ثم أرَدّيهم بالحجارة؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خلَقَ الله بعيراً من ظهْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلاّ جعلته وراء ظَهْرى ، وخلّوْا بينى وبينه وحتّى ألقوْا أكثر من ثلاثين رُمحًا وثلاثين بُرْدةً[٤]، يستخفّون[٥] بها لا يُلْقُون[٦]شيئًا إلاّ جعلت عليه آراما[٧] حتّى يعرفه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، حتى إذا انتهَوْا إلى متضايق من ثنيّة[٨] وإذا هم قد أتاهم عُيَيْنة بن حِصْن بن بدر مُمِدّا، فقعدوا يتَضَحَّوْن[٩] ، وقعدت على قَرْن[١٠] فوقهم، فنظر ١٥٠٤/١

---

(١) كذا فى صحيح مسلم ، وفى ط : « وأنا» .

(٢) فى اللسان : « أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع « وما زلت أرميهم وأعقر بهم » ، أى أقتل مركوبهم ؛ يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا فى تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون ، أى يطلبون بإلقائها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام.

(٨) الثنية : العقبة والطريق فى الجبل ، وفى صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من ثنية » .

(٩) فى نهاية ابن الأثير : « بينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أى نتغدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسيرون فى ظعنهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلأ وعشب قال قائلهم : ألا ضحوا رويداً ! أى ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أى ننال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل فى وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أى يأكل فى هذا الوقت ؛ كما يقال : يتغدى ويتعشى فى الغداء والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفى صحيح مسلم : « وجلست على رأس قرن » .

عيَينة،فقال : ما الذى أرى[١] ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْح[٢] ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، يرمينا حتى استنقذ[٣] كلّ شىء فى أيدينا . قال: فليقُمْ إليه منكم أربعة . فعمَد إلىّ أربعة[٤] منهم. فلمَّا أمكنونى من الكلام ، قلت : أتعرفونى ؟ قالوا : مَنْ أنت ؟ قلت: سلَمة بن الأكوع ؛ والذى كرَّم وَجْهَ محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلاّ أدركته ، ولا يطلبنى رجل منكم فيدركنى . قال أحدهم : أنا[٥] أظنّ ، قال : فرجعوا فما برحت مكانى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يتخلَّلون الشجر، أوّلهم الأخْرَم الأسدىّ ، وعلى إثْره أبو قَتادة الأنصارىّ ، وعلى إثْره المِقْداد بن الأسود الكِندىّ ، فأخذت بعِنان فرس الأخْرم ، [فولّوا مدبرين] [٦]، فقلت : يا أخرم ؛ إنّ القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحقَ بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحُلْ بينى وبين الشهادة . قال: فخلَّيتُه ، فالتقى هو وعبد الرحمن بنُ عُيَينة ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ،فطعنه عبدُ الرحمن فقتله ، وتحوّل عبد الرحمن على فرسه ، ولحِق أبو قَتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقَرَ عبد الرحمن بأبى قتادة فرسه ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلَمة : فوالذى كرّم وجه محمد ، لَتبعتُهم أعْدُو على رجلىّ ؛ حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ولا غبارهم شيئاً .

١٠٠٥/١

قال : ويعدِلُون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

---

(١) صحيح مسلم : «ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم فى الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عِطَاش ؛ فنظروا إلىّ أعدو فى آثارهم ؛ فَحلَّيْتُهم[١] فما ذاقوا منه قطرة .

قال : ويُسْندون[٢] فى ثنيّة ذى أثير[٣] ، ويعطف علىّ واحدٌ فأرْشُقه بسهم فيقع فى نُغْض[٤] كتفه ، فقلت :

خُذها وأنا ابنُ الأكوع والليومُ يومُ الرُّضَّع

فقال : أكْوَعِى غُدْوَةً[٥] ! قلت : نعم يا عدوّ نفسه ؛[٦] وإذا فَرَسان على الثنيّة ، فجئت بهما أقودُهما إلى رسول الله[٦] ، ولحقنى عامر عمىّ بعد ما أظلمت بسَطِيحة[٧] فيها مذْقَة من لبن ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضّأتُ وصلّيت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على الماء الذى حلّيْتُهم[٨] عنه ، عند ذى قَرَد ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك الإبل التى استنقذتُ من العدوّ ، وكلّ رُمح ، وكلّ بُردة ؛ وإذا بلال قد نَحَرَ ناقة من الإبل التى استنقَذت من العدوّ ، فهو يشوى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من كَبِدها وسَنامها ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ خلّنى فلأنتخب[٩] مائةَ رجل من القوم ، فأتّبعُ القوم فلا يبقى[١٠] منهم عين . فضحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بدا — وقد بانت — نواجذُه . [فى ضوء النار][١١] . ثم قال : أكنتَ فاعلا ! فقلتُ : إى والّذى أكرمك !

١٠٠٦/١

(١) فحليتهم ، أى طردتهم وأجليتهم .

(٢) أسندوا ، أى صعدوا ، وفى صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون فى ثنية » .

(٣) كذا ذكر فى ط ، ولم أجد هذا الموضع فى ياقوت .

(٤) النغض : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمى بذلك لكثرة تحركة .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦ — ٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) السطيحة : إناء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمذقة : قليل من لبن ممزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلأتهم » .

(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلمّا أصبحنا قال رسول الله إنّهم ليُقْرَوْن[1] بأرض غَطَفان . قال ، فجاء رجلٌ من غَطَفان ، فقال : نحر لهم فلان جَزورا ، فلمّا كشطوا[2] عنها جلدها رأوْا غُبَارًا ؛ فقالوا : أتيتمْ![3] فخرجوا هاربين ، فلمّا أصبحنا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : خير فُرْساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رَجّالتنا سلَمة بن الأكْوع . ثمّ أعطانِي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [سهمين] [4] سهم الفارس ، وسهْم الراجل ؛ [فجمعهما لى جميعًا][4]، ثم أردفنِي رسولُ الله وراءه على العَضباء[5] ؛ [راجعين إلى المدينة][4] . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبَق شَدًّا[6] فجعل يقول : ألا مِن مسابق ! فقال ذاك مِرَارًا ، فلمّا سمعتُه قلتُ : أما تُكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ، إلاّ أن يكون رسول الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، بأبى أنتَ وأمي! ائذَنْ لى[7] فلأسابق الرجل ! قال : إن شئت ، قال : فطفرت[8] فعدوتُ ، فربطتُ شَرَفًا أو شرفيْن فألحقه[8] وأصكّه بين كتفيْه ، فقلت : سبقتك[9] والله ! فقال : إنّى أظنّ ،[10] فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خيْبر[11] .

١٥٠٧

* * *

---

(١) يقرون : يضافون .

(٢) صحيح مسلم : « كشفوا جلدها » .

(٣) صحيح مسلم : « أتاكم القوم » .

(٤) من صحيح مسلم .

(٥) العضباء : لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) شداً ، أى عدوا على الرجلين .

(٧) صحيح مسلم : « ذرنى » .

(٨ – ٨) صحيح مسلم : « فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقى لنفسى ، ثم عدوت فى إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ؛ ثم إنّى رفعت حتى ألحقه » .والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومعنى ربطت ، حبست نفسى عن الجرى الشديد .

(٩) صحيح مسلم : « قد سبقت » .

(١٠) أى أظن ذلك ، وفى ط : « إن أظن » .

(١١) الخبر فى صحيح مسلم ٣ : ١٤٣٣ – ١٤٤١ ؛ بسنده عن سلمة بن الأكوع ؛ مع اختلاف فى الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله – يعنى مع سلَمة بن الأكوع – معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنيّة الوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصبَاحاه ! ثم خرج يشتدّ فى آثار القوم – وكان مثل السَّبُع – حتى لحق بالقوم ، فجعل يرُدُّهم بالنَّبْل ، ويقول إذا رمى : «خُذها منى وأنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع» .

فإذا وُجّهتُ الخيل نحوه ، انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرميُ رَمى ، ثم قال :

خُذْها وانا ابنُ الأكوعِ واليومُ يوم الرضّعِ[1]

قال : فيقول قائلهم : أوَيكعنا[2] هو أول النهار .

قال : وبلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صياحُ ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفزع الفزع! ؛ فتتامَّتِ[3] الخيول إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فكان أوّلَ من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعد المقداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشْر بن وَقْش بن زُغْبَة بن زَعُورا ، أخو بنى عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأسَيد بن ظُهَير أخو بنى حارثة بن الحارث – يُشكّ فيه – وعُكَّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، أخو بنِى أسَد بن خزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعىّ ، أخو بنى سَلِمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عُبَيد بن زيد بن صامت ، أخو بنى زُرَيق .

١/١٥٠٨

فلَّما اجتمعوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّر عليهم سعد بن زيد . ثم قال : اخرُجْ فى طلب القوم حتى ألحقك فى النَّاس .

وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم – فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق – لأبى عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيتَ هذا الفرس رجلا هو أفرسُ منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم . (٢) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : «أكيعنا» .
(٣) ابن هشام : «فترامت» .

أفرسُ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرَى خمسين ذراعا حتى طرحنى ؛ فعجبت أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بنى زُرَيق أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أعطى فرس أبى عيّاش مُعاذ بن ماعص — أو عائذ بن ما عص — ابن قيس بن خلْدة — وكان[1] ثامنا — وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أسَيد بن ظُهَير أخابنى حارثة ، ولم يكن سلَمة يومئذ فارسًا ، وكان أوّل مَنْ لحق بالقوم على رجْليه ؛ فخرج الفرسانُ فى طلب القوم ، حتّى تلاحقوا[2] .

١/١٥٠٩ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ أوّل فارسٍ لحِقَ بالقوم مُحرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة — ويقال لمحرز : الأخْرَم ، ويقال له : قمير — وأنّ الفزع لما كان ،جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة فى الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنيعًا[3] جامًّا[4] ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول فى الحائط بجذْع من نخل هو مربوط به :يا قُمَير ، هل لك فى أن تركبَ هذا الفرس — فإنّه كما ترى — ثمّ تلحق برسول الله صلّى لله عليه وسلّم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَبْ أن بَذّ الخيل بِجَمامه[5] حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللكيعَة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحَمَل عليه رجُلٌ منهم فقتَله ، وجال الفرس فلم يقدروا عليه ؛

---

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤

(٣) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، والباء هنا للسببية .

حتى وقف على آريّه[١] فى بنى عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمّة[٢] .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، أنّ محرزا إنّما كان على فرس لعُكّاشة بن محصن يقال له[٣] الجناح ، ١٥١٠/١ فقتِل مُحرز ، واستُلب الجناح . ولمّا تلاحقت الخيول قتَل أبو قتادة الحارث بن ربعىّ أخو بنى سلِمة ، حَبيبَ بن عيينة بن حِصْن ، وغشّاه ببردته ، ثم لحق بالنّاس ، وأقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجًّى[٤] ببردة أبى قتادة ، فاسترجع[٥] الناس ، وقالوا : قُتِل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس بأبى قتادة ، ولكنّه قتيلٌ لأبى قتادة ، وضع عليه بردته ، لتعرِفوا أنه صاحبه . وأدرك عكّاشة ابن محْصن أو بارًا وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرُّمح فقتلهما جميعًا ، واستنقذُوا بعضَ اللّقاح . وسار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بالجبَل من ذِى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأقام عليه يومًا وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسولَ الله ، لو سرّحتَنِى فى مائة رجل لاستنقذت بقيّة السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى : إنّهم الآن ليُغْبَقُونَ[٦] فى غطَفان .

وقسمَ[٧] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه فى كلّ مائة جَزُورًا ،

---

(١) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريًّا أيضاً.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغبقون : يشربون اللبن وقت العشىّ .

(٧) ابن هشام : « فقسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلا حتى قدم المدينة[١] .

فأقام بها بعض جُمَادى الآخرة ورَجبَ . ثم غزا بلْمصْطلق من خُزاعة فى شعبان سنة ستّ .

* * *

١٥١١/

ذكر غزوة بنِي المُصْطَلِق

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفَضْل وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعن عبدِ الله بن أبى بكر . وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، قال : كُلٌّ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ بلْمُصْطلق[٢] يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضِرار ؛ أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خرج إليهم حتى لقيَهم على ماء[٣] من مياههم ، يقال له : المُرَيْسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالا شديدًا ، فهزم الله بنى المصطلِق ، وقُتِل مَنْ قتل منهم ، ونَفّلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفاءهم الله عليه .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كلْب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة ابن الصّامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤
(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .
(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .
(٤) س : « وأصيب » .

فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بنى غفار يقال له جَهْجَاه بن سعيد[١] ، يقود له فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسِنان الجهنىّ[٢] حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١ فاقتتلا ، فصرخ الجُهَنِىُّ : يا معشرَ الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يا معشر المهاجرين[٣] ، فغضب عبدُ الله بن أبىّ بن سَلول ، وعنده رَهْط من قومه[٤] ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السنّ ، فقال : أقد[٥] فعلوها ! قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما عَدَوْنا[٦] وجلابيبَ[٧] قريش ما قال القائل : « سَمِّنْ كَلْبَكَ يأكُلْكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ ! ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتُموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه . فأخبره الخبر

---

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفى الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الغفارى ؛ شهد بيعة الرضوان بالحديبية . . . » وذكر خبره فى غزاة بنى المصطلق .

(٢) فى ابن هشام : « وسنان بن وبر الجهنىّ » . وقال السهيلى : « وقال غيره : هو سنان ابن تيم — من جهينة — بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلى : « ولم يذكر ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ؛ وفى الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها منتنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية .وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغى أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فمن دعا فى بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطاً ؛ اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتد بعصبة . والثانى أن فيها الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا فى حد . والقول الثالث اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعه وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومهم » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلابيب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبوهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَّاد بن بِشْر بن وَقْش فليقتلْه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدَّث الناس : أن محمدًا يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذِّنْ بالرحيل — وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها — فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبىّ بن سَلول إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه أنّ زيدَ بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلَّمت به — وكان عبدُ الله بن أبىّ فى قومه شَرِيفًا عَظِيمًا — فقال مَنْ حضر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم [١] فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حَدَبًا [٢] على عبد الله بن أبىّ ودفعًا عنه .

١٠١٢/١

فلما استقلّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسار ، لقيه أُسَيْد بن حُضَير ، فحياه تَحيَّة النبوّة ، وسلَّم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحْتَ فى ساعة منكَرة ما كنتَ تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : أوَ مَا بلغك [٣] ما قال صاحبكم ! قال : وأىُّ صاحب يا رسول الله ! قال : عبد الله بن أبىّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ ، قال أُسَيْد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذّليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفُقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإنّ قومه لينظمون له الخَرَز ليتوّجوه ؛ فإنه لَيَرَى [٤] أنّك قد استلبته مُلْكًا [٥] .

ثم مَتَنَ [٦] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم بالنَّاس يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذتهْم الشمس.

---

(١) يقال : وهم فى كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .

(٢) التفسير : « حذراً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى »

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومتن ، أى سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أتعبها حتى الضعف .

ثم نزَل بالنَّاس ؛ فلم يكن إلاّ أن وجدوا مسَّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فَعَل ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم][1] ليشغلَ الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبىّ .

ثم راح بالنَّاس ، وسلك الحجاز حتّى نزلَ على ماء بالحجاز فُوَيْق النَّقيع[2] ، يقال له نقعاء ، فلمَّا راحَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هبَّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوّفوها ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تخافوا[3] ، فإنما هَبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلمّا قدِموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زيد بن التَّابوت ، أحد بنى قَيْنُقاع ــ وكان من عظماء يهود ، وكَهْفًا للمنافقين ــ قد مات فى ذلك اليوم . ١٥١٤/١

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبىّ بن سَلُول ومَنْ كان [معه][4] على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلمَّا نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بأذُن زيد بن أرقم فقال : هذا الذى أوفى الله بأذُنه .

* * *

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمّى فى غَزاة ، فسمعت عبدالله بن أبىّ بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﴾ والله ، ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾[5] ؛ فذكرت ذلك لعمّى ، فذكره عمّى لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فأرسل إلىّ

---

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا فى ط والتفسير ، بالنون ، وفى رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوها » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨ .

فحدّثته ، فأرسل إلى عبدالله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا؛ قال : فكذّبنى رسول الله صلّى الله عليه وسلم وصدّقه ، فأصابنى همٌّ لم يصبْنى مثله قطّ ، فجلست[١] فى البيت ، فقال لى عمّى : ما أردتَ إلى[٢] أن كذّبك رسولُ الله ومقتَك ! قال : حتّى أنزل الله عزّوجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأها ، ثم قال : إنّ الله صدّقك[٣] يا زيد[٤] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبىّ الذى كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ؛ أنّ عبدَ الله بن عبد الله بن أبىّ ابن سَلول أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّه قد بلغنى أنّك تريد قتلَ عبد الله بن أبىّ — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فمرْنى به ، فأنا أحملُ إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجلٌ أبرّ بوالده منّى ؛ وإنّى أخشى أن تأمرَ به غيرى فيقتلَه ، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبىّ يمشى فى الناس فأقتلَه ؛ فأقتلَ مؤمنًا بكافر فأدخل النار ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بل نرفُق به ، ونحسن صحبتَه ما بقىَ معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدَثَ الحدَث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويعنّفونه ويتوعّدونه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلتهُ يومَ أمرْتَنى بقتله ، لأرعِدَت له آنُفٌ لو أمرتُها اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلتُه. قال: فقال عمر: قد والله علمتُ، لَأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمري. (١)

قال: وقدم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلمًا فيما يُظهر، فقال: يا رسولَ الله، جئتك مسلمًا وجئت أطلب دية أخي قتل خطأ. فأمر له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بديَة أخيه هشام بن صُبابة، فأقام عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكَّة مرتدًّا، فقال في شعر:

١٥١٦/١

شَفَى النَّفْسَ أنْ قَدْ باتَ بالْقَاعِ مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِماءُ الأَخادِعِ (٢)

وكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ من قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِمُّ، فتَحْمِينِى وِطَاءَ المَضَاجِعِ (٣)

حَلَلْتُ بهِ وِتْرِى، وأدْرَكْتُ ثُؤْرَتِى ... وكُنْتُ إلى الأوْثان أوّلَ رَاجِعِ (٤)

ثأَرْتُ به فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَرَاةَ بنى النَّجّارِ أرْبابَ فارِعِ (٥)

وقال مِقيسُ بن صُبابة أيضًا:

جَلَّلْتُه ضَرْبَةً باءَتْ، لها وشَلٌ ... مِنْ ناقِعِ الجَوْفِ يَعلُوهُ ويَنْصَرِمُ (٦)

فَقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُه ... لا تأْمَنَنَّ بنى بَكْرٍ إذَا ظُلِمُوا (٧)

وأصيب من بنى المصطلِق يومئذ ناسٌ كثيرٌ، وقَتَل علىٌّ بن أبى طالب منهم رجليْن: مالكاً وابنه، وأصاب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهم

(١) التفسير ٢٨: ٧٥، ٧٦ (بولاق)، وابن هشام ٢: ٢١٧، ٢١٨.

(٢) القاع: المنخفض من الأرض. وتضرج: تلطخ. والأخادع: عروق القفا؛ وإنما هما أخدعان؛ فجمعهما مع يليهما.

(٣) تلم: تحل بى. وتحميني: تمنعني. ووطاء المضاجع: ليناتها.

(٤) الوتر: طلب الثأر. والثورة: الثأر.

(٥) ط: «ثأرت به قهراً! !»، وما أثبته من ابن هشام. العقل: الدية. وسراة بنى النجار: خيارهم. وفارع: حصن لهم.

(٦) جللته ضربة: علوته بها. وباءت: أخذت بالثأر: يقال؛ بؤت بفلان؛ إذ أخذت بثأره. والوشل: القطر، ويريد بنافع الجوف الدم. ينصرم: ينقطع.

(٧) الأسرة: التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة.

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ ومنهم جُويْرية بنت الحارث بن أبى ضرار زوْج النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

١٥١٧/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، عن عائشة زوْج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سبايا بنى المصطلق ، وقعت جُوَيرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتْه على نفسها — وكانت امرأة حُلْوَةً مُلاَّحة [٢] ، لا يراها أحَدٌ إلا أخذت بنفسه — فأتتْ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتى كرِهتها ، وعرفت أنه سيرَى منها مثلَ ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ؛ فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشماس — أو لابن عمٍّ له — فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، فقال لها : فهل لكِ فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتَك وأتزوّجك ، قالت : نعم يا رسولَ الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى النَّاس أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم قد تزوَّج جويرية بنت الحارث ، فقال النَّاس : أصهارُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتِق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومها منها [٣] .

* * *

حديث الإفك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحة : الشديدة الملاحة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من سفره ذلك — كما حدّثني أبي إسحاق، عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة — حتى إذا كان قريبًا من المدينة — وكانت [معه][1] عائشة في سفره ذلك — قال أهل الإفك فيها ما قالوا[2].

١٥١٨/١

حدثنا ابنُ حميد قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهريّ، عن علقمة بن وقّاص الليثيّ وعن سعيد بن المسيّب[3]، وعن عُرْوة بن الزّبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة [بن مسعود][4] قال الزهريّ : كُلٌّ قد حدّثني بعضَ هذا الحديث، وبعضُ القوم كان أوعَى له من بعض. قال : وقد جمعت لك كلّ الذي حدّثني القوم.

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، قال : حدّثني محمد بن إسحاق، قال : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير، عن أبيه، عن عائشة، قال : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، قال : وكلّ قد اجتمعَ حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، فكلٌّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعًا، ويحدّث بعضُهم ما لم يحدّث بعضٌ، وكلّ كان عنها ثقة، وكلٌّ قد حدّث عنها بما سمع.

١٥١٩/١

قالت عائشة : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أراد سفرًا أقْرَعَ بين نسائه، فأيّتهُن خرج سهمُها خرج بها معه؛ فلمّا كانت غزوة بني المصطلق، أقرع بين نسائه كما كان يصنع؛ فخرج سهمِي عليهنّ، فخرج بي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العُلَق[5] لم يُهبّجهن[6] اللّحم فيثْقُلْنَ. قالت : وكنت إذا رُحِلَ بعيري جلستُ في هودجي، ثمَّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري،

---

(١) من سيرة ابن هشام. (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠.
(٣) ابن هشام : «سعيد بن جبير». (٤) من التفسير.
(٥) العلق : بضم ففتح؛ وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.
(٦) التهبيج، كالورم في الجسم، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة.

ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلا ، فبات فيه بعضَ الليل ، ثم أذَّنَ فى النّاس بالرحيل ، فلمّا ارتحل النّاس خرجتُ لبعض حاجتى وفى عنقى عِقْدٌ لى فيه جَزْعُ[1] ظَفار ،فلمّا فرغتُ انسلّ من عنقى ولا أدرى ؛ فلمّا رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ النّاس فى الرحيل . قالت : فرَجعْتُ عَوْدِى على بدئى إلى المكان الذى ذهبت إليه ؛ فالتمسته حتى وجدته ، وجاء خلافى القوم الذين كانوا يرحّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنّى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنّى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفّفت بجلبابى ثمّ اضطجعت فى مكانى الذى ذهبت إليه ؛ وعرفت أنْ لو قد افتقدونى قد رجعوا إلىّ . قالت : فوالله إنّى لمضطجعة ، إذ مرّ بى صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمىّ[2] ،وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبتْ مع النّاس فى العسكر ؛ فلمّا رأى سوادِى أقبل حتى وقف علىّ فعرفنى — وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب — فلمّا رآنى قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلفّفة فى ثيابى . قال : ما خَلّفَكِ رحمكِ الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركَبى رحمكِ الله ! واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ وجاءَ فأخذ برأس البعير ، فانطلق بى سريعًا يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقِدت حتى أصبحت ، ونزل النّاس ، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهلُ الإفك فىّ ما قالوا . فارتجّ[3]

١/١٥٢٠

---

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) قال السهيلى : « يكنى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى فى تخلفه سببٌ آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس » .

(٣) ابن هشام : « ارتجع العسكر » ، أى تحرك واضطرب .

العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك . ثمّ قدمنا المدينة ، فلم أمكُثْ(١) أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى شىء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإلى أبَوَىَّ ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيرًا(٢) ، إلاّ أنّى قد أنكرتُ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ لُطْفه بى ؛ كنتُ إذا اشتكيتُ رحمِنى ولَطُف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكْواى(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل علىَّ وأمى تُمرّضُنى ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ممّا رأيت من جفَائه عنّى ، فقلت له : يا رسولَ الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أمىّ فمرّضتْنى ! قال : لا عَلَيْكِ ! قالت : فانتقلت إلى أمىّ ، ولا أعلم بشىء ممّا كان ، حتى نقِهْت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنّا قومًا عرَبا لا نتّخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ؛ إنّما كنا نخرجُ فى فُسَح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجْنَ كلّ ليلة فى حوائجهنّ ؛ فخرجت ليلةً لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهْم بن المطّلب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشى معى ، إذْ عثرت فى مرْطِها(٤) ، فقالت : تَعِس مِسْطح(٥) ! قالت : قلتُ : بئس لعمر الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أوَ ما بلغك الخبر يا بنتَ أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتْنى بالّذى كان من قولِ أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرتُ على أن أقْضِىَ حاجتى ، ورجعت فما زِلْتُ أبكى حتى ظننتُ أنّ البكاء سيصدع(٦) كبدى . قالت : وقلت لأمىّ :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكاتى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « ومسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : سيشق .

يغفر الله لك ! تحدّث الناس بما تحدّثوا به وبلغك ما بلغك؛ ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بُنَيَّة خفّضى الشأن [١] ؛ فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناس عليها . ١٥٢٢/١

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم [٢] ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيّها الناس ، ما بالُ رجال يؤذُونني فى أهلِى ، ويقولون عليهنّ غير الحقّ ! والله ما علمتُ منهنّ [٣] إلاّ خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ! وما دخل [٤] بيتًا من بيوتى إلاّ وهو معى . قالت : وكان كُبْر [٥] ذلك عند عبد الله بن أبىّ بن سَلُول فى رجال من الخزرج ؛ مع الذى قال مسطح وحَمْنَة بنت جحش — وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش] [٦] ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارّنى [٧] لأختها زينب بنت جحش — فشقيتُ بذلك.

فلمّا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تلك المقالة ، قال أسَيد بن حُضَيْر أخو بنى عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوْس نَكْفِكَهُم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنا بأمرك ؛ فوالله إنّهم لأهلٌ أن تضرَب [٨] أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة — وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحًا — فقال : كذبت لعمر الله لا تضْرَب أعناقهم ! أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلاّ أنّك قد عرفت أنّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا! قال أسَيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن ١٥٢٣/١

---

(١) خفضى الشأن : هونيه عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم ومعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادنى » .

(٨) و : « نضرب » .

المنافقين ! قالت : وتثاوره[١] النَّاس حتَّى كاد أن يكون بين هذين الحيَّين من الأوْس والخزرج شرّ ، ونزل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدخل علىّ ، قالت : فدعا علىّ بن أبى طالب وأسامة بن زيد ؛ فاستشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى خيرًا وقاله[٢] ، ثم قال : يا رسولَ الله ، أهلُك ، ولا نعلم عليهنّ إلا خيرًا ؛ وهذا الكذب والباطل. وأمّا علىّ فإنه قال : يا رسولَ الله ؛ إنّ النساء لكثيرٌ ؛ وإنك لقادرٌ على أن تستخلف ؛ وسِل الجارية فإنّها تَصدُقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرَة يسألها . قالت : فقام إليها علىّ فضربها ضربًا شديدًا[٣] ؛ وهو يقول : اصدُقى رسول الله ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إلاّ خيرًا ، وما كنت أعيبُ[٤] على عائشة ؛ إلاّ أنّى كنتُ أعجِن عجينى[٥] فآمرها أن تحفظه[٦] فتنام عنه ، فيأتى الدّاجن فيأكله[٧] .

ثم دخلَ علىّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعندى أبَوَاىَ ، وعندى امرأة من الأنصار ؛ وأنا أبكى وهى تبكى معى ؛ فجلس فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ؛ إنَّه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتَّقى الله ؛ وإن كنتِ قارفْتِ سوءًا[٨] ممَّا يقول النَّاس فتوبى إلى الله ؛ فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلاّ أن قال ذلك ، تقلَّص[٩] دمعى ؛ حتى ما أحسُّ منه شيئًا ، وانتظرتُ أبَوَىَّ أن يجيبَا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فلم يتكلَّما . قالت : وايْمُ الله لأنا كنتُ أحقَرُ فى نفسى وأصغَر شأنًا من أن ينزّل الله عزَّ وجلَّ فىّ قرآنًا يقرأ به فى المساجد ، ١٥٢٤/١

(١) س : « وتنافر » . وفى ابن هشام : « وتساور الناس » ، أى قام بعضهم إلى بعض .
(٢) س : « وقال خيراً » .
(٣) قال السهيلى : « وأما ضرب على للجارية وهى حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله فى ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه » .
(٤) س : « أعتب » .
(٥) و : « عجنتى » .
(٦) س : « بحفظه » .
(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .
(٨) قارفت سوءاً : دخلت فيه .
(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ويصلّى به ، ولكنّى قد كنت أرجو أن يرَى رسول الله فى نومه شيئًا يكذّب الله به عنّى، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآنٌ ينزل فىّ، فوالله لَنفسِي كانتْ أحقَرَ عندى من ذلك . قالت: فلمّا لم أرَ أبوىّ يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسولَ الله ! قالت : فقالا لى : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وايمُ الله ما أعلمُ أهلَ بيت دخلَ عليهم ما دخلَ على آل أبى بكر[١] فى تلك الأيام ! قالت : فلما استعجمَا علىّ استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدًا ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس — والله يعلم أنى منه بريئة — لتصدّقنى ؛ لأقولنّ ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدّقوننى . قالت : ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ ولكنّى أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما بَرِحَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلسَه حتى تغشّاه من الله ما كان يتغشّاه ، فسُجِّىَ بثوبه ، ووضعت وسادة من أدَم تحت رأسه ؛ فأمّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيرًا ولا باليت ؛ قد عرفت أنّى بَريئة ، وأنّ الله غير ظالمى ، وأمّا أبواىَ ؛ فوالّذى نفس عائشة بيده ، ما سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى ظننت لتخرجَنّ أنفسُهما فرَقًا أن يأتىَ من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سُرّىَ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجلس وإنّه ليتحدّر منه مثل الجُمان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت: بحمد الله وذمّكم . ثمّ خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فِىّ . ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش — وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة — فضربُوا[٢] حدّهم .[٣]

١/١٥٢٥

(١) س : « أهل بيت » .
(٢) س : « فجلدوا »
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ — ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ — ٧٤ (بولاق)، مع اختلاف فى آخر الخبر .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق . عن أبيه ، عن بعض رجال بنى النّجار ، أنّ أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بَلَى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنتِ يا أمّ أيوب فاعلةً ذلك ! قالت : لا والله ما كنت لأفعلَه [1] ، قال : فعائشة والله خيرٌ منك . قال : فلمّا نزل القرآن ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إنّ الَّذِينَ جاءوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ . . ﴾ [2] .الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت فى أصحابه الذين قالوا ما قالوا [3] .

ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بِأنْفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ [2] الآية ،أى كما قال أبو أيوب وصاحبته . ثم قال : ﴿ إذْ تَلَقَّوْنَهُ بِألْسِنَتِكُمْ ... ﴾ [4] الآية . فلمّا نزل هذا فى عائشة وفيمنْ قال لها ما قال قال أبو بكر — وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته منه وحاجته : والله لا أنفق على مِسْطح شيئًا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال ١٥٢٦/١ لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : ﴿ ولاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى... ﴾ [5] الآية .

---

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام: ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس ابن حجر الكندى :

ألارُبَّ خصْمٍ فيكَ ألْوَى رَدَدْتُه نَصِيحٍ عَلَى تعذاله غير مؤتَلِ

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ للَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الألية ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت :

آلَيْتُ ما فى جَمِيعِ النَّاس مُجْتَهِدًا مِنِّى أَلِيَّةَ برّ غير إفْنَادِ

فمعنى « أن يؤتوا » فى هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت: فقال أبو بكر: والله لأحبُّ أن يغفر الله لى. فرجع إلى مِسْطح نفقته التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ثم إنّ صفوان بن المعطّل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه؛ وقد كان حسّان قال شعرًا مع ذلك يعرّض بابن المعطّل فيه وبمن أسْلَم من العرب من مُضَر، فقال:

أمْسَى الجَلابيبُ قد عزُّوا وقد كثروا ... وابنُ الفُرَيْعَةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[1]

قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ من كنتَ صَاحِبَهُ ... أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ[2]

ما لقتيلى الذى أغـدُو فآخُذُه ... من دِيَةٍ فيه يُعطَاها ولا قَوَدِ[3]

ما البَحْرُ حين تَهبُّ الرِّيحُ شامِيَةً ... فيَغْطئِلُّ ويَرْمِى العِبْرَ بالزَّبَدِ[4]

١٥٢٧/ يَوْماً بأغْلَبَ منِّى حين تُبْصِرنِى ... مِلْغَيْظِ أفرِى كفَرْىِ العارضِ البَرِدِ[5]

فاعترضه صفوان بن المعطّل بالسيف فضربه ثم قال — كما حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق:

تَلقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عنِّى فإننى ... غُلَامٌ إذا هُوجيتُ لَسْتُ بشاعِرِ[6]

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ، أنّ ثابت بن قيس بن الشّماس أخا

---

(١) ديوانه ١٠٤. قال السهيلى: «يعنى بالجلابيب الغرباء. وبيضة البلد، يعنى منفرداً؛ وهى كلمة يتكلم بها فى المدح تارة، وفى معنى القل أخرى، يقال: فلان بيضة البلد؛ أى أنه واحد فى قومه عظيم فيهم. وفلان بيضة البلد؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد».

(٢) ثكلته أمه: فقدته. والبرثن: الكف مع الأصابع.

(٣) القود: قتل النفس.

(٤) يغطئل: يجول ويتحرك. والعبر: جانب البحر.

(٥) ملغيظ، أى من الغيظ. أفرى: أقطع. والعارض: السحاب. والبرد، بكسر الراء: الذى فيه برد. وبعده فى سيرة ابن هشام:

أمَّا قريشٌ فإنِّى لن أُسَالِمَهمْ ... حَتَّى يثيبُوا مَن الغيَّاتِ للرَّشَدِ

وَيتركُوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلةٍ ... وَيسْجُدُوا كُلُّهم للواحِدِ الصَّمَدِ

وَيشْهَدُوا أنَّ مَاقَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ ... حقٌّ، وَيُوفُوا بعَهْدِ اللهِ والوُكُدِ

(٦) سيرة ابن هشام ٢: ٢٢٢، ٢٢٣

بلْحارث بن الخزرج ، وَثَب على صَفْوان بن المعطَّل فى ضربه حسان ، فجمع يَدَيْه إلى عُنُقه ، فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألاَ أعجّبك[١] ضرب حَسَّان بن ثابت بالسَّيف ! والله ما أراه إلاّ قد قتله . قال : فقال له عبدُ الله ابن رَواحة : هل علِمَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوْا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حَسَّان وصفوان بن المعطَّل ، فقال ابنُ المعطَّل : يا رسولَ الله ، آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب فضربته . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لحسان : يا حسان أتشوّهت[٢] على قومى أن هداهم الله للإسلام ! ثم قال : أحسِن يا حَسَّان فى الذى قد أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله[٣] . ١/١٥٢٨

وحدّثنا ابنُ حميد، قال : حدثنا سلَمة ،عن محمّد بن إسحاق، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أعطاه عِوَضًا منها بَيْرَحَا — وهى قصر بنى حُدَيْلة اليوم بالمدينة ؛ كانت مالاً لأبى طلحة بن سهل ، تصدّق بها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاها حسَّان فى ضربته — وأعطاه سيرين ؛ أمَةً قِبْطيةً ، فولدت له عبد الرَّحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئِل عن صفوان بن المعطَّل فوجدوه رجلا حَصُورًا ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيدًا[٣] .

حدثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أنّ حديث عائشة كان فى عُمْرة القضاء .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة شهر رمضان وشوّالا ، وخرج فى ذى القعدة من سنة ست معتمرًا .

---

(١) : س « ألا أعجل » .

(٢) أتشوهت على قومى ، أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم الجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عُمرة النبىّ صلى الله عليه وسلَّم التى صدَّه المشركون فيها عن البيت ، وهى قصّة الحُديبية

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا الحكَم بن بشير ، قال : حدّثنا عمر ابن ذرّ الهمْدانىّ ، عن مجاهد ، أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم اعتمر ثلاث عُمَرٍ ، كلّها فى ذى القعدة ؛ يرجع فى كلّها إلى المدينة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق[1] ، قال : خرج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم معتمرًا فى ذى القَعدة لا يريد حربًا ، وقد استنفَر[2] العرب ومَنْ حوله من أهل البوادى من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا به أن يعرضوا له بحرْب ، أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعْرَاب ، وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنْ معه من المهاجرين والأنصار ، ومَنْ لحِق به من العرب ، وساق معه الهدْىَ ، وأحرم بالعُمرة ، ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم النَّاس أنّه إنّما جاء زائرًا لهذا البيت ، مُعظِّمًا له . ١٥٢٩/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهرىّ ، عن عروة بن الزُّبير ، عن المِسْور بن مَخرَمة ومروان بن الحكَم ؛ أنّهما حدّثاه قالا : خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الحديبيَة ، يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه سبعين بدَنة ، وكان النَّاس سبعمائة رجل ؛ كانت كلّ بدَنة عن عشرة نفر .

وأمّا حديث ابن عبد الأعلى ؛ فحدّثنا عن محمد بن ثَوْر ، عن مَعْمَر ، عن الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة .

---

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ — ٢٣٣ .

(٢) س : « استنصر » .

وحدّثنى يعقوب ، قال : حدّثنى يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدّثنى معمَر ، عن الزهرىّ ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومرْوان بن الحكَم ، قالا : خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الحديبيَة ، فى بضْعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدّثنا الحسن بن يحيى ، حدّثنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عِكْرِمة بن عمّار اليمامىّ ، عن إياس بنَ سلَمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١/١٥٣٠ صلّى الله عليه وسلّم الحديبيَة ، ونحن أربعة عشر [1] ومائة .

حدّثنا يوسف بن موسى القَطّان ، قال : حدّثنا هِشام بن عبد الملك وسعيد بن شُرَحْبيل المصرىّ ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد المصرىّ ، قال : حدّثنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، قال : كنّا يوم الحديبيَة ألفا وأربعمائة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهلُ البيعة تحت الشّجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدّثنا شُعْبة ، عن عمرو بن مرّة ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن أبى أوفَى ، يقول : كنّا يومَ الشّجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسْلَمُ ثُمن [2] المهاجرين .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبى سُفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : كنّا أصحابَ الحديبية أربعة عشر ومائة .

* * *

قال الزهرىّ : فخرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتّى إذا كان بعُسْفان لقَيه بشْر بن سُفيان الكعبىّ ، فقال له : يا رسولَ الله ، هذه ١/١٥٣١

---

(١) و : « بضع عشرة » .
(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ المَطَافيلُ[١]، قد لبسوا جُلود النمور ، وقد نزلوا بذى طُوى ، يحلفون بالله[٢] لا تدخلُها عليهم أبدا ؛ وهذا خالد بن الوليد فى خيْلهم ، قد قدموها إلى كُرَاع الغَميم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان بعضُهم يقول : إنّ خالدَ بنالوليد كانَ يومئذ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مسلمًا .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا يعقوب القُمّىّ ، عن جعفر – يعنى ابن أبى المغيرة – عن ابن أبْزَى ، قال : لمَّا خرج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالهَدْى ، وانتهى إلى ذى الحُلَيْفَة ، قال له عمر : يا رسولَ الله ، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كُراع ! قال : فبعثَ النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة . فلم يَدَعْ فيها[٣] كُراعًا ولا سلاحًا إلاّ حَمَلَه ، فلمَّا دنا من مكَّة منعوه أن يدخلَ ، فسار حتى أتى مِنًى ، فنزل بمنًى ، فأتاه عينُه أنّ عِكْرمة بن أبى جهل قد خرج عليكَ فى خمسمائة ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لخالد بن الوليد : يا خالد ، هذا ابنُ عمّك ، قد أتاك فى الخيل ، فقال خالد : أنا سيفُ الله وسيفُ رسوله – فيومئذ سُمِّى سيفَ الله – : يا رسولَ الله ارْمِ بى حيث شئت . فبعثه على خيل ، فلقِىَ عِكْرمة فى الشِّعب ، فهزمه حتى أدخله حيطانَ مكَّة ، ثم عاد فى الثانية ، فهزمه حتى أدخله حيطان مكَّة ، ثم عاد فى الثَّالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ – إلى قوله : ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [٤] قال : وكفَّ الله النبىّ صلَّى الله عليه

/١٥٣٢

(١) العوذ : جمع عائذ ؛ وهن من الإبل : الحديثة النتاج . والمطافيل : التى معها أولادها ؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان .

(٢) ابن هشام والتفسير : « يعاهدون الله » .

(٣) س : « منها » .

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلّم عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقُوا فيها من بعد أن أظفرَه عليهم كراهيَة أن تطأهم الخيل بغير علم[١] .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا ويح قريش ! قد أكلتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوْا بينى وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرَنى الله عليهم دخلُوا فى الإسلام وافرين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزالُ أجاهدهم على الّذِى بعثنى الله به حتى يظهرَه الله أو تنفرد هذه السالفة[٢] .

ثم قال : مَنْ رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّ رجلاً من أسْلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلَك بهم على طريق وَعْرٍ حَزْن[٣] بين شعَاب ، فلما أن خرجوا منه — وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضَوْا إلى أرض سَهْلة عند منقطَع الوادى — قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله إنها للحِطّة[٤] التى عُرضَتْ على بنى إسرائيل فلم يقولوها[٥] . ١٥٣٣/١

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهْرَىِ الحَمْض فى طريق تُخرِجه على[٦] ثنيّة المُرَار ، على مهبَط الحديبيَة من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

---

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .
(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانبيه ؛ وكنى بانفرادها عن الموت .
(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل » ، والأجرل : الكثير الحجارة .
(٤) يريد قوله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .
(٦) س : « إلى » .

فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ[1] الجيش ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا سلك فى ثنيّة المُرار ، بركَتْ ناقته ، فقال الناس : خلأتْ[2] ! فقال : ما خلأتْ ، وما هو لها بخُلُق ؛ ولكن حبَسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألونى صلةَ الرَّحِم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقيل : يا رسولَ الله ما بالوادى ماء ننزل عليه ! فأخرجَ سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل فى قَليب من تلك القُلُب فغرزه فى جَوْفه ، فجاش[3] الماءُ بالرَّىّ[4] حتى ضربَ الناسُ عليه بعَطَن[5] .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ رجلاً من أسْلَم حدّثه ، أنّ الذى نزل فى القَليب بسهْم رسول الله صلى الله عليه وسلّم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْر ابن يَعْمَر بن دارم ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ١٥٣٤/١ قال : وقد زعم لى بعض أهل العلم أن البَراءَ بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلتُ بسهْم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : وأنشدتْ أسلمُ أبياتًا من شعر قالها ناجية ، قد ظَنَنّا أنه هو الذى نزل بسهْم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فزعمتْ أسلم أنّ جاريةً من الأنصار أقبلت بدلْوها ، وناجيةُ فى القَليب يَميح على الناس[6] ، فقالت :

---

(١) قترة الجيش : ما يثيره من الغبار . وفى الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشعر خالد وأصحابه إلا وقد خلفتهم قترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل بمنزلة الحران فى الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة » .

(٣) جاش : ارتفع .

(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن ؛ أصله فى الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللا بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعى ؛ ضرب ذلك مثلا لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .

(٦) يميح على الناس : يملأ الدلاء ليسقيهم .

يأَيُّهَا المـائحُ دَلْوِى دُونَـكا إنِّى رأَيتُ الناسَ يَحْمَدُونَـكا

* يُثنونَ خيْراً ويُمَجِّدُونَـكا *

وقال ناجية ، وهو فى القَلِيب يَميح الناس :

قد علمتْ جاريةٌ يَمانِيَهْ أَنِّى أَنا المائحُ واسْمِى ناجِيَهْ

وطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهِيَهْ طَعَنْتُها تحتَ صدورِ العاديهْ[١]

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانىّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزُّهرىّ ، عن عرْوة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة . وحدّثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا مَعْمَر ، عن الزّهرىّ ، عن عروة ، عن المسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكم ، قالا : نزَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بأقصى الُحدَيْبِيَة على ثَمَد[٢] قليل الماء ؛ إنما يتبرّضُه الناس تبرّضا[٣] فلم يُلَبِّثْه الناس أنْ نَزَحوه ، فشُكِىَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم العطش ، فنزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرىّ حتى صدروا عنه ؛ فبيناهم كذلك جاء بُدَيْل بن ورقاء الخُزاعىّ ١٥٣٥/١ فى نفر من قومه من خُزاعة — وكانوا عَيْبَةَ نُصْحِ[٤] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل تِهامة — فقال : إنّى تركت كعب بن لؤىّ وعامر بن لؤى قد نزلوا أعْدَاد[٥] مياه الحديبية ؛ معهم العُوذُ المطافيل ؛ وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت . فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّا لم نأتِ لقتال أحد ، ولكنّا جئنا معتمرين ، وإنّ قريشا قد نهكَتْهم الحرب وأضرّتْ بهم ، فإن شاءوا مادَدْناهم مُدّة ويُخلُّوا بينى وبين الناس ، فإن أظْهَر ، فإن شاءوا أن يدخلُوا

(١) الواهية : الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ؛ أى يسرعون فى العدو .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرض الماء ؛ كلما اجتمع منه شىء غرفه .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أى خاصته وأصحاب سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها .

فيما دخل فيه الناس فَعَلوا وإلاّ فقد جَمّوا ؛ وإن هم أبوْا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرِى هذا حتى تنفرد سالِفتى[١] ، أو ليُنفِذنّ الله أمره . فقال بُدَيل : سنبلغُهم ما تقول .

فانطلق حتى أتى قريشًا فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولا ؛ فإن شئتم أن نعرِضه عليكم فعلْنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجةَ لنا أن تحدّثنا عنه بشىء ، وقال ذو الرأى منهم : هاتِ ما سمعتَه يقول ، قال : سمعتُه يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فقام عروة بن مسعود الثقفىّ ، فقال : أىْ قوْم ؛ ألستمُ بالوالد ! قالوا : بلى ، قال : أو لستُ بالولد ! قالوا : بلى ، قال : فهل تتّهمونى؟ قالوا : لا ، قال : ألستُمْ تعلمون أنّى استنفرت أهلَ عُكاظ ؛ فلما بلّحوا[٢] علىّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ! قالوا : بلى . /١٥٣٦

* * *

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، فى حديثه ، قال : كان عروة بن مسعود لسُبيْعة بنت عبد شمس .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . قال : فإنّ هذا الرّجل قد عرض عليكم خُطّةَ رُشْد فاقبلوها ، ودعونى آتِه . فقالوا : ائته ، فأتاه ، فجعل يكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال النبىّ نحواً من مقالته لبُديل ، فقال عروة عند ذلك : أىْ محمد ، أرأيتَ إن استأصلت قومَك ، فهل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ! وإن تكن الأخرى ، فوالله إنّى لأرى وجوهًا وأوشابا[٣] من الناس خلُقًا أن يَفِرّوا ويَدَعُوك . فقال أبو بكر : امْصص بَظْرَ اللات — واللاتُ طاغية ثقيف التى كانوا يعبدون — أنحن نَفِرُّ ونَدَعَه ! فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : أبو بكر ، فقال : أما والذى نفسى بيده

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

(٢) بلحوا ، أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . وفى ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨ (طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندى لم أجزِك بها لأجبتك؛ وجعل يكلّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكلّما كلّمه أخذ بلحيته — والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه السيف وعليه المغفر ؛ فكلّما[1] أهوَى عروة بيده إلى لحية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ضرب يده بنعْل السيف ، وقال : أخِّرْ يدَك عن لحيته ، فرفع عُروة رأسَه ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : المغيرة ١٥٣٧/١ ابن شعبة ، قال : أى غُدَر ! ألستُ[2] أسعى فى غَدْرتك ! وكان المغيرةُ بن شعبة صحِب قوماً فى الجاهليّة ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أما الإسلام فقد قبلْنا ، وأما المالُ فإنه مال غَدْر ، لا حاجة لنا فيه .

وإنّ عُرْوة جعل يرمُق أصحابَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعينه . قال : فوالله إنْ يتنخّم النبيّ نُخامة إلا وقعت فى كَفّ رجل منهم فَدلكَ بها وجهه وجلده ؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحِدّون النظر إليه تعظيما له . فرجع عُروة إلى أصحابه ، فقال : أىْ قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوكِ ووفدت على كسرى وقيصرَ والنّجاشيّ ؛ والله إنْ رأيتُ ملكا قطّ يُعَظّمه أصحابه مايُعَظّم أصحابُ محمّدٍ محمداً ، والله إن يتنخّم نُخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدَلكَ بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا عنده خفضوا أصواتهم ؛ وما يُحِدّون النظر إليه ١٥٣٨/١ تعظيماً له ؛ وإنّه قد عرض عليكم خُطةَ رُشْد فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعونى آتِه ، فقالوا : ائته ، فلمّا أشرفَ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : هذا فلان ، وهو من قوم يُعَظّمون البُدْنَ فابعثوها له ، فبعِثَتْ له ، واستقبله قومٌ يُلَبّون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدّوا عن البيت !

* * *

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

---

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرىّ ، قال فى حديثه : ثم بعثوا إليه الحلَيْس بن عَلْقَمة — أو ابن زَبّان — وكان يومئذ سيّد الأحابيش ، وهو أحد بلْحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّ هذا من قوم يتألّهون[١] ، فابعثوا الهَدْىَ فى وجهه حتى يراه ، فلمّا رأى الهدىَ يسيل عليه من عُرْض[٢] الوادى فى قلائده[٣] ، قد أكل أو باره من طول الحبس ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنّى قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه : الهدى فى قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محِلّه ؛ قالوا له : اجلس ، فإنما أنت رجل أعرابىٌّ لا علم لك .

وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ؛ أنّ الحليس غضب عند ذلك ، وقال : يا معشرَ قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ؛ أنْ تصدّوا عن بيت الله مَنْ جاءه معظّما له ؛ والذى نفس الحليس بيده لتُخَلُّنّ بين محمّد وبين ما جاء له ، أو لأنْفِرَنّ بالأحابيش نَفْرَةَ رجل واحد ! قال : فقالوا له : مَهْ ! كُفَّ عنّا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

١٥٣٩/١

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب . فقام رجل منهم يقال له مِكْرَز بن حفص ، فقال لهم : دَعُونى آتِه ، قالوا : ائته ، فلمّا أشرف عليهم قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : هذا مِكْرز بن حفص ؛ وهو رجل فاجر ؛ فجاء فجعل يكلّم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ فبينا هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

وقال أيوب عن عكرمة : إنّه لما جاء سُهَيل قال النبى صلّى الله عليه وسلّم : قد سَهُل لكم من أمركم .

* * *

(١) يتألهون : يتعبدون و يعظمون الإله .

(٢) عرض الوادى : جانبه .

(٣) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

فحدّثنى محمد بن عـُمارة الأسدىّ ومحمد بن منصور – واللفظ لابن عمارة – قالا : حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرَنا موسى بن عبيدة عن إياس ابن سلـَمة بن الأكْوع ، عن أبيه ، قال : بعثتْ قريش سهيل بن عمرو وحُوَيْطب بن عبد العُزّى وحفص بن فلان ، إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ليصالحوه ، فلمّا رآهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهـّل الله لكم من أمركم ؛ القوم ماتّون إليكم بأرحامكم[1] ، وسائلوكم الصّلْح ؛ فابعثوا الهدى ، وأظهروا التّلْبيةَ ؛ لعلّ ذلك يُلين قلوبهم . فلبّوْا من نواحى العسكر حتى ارتجّت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد توادَعُوا ، وفى المسلمين ناس من المشركين ، وفى المشركين ناس من المسلمين ، قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادى يسيل بالرجال والسلاح . قال إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلّحين أسوقُهم ، ما يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ؛ فأتيت بهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يسلب ولم يقتـُل ، وعفا .

١/١٥٤٠

* * *

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدّثنا قال : حدّثنا أبو عامر قال : حدّثنا عِكرمة بن عمار اليمامىّ ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما اصطلحنا نحن وأهلُ مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكها ، ثم اضطجعتُ فى ظلّها ، فأتانى أربعةُ نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعُون فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأبغضتُهم . قال : فتحوّلت إلى شجرة أخرى ، فعلّقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛ إذ نادى مناد من أسفل الوادى : ياللمهاجرين ! قُتل ابن زُنَيْم ! فاخترطتُ سيفى ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم فجعلته ضِغْثًا[2] فى يدى ، ثم قلت : والذى كرّم وجهَ محمد صلّى الله عليه وسلّم ، لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلاّ ضربت الذى فيه عيناه . قال : فجئت بهم

---

(١) و : « بأرحامهم » .
(٢) ضغثا ، أى حزمة فى يده .

١٠٤١/ أقودهم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وجاءَ عَمِّى عامر برجل من العَبَلاَتِ، يقال له مكرز، يقوده مجَفَّفًا[1] ،حتى وقفنا بهم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم يكن لهم بَدْءُ الفجور، فعفا عنهم. قال: فأنزل الله عزّ وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبطْنِ مَكَّةَ ﴾[2] .

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور، عن عبيد الله. قال سلمة: فشددنا على مَنْ فى أيدى المشركين منا، فما تركنا فى أيديهم منّا رجلا إلا استنقذناه. قال: وغلبنا علَى من فى أيدينا منهم.

ثم إنّ قريشًا بعثوا سُهيلَ بن عمرو وحُوَيْطبًا فولّوهم صلحَهم، وبعث النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عليًّا عليه السلام فى صُلْحه.

حدّثنا بشر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكِر لنا أنّ رجلاً من أصحابِ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقال له زُنَيم، اطّلع الثنيّة من الحديبيَة، فرماه المشركون فقتلوه، فبعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خيلاً، فأتوْه باثنى عشر رجلا فارسًا من الكفار، فقال لهم نبيّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: هل لكم علىّ عهد؟ هل لكم علىّ ذمة؟ قالوا: لا، قال: فأرسلهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم؛

١٠٤٢/١ فأنزل الله فى ذلك القرآن: ﴿ وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ — إلى قوله: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

وأمَّا ابنُ إسحاق، فإنه ذكر أن قريشًا إنما بعثتْ سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

---

(١) مجففاً، أى لابساً التجفاف (بكسر التاء)، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقى فى الحرب.

(٢) سورة الفتح ٢٤. والخبر فى التفسير ٢٦ : ٦٠، ٦١ (بولاق).

حدّثنا ابنُ حمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ أهلِ العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم دعا خِراشَ بن أميّة الخُزاعىّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛ ليبلّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسولِ الله وأرادوا قتله ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلَّوْا سبيلَه ؛ حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم[1].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى من لا أتّهم ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عبّاس ، أنّ قريشًا بعثوا أربعين رجلا منهم — أو خمسين رجلا — وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليُصيبوا لهم من أصحابه ، فأُخِذُوا أخذاً ، فأُتِىَ بِهِمْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم — وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل — ثم دعا النبى صلّى الله عليه وسلم عُمر بن الخطاب ليبعثَه[2] إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاءَ له ؛ فقال : يا رسولَ الله ، إنى أخاف قريشًا على نفسى ؛ وليس بمكّة من بنى عدىّ بن كعب أحد يمنعنى ؛ وقد عرفَتْ قريش عداوتى إيّاها ، وغلظتى عليها ، ولكنّى أدلك على رجل هو أعزّ بها منّى ، عثمان بن عفان !

فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عثمان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظّمًا لحرمته . ١٥٤٣/١

فخرج عثمان إلى مكّة ، فلقيَه أبَان بن سَعيد بن العاص حين دخل مكة — أو قبْل أن يدخلها — فنزل عن دابّته ، فحمله بين يديه ، ثم ردَفه وأجاره ؛ حتى بلّغ رسالَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانطلق عثمان حتى أتَى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلّغهم عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ما أرسلَهُ به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم : إن شئتَ أن تطوف بالبيت فطُفْ به ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فاحتبستْه قريش عندها ،

(١) الخبر فى التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بولاق) .
(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين أنّ عثمان قد قُتل .

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، قال : فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجزَ القوم ؛ ودعا النّاس إلى البيعة فكانت بيعةُ الرّضوان تحت الشجرة

* * *

حدّثني ابنُ عمارة الأسديّ ، قال : حدّثني عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عُبيدة، عن إياس بن سلَمة، قال : قال سلَمة بن الأكوع : بينما نحن قافلون من الحديبيَة، نادى منادي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : أيها الناس؛ البيعة البيعة! نزل رُوح القدس . قال : فسرْنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سَمُرَة ، قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[1] . ١٥٤٢/١

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ أنهم كانوا يوم الحديبية أربعةعشر ومائة. قال : فبايعنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، وعمرُ آخذ بيده تحت الشجرة ،وهي سَمُرة ، فبايعناه غير الجدّ بن قيس الأنصاريّ ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعْنا رسول الله على ألاّ نفرّ ؛ ولم نبايعه على الموت[2] .

---

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بولاق)

وقد قيل فى ذلك ما حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَ أبو عامر ، قال : أخبرنا عِكْرمة بن عمّار اليمامىّ ، عن إياس بن سلَمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم دعا الناس للبيعة فى أصل الشجرة ، فبايعتُه فى أوّل الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان فى وسطٍ من الناس ، قال : بايعْ يا سلَمة ،قال : قلت : قد بايعتُك يا رسولَ الله فى أوّل الناس! قال : وأيضًا ؛ ورآنى النبي صلى الله عليه وسلم أعْزَلَ ، فأعطانى حَجَفَة أو دَرَقَة . قال : ثم إنّ رسولَ الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان فى آخرهم ، قال : ألا تبايعُ يا سلمةُ! قلت : يارسول الله ، قد بايعتك فى أوّل الناس وأوسطهم! قال : وأيضًا . قال : فبايعتُه الثالثة ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأين الدَّرَقة ، والحَجَفة التى أعطيتُك ؟ قلتُ : لقيَنى عمّى عامر أعزَل فأعطيته إياها ، فضحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وقال : إنك كالذى قال الأول : اللهمّ ابغنى حبيبًا هو أحبّ إلىّ من نفسى . ١/١٥٤٥

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قالَ : فبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم النّاس ، ولم يتخلّفْ عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ ابن قيس ، أخو بنى سلِمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأنّى أنظرُ إليه لاصقًا بإبط ناقته ، قد ضَبَأ[1] إليها يستتر بها من الناس. ثم أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّ الذى كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : ثم بعثتْ قريش سهيلَ بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤىّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وقالوا له : ائت محمداً فصالحْه ، ولا يكن فى صلْحه إلاّ أن يرجعَ عنّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سُهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلمّا انتهى سهيل

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تكلَّم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمّا التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لَسْنا بالمسلمين! قال : بلى ، قال : أو ليسُوا بالمشركين! قال : بلى ؛ قال : فَعَلامَ نُعْطى الدنيّةَ[1] فى ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمر الزَمْ غَرْزَه[2] ؛ فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسول الله، ألستَ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أوَ لَسْنَا بالمسلمينَ ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا ! بالمشركين! قال : بلى ،قال: فعلامَ نعطى الدنيّة فى ديننا! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالفَ أمرَه ، ولن يُضيِّعَنى . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأتصدّقُ وأصلِّى وأعتق من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلّمت به؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

١٥٤٦/١

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمىّ ، عن محمد بن كعب القرظىّ ، عن علقمة ابن قيس النخعىّ ، عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال : ثمّ دعانى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سُهَيل : لا أعرف هذا، ولكن اكتب : «باسمك اللهمّ»، فقال رسول الله : اكتب« باسمك اللهمّ» ، فكتبتُها. ثم قال: اكتب: « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلْك ؛ ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ، قال : فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو ؛ اصطلحا على وضْع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهنّ الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه مَنْ أتى رسولَ الله من قريش بغير

---

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أى ألزم أمره ، والغرز للرحل بمنزله الركاب للسرج .

إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع رسول الله لم تردُّه عليه. وأنّ بيننا عَيْبة مكفوفة[١]، وأنه لا إسلال[٢] ولا إغلال[٣]؛ وأنه مَن أحب أن يدخلَ فى عَقْد رسولِ الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخلَ فى عَقْد قريش وعهدهم، دخل فيه» — فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن فى عَقْد رسول الله وعهده، وتواثبتْ بنو بكر، فقالوا: نحن فى عَقْد قريش وعهدها — «وأنك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجْنا عنك، فدخلتَها بأصحابك؛ فأقمت بها ثلاثًا، وأن معك سلاح الراكب، السيوف فى القُرُب لا تدخلها بغير هذا». ١٥٤٧/١

فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد، قد انفلتَ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم — قال: وقد كان أصحابُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خرجوا وهم لا يشكوّن فى الفتح، لرؤيا رآها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فلمَّا رأوْا ما رأوْا من الصلْح والرجوع، وما تحمَّل عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى نفسه، دخل الناسَ من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتى كادوا أن يهلِكوا — فلمَّا رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلَبَّبه[٤]، فقال: يا محمد قد لجَّت[٥] القضيَّة بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا! قال: صدقْت، قال: فجعل يَنْتِرُه[٦] بلَبَّبه، ويجرُّه ليَرُدَّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرُخ بأعلى صوتِه: يا معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين يفتنونني فى دينى! فزاد الناس ذلك شرًّا[٧] إلى ما بهم فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: يا أبا جندل، احتسِبْ، فإن الله جاعلٌ لك ١٥٤٨/١

---

(١) عيبة مكفوفة، أى لا تكون عداوة بيننا، على التمثيل.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية.

(٣) الإغلال: الخيانة.

(٤) ابن هشام: «بتلبيبه».

(٥) لجت القضية: تمت.

(٦) ينتره، أى يجذبه جذباً شديداً مع جفاء.

(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولمن معك من المستضعَفين فَرَجًا ومخرجًا ؛ إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم عَقْداً وصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدا ، وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدِر بهم .

قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ؛ فإنّما هم المشركون ؛ وإنما دَمُ أحدهم دمُ كلب !

قال : ويُدْنى قائم السيف منه ،قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنّ الرجل بأبيه .

فلمّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين : أبا بكر بن أبى قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقّاص ، ومحمود بن مسلمة أخا بنى عبد الأشهل ، ومِكْرز بن حفص بن الأخْيَف — وهو مشرك — أخا بنى عامر بن لؤىّ ، وعلى بن أبى طالب ، وكتب[1] وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدّثنا سفيان بن وكيع ، قال: حدّثنا أبى ، قالا جميعًا : حدّثنا إسرائيل ، قال: حدثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : اعتَمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى ذى القَعْدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة ، حتى يقاضيَهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام . فلمّا كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن عبدالله ، قال: أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبدالله ، قال لعلىّ عليه السلام : امْحَ «رسولَ الله» ، قال : لا والله لا أمحاك أبدًا ، فأخذه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — وليس يُحسِن يكتب — فكتب مكان «رسول الله» «محمد» فكتب : «هذا ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف فى القِراب ، ولا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتّبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها » . فلما دخلها ومضَى الأجل ، أتَوْا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له[2] : قل

١٥٤٩/١

(١) ساقطة من و . (٢) ساقطة من و .

لصاحبك: اخرجْ عنّا فقد مضى الأجل، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم .

حدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمَر ، عن الزهرىّ ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْور بن مخرمة . وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدّثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدّثنا معمَر ، عن الزّهرىّ، عن عُرْوَة، عن المِسْور بن مَخْرمة ومرْوان بن الحكَم فى قصة الحديبيَة : فلّما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من قضيّته[١] قال لأصحابه : قوموا فانحرُوا ، ثم احلِقُوا . قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتّى قال ذلك ثلاث مرّات[٢] ؛ فلمّا لم يقمْ منهم أحد ، قام فدخلَ على أمّ سلَمة، فذكر لها ما لَقِىَ من الناس ، فقالت له أمّ سلمة: يا نبىّ الله، أتحبّ ذلك ! اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بَدَنَتَك؛ وتدعوَ حالِقَك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلّم ١٥٥٠/١ أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك؛ نحر بَدَنته ودعا حالِقه فحلقه. فلمّا رأوْا ذلك قاموا فنحرُوا ؛ وجعل بعضهم يحلِق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غَمّا .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذى حلقه – فيما بلغنى ذلك اليوم – خراش بن أميّة بن الفضل الخُزاعىّ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال: حلَق رجالٌ يوم الحديبية ، وقصَّر آخرون ؛ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: يرحم الله المحلّقين ، قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم[٣] الله المحلّقين ؛ قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلّقين ، قالوا: يا رسولَ الله : والمقصِّرين ؟ قال : والمقصِّرين ؛ قالوا: يا رسولَ الله؛ فلِمَ ظاهرتَ التّرحُّم للمحلّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لأنهم لم يشكّوا .

(١) س : « قصته » . (٢) س : « ثلاثا » . (٣) س : « رحم » .

حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلَمة، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال : أهدى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الحديبيَة فى هداياه جملاً لأبى جهل؛ فى رأسه بُرَة من فضّة ، ليغيظ المشركين بذلك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث الزهرىّ الذى ذكرنا قبل[1] . ثم رجع النبى صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة — زاد ابنُ حُميد عن سلمة فى حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهرىّ ، قال : يقول الزهرىّ : فما فُتِحَ فى الإسلام فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه ؛ إنما كان القتال حيث التقى النّاس — فلما /١٥٥١ كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضا فالتقوا ؛ وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ، فلقد دخل فى تينْك[2] السنتيْن فى الإسلام مثلُ ما كان فى الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً فى حديثهم عن الزُّهْرِى ، عن عُروة ، عن المِسْوَر ومروان : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بَصير ؛ — رجل من قريش — قال ابن إسحاق فى حديثه : أبو بصير عُتْبة بن أسَيْد ابن جارية — وهو مسلمٌ ، وكان ممن حُبِس بمكة ، فلمّا قدِم على رسول الله كتب فيه أزهر بن عبد عوْف والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفىّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبعث رجلا من بنى عامر بن لؤىّ ، ومعه موْلى لهم. فقدما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكتاب الأزهر والأخنس ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا أبا بصير ؛ إنّا قد أعطَيْنا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا فى ديننا الغَدْر ، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرَجا ومخرجا .

١/١٥٥٢ قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذى الحُلَيْفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت! فاستلّه أبو بَصير ، ثمّ علاه

(١) س : « فى الذى ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتّى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو جالس فى المسجد ، فلمّا رآه رسول الله طالعاً ، قال : إنّ هذا رجل قد رأى فَزَعًا ، فلمّا انتهى إلى رسولِ الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتَل صاحبُكم صاحبي ؛ فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشّحًا السيف ، حتى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا رسولَ الله ، وفتْ ذمّتك ، وأدّىَ عنك ، أسلمتَنى ورددتَنِى إليهم ثم أنجانى الله منهم . فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم : ويلُ امّه مِسْعَرُ حَرْب ! — وقال ابن إسحاق فى حديثه : مِحَشّ حَرْب[1] — لو كان معه رجالٌ ! فلمّا سمع ذلك عرف أنه سيرُدّه إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعِيص من ناحية ذى المَرْوة على ساحل البحر بطريق قريش الذى كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكة قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى بصير : «ويل امّه محشّ حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ؛ وينفلت أبو جندل بن سُهَيل بن عمرو ، فلحق بأبى بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلا منهم ؛ فكانوا قد ضيّقوا على قُرَيش ؛ فو الله ما يسمعون بعِيرٍ خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يناشدونه بالله وبالرّحم[2] لَمَا أرسل إليهم ! فمن أتاه فهو آمِن ، فآواهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقدموا عليه المدينة .

١٥٥٣/١ زاد ابن اسحاق فى حديثه : فلمّا بلغ سهيلَ بن عمرو قتلُ أبى بصير صاحبِهم العامرىّ أسند ظهرَه إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخّر ظهرِى عن الكعبة ؛ حتى يُودُوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إنّ هذا لهو السَّفه ! والله لا يُودَى ! ثلاثا .

* * *

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب فى حديثهما : ثم جاءه — يعنى رسولَ الله — نسوةٌ مؤمناتٌ ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ — حتى بلغ : ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾[1] . قال : فطلّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتيْن كانتا له فى الشرْك . قال : فنهاهم أن يردّوهنّ ، وأمرهم أن يردّوا الصّداق حينئذ .

قال رجل للزهرىّ: أمِنْ أجل الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صَفْوان بن أميّة .

زاد ابن إسحاق فى حديثه : وهاجرتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيْط فى تلك المدّة ؛ فخرج أخواها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ؛ حتى قَدِما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألانِه أن يردّها عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش فى الحديبية ؛ فلم يفعل، أبَى الله عزّ وجلّ ذلك .

وقال أيضًا فى حديثه : كان ممّن طلّق عمر بن الخطاب ، طلق امرأتَيْه قُرَيْبة بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ فتزوّجها بعده معاوية بن أبى سفيان ؛ وهما على شِرْكهما بمكّة، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جَرْوَل الخُزاعيّة أمّ عُبيد الله بن عمر ؛ فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذافة بن غانم ، رجلٌ من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

١٥٥٤/١

* * *

وقال الواقدىّ : فى هذه السنة — فى شهر ربيع الآخر منها — بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عُكّاشة بن مِحْصَن فى أربعين رجلا إلى الغَمْر ؛ فيهم ثابت بن أقْرَم وشُجاع بن وهب ؛ فأغذّ السير ، ونذِرَ[2] القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياههم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتى بعير ، فحدَرُوها إلى المدينة .

---

(١) سورة الممتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال: وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فى عشرة نفر فى ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتّى نام هو وأصحابه؛ فما شعروا إلاّ بالقوم ؛ فقتِل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلَت محمد جريحا .

قال الواقدى : وفيها أسْرَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم سرِيَّةَ أبى عُبيدة بن الجرَّاح إلى ذى القَصّة فى شهر ربيع الآخر فى أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مُشاةً ، ووافوْا ذا القَصّة مع عَماية الصُّبح ، فأغاروا عليهم ، ١/١٥٥٥ فأعجزوهم هَرَبًا فى الجبال، وأصابوا نعمًا ورِثّة[1] ورجلا واحدًا، فأسلم ، فتركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرّية زيد بن حارثة بالجَمُوم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنة ؛ يقال لها حليمة ، فدَلّتْهم على محلَّة من محالّ بنى سُلَيم ، فأصابوا بها نَعَمًا وشاء وأسَراء ؛ وكان فى أولئك الأسَراء زوْج حليمة ، فلمَّا قفل بما أصاب وَهَب رسول الله صلَّى الله عليه وسلم للمُزَنيَّة زوجَها ونفسَها .

قال : وفيها كانت سريّة زيْد بن حارثة إلى العِيص فى جُمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبى صلّى الله عليه وسلّم فأجارَتْه .

قال : وفيها كانت سريَّة زيد بن حارثة إلى الطَّرَف ، فى جمادى الآخرة، إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسولُ الله سارَ إليهم ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيرا . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سريَّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى فى جمادى الآخرة .

---

(١) و : «نعمة ورثاء» ، والرث والرثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أوّل ذلك — فيما حدثنى موسى بن محمّد ، عن أبيه ، قال : أقبل دِحْيَةُ الكلبىّ من عند قيصر ؛ وقد أجاز دِحْيَةَ بمال ، وكساه كُسًى ؛ فأقبل حتّى كان بحِسْمَى ، فلقيَه ناسٌ من جُذام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يُترك معه شىء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخلَ بيته فأخبره ، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة إلى حِسْمى .

١٥٥٦

قال : وفيها تزوّج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلّقها عمر فتزوّجها[1] بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمّه .

قال : وفيها سريّة زيد بن حارثة إلى وادى القُرى فى رجب.

قال : وفيها سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دَوْمة الجَنْدل فى شعبان؛ وقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن أطاعوك فتزوّج ابنَة ملكهم ؛ فأسلم القوم، فتزوّج عبد الرحمن تُماضر بنت الأصْبَغ ؛ وهى أمّ أبى سلَمة؛ وكان أبوها رأسَهم وملكهم .

قال : وفيها أجدب الناسُ جدبًا شديدًا، فاستسقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرّية على بن أبى طالب عليه السلام إلى فَدَك فى شعبان .

قال : وحدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عُتْبة ، قال : خرج علىٌّ بن أبى طالب فى مائة رجل إلى فَدَك ، إلى حىّ من بنى سَعْد بن بكر ؛ وذلك أنّه بلغ رسولَ الله أنّ لهم جمعًا يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم الليل وكَمَن النّهار ؛ وأصاب عَيْنًا ؛ فأقرّ لهم أنه بُعِث إلى خيبر يعرض عليهم نصرَهم على أن يجعلوا لهم تمر خَيْبر .

قال : وفيها سرّية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفة فى شهر رمضان .

١٥٥٧

وفيها قتلت أمّ قِرْفة ؛ وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر، قتلها قتلاً

---

(١) س : « فتزوجت » .

عنيفًا ؛ ربط برجليها حبلًا ثم ربطها بين بعيرين حتى شقّاها شقًّا ؛ وكانت عجوزًا كبيرةً .

وكان من قصّتها ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى وادي القُرى ؛ فلقِيَ به بني فزارة ؛ فأصيب به أناسٌ من أصحابه ، وارْتُثَّ زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بني سعد بني هُذَيم ، أصابه أحد بني بدْر ؛ فلمّا قدم زيد نَذَر ألاّ يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يَغْزُوَ فزارة ؛ فلمّا استبلّ من جراحه[1] ، بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في جيش إلى بني فزارة ، فلقيَهم بوادي القُرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحَّر اليَعْمُريّ مَسْعَدَةَ بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أمَّ قرفة — وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بنُ حذيفة بن بدر ، عجوزًا كبيرة — وبنتًا لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قِرْفة ؛ فقتلها قتلا عنيفًا ، ربط برجليها حبلين ثم رَبطهما [2] إلى بعيرين حتى شقّاها . ١٥٥٨/١ ثم قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بابنة أم قِرْفة وبعبد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعزّ من أم قرفة ما زدتَ . فسألها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سلَمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهْب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن .

وأما الرواية الأخرى عن سلَمة بن الأكوع في هذه السرّية ، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة ؛ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرَنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عِكْرمة بن عَمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمّرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علينا أبا بكر ؛ فغزونا ناسًا من بني فَزارة ، فلمّا دنوْنا من الماء أمرَنا

---

(١) س : « جراحته » .

(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشننّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عُنُقًا [1] من الناس ؛ وفيهم النّساء والذرارىّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهمًا بينهم وبين الجبل ، فلمّا رأوا السّهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم امرأة من بنى فزارة عليها قشْعٌ [2] أدَم، معها ابنة لها من أحسن العرب. قال : فنفّلنى أبو بكر ابنتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيَنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هب لى المرأة ! فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبَتْنى وما كشفت لها ثوبًا . قال : فسكت عنى حتّى إذا كان من الغد لقيَنى فى السّوق، فقال : يا سلَمة ، لله أبوك ! هبْ لى المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوبا ؛ وهى لك يا رسولَ الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين . فهذه الرواية عن سلمة .

١٥٥

* * *

قال محمد بن عمر : وفيها سرّية كُرز بن جابر الفهرىّ إلى العُرَنيّين الذين قتلوا راعىَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل فى شوّال من سنة ستّ ؛ وبعثه رسول الله فى عشرين فارسًا .

* * *

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسُلَ ؛ فبعث فى ذى الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحبين؛ حاطب بن أبى بلتعة من لَخْم حليف بنى أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خُزيمة — حليفا لحرب بن أمية شهد بدرًا — إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ ، ودِحْيَةَ ابن خليفة الكلبىّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامرىّ عامرَ بن لؤىّ إلى هَوْذة بن على الحنفىّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهمىّ إلى كسرى. وعمرو بن أمية الضَّمْرىّ إلى النجاشىّ .

/١٥٦٠

---

(١) عنقا : جماعة . (٢) القشع : الفرو الخلق .

وأمَّا ابنُ إسحاق ، فإنَّه — فيما زعم ، وحدّثنا به ابنُ حميد — قال : حدّثنا سلَمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد فرّق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزّ وجلّ فيما بين الحديبيَة ووفاته .

وحدّثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب المصريّ ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَن بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به إلى ابن شهاب الزُّهريّ ، مع ثقة من أهل بلدة فعرّفه . وفى الكتاب أنّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خرج على أصحابه ذاتَ غَداة ، فقال لهم : إني بُعِثتُ رحمةً وكافّة ، فأدّوا عنّي يرحمكم الله[١] ، ولا تختلفوا عليّ كاختلاف الحواريِّين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف كان اختلافُهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ، فأمَّا من قَرُبَ به[٢] فأحبّ وسلِم ، وأمَّا مَنْ بَعُد به فكرِه وأبى ، فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عزّ وجلّ ، فأصبحوا من ليلتهم تلك ، وكلُّ رجل منهم يتكلَّم بلغة القوم الَّذين بُعث إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه ؛ فامضوا[٣] .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرّق رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه ؛ فبعث سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخا بني عامر بن لؤي إلى هَوْذة بن عليّ ، صاحب اليمامة . وبعث العَلاءَ بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبدالقَيْس صاحب البحرَيْن ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلَنْدَى وعبّاد بن جُلَنْدَى الأزديَّيْن صاحبيَ عُمان . وبعث حاطب بن أبي بَلْتَعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فأدَّى إليه كتابَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأهدى المقوقس إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أربعَ جوار ، منهنّ مارية أمّ إبراهيم بن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . وبعث رسول الله

١٥٦١/١

(١) س : « رحمكم الله » .
(٢) و : « له » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دِحْيَةَ بن خليفة الكلبىّ ثم الخزْجىّ [١] إلى قيصر ، وهو هِرَقْل ملك الروم ؛ فلمّا أتاه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نَظر فيه ثم جعله بين فَخِذَيْه وخاصِرَته [٢].

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن عبدالله ابن عباس ، قال : حدّثنى أبو سُفيان بن حرب ، قال [٣] : كنّا قومًا تجارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتْنا حتى نَهكَتْ أموالَنا ؛ فلمّا كانت الهُدْنَة بيننا وبين رسول الله ، لم نأمَنْ ألاّ نجد أمنًا ؛ فخرجتُ فى نَفَر من قريش تُجّار إلى الشأم ؛ وكان وجهُ متجرنا منها غَزّة ، فقدمناها حين ظهر هِرَقْل على مَنْ كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانتزع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلمّا بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقِذ له — وكانت حِمْصُ منزله — خرج منها يمشى على قدميْه متشكرًا لله حين ردّ عليه ماردّ ، ليصلّىَ فى بيت المقدس ، تُبْسَطُ له البُسط ، وتلقَى عليها الرياحين ، فلمّا انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقته وأشراف الروم ، أصبح ذات غَداة مهمومًا يقلّب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقته : والله لقد أصبحتَ أيها الملك الغداةَ مهمومًا ، قال : أجلْ ، أريت فى هذه الليلة أن مُلكَ الختان ظاهرٌ ! قالوا له : أيها الملك ، ما نعلم أمّةً تختتن إلاّ يهود ؛ وهم فى سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كلّ مَنْ لك عليه سلطان فى بلادك ، فمرْه فليضرب أعناقَ كلّ مَنْ تحت يديه من يهودَ ، واسترِحْ من هذا الهمّ ؛ فوالله إنّهم لفى ذلك من رأيهم يُديرونه ؛ إذْ أتاه رسولُ صاحب بُصْرَى برجل من العرب ، يقوده — وكانت الملوك تَهادَى الأخبار بينها — فقال : أيها الملك ، إنّ

١٥٦٢

(١) ط : « الخزرجى » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزج بن عامر ، وهو جد دحية .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .
(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٣٤٥ — ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاءِ والإبل ؛ يحدّث عن أمر حَدَث ببلاده عجب ؛ فسلْه عنه .

فلمَّا انتهى به إلى هِرَقْل رسول صاحب بُصرى ، قال هرقل لتَرْجُمانه : سلْه ، ما كان هذا الحدَث الَّذى كان ببلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رَجُلٌ يزعُم أنه نبىّ ، قد اتّبعه ناسٌ وصدّقوه ، وخالفه ناس ؛ وقد كانت بينهم ملاحم فى مواطن كثيرة ؛ ؛ فتركتهم على ذلك . قال : فلمَّا أخبره الخبر قال : جَرّدُوه ، فجرَّدوه ؛ فإذا هو مختُون ، فقال هرقل : هذا والله الذى أريت[1] ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحبَ شُرْطته ، فقال له : قَلّب لى الشأم ظهرًا وبطنًا ؛ حتى تأتِيَنى برجل من قوم هذا الرجل — يعنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . ١٥٦٣/١

قال أبو سفيان : فوالله إنّا لبغَزّةَ ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رَهْط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيّكم أمسّ به رحِمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ من رجل أرى أنّه كان أنكَر من ذلك الأغلف — يعنى هرقل — فقال : ادْنُهْ فأقعدنى بين يديْه ، وأقعد أصحابى خَلْفى ، ثم قال : إنى سأسأله ؛ فإن كَذَبَ فَرُدُّوا عليه ؛ فوالله لو كذبتُ ما رَدُّوا علىّ ؛ ولكنى كنتُ امرَأً سيّدًا أتكرَّمُ عن الكذب ؛ وعرفت أن أيْسر ما فى ذلك إنْ أنا كذّبته أن يحفظُوا ذلك علىّ ؛ ثم يحدّثوا به عنى ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرْنى عن هذا الرجل الذى خرج بين أظهركم يدّعى ما يدّعى ! قال : فجعلتُ أزَهّدُ له شأنه ؛ وأصغّرُ له أمره ؛ وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من أمره ! إنّ شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئنى عَمَّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سَلْ عَمَّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ[2] ؛ أوسطنا نسبًا . قال :

---

(١) الأغانى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبِرْنى هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبَّه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إيَّاه ؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرنى عن أتْبَاعه منكم ، مَنْ هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلْمان والنِّساء ، وأما ذوو الأسنان والشَّرَف من قومه ؛ فلم يتّبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبِرْنى عمَّنْ تَبِعه ، أيحبّه ويلزمُه[1] أم يقليه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبِرْنى كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدال علينا ونُدال عليه ؛ قال : فأخبرنى هل يَغْدِر ؟ فلم أجد شيئاً ممَّا سألنى عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه فى هُدْنة ، ولا نأمن غَدْرَه . قال : فوالله ما التفت إليها منّى ، ثم كرّ علىّ الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمتَ أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبىّ إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوْسَط قومه نسباً . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبَّه به ؛ فزعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلْكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاءَ بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنَّهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء فى كلّ زمان ، وسألتكُ عَمّن يتَّبعه ، أيحبه ويلزمه أم يَقْليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ؛ فلئن كنتَ صدقتَنى عنه ليغلبَنِّى[2] على ما تحت قدمىّ هاتين ؛ ولوددت أنّى عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

قال : فقمتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يدىّ بالأخرى ؛ وأقول : أى عبادَ الله ؛ لقد أمِرَ أمْرُ[3] ابن أبى كَبْشَةَ ! أصبح ملوك بنى الأصفر يهابونَه فى سلطانهم بالشأم !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دحيَة بن

(١) س : « ويكرمه » .
(٢) الأغانى : « فليغلبن » .
(٣) أمر أمره : قوى واشتد .

١/١٥٦٤
١/١٥٦٥

خليفة الكلبيّ : بسم لله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم . السَّلام على من اتَّبع الهدى . أمَّا بعد : أسْلِمْ تَسْلَم ، وأسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أجْرَك مرّتين ؛ وإن تتولّ فإنّ إثْمَ الأكّارين عليك — يعنى تحمّالَه .

حدّثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن ابن عبَّاس ، قال : أخبرنى أبوسفيان ابن حَرْب ، قال : لمَّا كانت الهُدْنة بيننا وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحديبيَة ، خرجتُ تاجرا إلى الشأم . ثم ذكر نحو حديث ابنِ حميد ، عن سلَمة ، إلا أنه زاد فى آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته .

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شِهاب الزُّهرىّ : حدّثنى أسقفٌ للنصارى أدركتُه فى زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمْرِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأمْر هرقل وعقَله ، قال : فلمَّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هِرَقْل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومِيَة كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويَصفُ له شأنه ، ويخبره بما جاءَ منه ؛ فكتب إليه صاحب رومِيَة : إنَّه لَلنَّبىُّ الذى كنا ننتظِرُه[1] ؛ لا شكَّ فيه ؛ فاتَّبعه وصدِّقْه . ١/١٥٦٦

فأمر هرقلُ ببطارقة الرُّوم ؛ فجُمِعُوا له فى دَسْكَرَة[2] ، وأمر بها فأشرِجَتْ[3] أبوابُها[4] عليهم ؛ ثم اطّلع عليهم من عُلّيَّة له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشَرَ الروم ؛ إنى قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتانى كتاب

(١) و : « ننتظر » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أشرجت : سدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرّجل يدعونى إلى دينه ؛ وإنّه والله لَلنبىّ الذى كنّا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلمّوا فلنتّبعه ونصدّقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال : فنَخَرُوا نَخْرةَ رجل واحد؛ثم ابتدروا أبوابَ الدَّسْكرة ليخرجوا منها فوجدُوها قد أغلقت ؛ فقال : كرُّوهم علىّ — وخافهم على نفسه — فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنى قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الّذى قد حدَث ؛ وقد رأيت منكم الذى أسَرُّ به ؛ فوقعوا له سُجّدًا ؛ وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففتِحَتْ لهم ؛ فانطلقوا[١] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ هرقل قال لدِحْيَة بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إنّى لأعلَمُ أن صاحبَك نبىٌّ مرسل ؛ وأنّه الّذى كنّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى[٢] أخاف الرُّوم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتّبعتُه ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقفّ فاذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم منّى ، وأجوَز[٣] قولا عندهم منّى ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥

قال : فجاءَه دِحْية ؛ فأخبره بما جاءَ به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هرَقل، وبما يدعوه إليه ،فقال صغاطر : صاحبُك والله نبى مرسَل؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثيابًا كانت عليه سودًا ، ولبِس ثيابًا بيضا ، ثم أخذ عصاه؛ فخرج على الرّوم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إنه قد جاءَنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعونا فيه إلى الله عزّ وجلّ ؛ وإنّى أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وَثْبةَ رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . فلمّا رجع

(١) الأغانى ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
(٢) و : ولكن » .
(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دِحْيَة إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فصغاطر — والله — كان أعظمَ عندهم وأجْوَزَ قولاً منى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، قال : حدّثنا محمّد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشأم ، قال : لما أراد هِرقْل الخروجَ من أرض الشأم إلى القسطنطينية ، لمّا بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الرّوم ، فقال : يا معشرَ الرُّوم ؛ إني عارضٌ عليكم أموراً ، فانظروا فيمَ قد أردتُها ! قالوا : ما هى ؟ قال : تعلمون والله أنّ هذا الرّجل لنبى مرسلٌ ؛ إنا نجده فى كتابنا نعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلُمّ فَلْنتّبِعْه ، فتسلَم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحتَ يدى العرب ؛ ونحن أعظم الناس مُلْكًا ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلُهم بلدا !

قال : فهلمّ فأعطيه الجزية فى كلّ سنة ، اكسِرُوا عنى شوكتَه وأستريحُ من حَرْبِه بمال أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطى العرب الذلّ والصَّغار ، بخَرْج يأخذونه منا ؛ ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكًا ، وأمنعهم[1] بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً . ١٥٦٨/١

قال : فهلمّ فلأصالحه على أنْ أعطيَه أرض[2] سُورِيَة ، ويَدَعنى وأرض الشأم — قال : وكانت أرضُ سوريّة أرضَ فلسطين والأردنّ ودمشق وحِمْص وما دون الدَّرْب من أرض سوريَة ؛ وكان ما وراء الدَّرْب عندهم الشأم — فقالوا له : نحن نعطيه أرضَ سوريَة ؛ وقد عرفت أنها سرّة الشأم ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبَوْا عليه ، قال : أما والله لتَرونّ أنكم قد ظفرتُمْ إذا امتنعتم منه فى مدينتكم . ثم جلس على بَغْل له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدَّرْب استقبل أرض الشأم ، ثم قال : السّلام عليكم أرض سوريَة تسليمَ الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيّة .

* * *

(١) س : « وأمنعه » .
(٢) س : « على أن أصالحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُجَاع بن وهب ، أخا بنى أسد بن خُزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبى شَمِر الغسانىّ؛ صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدىّ : وكتب إليه معه : سلام عَلى مَن اتّبع الهدى ، وآمن به . إنّى أدعُوك إلى أن تؤمنَ بالله وحدَه لا شريك له يبقى لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهْب ، فقرأه عليهم ، فقال : مَنْ ينزع منّى ملكى! أنا سائر إليه ؛ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : بادَ مُلْكه[1] !

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرِىّ إلى النجاشىّ فى شان جعفر بن أبى طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتابًا .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشىّ الأصحم ملك الحبشة ، سلمٌ[2] أنت ؛ فإنى أحمَد إليك الله الملك القُدُّوس السَّلام المُؤمِن المهيمن ؛ وأشهدُ أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البَتُول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فخلقه الله من رُوحِه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنّى أدعوك إلى الله وحْده لا شريك له ؛ والموالاة على طاعته ؛ وأن تتبعنى وتؤمِنَ بالذى جاءنى ؛ فإنّى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابنَ عمّى جعفراً ونفراً[3] معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرّهم ، ودع التجبّر ؛ فإنّى أدعُوك وجنودَك إلى الله؛ فقد بلّغت ونصحت؛ فاقبلوا نصْحِى؛ والسلام على من اتّبع الهدى .

فكتب النجاشىّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشىّ الأصْحَم بن أبجر . سلامٌ عليك

(١) باد ملكه : ذهب .
(٢) س : « سلام » .
(٣) س : « ومعه نفر » .

يانبىّ الله[١] ورحمة الله وبركاته[١]، من الله الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى إلى الإسلام . أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ الله فيما ذكرتَ من أمر عيسى ، فوربِّ السماء والأرض إنّ عيسى ما يزيد على ما ذكرتَ ثُفْرُوقًا[٢] ؛ إنه كما قلت ؛ وقد عرفنا ما بُعثتَ به إلينا ؛ وقد قرَيْنا ابنَ عمّك وأصحابه[٣] ؛ فأشهد أنك رسولُ الله صادقًا مصدّقًا ؛ وقد بايعتك وبايعتُ ابنَ عمك ؛ وأسلمت على يديه[٤] لله ربّ العالمين ؛ وقد بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم ابن أبجر ؛ فإنى لا أملكُ إلاّ نفسى ؛ وإن شئت أن آتيَك فعلت يا رسول الله ؛ فإنّى أشهد أن ما تقول حقّ ، والسلام عليك يا رسول الله . ١/١٥٧٠

قال ابن إسحاق : وذُكرَ لى أنّ النجاشىّ بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ؛ فإذ كانوا فى وَسَط من البحر غرِقَتْ بهم سفينتُهم ، فهلكوا .

وحُدّثت عن محمد بن عمر ، قال : أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ ليزوّجه أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ؛ ويبعث بها إليه مع مَنْ عنده من المسلمين ، فأرسل النجاشىّ إلى أمّ حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة ؛ فأعطتها أوْضَاحًا[٥] لها وفَتَخًا[٦] ؛ سرورًا بذلك ، وأمرها أن توكّل مَنْ يزوّجها ، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص ، فزوّجها ، فخطب النجاشىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب خالد فأنكَح أمّ حبيبة ، ثم دعا النجاشىّ بأربعمائة دينار صداقها ؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد ؛ فلما جاءت أمّ حبيبة تلك الدنانير ، قال : جاءت بها أبْرهة فأعطتها خمسين مثقالا ، وقالت : كنت أعطيتُكِ ذلك ؛ وليس بيدى شىء ، وقد جاء الله عزّ وجلّ بهذا .

(١-١) س : « من الله ورحمته » .

(٢) يقال : ماله ثفروق ، أى شىء وأصله قمع التمر ، أو ما يلتزق به قمعها .

(٣) و : « وأصحابك » .

(٤) س : « يده » .

(٥) أوضاحا ، أى حليا من فضة .

(٦) الفتخة : خاتم كبير يكون فى اليد والرجل .

فقالت أبرهة : قد أمرنى الملك ألاّ آخذ منك شيئًا ؛ وأن أردّ إليك الذى أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دُهن الملك وثيابه ، وقد صدّقتُ محمداً[١] رسول الله وآمنتُ به ؛ وحاجتى إليك أن تقرئيه منى السّلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهنّ من عُود وعنبر ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره .

قالت أمّ حبيبة : فخرجنا فى سفينتين ؛ وبعث معنا النّواتى حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظّهر إلى المدينة ؛ فوجدْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخيْبر ، فخرج مَنْ خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدِم رسولُ الله ؛ فدخلتُ إليه ، فكان يسائلنى عن النّجاشىّ ؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام ، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ؛ ولما جاء أبا سفيانَ تزويجُ النبىّ صلىّ الله عليه وسلم أمّ حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدَعُ أنفه .

* * *

وفيها كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حُذافة السهمىّ ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلامٌ على مَن اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّى رسول الله ، إلى الناس كافّة ، ليُنذِرَ مَنْ كان حَيًّا ؛ أسلِمْ تسلَمْ ، فإنْ أبيت فعليك إثم المجوس .

فمزّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : مُزِّق ملكه !

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، إلى كِسْرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كِسْرى عظيم فارس ؛ سلام علَى من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده

---

(١) س : « لمحمد » .

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافّةً لأنذِر من كان حَيًّا ويحقّ القول على الكافرين ، فأسلِم تَسلَم ، فإن أبيت ؛ فإن إثم المجوس عليك .

فلمّا قرأه مزّقه ، وقال : يكتب إلىّ هذا وهو عبدى !

حدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن الزُّهرىّ ، عن أبى سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حُذافة قدِمَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلمّا قرأه شقّه ، فقال رسول الله : مُزّق ملكُه! حين بلغه أنه شقّ كتابه .

* * *

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبى حبيب . قال : ثمّ كتب كِسْرى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرّجل الذى بالحجاز رجلَيْن من عندك جَلْدَيْن ، فلْيأتيانى به ؛ فبعث باذانَ قهرمانه وهو بابَوَيْه — وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس— وبعث معه رجلا من الفُرْس يقال له خُرّخُسره ، ١/١٥٧٣ وكتب معهما إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلّمه وأتِنى بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنَخِب من أرض الطائف فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشِروا فقد نَصِب[1] له كسرى ملك الملوك ، كُفِيتم الرجل !

فخرجا حتى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه بابويه ، فقال : إنّ شاهانشاه ملك الملوك كِسْرى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك مَنْ يأتيه بك ؛ وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ؛ فإن فعلتَ كتَب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك ؛ وإن أبيتَ فهو من قد علمت ! فهو مهلكُك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

(١) نصب : جد واهتم .

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا بهذا ربّنا – يعنيان كسرى – فقال رسول الله: لكنّ ربّى قد أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتيانى غداً، وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء أنّ الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله فى شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلّط عليه ابنُه شيرويه فقتله.

– قال الواقدىّ: قَتَل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضيْن[1] من جمادى الأولى من سنة سبع لستّ ساعات مضت منها –

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبى حبيب. فدعاهما فأخبرهما، فقالا: هل تدرى ما تقول! إنا قد نَقِمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنّى، وقولا له: إنّ دينى وسلطانى سيبلغُ ما بلغ ملك كسرى، وينتهى إلى منتهى الخُفّ والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسْلمتَ أعطيْتُك ماتحت يَدَيك؛ وملّكتُك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خُرّ خسره مِنْطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدِما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام مَلِك، وإنّى لأرى الرّجل نبيًّا كما يقول؛ ولننظرنّ ماقد قال؛ فلئن كان هذا حقًّا ما فيه كلامٌ؛ إنه لنبى مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فإنّى قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبًا لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم[2] فى ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابى هذا فخذْ لى الطاعة ممّن قِبَلك؛ وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمرى فيه.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسولٌ. فأسلم وأسلمت الأبناءُ معه من فارس مَنْ كان منهم باليمن؛ فكانت حِمْيَر تقول

---

(١) و: «بقين».

(٢) التجمير: الحبس فى الثغور.

لخرّخُسره : ذو المِعْجَزَة ، للمنطقة التى أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم – والمنطقة بلسان حمير المِعجَزة[١] – فبَنُوه اليوم ينسبون إليها خُرّخُسره ذو المِعْجَزَة .

وقد قال بابويه لباذان : ما كلّمت رجلاً قطّ أهيبَ عندى منه ، فقال له باذان : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبْط ، يدعوه إلى الإسلام فلم يُسْلِم .

* * *

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجّة وبعض المحرّم – فيما حدثنا ابنُ حُمَيد قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن اسحاق .

قال : وولى الحجّ فى تلك السنة المشركون .

تم الجزء الثانى من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع .

---

(١) المعجزة : المنطقة ، باليمانية ، وفى و : « المعجزة » .

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

السنة الثالثة

* * *

السنة الرابعة

* * *

السنة الخامسة

* * *

* هى غير الغزوة التى مر ذكرها بهذا الاسم فى حوادث السنة الثانية .

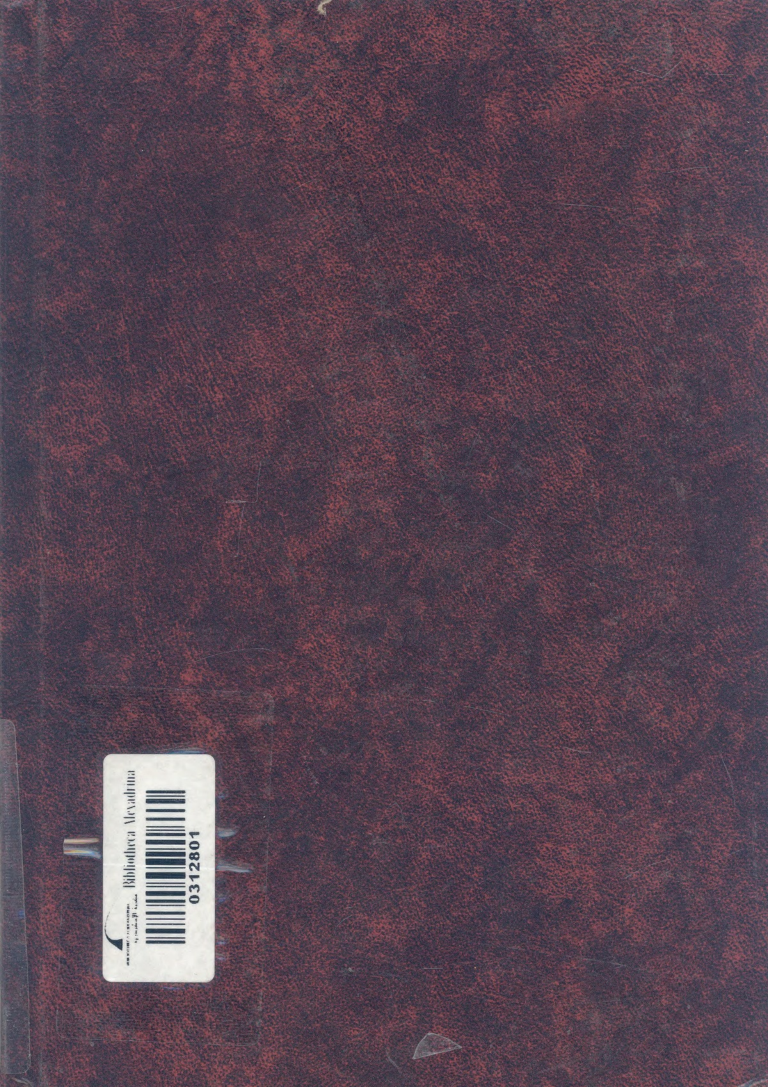
صفحة

السنة السادسة

رقم الإيداع	١٩٩٠ / ٣٧٢٠
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 2944 - X

١ / ٩٠ / ٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)


Bibliotheca Alexandrina
0312801